

جعفر الحسيني

JAFFAR AL-HUSSAINI

ثورة في العراق

العراق 1958 - 1963



نقد تجربة الدولة العراقية
في العهدين الملكي والجمهوري

الزوسم

الطبعة
الثالثة
2018

ثورة في العراق

العراق ١٩٥٨ - ١٩٦٣

نقد تجربة الدولة العراقية
في العهدين الملكي والجمهوري

الكتاب: ثورة في العراق

الكاتب: جعفر الحسيني

الطبعة الثالثة ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الناشر: الروسم
للصحافة والنشر والتوزيع



بغداد - شارع المتنبي - مجمع الميالي التجاري
هاتف: ٠٧٧١٤٢٤٧٥٩٢

E - Mail: zaeemalnassar@yahoo.com
www.alrawsam.com

الغلاف والإخراج: م. جمال الأبطح

Copy Right © AlRawsam Publishing

لا يسمح بطباعة هذا الكتاب أو تصويره أو نسخه

إلا بإذن خاص ومسبق من الناشر

All right reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted.
without permission in writing from the publisher

جعفر الحسيني

ثورة في العراق

(العراق ١٩٥٨ - ١٩٦٣)

نقد تجربة الدولة العراقية
في العهدين الملكي والجمهوري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾

(سورة الإسراء - الآية ١٦)

الإهداء

إلى أبي، معلمي الأول..

الذي يرقد هناك في منفاه في دمشق، التي توفي فيها، في ٢٤/١٢/١٩٩٣.
وكان قد غادر العراق، في ١٠/١٠/١٩٨٠، وقد وصفت السيدة رباب الصدر رحلته إلى المنفى بقولها: (حسبكم ان رحتم مهاجرين، لا فرارا من قهر، بل انقاذا لاهلنا من ويل).
اما الشيخ احمد الوائلي فقال في رثائه: (إن مجرد خروجه وخروج امثاله هي صيحة في وجه الديكتاتورية.. هي صيحة في وجه الوحشية التي انشبت مخالباها في هذا البلد). وقد رثاه الاستاذ جابر الجابري برأئته (بقايا العراق):

يا بقايا العراق ابكي عراقا فيك وهو المقطع المسلوب
ورثاه الدكتور مصطفى جمال الدين بقصيدة (الفقيدان) الرائعة:
لم يمت يا عراق قلب أبي موسى وان لم تطف به الأحداق
وكانت للأستاذ حسن السنيد قصيدة (الرحيل) الجميلة:
وكتبنا على ترابك أسماء قرانا... لتخلد الاسماء
ورثته جريدة نداء الرافدين قائلة:

(وقف الضمير العراقي وقفة وفاء لرجل حمل هم العراقيين وطاف به الأرض،
بجسد ناحل أجهده النفس الكبيرة التي انطوى عليها).
أما الدكتور محمد بحر العلوم فقد رثاه بقوله:
(وفقيدنا الغالي واحد من سلسلة الخالدين، وعدوه من نوع المندثرين).

جعفر الحسيني

٢٠٠٨/٨/٨

المقدمة

أخذ العراقيون - بعد الذي عانوه من الانقلابات العسكرية وخاصة انقلاب ١٧ تموز
الدموي - يتحسرون على العهد الملكي، أو ما يسمونها بايام نوري السعيد. ولا جرم ان
ذلك العهد افضل بما لا يعد من المرات من عهد صدام ومجازره وحروبه ومغامراته. بل
انه - وفي جوانب عديدة - افضل من عهد عبد السلام عارف.
لكن العهد الملكي هو المسؤول الأصلي عن كل ما عاناه العراق من انقلابات واضطرابات
وهزات ومجازر. فقد أسس ذلك النظام لما سماه الكاتب الفرنسي جان بيير لويزار:
(دولة ضد مجتمعها) ^(١). وبالتالي فان الثورات والاضطرابات والمجازر لم تكن الا تعبيرا
عن أزمة كيان ^(٢).
إن السيطرة على الشعب العراقي وترويضه، وليس بناء دولة عراقية حديثة، كانت هي
الشغل الشاغل للعهد الملكي ولكل العهود التي ورثته.
يقول الملك فيصل الأول في وصيته الشهيرة:
(أما ما سأطلبه من الآن، هو ان يكون (الجيش) مستعدا لآخماد ثورتين تقعان (لا

١- كتبت جريدة الشرق الاوسط في عددها ٩٤١١ في ٣ سبتمبر ٢٠٠٤ تحت عنوان: (جعفر
الحسيني سبق لويزار إلى استنتاجات راهنه): ان الكاتب العراقي جعفر الحسيني في كتابه
(على حافه الهاوية) سبق لويزار في استنتاجاته.
٢- للأسف ان الدولة العراقية الجديدة - التي تم انشائها بعد الاحتلال الامريكي عام ٢٠٠٣
- قامت على نفس الاسس التي قامت عليها الدولة العراقية السابقة - التي تم انشائها على يد
الاحتلال البريطاني عام ١٩٢٠ - ولكن باسماء مختلفة.

سامح الله) في آن معا، في منطقتين بعيدتين عن بعضهما^(٣).

وبلغة اليوم أو بالأحرى بتقسيمات اليوم، فانه كان يقصد ثورة كردية في الشمال، وثورة شيعية في الجنوب.

ويبدو ان الملك فيصل - وهو أذكى من حكم العراق الحديث واكثرهم حكمة وخبرة - قد أوصى بذلك، بعد ان يؤسس من اقامة دولة تمثل كل العراقيين. فقد افشل الاحتلال (أو بتعبير أدق النفوذ البريطاني) و حلفاؤه من الطبقة السياسية العراقية، محاولته تلك.

كانت الدولة العراقية - التي تم تأسيسها عام ١٩٢٠ على يد الاحتلال البريطاني - عثمانية التفكير والروح والأساليب. فموظفوها كانوا يعاملون مواطنيهم باحتقار واستعلاء. فهم لا يؤمنون بفكرة المواطنة، بل يتصرفون بعقلية الراعي والقطيع. والضباط يعاملون جنودهم كعبيد، ويستخدمونهم خدما في منازلهم أو في مكاتبهم، حتى انهم كانوا يغسلون ملابس الضباط الداخلية ويمسحون احذيتهم وما شابه ذلك. وكانوا يضربون جنودهم - لأتفه الاسباب - بحقد وقسوة.

واصدرت الدولة قانونا - عام ١٩٢٢ - يمنع انتقال الفلاح من مكان إلى اخر الا بموافقة صاحب الأرض. فحولت بهذا القانون ثلثي شعبها - وهي نسبة سكان الريف في العهد الملكي - إلى أقتان. والجدير بالذكر ان رشيد عالي الكيلاني رئيس الوزراء وقتها، هو الذي كان وراء هذا القانون الفظيع.

ومن غرائب العهد الملكي الاكثر غرابة، ان الضرائب - وخلافا لكل بلاد العالم - كانت تفرض على الفقراء، ويعفى منها الأغنياء. فقد كانت الضرائب على القمح والرز والشاي والسكر - السلع الأساسية للمواطنين - تشكل - قبل زيادة حصة الدولة من عوائد النفط في مطلع الخمسينات - دخلا اساسيا لخزينة الدولة. بينما كانت الاقطاعات والعقارات والمعامل والشركات، شبه معفاة منها.

واعتربت الدولة الملكية الوعي خطرا يهددها، فكان فتح مدرسة يحتاج لسلسلة طويلة من الموافقات الرسمية وغير الرسمية (كموافقات رجال الدين وشيوخ العشائر). وظلت

٣- د. عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال إلى الاستقلال، لندن ١٩٩٧، ص ٢٣١.

الحكومات المتتالية تخشى من انشاء جامعة علمية، وهكذا لم تظهر جامعة بغداد للوجود الا في الخمسينات. الا ان اخطر ما ارتكبه العهد الملكي واورثه للعراق أمران:

الأول: أن الدولة تكون علمانية، عندما يتعلق الامر بالدين، وطائفية عندما يتعلق الامر بالمذاهب. (أي دولة غير دينية ولكنها متمذهبة).

الثاني: ان العهد الملكي لم يرس تقاليد سياسية، ولم ينشئ حياة سياسية مستقرة، فأضر بتشكيل الهوية الوطنية العراقية وتبلورها.

وكان العهد الملكي، وكلما طال عمره، يمسي وخلافا لطبائع الامور أكثر استبدادا وفسادا وانعزالا عن شعبه، حتى غدا سقوطه - في السنوات الأخيرة - حتميا.

وللأسف ان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، هي الأخرى فشلت في بناء دولة عراقية حديثة، فظلت الدولة العراقية، عثمانية التفكير والروح والأساليب، أي ظلت (دولة ضد مجتمعتها). الأمر الذي فاقم أزمة الكيان العراقي، فانتهت إلى ما انتهت اليه على يد صدام ثم الاحتلال الأمريكي.

إن فهم الكثير من مشاكل العراق، التي تعقدت وتفاقت فيما بعد، وفهم الكثير مما جرى في العراق الجمهوري، يحتاج إلى تسليط الضوء على جذورها في العهد الملكي. يقول الاستاذ محمد حسنين هيكل: (الماضي يحفظ في الارشيف اما التاريخ فهو سائل يجري). لذلك خصصت القسم الاول، من اقسام هذا الكتاب الثلاثة، لاختفاء وخطايا العهد الملكي التي ادت إلى سقوطه، والتي - في الوقت نفسه - اورثها للعراق، وكانت سبب معاناته اللاحقة. وتم تخصيص القسم الثاني لتنظيم الضباط الاحرار، واحداث يوم الرابع عشر من تموز ١٩٥٨. اما القسم الثالث فيتناول زعيم الثورة عبد الكريم قاسم وعهده، أي ان هذا القسم يبحث تاريخ العراق، من اليوم التالي للثورة حتى اواخر عهد عبد الكريم قاسم.

ولابد من القول، ان المرء وهو يتابع احداث ثورة ١٤ تموز، والتي لازال بعض قادتها ورجالها احياء، ليعجب من كثرة الروايات وتناقضها. فانتفاء عبد الكريم قاسم - على سبيل المثال - للضباط الاحرار، له اكثر من عشر روايات. والاهم من هذا، ان يكتشف الباحث، انه ليس هناك تنظيم - بالمعنى الحرفي للكلمة - وراء الثورة. وليس هناك قيادة عليا أو قيادة وسطية أو خلايا للضباط الاحرار. انما هذه التسميات، قد ظهرت بعد

ثورة ١٤ تموز، واستخدمت بأثر رجعي. واستعملها الكتاب معتبرين ذلك من المسلمات والحقائق. وصار الضباط الأحرار الآخرون - من الذين لم يقدر لهم ان يلعبوا دورا يذكر في يوم الثورة - يرددون ذلك، أو يجارون الآخرين فيما يرددون، بحثا عن دور أو مكان في الثورة. وهكذا تضخمت الأدوار، وتعددت الاحداث، وتعددت الأسماء، وتضاعفت الاعداد.. إلى آخره. ولا يسع المرء الا ان يردد مع الرصافي:

نظرنا لأمر الحاضرين فراينا فكيف بأمر الغابرين نصدق

انني ارجو ان يشكل هذا الكتاب، قراءة جديدة لمرحلة خطيرة من تاريخ العراق الحديث والمعاصر، والتي ما برحت ولسنوات طويلة، ابحت فيها وأنقب عنها. فضلا عن التزامي الحياد التام في دراسة تلك المرحلة المثيرة للخلاف، والذي بدوره لن يصل الباحث إلى الحقيقة ولن يرى الاشياء، كما جرت (أو تجري) في الواقع. وختاماً، لا بد ان اشكر صديقي العزيز معن جاسم السامرائي - مدير مكتبة دار الحكمة في لندن - الذي زودني بعشرات المصادر التي كنت في امس الحاجة اليها. ولا بد ان اذكر الشهيد جيهان نوري الياس، الذي له أياد بيضاء على هذا الكتاب، والذي استشهد في انفجار وزارة الخارجية الرهيب، في ١٩ آب ٢٠٠٩. فخرست فيه الاخ والصديق والحبیب، وأمست بغداد بعده عليّ موحشة مظلمة. وستبقى ذكراه لوعة في القلب، ودمعة ساخنة في العين.

أما أخي محمد رضا الحسيني، الوزير المفوض بوزارة الخارجية، والذي أصيب بجراح شديدة، في انفجار الخارجية، فله الأمانى الطيبة بعبور هذه المحنة، والشكر الجزيل على ما قدم من مساعدة في هذا الكتاب، وعلى ما هيا من مصادر^(٤).

جعفر الحسيني

دمشق ٢٠٠٧/٨/٨

٤- اضيفت الفقرتان الاخيرتان من المقدمة يوم ١٠/١٠/٢٠٠٩.

القسم الاول

أسباب سقوط العهد الملكي

كان فيصل الأول - الذي تبوأ العرش في ٢٣ اب ١٩٢١ - ذكيا، مثقفا، حكيما، فهو رجل دولة من الطراز الأول. وقد تكونت لديه بسرعة خبرة عميقة بالشأن العراقي، ولو قدر له ان يعيش اطول مما عاش لكنا - ربما - أمام عراق اخر، ولما عانى العراق ماعاناه من مأس وكوارث. فهو (وخلافا لمعظم معاصريه في العراق، كان مدركا لادق نقاط الواقع السياسي وكان ينظر إلى ابعد من اللحظة الراهنة. وعرف بوضوح أهمية تحويل تلك الجملة من مجتمعات التخلف والاختلافات والانغلاق على الذات الذي كان عليه العراق إلى دولة حديثة ومنسجمة)^(٥).

توفي الملك فيصل الأول في صباح الثامن من أيلول عام ١٩٣٣، عن خمسين عاما، وقد قال طبيبه الدكتور كوشر: لم يكن هناك أي شيء يدعو إلى احتمال هذه الوفاة المفاجئة^(٦). لذلك ظهرت وجهة نظر ترى بان الملك فيصل الأول توفي مسموما^(٧).

خلف غازي، الابن الوحيد لفيصل، والده على العرش، ولم يكن قد بلغ الثانية والعشرين. ويصفه احمد مختار بابان اخر رئيس وزراء في العهد الملكي قائلاً:

(كان الملك غازي، والحق يقال، مؤدبا خجولا، وكان لديه شعور وطني فوق العادة، ولكن كان ينقصه فكر وحنكة رجل يدير الحكم في بلد مثل العراق الذي كانت ادارته من اصعب الامور. ان الملك غازي لم تكن لديه مثل هذه القابلية، وكان فضلا عن ذلك مدمنا على الشراب حتى مع مرافقيه، وكان يصرف وقته في

٥- حنا بطوط. العراق. الكتاب الاول. بيروت ١٩٩٠، ص ٣٦٨.

٦- د. البزاز، المصدر السابق، ص ١٦٧.

٧- باقر ياسين، تاريخ العنف الدموي في العراق، بيروت ١٩٩٩، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

مسائل تافهة، فلم يكن مؤهلاً لممارسة الحكم لهذه الأسباب وغيرها، وكان رجال السياسة يعرفون ذلك عنه، ويتحدثون به فيما بينهم، أما الشعب فلم يكن يفهم هذه الحقائق، أو يستوعبها، وكان يرى في كل ما يقال ضده دعاية يبثها الأعداء، لأن مفهوم الشعب عن الملك غازي أنه وطني مخلص، فصار معبوده^(٨).

ويقول عبد الكريم الأزري الذي كان اذاك معاوناً لرئيس الديوان الملكي: (وكان مما يلفت نظري وأنا أراقب، عن قرب، اوضاع البلاط الملكي آنئذ، أي في سنة ١٩٣٤... أن العرش كاد يكون فارغاً، بعد أن كان في زمن الملك فيصل الأول مركز القوة والسلطة ومحور النشاط والفعالية والتوجيه والهيمنة في الدولة. كان الملك فيصل الأول، في الواقع، ملكاً واثقاً، في آن واحد... وقد أحدث موته فراغاً رهيباً بكل معنى الكلمة. فالملك غازي كان ضعيفاً بعيداً عن الاهتمام بشؤون الدولة، منغمساً في ملذاته وشؤونه الخاصة)^(٩).

ومن الطريف، أو قل من المضحك المبكي، أن أحمد مختار بابان، عندما كان قاضياً في البصرة، أقام معه في بيت واحد، صديقه علي محمود الشيخ علي محافظ البصرة، فكان الملك غازي يتصل - ربما وهو سكران - بالآخر تلفونياً كل مساء تقريباً، ويطلب منه أن يأخذ قطعات الجيش الموجودة في البصرة والديوانية معه، ويذهب لاحتلال الكويت، مما كان يسبب قلقاً كبيراً لدى علي محمود الشيخ علي. فكان بابان يقول له: لا تقلق أنه عند الصبح يبدل رأيه. وهذا ما كان يحدث فعلاً^(١٠).

مات غازي، في الرابع من نيسان ١٩٣٩، في حادث سيارة مروع، يبدو أنه كان مدبراً من قبل البريطانيين، بسبب ما كانت تبث إذاعته الخاصة (إذاعة قصر الزهور) من هجوم على السياسة البريطانية في العراق ودول المنطقة، ودفاعه عن القضية الفلسطينية،

٨- مذكرات أحمد مختار بابان، بيروت، ١٩٩٠، ص ٣٧.

٩- عبد الكريم الأزري، تاريخ في ذكريات العراق ١٩٣٠-١٩٥٨، الجزء الأول، بيروت ١٩٨٢، ص ٧٤.

١٠- بابان، المصدر السابق، ص ٤٠.

ومطالبته بالكويت باعتبارها (جزءاً من العراق)، ومغازلته لللمان والطيالان^(١١).
ويعلق العقيد جيرالد دي غوري الملحق العسكري البريطاني - الذي لعب ادواراً خطيرة
في العراق الملكي - على الحادث قائلاً:

(كان السفير البريطاني في بغداد السر موريس باترسون هو الرجل المصيب
الذي أوكل اليه أمر معالجة هذا الشذوذ الغريب في مسلك الملك غازي.. وقد
نجح في تحقيق نتائج أكثر مما كان يتوقع)(١٢). وتقول وثائق بريطانية، ان
مسؤولاً بريطانياً كان قد تدارس مع السفير البريطاني في بغداد، موريس
بيترسون، قبل أيام من مقتل غازي، الميزات النسبية لمختلف افراد البيت الملكي،
في حالة وقوع أي طارئ^(١٣).

ويرى ناجي شوكت وزير الداخلية حينذاك والمشرف على التحقيق، بأن مما له
علاقة - ربما - بلفلفة قضية مقتل غازي، عزل القاضي سليم الديملاني عن التحقيق في
القضية، ونقل التحقيق إلى عهدة الحاكم (خليل امين المفتي) الذي تستر على الموضوع.
بينما اغتيل مدير الشرطة العام حينذاك هاشم العلوي، بعد ذلك، خشية كشفه بعض
اسرار القضية^(١٤). وتنفى الاميرة بديعة شقيقة الامير عبد الاله، وشقيقة الملكة عالية
زوجة غازي، اية مؤامرة في الأمر، وتنسبه للتهور والطيش^(١٥). خاصة وان غازي كان
سكranاً^(١٦).

الا ان الرواية الاكثر اثارة، هي رواية الوزير ناجي شوكت نفسه. فقد كشف عن جانب

١١- مذكرات وريثة العروش، الاميرة بديعة ابنة الملك علي، لندن ٢٠٠٣، ص ١٠٩-١١٠.
(لاتتفق الاميرة مع وجهة النظر هذه وانما ترويها كاشاعة).

١٢- جيرالد دي غوري، ثلاثة ملوك في بغداد، بغداد ١٩٩٠، ص ١٧١.

١٣- بطاطو، المصدر السابق، ص ٣٧٩.

١٤- د. لطفي جعفر فرج، الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي
١٩٢٣-١٩٢٣، بغداد ١٩٨٧، ص ٢٧٤-٢٧٥.

١٥- راجع مذكرات وريثة العروش، المصدر السابق، ص ١١٣-١١٧.

١٦- المصدر السابق. ص ١٠٩.

آخر من حياة غازي الخاصة. وما كشفه ربما يفسرهمهمات الآخرين والتي تومئ إلى ان هناك في سلوك غازي ما هو أكثر من الادمان ورفاق السوء^(١٧). فقد نسب إلى غازي الشذوذ الجنسي، وربط بين اندفاعه لاشباع غرائزه وقيادته السيارة - في تلك اللحظة - بطيش ورعونة، مما تسبب في الحادث، دون ان يستبعد فرضية المؤامرة وان هناك يدا خفية لعبت بالسيارة وحدثت فيها خلا غير منظور مهد لانقلابها^(١٨).

اما مرافقه اللواء فؤاد عارف فينفي ما يقوله السياسيون عن غازي قائلًا عنه:
(كان شديد الحب للعراق والعراقيين، بعيدا عن كل أنواع التعصب العنصري والطائفي، لكن كان ينقصه دهاء والده وحنكته، فهو لم يفهم الا عيب السياسة، ولم يجد فنونها. لم يعرف كرهه للانجليز حدودا، إذ كان يرى فيهم ناكثين للعهود، متجنين على جده الحسين، من هنا جاءت حساسيته المفرطة تجاه الساسة التقليديين الذين رافقوا والده باستثناء اثنين منهم هما محمد الصدر ومحمد رضا الشبيبي رحمهما الله. حتما ما كان بوسع غازي، مثل غيره، ان يمتلك نزاهة الدراويش والرهبان الورعين الصادقين، فقد كان يحب الانطلاق، ويعد نفسه (سجينًا محترما) على حد تعبيره، ولكن لاشك في ان اعداءه بالغوا في تصوير جوانب معينة من حياته الخاصة، فتجنوا عليه، وحاولوا النيل من فضائله الاصيلية التي لمستها فيه منذ ان كنا زملاء في الكلية العسكرية)^(١٩).

على أي حال، ان العراقيين بكوا غازيا كما لم يبكوا احدا اخر في تاريخهم الحديث. وظل سكان الجنوب الشيعة، ولعدة أيام، يخرجون في مواكب لطم ليلية - كما يفعلون عادة في عاشوراء - يندبون غازي بحرقه، ويشتمون الانكليز والضالعين معهم في قتله، ويقصدون بذلك عبد الإله ونوري السعيد.

١٧ - انظر المصدر السابق، ص ١٨٧ و ٢١٢ و ٢٣٠.

١٨ - ناجي شوكت، سيرة وذكريات ثمانين عاما ١٨٩٤ - ١٩٧٤، بيروت ١٩٧٥، ص ٣٥٥ - ٣٥٨. (وهناك من رد على شوكت نافيا نفيا قاطعا الشذوذ الجنسي عن غازي. انظر عبد المجيد حسيب القيسي، التاريخ يكتب غدا، لندن ١٩٩٣، ص ٧٦٠ و ٧٦٢).

١٩ - فؤاد عارف، مذكرات فؤاد عارف، بيروت ٢٠٠٦، ص ١١٣.

ولان فيصل الثاني - الابن الوحيد لغازي - كان صغيرا لم يتجاوز الرابعة، فقد أصبح خاله عبد الإله بن علي وصيا على العرش. وهو من مواليد الطائف (الحجاز) عام ١٩١٢، أي أن عمره يوم تولى الوصاية لم يتجاوز السابعة والعشرين. وقد منح الجنسية العراقية في اليوم الذي تولى فيه الوصاية. ورغم ان كل اصحاب الحل والعقد في الدولة العراقية، كانوا مع ترشيح عبد الإله للوصاية. وكان للعقلاء الاربعة الذين اعدمهم عبد الإله فيما بعد، اليد الطولى، في دفعه إلى مقام الوصاية^(٢٠). فان عبد الإله كان آخر من يصلح لقيادة العراق في مثل تلك الظروف الدولية الخطيرة.

يصفه رئيس الديوان الملكي ثم رئيس اخر وزارة ملكية، احمد مختار بابان، والذي كان اقرب الناس اليه واكثرهم معرفة به قائلا:

(كان الامير عبد الإله شابا يافعا، قليل الخبرة، وقليل الاختلاط بالناس، وفي الواقع فوجيء الرأي العام باشغاله هذا المركز الخطير في وقت كان يشغل قبل ذلك منصبا بسيطا في وزارة الخارجية)^(٢١).

ويضيف ايضا:

(كان الأمير عبد الإله رغم شخصيته القوية المؤثرة، ورغم ذكائه المفرط، قلما يستعمل قابلياته هذه في الظروف الاعتيادية وذلك بسبب تغلغل روح الكسل والاتكالية فيه، وهو فضلا عن ذلك عنيدا بشدة، ويصر بافراط على الخطأ، وهذا كثيرا ما يسبب له اتعابا، وللبلاد اضرارا، انه كان يحب بشدة، ويكره بشدة، وكان من خصائص طباعه ونفسيته الملل، كما كان قلقا دوما، لا يستقر مع قرار، وكان يكره العديد من الساسة والشخصيات المهمة وغيرهم لاسباب تافهة، فضلا عنهم اشخاص لم يتمتعوا بمزايا وخصال، سوى انه كان يستلطف مجالستهم.. ومن صفات الأمير عبد الإله السلبيه الأخرى انه لم يكن يقبل النصح من احد)^(٢٢).

٢٠- صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة في العراق، ص٩٧. وانظر كذلك الصفحات ٧٤، ٧٥، ٨٣، ٨٤، ١٠٣، ١٠٤.

٢١- بابان، المصدر السابق، ص١٢٠.

٢٢- المصدر السابق، ص١٢٦.

كان عبد الإله فاشلا في دراسته، مغرما بسباق الخيل والمراهنة فيه، مسرفا في الشراب^(٢٣). اوفد مرة احد رجال الدولة، في مهمة إلى السعودية، فعاد ولم يوفق في مهمته، وجاء إلى عبد الإله في قصره عصرا، وكان جالسا يحتسي الويسكي مع بعض خواصه، فلما ابلغه الرجل بخيبة مهمته، استشاط الأمير غيظا وتناول الكأس بحركة عصبية وقذف الشراب بوجه السفير^(٢٤). المفارقة، ان عبد الإله بطينته الرديئة هذه^(٢٥)، كان وبخلاف غازي، بل واكثر مما تسنى لفیصل الأول من سلطة، الحاكم الفعلي للبلاد، فقد (كان يجمع في يديه كل خيوط السلطة) كما قال مرافقه فالح حنظل^(٢٦). فهو الذي يختار رئيس الوزراء والوزراء وكبار موظفي الدولة واعضاء مجلس النواب^(٢٧). (وأصبح والحالة هذه مرجعا حقيقيا في كل صغيرة وكبيرة حتى تعيين الموظفين واحالتهم على التقاعد وما إلى ذلك من الأمور)^(٢٨).

لم يكن عبد الإله رجلاً سياسياً بل رجلاً عادياً، يحب ويكره دون تبطين لعواطفه وانفعالاته^(٢٩). وبدا ذلك بأسوأ صوره في (اندفاع الأمير الشديد بمعاقبة الاشخاص الذين قاموا بحركة ١٩٤١ إلى درجة التشفي، واعدامهم بصورة علنية بعد ان زالت الموجبات لكل هذه الشدة. سببت له هذه الأمور المتاعب، مضافا إلى نقمة الضباط والشعب. الأمر الذي ادى في النهاية، في صبيحة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ إلى التمثيل

٢٣- القيسي، المصدر السابق، ص ٢٣٩-٢٤٠.

٢٤- مير بصري، اعلام السياسة في العراق الحديث، لندن ٢٠٠٥، ص ٤٩.

٢٥- بطاطو، المصدر السابق، ص ٣٨٤.

٢٦- بصري، المصدر السابق، ص ٥١-٥٢.

٢٧- انظر مثلاً، الازري، المصدر السابق، ص ٤٢٦-٤٢٧ وايضا احمد الحبوبي، اشخاص كما عرفتهم، لندن ٢٠٠٢، ص ٨٨.

٢٨- عبد الرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الثامن، بيروت ١٩٧٤. ص ٣٢٧-

٣٣١. (مذكرة الجادرجي للوصي عام ١٩٥٢).

٢٩- طارق الناصري، عبد الإله الوصي على عرش العراق (١٩٣٩-١٩٥٨) حياته ودوره السياسي، بغداد ١٩٩٠، ص ٢٤.

به بعد قتله الفجيع، أو تعليقه في الموضع الذي امر ان يعلق فيه العقيد صلاح الدين الصباغ امام وزارة الدفاع^(٣٠). فقد امر عبد الإله بان تبقى جثة الصباغ معلقة حتى يمر في طريقه إلى ديوانه الرسمي ويتشفى برؤيتها^(٣١). فضلا عن اشرافه شخصيا على السجن الذي اودع فيه رجال حركة مايس ١٩٤١^(٣٢). وتدخله في الصغيرة والكبيرة مما يتعلق بالسجناء، كرفضه جلوسهم على كراس أو تمشيهم في ساحة السجن^(٣٣). وهكذا قضى عبد الإله سنوات وصايته نصفها الأول في ملاحقة رجال حركة مايس، والانتقام منهم. و نصفها الآخر في ملاحقة الشيوعيين، والتنكيل بهم. وانتهى به الأمر كما يقول احمد مختار بابان: (كان الأمير عبد الإله يشعر بأنه غير محبوب، وقد سمعته مرة يقول: (ان نظرة الناس الي، ولاسيما طلبة كلية الحقوق، هي نظرة كره، انني احس بذلك عندما امر بسيارتي في الشارع))^(٣٤). ويروي سليمان موسى في مقدمته لكتاب (الأمير عبد الإله صورة قلمية):

(حدث عام ١٩٦٨ انني سألت الأمير زيد بن الحسين عن الأسباب الكامنة وراء انقلاب عام ١٩٥٨. كان الجواب: (بعد فيصل ابتعد الحكام عن الشعب. صاروا لا يعرفون مايريد الشعب))^(٣٥).

اما الملك فيصل الثاني، الذي تولى سلطاته الدستورية ملكا على العراق في ٢/٥/١٩٥٣ فقد (كان عاجزا أو غير قادر على ان يفصل في امر أو ان يقوم بعمل)^(٣٦). فقد ظل الوصي عبد الإله بصفته الجديدة كولي للعهد هو (الرئيس الفعلي)^(٣٧). وكان بإمكانه

٣٠- بابان، المصدر السابق، ص ١٢٢.

٣١- القيسي، المصدر السابق، ص ٢٠٥.

٣٢- مذكرات علي محمود الشيخ علي، بغداد ١٩٥٨، ص ٢٧٠.

٣٣- موسى الشابندر، ذكريات بغدادية، بيروت ١٩٩٣، ص ٣٨٢.

٣٤- بابان، المصدر السابق، ص ١٢٣.

٣٥- عطا عبد الوهاب، الامير عبد الإله صورة قلمية، بيروت ٢٠٠١، ص ١٥.

٣٦- الحسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية، مهنتي كملك، ص ١٣٥.

٣٧- المصدر السابق، ص ١٢٦.

ان (يشتم الملك ويوبخه ويعنفه كما لو كان صبيا غير مؤدب)^(٣٨).
ولا تكتمل الصورة عن العهد الملكي، ما لم نتحدث عن نوري السعيد، فهو (وحده من بين رجال السياسة ارتبط باسمه العهد الملكي في العراق، فصار يعرف بعهد نوري السعيد)^(٣٩). ورغم ان الشراكة بينه وبين عبد الإله لم تكن سهلة^(٤٠)، فقد كانا (متفهمين احدهما للآخر، وكانت اراؤهما متقاربة، اذ كان سمو الأمير عبد الإله واثقا من اخلاص نوري السعيد للعرش وللبيت الهاشمي، كما ان نوري السعيد كان يعتبر الأمير عبد الإله صديقا له)^(٤١).

كان نوري (ميكافيليا، يؤمن بان الغاية تبرر الوسيلة، و ان السياسة ميدان خاص له قوانين ومحركات تفرض سلوكا معيناً على من يخوضه.. اقتنع قناعة تامة بان القوى الدولية الكبرى هي التي تؤلف العامل الأساسي والأخير في تقرير مصير مجرى الاحداث في المنطقة)^(٤٢). وكان يردد ان مبدئي هو:

(لا تكن مثاليا ابدا، بل استعمل الوسائل التي تجدها ولا تنتظر ان يكون كل شيء كاملا فتضيع فرصتك)^(٤٣).

ولم يكن يتورع عن اغتيال منافسيه أو يحجم عن أي اسلوب يوصله إلى مركز السلطة^(٤٤).

وقد حكم العراق بعقلية عثمانية متخلفة. يقول علي الشرقي - احد وزراء العهد الملكي - في كتابه (الاحلام): ويمكنني ان اقول كان نوري يفكر بعقلية عام ١٩٢٠ وهو في عام

٣٨- المصدر السابق، ص ١٣٧.

٣٩- سليم الحسني، رؤساء العراق ١٩٢٠-١٩٥٨، لندن ١٩٩٢، ص ١٤٣.

٤٠- بطاطو، المصدر السابق، ص ٢٤٢.

٤١- بابان، المصدر السابق، ص ٥٩.

٤٢- عبد الرزاق احمد النصيري، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢، بغداد ١٩٨٠، ص ٣٢٧-٣٢٨.

٤٣- مير بصري، المصدر السابق، ص ١٥٩.

٤٤- بطاطو، المصدر السابق، ص ٣٧٠.

١٩٥٨، وقد حدثت عقول واندثرت عقول^(٤٥).

ويصفه احمد مختار بابان:

(كان نوري باشا من الطراز الذي يحب القديم ويتمسك به، وقلما يراعي

التطورات الحديثة، وما يرنو إليه الجيل الصاعد)^(٤٦).

ويقال انه كان يردد: الشعب كالطفل، اذا طالبك بشيء، فارفع يدك وقل له انظر إلى ذلك العصفور.

ان القول بان نوري السعيد كان نزيها، لم تظهر له اية ثروة تذكر، شأنه في ذلك شأن عبد المحسن السعدون وجعفر العسكري^(٤٧)، والكثير ممن تولوا الحكم خلال العهد الملكي^(٤٨)، ليس مصيبا، فقد صادرت الثورة الكثير من العقارات والأراضي الزراعية التي كانوا يمتلكونها^(٤٩). والتي لم يرثوها من آبائهم، ولا اشتروها برواتبهم. فقد جمعوا من فرصهم السياسية - كما يقول بطاطو - اموالا كثيرة. فعلى سبيل المثال، وضع جعفر العسكري (صهر نوري السعيد)، يده بالاشتراك مع جميل المدفعي وعلي جودت الايوبي، على قسم كبير من شاطئ دجلة الذي تملكه الدولة في منطقة المجيدية في بغداد. وكان علي جودت يملك أيضا حوالي ٩٠٠٠٠ متر مربع في كراة مريم و ٦٣٦٦ دونما من الأراضي الزراعية،

فضلا عن حصته في (شركة الاسمنت العراقية). اما المدفعي، فألى جانب العقار الزراعي البالغة مساحته ٣٩٧٦ دونما، كان يملك مصنعا للسجائر بالشاركة مع رئيس

٤٥- بصري، المصدر السابق، ص ١٦٠.

٤٦- بابان، المصدر السابق، ص ٥٦.

٤٧- يبدو ان حكام العراق من جنس الملائكة.. فرجال العهد الملكي لم يسرقوا العراق.. وظاهر يحيى وجماعته - في العهد الجمهوري - لم يسرقوا العراق. وصادم وعصاباتة لم يسرقوا العراق ولم تظهر لهم ثروة! فمن سرق العراق ياترى.. يبدو ان الشعب العراقي هو السارق!

٤٨- بصري، المصدر السابق، ص ١٦٣،

٤٩- عن ملكيات رؤساء الوزارات الزراعية راجع بطاطو، المصدر السابق، ص ٣٩٤.

الوزراء السابق توفيق السويدي وآخرين^(٥٠).

كان نوري السعيد من الذين استلموا رشىً من شركة نفط العراق^(٥١). وكان يستخدم ميزانية الدولة، عندما يكون في الحكم، لأغراضه الشخصية، أو لشراء الانصار والاتباع. ويقدم هداياه لبعض السياسيين ليكفوا عن معارضة سياسته^(٥٢). ويعين اقرباءه وأصدقاءه^(٥٣)، بغض النظر عن كفاءتهم أو نزاهتهم، الأمر الذي اثار حفيظة الملك فيصل الأول^(٥٤). وكان ابنه صباح فاسداً أيضاً، إذ امتلك بحلول عام ١٩٥٨، ومن خلال سوء استخدام النفوذ على ما يبدو، سندات ارض تبلغ مساحتها ٩٢٩٤ دونماً^(٥٥).

وقد وصفت المخابرات البريطانية، النخبة الحاكمة في الأربعينات باللصوصية أو حرفياً: (قلة متحكمة من مبتزي المال)^(٥٦). صحيح انهم لم يكونوا ثروات، كالتى كونها اقرباء صدام واعوانه، والذين لضخامة ثرواتهم، تسببوا في ارتفاع نسب التضخم، وأسعار العقارات، في البلدان المجاورة للعراق، التى لجئوا اليها بعد سقوط نظام صدام. لكنهم - أي رجال العهد الملكي- كانوا يعيشون حياة باذخة دونها حياة امراء السعودية أو الخليج وقتذاك. مع ملاحظة طبيعة زمانهم، وان ميزانية العراق اذ ذاك متواضعة جداً، ولا تساوي حتى ميزانية مديرية من مديريات الأمن في عهد صدام. زد على ذلك، ان اولئك الرجال، وكما كررنا مرارا، كانوا أبناء طبقة عثمانية متخلفة، فلم يهتم الا القليل منهم بالادخار والاستثمار، خاصة انهم كانوا يعتقدون باستمرار حكمهم ودوام نعمتهم.

٥٠- بطاطو، المصدر السابق، ص ٣٩٢-٣٩٣.

٥١- المصدر السابق، ص ٣٩٢.

٥٢- القيسي، المصدر السابق، ص ١٧٢.

٥٣- بطاطو، المصدر السابق، ص ٣٦٩ (الهامش).

٥٤- المصدر السابق، ص ٣٧٢.

٥٥- المصدر السابق، ص ٣٩٢.

٥٦- المصدر السابق، ص ٢٨٣. (يبدو ان الذين يتولون الحكم في ظل نفوذ اجنبي، هم في كل مكان وزمان، من طينة واحدة... فما اشبه الليلة بالبارحة).

كان نوري السعيد مطمئناً بان حلف بغداد، يضمن للنظام الملكي، البقاء والسلامة^(٥٧). اضم الى ذلك اعتقاده بأنه مؤسس الجيش، وراعي مصالحه، ولذلك لم يخطر على باله ان تظهر بالجيش حركة جديده، وعندما كانت تصل إلى علمه بعض الشائعات، كان يكتفي بالاتصال برئيس أركان الجيش يستوضحه، وفي العادة كان رئيس الأركان ينفي الشائعات بحماس ظاهر^(٥٨). ويتشارك عبد الإله ونوري السعيد في رؤية واحدة بصدد الاخطار التي كانت تهدد النظام. فعبد الإله (كان يعتقد ان الجيش لن يخونه، ولكنه كان يخشى بالمقابل الطلاب ويخشى رجال المعارضة المتطرفين.. كان يعتمد على العشائر، ويعتقد ان شيوخ القبائل وعشائريهم، باستطاعتهم حماية العرش والكيان الهاشمي)^(٥٩). وكان نوري السعيد يشاطره اعتقاده هذا تماماً.

وقد قال عبد الإله لمدير الأمن العام، عندما زاره الأخير ليوضح له خطورة الموقف في الجيش: (اذا تأيد لديه ان أربعين بالمئة من الجيش لا تريدنا، فنحن على استعداد لتترك العراق)^(٦٠). وكان عبد الإله يعتبر كل المعلومات التي كانت تتوارد عن انقلاب يعد له الجيش، هي مجرد دعاية شيوعية^(٦١).



إننا بالحديث عن اسباب سقوط النظام الملكي نريد ان نفسر كيف سقط ذلك النظام - لمجرد اذاعة بيان رقم واحد من الاذاعة - بعد ٣٧ سنة من قيامه، وفي اللحظة التي كان

٥٧- خليل كنه، العراق امسه وغده، بيروت ١٩٦٦، ص ٣١٢.

٥٨- المصدر السابق، ص ٣١٠ و ٣١١.

٥٩- بابان، المصدر السابق، ص ١٢٣.

٦٠- كنه، المصدر السابق، ص ٣٠٩.

٦١- العميد خليل ابراهيم حسين، موسوعة ٤ تموز (٦)، عبد الكريم قاسم، ص ٢١٠ (الهامش) وص ٢٥٠.

يتصور فيها رجاله انه اقوى ما يكون^(٦٢). وسيتبين لنا من خلال ذلك، كيف اسس النظام الملكي للكثير من المساوئ والمفاسد، التي باتت ثوابت سياسية، استمر العمل بها حتى بعد نصف قرن من سقوطه، بل وسيستمر حتى قيام دولة عراقية حديثة. وسنتناول تلك الاسباب بالترتيب، حسب خطورتها على السلامة الوطنية ودورها آنذاك في تأليب الشعب ضد النظام. والتي ادت إلى فقدان النظام الملكي كل شروط وجود السلطة الحقيقية (أي ثقة واخلاص القطاعات الأوسع من العناصر الواعية سياسيا في الجيش وبين المواطنين عموما. وبكلمات أخرى، فان الانقلاب نجح بهذه السرعة وهذا الحسم لانه كان يعبر عن توجه عام في المجتمع، وان كان هذا التوجه يحمل طابعا سلبيا)^(٦٣).

١- الفقر:

كان هناك في العراق فقر فظيع وجوع حقيقي. يروي عبد الكريم الازري، احد وزراء العهد الملكي، بانه زار سكان الأكواخ المهاجرين إلى بغداد^(٦٤). وسألهم: لماذا هاجرتم لكي تعيشوا وسط هذه المستنقعات والمياه الاسنة؟ فردوا عليه: ان وضعنا هذا على سوئه، أفضل من وضعنا الذي كنا فيه هناك.. اننا نجد هنا، على الأقل، مجالا للعمل - مهما كان وضعيا - نؤمن به رغيف العيش فلا نموت ونكسي به انفسنا فلا نمشي عراة. هل تتصور انا كنا نترك (ديرتا) لولا الضيق الذي كنا نعاني منه اشد المعاناة؟^(٦٥). ومما يثير الاشمئزاز، ان لجنة حكومية من كبار الموظفين، تألفت لدراسة امر هؤلاء المهاجرين، وضعت تقريرا مليئا بالحق على هؤلاء البؤساء، وكأنهم أجنب هاجروا إلى بغداد من بلد أجنبي.. لا لذنوب اقترفوه سوى انهم غيروا ديموغرافية العاصمة، وانهم

٦٢- راجع الحسين (الملك). المصدر السابق. ص ١٤١-١٤٢.

٦٣- حنا بطاطو، العراق، الكتاب الثالث، بيروت ١٩٩٢، ص ١١٥.

٦٤- هم الان سكان مدينة الصدر، اذ بنى لهم عبد الكريم قاسم مدينة حديثة اسكنهم فيها.

٦٥- الازري. المصدر السابق. ص ٤٩٩.

يضايقون - حسب رأي اللجنة- سكانها الأصليين. ومع انهم سدوا حاجة بغداد الماسة للأيدي العاملة، فقد طالب واضعوا التقرير ان لا تسهل الدولة لهم سبل البقاء في بغداد - باعطائهم اراض سكنية أو بناء دور لهم- وان تسعى جاهدة لحملهم على الرجوع من حيث أتوا^(٦٦).

ومن المفيد ان نكرر هنا ما اشرنا إليه في المقدمة، بان (الخزينة العامة - قبل ان تأتيتها واردات النفط^(٦٧) - كانت قائمة لدرجة كبيرة على أكتاف الفقراء بالنظر لان القسم الأعظم من إيراداتها (وقتئذ) (عدا إيراداتها من النفط كما بينا) كان مستمدا من الضرائب المباشرة التي ينوء باثقالها جمهور الفقراء الذين يؤلفون الأغلبية الساحقة من هذا الشعب. ولو حللنا إيرادات الكمارك وحدها لوجدنا ان ما يقارب ثلثها مستمد من الرسوم على المواد التي يستهلكها عامة الناس من سكر وشاي وقهوة وأقمشة قطنية..)^(٦٨).

وقد حاول وزير الشؤون الاجتماعية حسن عبد الرحمن - عام ١٩٥٢ - رفع الحد الأدنى لاجور العمال إلى حد لا يصل حتى مستوى الكفاف. فاتهمه نوري السعيد بالشيوعية، ويبدو ان ذلك كان بتحريض من بعض أصحاب المصانع^(٦٩). الانكى من ذلك، ان شركات النفط العاملة في العراق، حينما ارادت رفع مستوى أجور عمالها وتأمين بعض الخدمات لهم، انبرت الحكومة العراقية، وتحديدًا نوري السعيد، لتمانع في ذلك. حتى لا يطلب العمال الآخرون في الدولة والقطاع الخاص - حسب زعمهم- زيادة اجورهم أيضا^(٧٠). اما زراعيًا، فان قانوني عام ١٩٣٢، اديا إلى (استيلاء الشيوخ والاغوات والمتنفذين بسلطة الحكومة.. على معظم الأراضي وحرمان الفلاحين منها.. في بعض المناطق وعلى

٦٦- المصدر السابق. ص ٥٠٠

٦٧- يقصد زيارة حصة العراق من واردات النفط إلى النصف عام ١٩٥٢.

٦٨- المصدر السابق. ص ٣٥٠-٣٥١.

٦٩- المصدر السابق، ص ٥٢٩-٥٣١.

٧٠- المصدر السابق. ص ٥٣١.

الأخص في وسط العراق وجنوبه - حرمانا يكاد يكون تاما^(٧١). وعندما سقط الحكم الملكي (كان أربعة أخماس عائلات العراق بلا أية أملاك)^(٧٢). وقد اصدر رشيد عالي الكيلاني - عام ١٩٣٣ - قانون واجبات الزراعة، والذي اشرفنا له في المقدمة، والقاضي بمنع انتقال الفلاح من مكان إلى آخر الا بموافقة المالك، خشية هروب الفلاح بديونه^(٧٣). وهكذا ولد في العراق نوع بشع من الاقطاع، زاد الفلاحين بؤسا على بؤس.

ومن الناحية الصحية (وصف احد خبراء الطب المحتكين بالفلاح العراقي، هذا الفلاح على انه عينه باثولوجية حية، وحدد متوسط عمره ما بين ٣٥ و ٣٩ عاما)^(٧٤). وفي تقدير آخر فان معدل عمر الفرد العراقي لا يتجاوز ٢٨-٣٠ سنة، ولولا ارتفاع معدلات الولادات لانقرض سكان العراق^(٧٥).

اما مشاريع (مجلس الاعمار)^(٧٦). فقد تأخرت كثيرا، وعندما بدأت تعطي ثمارها، كان النظام الملكي قد أصبح في ذمة التاريخ. وفي كل الأحوال، فانها كانت في اغلبها مشاريع استثمارية، لا ينعكس مردودها على الحالة المعاشية للمواطنين الفقراء بصورة مباشرة وفورية.

-
- ٧١- المصدر السابق. ص ٢٥-٢٦.
- ٧٢- بطاطو. المصدر السابق. ص ٤٢٩.
- ٧٣- القيسي. المصدر السابق. ص ٣٥١.
- ٧٤- ماريون وبيتر سلوجت. العراق الحديث من الثورة إلى الديكتاتورية، القاهرة ١٩٩٢، ص ٧٢.
- ٧٥- ليث الزبيدي. ثورة ٤ تموز ١٩٥٨ في العراق. بغداد ١٩٨١ ص ٢٩. الدتايثا تورية. انقرض سكان العراقا بين ٢ ومن الناحية الصحية (وصف احد خبراء الطب المحتكين بالفلاح العراقي، هذا
- ٧٦- تشكل مجلس الاعمار- في شهر ايار ١٩٥٠ - تحت رئاسة نوري السعيد نفسه. وكان مجلس الاعمار يتلقى ٧٠٪ من عوائد النفط. وفي سنة ١٩٥٢ الغي مجلس الاعمار وشكلت بدلا منه وزارة الاعمار. وخفضت ميزانية الاعمار كثيرا.

٢- الفساد^(٧٧):

كان هناك في العهد الملكي، انتشار واسع لسوء استخدام المنصب العام، لتحقيق مصالح خاصة ذاتية. وكانت الطبقة الحاكمة التي تمسك بيدها أزمة الحكم، هي الأكثر فسادا في الدولة. مع الإشارة إلى أن أبناء تلك الطبقة يرتبطون بوشائج قرى قريبه، فهم أقرباء يحكمون العراق^(٧٨).

في الثلاثينات (بدأ الكيلاني و(ياسين) الهاشمي بتملك الأراضي الأميرية^(٧٩). واصبحا من الملاك الذين يشار اليهما بالبنان، وكان الاثنان قد خرجا عام ١٩٢٤ بنظرية جديدة في السياسة والزعامة، وهي ان السياسي يجب اليعتمد في حياته على الراتب الحكومي بل يجب ان يوفر له ايراداً اضافياً يغنيه عن الاعتماد على الحكومة، ويحرره من قبضتها^(٨٠). (فاغتصبا أراضي الحكومة.. فتملكا الأراضي في سامراء والمحمودية وديالي والعزيرية والنعمانية... وصارا من كبار الاقطاعيين)^(٨١).

وفي منتصف الثلاثينات وزعت (أراضي الوزارية مجاناً على عدد من الساسة البارزين: ومنهم نوري السعيد الذي حصل على قطعة ارض مساحتها عشرة آلاف أو احد عشر ألف متر مربع وقد شيد بيتاً لسكناه وياسين الهاشمي وكانت مساحة قطعتة ستة عشر الف متر مربع وقد شيد فيها هو الآخر بيتاً لسكناه، ومحمد رستم حيدر احد عشر الف متر مربع، ومحمد الصدر خمسة الاف متر مربع، ومحمد زكي المحامي ورؤوف

٧٧- يقول بابان: (ان من الظلم ان يوصم رجال العهد الملكي بالخيانة، او ينسب اليهم الفساد.. وان كان هناك بعض الاجتهادات السياسية التي لم تكن مقبولة بنظر فئة من الناس من الداخل او الخارج، فليس هذا معناه ان هناك تعمد، او سوء نية او خطة، لان الغاية كانت نبيلة، وفي الحقيقة لم تحصل هناك اخطاء يؤخذون عليها.. الخ)^{!!}

٧٨- بطاطو. العراق. الكتاب الاول (مصدر سابق). ص٣٥٨.

٧٩- انظر الازري. المصدر السابق. ص٤٨١-٤٨٦ حول (الارباح الفاحشة التي حصل عليها السياسيون من الاراضي الاميرية).

٨٠- القيسي. المصدر السابق. ص٣٥١-٣٥٢.

٨١- المصدر السابق. ص٧٠ وراجع ايضا مير بصري. المصدر السابق. ص١٨٢.

البحراني وعلي ممتاز الدفتري وغيرهم، كما وزعت قطع اخرى على موظفي الديوان الملكي على النحو التالي: رئيس التشريفات الملكية تحسين قدري حوالي خمسة الاف متر مربع، ناظر الخزينة الخاصة شاكر حميد حوالي خمسة الاف متر مربع، ورئيس المرافقين محمود سلمان حوالي الفي متر مربع، ومعاون رئيس الديوان الملكي عبد الكريم الازري ما يزيد قليلا على الفي متر مربع... وغيرهم. ومن عجيب المصادفات ان هذه العرصات كانت شؤما على كثير من تملكوها، فلم يتمتعوا بسكناها^(٨٢).

لقد تملك اراض زراعية رؤساء الوزارات التالية اسماؤهم: جعفر العسكري، ياسين الهاشمي، رشيد عالي الكيلاني، توفيق السويدي، ناجي السويدي، نوري السعيد، جميل المدفعي، حكمت سليمان، حمدي الباججي، مزاحم الباججي، مصطفى العمري، احمد مختار بابان^(٨٣). الأمر الاكيد ان نصف هؤلاء - على الأقل - جاؤوا إلى الحكم من أصول فقيرة، ولم تكن عوائلهم تملك متراً واحداً من الأرض. ولا يعني هذا ان النصف الآخر قد ورث هذه الأراضي من آبائه.

وبالرغم من اشتهاار فضائح كثيرة تتعلق بكبار مسؤولي الدولة، مثل رشيد عالي الكيلاني^(٨٤)، وتوفيق السويدي^(٨٥)، ومصطفى العمري^(٨٦)، وحمدي الباججي^(٨٧)،

٨٢- الازري. المصدر السابق. ص ٩٦-٩٨.

٨٣- راجع بطاطو، المصدر السابق ص ٣٩٤ وايضا ص ٢١٢-٢١٨.

٨٤- بصري، المصدر السابق. ص ١٨٢. والجواهري، ذكرياتي، الجزء الاول، دمشق ١٩٨٨، ص ٣٦٦.

٨٥- موسى الشابندر. المصدر السابق. ص ١٤١. وراجع ايضا علي محمود الشيخ علي. المصدر السابق. ص ١٩٨، والازري، المصدر السابق، ص ٣٥١-٣٥٢ (الهامش)، والحسني. المصدر السابق. الجزء الثاني. ص ٢١٦.

٨٦- السويدي. وجوه عراقية عبر التاريخ. لندن ١٩٨٧. ص ١٤٥-١٤٧.

٨٧- مير بصري. المصدر السابق. الجزء الاول. ص ٢٥٢. والجزء الثاني. ص ٢٧٧. وبطاطو. المصدر السابق ص ٢٥٦.

وصالح جبر^(٨٨)، فان ايا من هؤلاء المسؤولين لم يحاسب أو يعاقب، باستثناء ما جرى لتوفيق السويدي، الذي اتهم باستغلال منصبه الدبلوماسي لتهريب الذهب إلى إيران، فنقل من طهران إلى فينا^(٨٩). الأمر الذي بدا وكأنه مكافأة وليس عقابا. وهذه هي المرة الثانية التي يتهم فيها السويدي بقضية فساد. وكانت الأولى عندما كان رئيسا للوزراء - عام ١٩٢٩ - اذ سُربت لائحة التعرفة الجمركية لبعض المواد التجارية، فقام حسيقل سنطوب وكيله التجاري بشراء السكر واحتكاره^(٩٠)، وعوقب مصطفى العمري بنقله من وزارة الداخلية إلى وزارة العدلية^(٩١)، ثم كوفيء على نزاهته، فعين في تموز ١٩٥٢ رئيسا للوزراء! ومن قبيل ذلك ما جرى مع موسى الشابندر، الذي استعمل منصبه الدبلوماسي، كقائم بالاعمال في المانيا، وتاجر بالاسلحة وزميله عبد العزيز المظفر القائم بالاعمال العراقي في باريس. فكان الأول يزود الوطنيين الاسبان بالاسلح، والثاني يزود اعداءهم الجمهوريين، حيث كانت تدور هناك في اسبانيا، حرب اهلية طاحنه بين الوطنيين اليمينين والجمهوريين اليساريين، فحصلوا على ارباح كبيرة من ذلك. ثم استدعتهما الحكومة العراقية وحققت معهما و فصلتهما - في نيسان ١٩٣٩ - من الوظيفة. لكن الشابندر انتخب (أو بالأحرى عيّن) نائبا عن العمارة - التي لم يزرها في حياته قط - في مجلس النواب في كانون الأول ١٩٣٧، ثم أعيد تعيينه في السلك الدبلوماسي سكرتيرا أولا وقائما بالاعمال في برلين (١٩٣٩) ثم تقلد بعدها وزارة الخارجية^(٩٢).

وكمثال على ما تركه فساد الطبقة السياسية الحاكمة في العهد الملكي، من اخطار جسيمة على مستقبل العراق، وربما إلى الحد الذي كلفه مئات الالاف من الضحايا البريئة في الحرب العراقية - الايرانية، فان ناجي الاصيل (اوفد وهو وزير الخارجية إلى

٨٨- دي غوري. المصدر السابق. ص ٢٥٢ وانظر الازري. المصدر السابق. ص ٤٧٦.

٨٩- الشابندر. المصدر السابق. ص ١٤١.

٩٠- الحسني. المصدر السابق. الجزء الثاني. ص ٢١٦.

٩١- بصري. المصدر السابق. الجزء الثاني. ص ٢٧٧ وانظر السويدي. المصدر السابق.

ص ١٤٥ - ١٤٧.

٩٢- بصري. المصدر السابق. ص ٩٩ - ١٠٠.

طهران للمفاوضة بشأن الحدود الجنوبية وشط العرب، فقول بتكريم وحفاوة عظيمة حتى انه، كما قيل، تساهل في تحديد حدود شط العرب لصالح إيران^(٩٣).

واستقال عبد الله الدمولوجي وزير خارجية نجد (السعودية) من منصبه، وعاد إلى العراق، فعينه صديقه نوري السعيد قنصلا في مصر ثم وزيرا لخارجية العراق. يقول مير بصري:

(عملت مع الدكتور عبد الله الدمولوجي في وزارة الخارجية، وكنا نراجع ذات يوم الاتفاقيات المعقودة مع سلطنة نجد في شأن يتعلق بالحدود. فوجدنا بعضها مديلا بتوقيع الشيخ عبد الله بن سعيد ممثلا عن عبد العزيز بن سعود سلطان نجد. فقال الوزير: ومن هو الشيخ عبد الله بن سعيد؟ قلت: انت! وكان من العجيب انه وقع اتفاقية باسم سلطان نجد مع العراق فجاء ينفذها بعد أعوام قليلة نيابة عن الجانب الآخر، وذلك امر قلما يتفق في العلاقات الدولية)^(٩٤).

اما علي حجازي مدير الشرطة العام في اواخر الأربعينات فكان (يضع مراكز الشرطة بالمزايدة فيمنحها لأكثر الدافعين من المفوضين والمعاونين ويستعين بما يقبضه لتقديم الهدايا إلى رجال الحكم)^(٩٥). وبلغ من فساد الشرطة ان جرى اعدام أشخاص أبرياء - في قضايا جنائية - بدلا من الفاعلين الحقيقيين، الأمر الذي رفض معه محمد الصدر عندما كان رئيسا للوزراء، المصادقة على احكام الاعدام الصادرة من المحاكم، قائلا: (انا اعلم كيف ان بإمكان الشرطة ان تتلاعب بالوقائع، ولا بد انك سمعت ببراءة أشخاص اعدموا بعدها ظهر الفاعلون الحقيقيون)^(٩٦).

وعندما جرى تسفير اليهود من العراق، قامت شركة سياحية عراقية كان احد الوزراء مساهما بها بمهمة تسفيرهم بالاتفاق مع شركة أجنبية^(٩٧). ومما يتصل بالموضوع، وفي

٩٣- المصدر السابق. ص ٨٦.

٩٤- المصدر السابق. ص ٦٤.

٩٥- القيسي. المصدر السابق. ص ٥٣٥.

٩٦- عبد الرزاق الهلالي. قال لي هؤلاء. بغداد ١٩٩٠. ص ١٨٨-١٨٩.

٩٧- الازري. المصدر السابق. ص ٣٦٥.

عام ١٩٥١، اعتقل رئيس التنظيم الصهيوني في العراق عزرة والصهيونيان الموفدان من اسرائيل للمشاركة في قيادة التنظيم رودني وصالحون. ثم اطلق سراح رئيس التنظيم الصهيوني وتم تهريبه خارج العراق، ووضع مكانه يهودي بغدادي مجنون اسمه شلومو كرادي، حيث حكمت عليه المحكمة بالسجن المؤبد^(٩٨).

(وكان عبد الإله يتسقط المعلومات عن خصوصيات وزرائه وكبار الموظفين والنواب. فاذا زاره احدهم سأله باسماء: هل انتهى تعمير دارك الحديثة، وكم كلفتك؟ هل رضيت زوجتك عنك ام لا تزال نافرة؟ هل كانت الحفلة التي اقمتها باذخة وهل انقضت قبل الفجر؟ اصحيح انك خسرت في المقامرة أو السباق؟ ولذلك كانوا يترضونه ويخضعون لمشيئته!)^(٩٩).

وكمثال على تعامل الوصي عبد الإله مع رموز الفساد واستخدامهم عندما تحين الحاجة لهم، كلف الوصي- في عام ١٩٤٨- مزاحم الباججي، الذي يقول عنه توفيق السويدي بانه وصمة في جبين العراق السياسي والاجتماعي^(١٠٠)، برئاسة الوزراء. ويعتبر خليل كنه احد وزراء العهد الملكي، تعيين الباججي رئيسا للوزراء، اخلالا بالقيم والقواعد الاخلاقية^(١٠١). فقد سبق وان اتهم الباججي- عام ١٩٣٢- بإرسال رسائل غفلا من التوقيع، إلى عدد من الشخصيات، تحوي شتائم بذيئة، طالت عوائلهم خاصة عائلة محمود صبحي الدفتري. وقد اضطر الباججي وقتها ان يستقيل من عضوية مجلس النواب تحت التهديد برفع الحصانة عنه^(١٠٢). ويبدو ان تعيين مزاحم رئيسا للوزراء، كان بناء على نصيحة، أو بالاحرى اقتراح من السفير البريطاني في بغداد. وكانت المهمة الأساسية

٩٨- مذكرات بهاء الدين نوري سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي. لندن ٢٠٠١. ص ١١٨-١١٩.

٩٩- بصري. المصدر السابق. الجزء الاول. ص ٤٨.

١٠٠- السويدي. المصدر السابق. ص ١٢١ وانظر ايضا بصري. المصدر السابق. ص ٢٧٠.

١٠١- كنه. المصدر السابق. ص ٨٨.

١٠٢- راجع د. عدنان الباججي. مزاحم الباججي سيرة سياسية. لندن ١٩٨٩. ص ١٦٠، ١٦٣-١٦٥، ١٦٧-١٦٨، ١٧٠-١٧٣.

لهذه الوزارة، توجيه ضربة قاصمة للحزب الشيوعي العراقي^(١٠٣). ومن موبقات هذه الوزارة- وهذه النقطة هي التي تهمنا الان ونحن نتحدث عن الفساد- اجتماعها في بيت المطربة سليمة مراد، وهو الاجتماع الذي أشار له فائق السامرائي في مجلس النواب^(١٠٤). وعموما فان الحياة الخاصة للكثير من زعماء العهد الملكي، كانت مليئة بالفضائح المقززة، بحيث ان الاسترسال في ذكر بعضها، قد يفقد هذا الكتاب الكثير من الاحترام^(١٠٥).

ولامتصاص النقمة الشعبية، أصدرت الحكومة- عام ١٩٥٦- قانونا لتطهير الدولة من الموظفين المفسدين، وكالعادة في مثل هذه الأحوال، تم تطبيق القانون على ٢١٧ موظفا تم فصلهم، من بينهم ثمانية متصرفين (محافظين)^(١٠٦). بينما ظلت الطبقة السياسية الفاسدة في منجى من ذلك^(١٠٧). وبالتالي فان الفساد تراجع لفترة قصيرة ثم عاد باقوى مما كان^(١٠٨).

-
- ١٠٣- مالك سيف. للتاريخ لسان. بغداد ١٩٨٣. ص ٢٤٤-٢٤٥.
- ١٠٤- احمد فوزي، ١٢ رئيس وزراء في العهد الملكي، بغداد ١٩٨٤، ص ٢٩٠ و ٣٠٣. والقيسي. المصدر السابق. ص ٢٨٦ (ويروى بان سليمة مراد كان لها دورا كبيرا في تعيين شاكر الوادي وزيرا للدفاع في حكومة الباججي).
- ١٠٥- يقول القيسي مثالا: (يدور حول حياة الهاشمي الخاصة الكثير من الأقاويل بسبب ايوائه الفتى السوري الجميل محمود النعماني في بيته، ومايتقوله العراقيون في مثل هذه الاحوال من علاقات متشابكة مشبوهه، انتهت بعد وفاة الهاشمي بزواج السيدة زوجة الهاشمي من النعماني، وظلت في عصمته حتى توفاهها الله عام ١٩٥٦ او ١٩٥٧. وبالمناسبة فان السيدة لمعي زوجة الاستاذ رشيد عالي.. تزوجت بعد وفاة الاستاذ الكيلاني بمدير اعماله (وقيل بسائق سيارته)). (القيسي. المصدر السابق. ص ٢٥٥). وانظر ايضا مايقوله ناجي شوكت عن شذوذ عبد الاله ومخازيه (ناجي شوكت. المصدر السابق. الجزء الثاني. ص ٥٥٠-٥٥١).
- ١٠٦- بابان. المصدر السابق. ص ٢٤ (هامش رقم ٢٤).
- ١٠٧- راجع كنه. المصدر السابق. ص ٢٧٦-٢٧٨.
- ١٠٨- انظر د. محمد حسن سلمان. صفحات من حياة د. محمد حسن سلمان. بيروت ١٩٥٨. ص ٢٨٤-٢٨٥ (حادثة استملاك المستشفى اليهودي ١٩٥٦-١٩٥٧)

٣- القسوة على المواطنين:

ولا اقصد بذلك الاستبداد أو الديكتاتورية. انما اقصد التعامل مع المواطنين وكأنهم اعداء، وهو الأسلوب الذي ورثته الدولة العراقية من الدولة العثمانية. (وليس بخاف ان ساسة العراق اجمعين، عسكريين ومدنيين، كانوا وحتى منتصف القرن العشرين من خريجي المدرسة التركية في السياسة والادارة أو من تلامذتهم، وكان البعض منهم من احفاد الممالك والانكشاريه والسباهيه وليس لهؤلاء جذور عميقة في التربة العراقية^(١٠٩)). وكان البعض الاخر عراقيين، عربا واكرادا، متركين قلبا وقالبا، أو شكلا وموضوعا^(١١٠). وكان القسم المتبقي عراقيين ذهبوا إلى اسطنبول ودرسوا في مدارسها وتعلموا أساليب القوم هناك^(١١١).

وسأكتفي هنا بالتذكير باحداث رئيسية كأمثلة على تلك القسوة. فقد أمر رشيد عالي الكيلاني وزير الداخلية - في منتصف الثلاثينات - (بفتح النار على مظاهرة معارضة

١٠٩- انظر عطا عبد الوهاب، المصدر السابق، ص ٦١-٦٢، ٨١، ٨٢. وعلي محمود الشيخ علي، المصدر السابق، ص ١١٨. والشابندر، المصدر السابق، ص ٢٧٨ و ٤١٣ و ٤٢١. وراجع بطاطو، المصدر السابق، الكتاب الاول، ص ٢١٢-٢١٨ و ٢٤٦ وما بعدها. وكامل الجادرجي. من اوراق كامل الجادرجي، بيروت ١٩٧١، ص ٧٩ و السويدي، المصدر السابق، ص ٧١ ودي غوري، المصدر السابق، ص ١٤٥. وبصري، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٦١، ويروي بصري مايلي: (رفضت الحكومة التركية تعيين خالد سليمان (اخو حكمت)، وزيرا مفوضا للعراق لديها اعتزازا بمحمود شوكت بطلها القومي الذي لا يصلح ان يأتي اخوه معتمدا لحكومة اجنبية لديها). (الملاحظ ان اغلب حكام العراق قبل الخمسينات، كانوا يعبرون عن مشاعرهم وعواطفهم باللغة التركية. فضلا عن امثلة كثيرة، لعل ابرزها وصية السعدون عند انتحاره، فان ناجي شوكت رئيس وزراء العراق الاسبق، لم يستطيع ان يعبر- عام ١٩٥٠- عن عواطفه وهو يمر- كما يقول- بايام قاسيه كان فيها بين اليأس والرجاء، الابتكابة قصيدة باللغة التركية). (انظر ناجي شوكت. المصدر السابق. ص ٥٦٥).

١١٠- كما هو حال السعدون الذي اشرنا إلى وصيته بالتركية في الهامش السابق.

١١١- القيسي، المصدر السابق، ص ٣٢٢.

في الكاظمية أدت إلى قتل ما لا يقل عن ثلاثين شخصا من المشاركين فيها والأبرياء^(١١٢).
كما اشرف بنفسه أيضا على اعدام أكثر من مائة شخص من أفراد العشائر^(١١٣).

وعندما فشلت حركة مايس ١٩٤١ (قام عبد الإله آنذاك بتصرفات غريبة، مثل زيارته للموقوفين في المعتقل، وتشفيه منهم، واعداد الضباط علنا وكان لذلك وقع سيء في النفوس)^(١١٤). ويعلق على ذلك موسى الشابندر احد سجناء تلك الفترة قائلا: (هل يليق بالامراء والملوك ان ينهمكوا كسائر الناس بتطمين غرائز الحقد والانتقام و الشماتة إلى هذه الدرجة.. اليس الامراء هم آباء رحماء لرعاياهم، المصيب منهم والمخطئ.. فلو استوى الملوك وغيرهم في اظهار الغرائز فهل يبقى لهم ما يسمو بهم، ويعلو بهم ويجعلهم بمكانة سامية من القلوب)^(١١٥).

ان عبد الإله باعدامه العقداء الأربعة والسبعاء، قد حفر قبره بيده. قال الرصافي يرثي السبعاء ورفاقه:

برئت ذمة المروءة منا أن نسي يوم شنقكم أو تنوسي

صحيح ان حركة مايس ١٩٤١ كانت (حركة جنونية) كما وصفها وزير خارجيتها موسى الشابندر^(١١٦). ففضلاً عن ١٢٥١ شهيدا ومفقودا و٧٩٦ جريحا^(١١٧). فانها أعادت العراق إلى نقطة الصفر، اذ امسى ثانية تحت الاحتلال البريطاني المباشر. لكن الوصي عبد الإله لم يحاكم القائمين بها لانهم زجوا البلاد في مغامرة عسكرية (لا طعم فيها ولا

١١٢- ان هذه القسوة لاينفرد بها الكيلاني، بل تكاد تكون سلوكا عاما لافراد تلك الطغمة العثمانية. انظر مثلا رسالة علي محمود الشيخ علي إلى ناجي شوكت التي يشيد بها بجرائم الكاظمية ويظهر شماتته بالضحايا. (شوكت، المصدر السابق. ص ٦٩١-٦٩٢)

١١٣- القيسي. المصدر السابق. ص ٧٨-٧٩.

١١٤- بابان. المصدر السابق. ص ٤٥ وانظر الشابندر. المصدر السابق. ص ٣٦٦.

١١٥- المصدر السابق. ص ٣٨٢.

١١٦- المصدر السابق. ص ٣٠٨.

١١٧- القيسي. المصدر السابق. ص ٥٥٩.

لزوم لها^(١١٨)، عرضت امن البلد وسلامة أبنائه للخطر، إنما حاكمهم لأنهم عزلوه عن الوصاية، ولأنهم حاربوا الدولة الحليفة بريطانيا. وما عدا ذلك فقد ورد ذكره عرضاً، ونسي الوصي انه ونوري السعيد وياسين الهاشمي هم الذين زجوا بالضباط في السياسة من قبل و استخدموهم ضد الآخرين^(١١٩).

وأظن لو ان الوصي عفا عن العقداء الأربعة أو اكتفى بسجنهم، لكانت نظرة الناس لهم مختلفة، خاصة وانهم تركوا جيشهم يقاتل، وهربوا وحكومتهم إلى إيران، حتى دون ان يصدروا له امرا بوقف القتال أو الانسحاب^(١٢٠). اما الان وقد تم اعدامهم لانهم خلعوا الوصي وحاربوا بريطانيا، فقد اصبحوا رموزا وطنية. وعلى أي حال، اذا استثنينا تدخلهم في السياسة وهروبهم إلى إيران، من الصعب ان يجد المرء ما يطعن بنزاهتهم أو يشكك بوطنيته.

ومما يثير القرف، محاولة بعض الكتاب، الغمز من قناتهم. وتصويرهم كأدوات بيد الالمان، وترديد تسمية المخابرات البريطانية لهم بالمرجع الذهبي. ولا بد من الاشارة بان (مما يسجل للسبعوي بالفخر انه كان الرجل الوحيد بين جماعته الذي ظل يحارب الانكليز بعد هروب الكيلاني والمفتي والعقداء، وما ترك الصمود والقتال الا بإلحاح لجنة الهدنة، فقد استدعته واقنعته بعدم جدوى أية مقاومة، واقنعته بمغادرة العراق خشية وقوعه في قبضة الانكليز)^(١٢١).

بعد ان بدأت الحرب الباردة بين الغرب والشرق، شن النظام الملكي حربا شعواء

١١٨- الشابندر. المصدر السابق. ص ٢٩٥.

١١٩- علي محمود الشيخ علي. المصدر السابق. ص ١٨١ وانظر مثلا الصباغ، المصدر السابق، ص ٧٠-٧١.

١٢٠- طالب مشتاق. اوراق ايامي. بغداد ١٩٨٩. ص ٤١٨ وكذلك ص ٤١١ وانظر القيسي. المصدر السابق. ص ٤٣، والشابندر. المصدر السابق ص ٢٩٥، وعلي محمود الشيخ علي. المصدر السابق. ص ١٠٧ وأيضا تعليق رشيد عالي الكيلاني على مذكرات الاخير ص ١٠٣-١٠٤ (الهامش).

١٢١- القيسي. المصدر السابق. ص ٤٤٠.

ضد الحزب الشيوعي العراقي. وباتت الشيوعية للمسؤولين فيه هاجسا مرضيا، فاخذوا يتحدثون عنها بمناسبة أو غير مناسبة، ونسبوا لها كل حركة أو سكون لا تعجبهم، واتهموا بها كل من انتقدهم أو اختلف معهم، و(راحت إذاعة بغداد تذيع، من حين لآخر، نداءات إلى المواطنين تحذرهم من الشيوعية)^(١٢٣). بل وبلغ الهوس بهم، ان صاروا يطلقون تهمة الشيوعية، على كل من لاح لهم. تقول الدكتورة سائحة امين زكي في مذكراتها، وهي بالمناسبة من اشد المتحمسين للنظام الملكي والمدافعين عنه:

(في سنة ١٩٥٤ وكنت اشتغل مع أستاذ (مفردات الطب) البريطاني الأستاذ (كراهام) الذي كان يعرف اتجاهي الديمقراطي الغربي. سمع الأستاذ (كراهام) من صديق بريطاني يشتغل في السفارة البريطانية يقول انني شيوعية حسب قول (بهجت العطية). ولان الأستاذ كراهام كان واثقا من بعدي عن الشيوعية قرر ان يخبرني بما سمع)^(١٢٣).

ووصلت القسوة ضد الشيوعيين، حد ممارسة الاعتداء الجنسي ضد صغار السن من السجناء منهم^(١٢٤). ويحصر قائد الحزب الشيوعي بين عامي ١٩٤٩ و ١٩٥٣، بهاء الدين نوري، الاعتداء الجنسي على السجناء في العهد الملكي، بحالة واحدة، ويعلق على ذلك قائلا:

(لقد فضحنا بنطاق واسع هذا الاعتداء الذي لم يتكرر بقدر معلوماتي في تلك الفترة، بخلاف ما حدث وتكرر آلاف المرات بحق الموقوفات والموقوفين معا في ظل العهد البعثي)^(١٢٥).

وفي يوم ١٤ شباط ١٩٤٩، اعدم قادة الحزب الشيوعي الثلاثة، وفي مقدمتهم فهد المؤسس الرسمي للحزب ومنظره. وقد واجه الثلاثة الموت بشجاعة وثبات. وبحسب رواية

١٢٢- سيف. المصدر السابق. ص ١٤٨.

١٢٣- ذكريات طبيبه عراقية. لندن ٢٠٠٥. ص ٧٤١.

١٢٤- د. عزيز الحاج. ذاكرة النخيل. بيروت ١٩٩٣. ص ١٠٤.

١٢٥- نوري. المصدر السابق. ص ١٣٦.

أحد الحاضرين، فإن فهد قال قبل موته:

(نحن الشيوعيين نناضل في سبيل مصالح شعبنا حتى الموت)^(١٢٦).

أما ما ينسبه الشيوعيون له من أقوال أخرى عند موته من قبيل: (الشيوعية أقوى من الموت وأعلى من المشاق)^(١٢٧). فيبدو أنه من قبيل ما ينسب للزعماء في الشرق - عند موتهم - من وصايا أو كلمات تحفز اتباعهم على الاستمرار في طريقهم. الجدير بالذكر أن فهد كان قيادياً شيوعياً من طراز رفيع المستوى في ثقافته وقدراته القيادية وصفاته الشخصية^(١٢٨). وهذا القول لا ينفي أخطاء الرجل ومثالبه، والتي قد تصل في نظر البعض حد الخيانة، كقبضه مساعدات بريطانية للحزب الشيوعي - خلال الحرب العالمية الثانية - مبرراً ذلك بالتحالف السوفيتي - الغربي^(١٢٩) وغيرها. جدير بالذكر أن الحملة الضارية ضد الشيوعيين^(١٣٠)، والذين كانوا يسيطرون بقوة على الشارع السياسي، خلقت روحاً من الكراهية، بين قطاعات واسعة من المتعلمين والجماهير الشعبية على السواء، ضد الحكم الملكي.

وصدر للدكتور عبد الرزاق الهلالي مدير التشريفات الملكية كتاباً - عام ١٩٥٠ - بعنوان (نظرات في اصلاح الريف)، دعا فيه إلى اصلاح الأراضي وتوزيعها على صغار الفلاحين، وإلى الحد من الملكيات الزراعية الكبيرة وفرض ضرائب تصاعدية على الأراضي الزراعية. فانبأ رئيس الوزراء آنذاك توفيق السويدي ليخبر الوصي بان الهلالي يؤيد الشيوعية^(١٣١). ويبدو أن آراءه الاصلاحية هذه، هي التي حالت دون ترقيته فيما بعد، فهو يقول:

١٢٦- سيف. المصدر السابق. ص ٢٤٨.

١٢٧- سعاد خيرى. فهد والنهج الماركسي اللينيني في قضايا الثورة. بغداد ١٩٧٤. ص ٢٩.

١٢٨- انظر وجهة نظر لشيوعي مرتد في فهد، سيف. المصدر السابق، ص ١١٢ و ١٤٩ - ١٥٠.

١٢٩- الحاج. المصدر السابق، ص ٣٠ - ٣٢.

١٣٠- انظر نوري. المصدر السابق. ص ١٨٢ وما بعدها. وكذلك الحاج. المصدر السابق. ص ٦٢ وما بعدها.

١٣١- الهلالي. المصدر السابق. ص ٣٩ - ٤٠.

(وهكذا خرجت من البلاط الملكي بعد خدمة سبع سنوات برتبة مدير، وهي نفس الرتبة التي كنت عليها عندما دخلت البلاط. ومن المناسب ان أشير بهذا الصدد اني خرجت على هذه الصورة بينما خرج عدد من زملائي الذين عملوا معي فترة اقصر، ما بين نائب أو مدير عام أو متصرف وذلك هو حظي وسبحان مقسم الارزاق)^(١٣٢).

ولنقف قليلا عند اضراب عمال شركة نفط العراق، في تموز ١٩٤٦، اذ (اضرب العمال من اجل رفع اجورهم، وفي اليوم التاسع لاضرابهم، وبينما هم مجتمعون لسماع تقرير من لجنة الاضراب واذا بقوات الشرطة تهاجم المكان وتقتل عشرة أشخاص)^(١٣٣). وكانت اصابتهم في ظهورهم وذلك استنادا لقرار محكمة كركوك^(١٣٤). اما وثبة ١٩٤٨ ضد معاهدة بورتسموث مع بريطانيا، فقد ظهرت فيها قسوة النظام الملكي، ضد طلاب عزل، بأبشع صورها. يقول عبد العزيز القصاب رئيس مجلس النواب آنذاك:

(لقد رأيت من شرفة المجلس ان المتظاهرين من الطلاب وغيرهم عبروا جسر المأمون.. وعندما وصلوا إلى وسطه أخذت الشرطة ترميهم بالرصاص من منارة جامع حنان في جانب الكرخ، ومن منارة جامع الاصفية في جانب الرصافة، فاصبح المتظاهرون على الجسر بين النارين، وشاهدت قسما غير قليل من الأشخاص يرمون أنفسهم في نهر دجلة تخلصا من الرصاص)^(١٣٥).

المثير للسخرية ان احمد مختار بابان رئيس الديوان الملكي آنذاك، يقول معلقا على وثبة بورتسموث: (انني اعتقد ان الشعب العراقي لم يفهم المضمون الحقيقي، والأهداف البعيدة لمعاهدة بورتسموث لذا فانه ثار ضدها، وكان لليهود والشيوعيين دورهم الاساس في تحريض الناس ضد المعاهدة)^(١٣٦).

١٣٢- المصدر السابق. ص ٣١.

١٣٣- سوجلت. المصدر السابق. ص. ٨.

١٣٤- حنا بطاطو. العراق الكتاب الثاني. بيروت ١٩٩٠. ص ٢٨٣.

١٣٥- عبد العزيز القصاب. من ذكرياتي. بيروت ١٩٦٢. ص ٢١٧.

١٣٦- بابان. المصدر السابق. ص ١٢٧.

يقول بطاطو وليقارن القارئ بين رأيه ورأي بابان: ان اتفاقية بورتسموث هذه - وباستثناء نقاط هامشية نسبيا - لا تزيد الا قليلا عن معاهدة ١٩٣٠ وان تكن قد طليت بتعابير جديدة الصياغة. وكان طريق التبادل في الاتفاقية يحمل من الادانة بقدر ما كانت تحمل ملاحظة ايرنست بيفن وزير الخارجية البريطاني، التي ادلى بها قبل أشهر، اذ قال بوقاحة ان بريطانيا تنظر إلى العراق ك (فرد من أفراد العائلة)^(١٣٧).

وفي عام ١٩٥٢، أعلن طلاب كلية الصيدلة والكيمياء الإضراب، احتجاجا على التعديلات التي اصدرها عميد الكلية. واستطاع وزير المعارف ان يتوصل إلى اتفاق مع الطلبة، يقوم على الغاء التعديلات وابعاد العميد. ولكن الشرطة والامن هاجموا - فجأة - الطلبة، الأمر الذي أدى إلى امتداد الإضراب إلى كليات ومدارس اخرى. وتحول الإضراب إلى انتفاضة عارمة، سقط خلالها ضحايا وجرحى من الطلبة والشرطة. وسيطر الحزب الشيوعي على شوارع بغداد. وهتف المتظاهرون بسقوط النظام الملكي، ولم يعد بإمكان الشرطة السيطرة على الوضع. وانزل الجيش إلى الشارع، وعين رئيس أركانه رئيسا للوزراء. واعتقل عشرات الالوف من الناس^(١٣٨). اما الرواية الرسمية فتقول ان عدد المعتقلين هو ٢٩٩٩ شخصا، قدموا جميعا إلى المحاكم التي حكمت على شخصين بالاعدام وعلى ٩٥٨ بالسجن، وعلى ٥٨٢ بالغرامة وعلى ٢٩٤ بالكفالة، وافرجت عن الباقين وعددهم ١١٦١^(١٣٩).

ويلق عبد الكريم الازري احد وزراء العهد الملكي على احداث الانتفاضة قاتلا:
(بقي منظر التآخي والتعاطف بين الجنود والناس المتظاهرين عالقا في ذهني وصرت افكر في مصير الحكم القائم في العراق- ذلك الحكم الذي يفصل بينه وبين الناس هوة سحيقة من الشكوك وانعدام الثقة، والذي لم يحاول في يوم من الأيام ان يردم هذه الهوة، بل بقى ممعنا في سياسته القائمة على التخوف من الناس والتشكيك

١٣٧- بطاطو. المصدر السابق. ص٢٠٨.

١٣٨- نوري. المصدر السابق. ص١٥٨ وانظر رواية ثانية للاحداث، احمد فوزي. المثير من احداث العراق السياسية. بغداد ١٩٨٨. ص١٢٩-١٣٦.

١٣٩- الحسني. المصدر السابق. الجزء الثامن. ص٣٣٥.

بهم واضعاً جل اعتماده في البقاء والاستمرار في الوجود على القوات المسلحة وكأنها ليست جزءاً من هؤلاء الناس. وصرت أفكر ماذا سيحل في الحكم اذا تخلت يوماً ما هذه القوات المسلحة أو الجزء الفاعل منها عن ولائها له^(١٤٠).

وفي العام ١٩٥٣، دبرت السلطة الملكية مذبحتين فظيعتين ضد السجناء الشيوعيين. كانت الأولى، في سجن بغداد، يوم ١٨ حزيران ١٩٥٣، راح ضحيتها أكثر من ٨ قتلى و ٨٠ جريحاً. وفيما بعد، نفذ حكم الاعدام - بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ - بالمسؤولين عن المذبحة وهم مدير الشرطة عبد الجبار فهمي وعبد الجبار ايوب مدير السجن وبهجت العطية مدير الأمن وسعيد قزاز وزير الداخلية، في أيلول ١٩٥٩^(١٤١).

اما الثانية، فكانت في سجن الكوت، يوم ٣ أيلول ١٩٥٣، سقط فيها أكثر السجناء (وكان عددهم ١٢١) بين قتلى وجرحى. وحدث المجزرة بعد حصار شامل، شمل قطع الماء والطعام والكهرباء عن السجن^(١٤٢). ان مذبحة الكوت تبدو مفتعلة وكيديه أكثر من مذبحة سجن بغداد^(١٤٣). وقد قوبلت هذه الجريمة بالاستنكار الشديد حتى ان حزب الاستقلال الذي كان يعتبر يمينياً، كتب مذكرة إلى رئيس الوزراء، جاء فيها:

(ان قوات الأمن قد أصبحت ترى في العدوان على أرواح المسجونين ضرباً من ضروب (الغزو) الذي يباهى به ولا يحاسب عليه بل يتوقع القائمون به الثناء على ما يرتكبون من جرائم)^(١٤٤).

وبعد ان سقطت جمهورية مهاباد (الكردية)، في اواخر العام ١٩٤٦، عاد إلى العراق اربعة ضباط عراقيون اكراد، سبق وان التحقوا بدولة مهاباد، وقاتلوا مع جيشها الذي تألف من متطوعين اكراد. وقد سلم هؤلاء الضباط انفسهم إلى الحكومة العراقية، والتي

١٤٠- الازري. المصدر السابق. ص ٣٩٤.

١٤١- الحاج. المصدر السابق. ص ١٣٦. واجع ايضا بطاطو. المصدر السابق. ص ٣٥٨-٣٥٩.

١٤٢- الحاج. المصدر السابق. ص ١٣٧.

١٤٣- بطاطو. المصدر السابق. ص ٣٥٩-٣٦٠.

١٤٤- الدكتور عبد الامير هادي العكام. تاريخ حزب الاستقلال العراقي ١٩٤٦-١٩٥٨. ص ٢٨١.

بدلاً من أن تتفهم ظروفهم وتحترم مشاعرهم، فتحكم عليهم - كأقصى عقوبة - بالحبس والطرده من الجيش، فأنها أحالتهم إلى محكمة عسكرية، حكمت عليهم بالاعدام، حيث تم تنفيذه بهم عام ١٩٤٧^(١٤٥). وهو أمر كرره نظام البكر - صدام فيما بعد، في حالة مشابهة. فعندما بدأ هجوم الجيش الاردني - في أيلول ١٩٧٠ - على الفدائيين، التحق بالثورة الفلسطينية، أحد الضباط الشبان العاملين في القوات العراقية بالأردن. ولما انتهت المعركة، انسحب مع القوات الفلسطينية إلى سوريا. وبعد سنتين من ذلك، عاد إلى وطنه العراق، فاحيل إلى محكمة عسكريه حكمته بالاعدام، ونفذ الحكم فيه على الفور. وبالعودة إلى أحداث عام ١٩٥٢ الدموية، اضرب عمال شركة نفط البصرة، في نهاية ذلك العام، مطالبين بزيادة اجورهم. فحصل صدام بين العمال والشرطة، قتل فيه احد العمال، وجرح فيه عدد من العمال والشرطة. وفرضت الحكومة في ١٩٥٤/١/٥ الاحكام العرفية في منطقة البصرة، الأمر الذي أدى إلى استقالة وزيرين من الحكومة احتجاجاً على ذلك^(١٤٦).

وعندما وقع العدوان الثلاثي على مصر - عام ١٩٥٦ - ثار العراق من اقصاه إلى اقصاه، وكانت لاحداث مدينة النجف وقعها الخاص^(١٤٧). حيث انتشرت الملتصقات التي تحمل كتابات مثل (يسقط نوري سعيد) و(عاش جمال عبد الناصر).. الخ^(١٤٨). وهجمت الشرطة على المدارس المنتفضة، الأمر الذي أدى إلى مقتل وجرح عدد من الطلاب. وكان احد القتلى سبط احد العلماء الكبار، مما أعطى الحدث صدى اكبر^(١٤٩). وفقدت الشرطة سيطرتها على شوارع المدينة، فانسحبت وحلت قوات الجيش محلها، والتي بدلا من تنفيذ اوامر الحكومة، تأخت مع الجماهير وحشودها. يقول تقرير لرئيس الشرطة

١٤٥ - الحاج، المصدر السابق. ص ٧١.

١٤٦ - الازري. المصدر السابق. ص ٤٢٤ - ٤٢٥. واحمد فوزي. المصدر السابق. ص ١٣٧ - ١٤٧.

١٤٧ - انظر الحبوبى. المصدر السابق. ص ١١

١٤٨ - بطاطو. المصدر السابق. الكتاب الثالث. ص ٦٠ - ٦١.

١٤٩ - الحاج. المصدر السابق. ص ١٦٤.

السرية واصفاً ذلك:

(تسلق المتظاهرون سيارات الجيش،.. ونددوا بفخامة نوري السعيد وصاحوا مطالبين بسقوط صاحب الجلالة الملك.. وكان الجنود يراقبونهم وقد بدت على معظمهم معالم الاستحسان الظاهرة)^(١٥٠).

واكتسحت موجة من الاضرابات والمظاهرات، دعماً للنجف، بغداد والموصل وكركوك والسليمانية واربيل^(١٥١). وامتدت إلى مدن العراق الأخرى^(١٥٢). ومما له دلالة، ان المرجع الديني الاعلى في النجف السيد محسن الحكيم بعث إلى الملك فيصل برقية جاء فيها: (ان اراقه الدماء البريئة بشكلها الوحشي الفضيع في بلدنا المقدس لتدعو إلى القلق والاستنكار العظيمين، ومن المؤسف اغضاء الحكومة عن ذلك كله وسلوكها طريق الارهاب لعموم الطبقات)^(١٥٣).

الأمر الذي يعني ان السلطة الملكية فقدت حتى تأييد الزعامات الدينية التقليدية.

ع- النفوذ البريطاني:

تخلّى الأمير عبد الإله ونوري السعيد عن مبدأ الملك فيصل الأول الشهير (خذ وطالب)، واستسلما للنفوذ البريطاني (ومعه النفوذ الأمريكي الذي بات لا يقل - في الخمسينات - قوة عن النفوذ البريطاني في العراق). وكانت السفارة البريطانية تملك من النفوذ - عند سقوط النظام الملكي - أكثر مما يملكه البلاط، بل وأكثر مما ملكته من نفوذ في العراق، في أي يوم من الأيام، منذ وفاة فيصل الأول حتى سقوط النظام الملكي، ما خلا الأشهر القليلة التي تلت حركة مايس، والتي كان العراق خلالها تحت احتلال بريطاني مباشر.

كان النفوذ البريطاني موجوداً في كل كبيرة وصغيرة، من أمور الدولة العراقية،

١٥٠- بطاطو. المصدر السابق. ص٦١.

١٥١- المصدر السابق. ص٦٢.

١٥٢- الحاج. المصدر السابق. ص١٦٤.

١٥٣- المصدر السابق. ص١٦٤.

ومهيمننا على صناعة النفط، المورد الأساس للعراق، بل وعلى كل اقتصاد العراق. فحتى تجارة التمر كانت تحت احتكار الشركات البريطانية.

وزج النفوذ البريطاني العراق في مشاريع امبريالية، لا مصلحة له فيها، ولا قدرة له عليها، وكل ما انتجته تلك المشاريع هي تسعير روح الكراهية عند المواطنين تجاه حكامهم. وكان اخطر تلك المشاريع هو (حلف بغداد)، الذي أثبتت الأحداث انه كان عبئاً على العراق والمنطقة، ولم تستفد منه الدول الغربية التي انشأته. اذ لم يكن له أي دور يذكر في مواجهة النفوذ الشيوعي، الذي تأسس بدعوى مكافحته، بل - على العكس من ذلك - كان احد العوامل التي ساعدت على انتشار الشيوعية في المنطقة. وترى الأميرة بديعة (شقيقه عبد الإله) في مذكراتها التي صدرت عام ٢٠٠٣، بأنه لم يكن امام نوري السعيد - بعد العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ - من بد سوى الانسحاب من حلف بغداد، وكان عدم الانسحاب مؤشراً بان النظام الملكي بات قريباً من نهايته^(١٥٤). ان رأي الأميرة بديعة هو من قبيل الحكمة التي فات اوانها. فقد كان الأمير عبد الإله يقول: لا يمكن التضحية بحلف بغداد الذي يشكل الضمان الرئيسي لكيان العراق^(١٥٥).

لقد اضر النفوذ البريطاني بمكانة الأمير عبد الإله ونوري السعيد ومعظم السياسيين الآخرين وبمصداقيتهم، عند الشعب العراقي، إلى حد انهم غدوا في نظره مجرد زمرة من العملاء المكروهين. ومن الصعب الاصغاء للاراء التي تبرر للنظام الملكي، أو لنوري السعيد تحديداً، مجازاة ذلك النفوذ، بدعوى انه (كان يرى ان سلامة العراق لا يمكن ضمانها الا مع حليف قوي)^(١٥٦). وبالتالي فان هذا هو اجتهاده السياسي^(١٥٧). يقول احمد مختار بابان، ولرأيه هنا أهمية فائقة، فهو احد اعمدة النظام الملكي في

١٥٤- مذكرات وريثة العروش. المصدر السابق- ص ١٨٣.

١٥٥- الازري. المصدر السابق. ص ٥٤٩.

١٥٦- كنه. المصدر السابق. ص ٣١٨. وانظر على سبيل المثال، القيسي. المصدر السابق (رأي الجواهري ص ١٣٤- ١٣٥) و(رأي حسين جميل ص ١١٦)، والabajji. المصدر السابق. ص ٥١٧.

١٥٧- بابان. المصدر السابق. ص ٥٣.

سنواته الأخيرة:

(ولابد لي هنا ان اوجه نقدي لنوري السعيد، فقد يكون محقا في استناده على الانكليز اثناء فترة الانتداب على أساس ان بريطانيا هي الدولة المحتلة للعراق.. ليستطيع ان يأخذ منها ما يستطيع اخذه بالحسنى.. وكانت هذه السياسة لا بأس بها حتى الحرب العالمية الثانية. اما بعد انتهاء الحرب فلم يبق للانكليز نفوذهم السابق في العالم الخارجي، وأصبحت دولتهم دولة ثانوية، لكن نوري ظل متمسكا بصداقته للانكليز.. كانت سياسته هذه خاطئة جدا، ولا سيما بعد تمسك الانكليز بالقواعد العسكرية على رغم زوال الحاجة اليها، وبعد ان نال كل من سورية ولبنان استقلالهما، فكان في إمكان وزارته الثانية عشرة في العام ١٩٥٤، وقبلها في حال تمسك الانكليز بهذه القواعد ان تلغي المعاهدة العراقية- البريطانية، وان تضع الحكومة العراقية يدها على هذه القواعد، ومن المؤكد ان الانكليز كانوا سيسلمون بالامر الواقع، فيكسب نوري بذلك شعبية كبيرة..)^(١٥٨).

ويقول بابان أيضا، ولكنه يتحدث هذه المرة عن الانكليز انفسهم:

(لو كان للانكليز بعد نظر لفكروا في المستقبل البعيد، وليكسبوا محبة الشعب العراقي(١٥٩). واقدموا من تلقاء انفسهم على إلغاء هذه المعاهدة (معاهدة ١٩٣٠).... كما انهم اخطأوا كثيرا عندما تمسكوا أيضا باتفاقية امتياز النفط الأولى التي عقدت بينهم وبين العراق في عهد الانتداب (١٦٠). وهي ابرمت بين طرف قوي واخر ضعيف، وقد حصلوا عليها بأساليب غير مشروعة لا تخلو من التهديد، مثل احتمال ضياع ولاية الموصل، وبقي البترول على مدى سنوات لا يستغل، ولا يستفيد العراق منه الا في حدود متواضعة جدا)^(١٦١).

١٥٨- المصدر السابق. ص ٥٥.

١٥٩- المحبة ليست من اهداف السياسة (او بتعبير أدق هنا) العلاقات الدولية، والتي تقوم على المصالح وليست الصداقات.

١٦٠- ان الذي يجب عليه ان يناضل ويكافح من اجل تعديل او تصحيح اتفاقية النفط المجحفة بحق العراق هي الحكومة العراقية وليست الحكومة البريطانية.

١٦١- بابان. المصدر السابق. ص ٢٤٦-٢٤٧.

ليست هناك امتيازات نفطية في العالم، تشبه تلك التي تتمتع بها شركات النفط في العراق، من ناحية شمولها لجميع الأراضي العراقية، وحرمان العراق من حقه في عقد اتفاقيات جديدة مع شركات أخرى للتنقيب عن النفط، بل ان العراق نفسه لا يملك الحق في التنقيب عن النفط في اراضيه^(١٦٢).

وليس هذا فحسب، إنما كانت شركات النفط تتحكم بكل ما يتعلق بالنفط العراقي، ولا تخضع للسيادة العراقية، فهي من الناحية الفعلية دولة داخل الدولة العراقية، والاسوأ من كل هذا انها كانت تستحوذ على كل عوائد النفط ولا تعطي العراق الا الفتات. واضحى وضع خزانة الدولة - عام ١٩٥٠ - سيئاً للغاية. وكانت الحكومة تكابد مشقات عظيمة في سبيل تدبير مرتبات الموظفين والمستخدمين في اخر كل شهر^(١٦٣). بينما كانت شركات النفط - عدا شركتي الرافدين وخانقين - لاتدفع اية ضريبة للخزانة العراقية^(١٦٤). فضلا عن استئثارها بمعظم إيرادات النفط العراقي، واحتكارها لكل الأراضي العراقية كما قلنا آنفاً.

ان إفلاس الخزانة العراقية، والخوف من ان يشكل الفقر الفظيع في العراق، بيئة مثالية لانتشار الشيوعية، وما تركه تأميم الحكومة الايرانية لشركات النفط العاملة في إيران آنذاك، من تأثير كبير على الرأي العام العراقي، بحيث أصبح موضوع التأميم مطلباً وطنياً^(١٦٥). هذه العوامل مجتمعة قلبت الموقف لصالح العراق، وأدت إلى عقد اتفاقية جديدة- في شباط ١٩٥٢ - بين العراق وشركات النفط الاحتكارية^(١٦٦)، زادت فيها إيرادات العراق من النفط، من مليوني دينار عام ١٩٥٠، إلى ستين ونصف مليون دينار عام ١٩٥٥^(١٦٧).

١٦٢- انظر. المصدر السابق. ص ٢٠٥.

١٦٣- الازري. المصدر السابق. ص ٣٥٠.

١٦٤- المصدر السابق. ص ٣٥٥.

١٦٥- عن تأثير التأميم الايراني انظر العكام. المصدر السابق. ص ٢٤٧ وما بعدها.

١٦٦- المصدر السابق. ص ٢٤٩.

١٦٧- الازري. المصدر السابق. ص ٢٣١.

لم يلب هذا الاتفاق جميع طلبات العراق، وخاصة فيما يتعلق بالاحتكار الذي يشمل جميع اراضيها، وبكميات النفط المنتجة والتي كانت - وهذه احدى نقاط الخلاف الأساسية بين العراق وشركات النفط - قليلة حتى بالقياس إلى الكويت، التي بدأ تصدير النفط منها عام ١٩٤٥. فالكويت تنتج ٦٠ مليون طن سنوياً، بينما لا ينتج العراق أكثر من ٢٠ مليون طن سنوياً. هكذا كان الوضع بين العراق وشركات النفط، عندما كان احمد مختار بابان رئيس وزراء العراق ووفد عراقي، يتفاوض مع شركات النفط يوم ١٩٥٨/٧/٥، أي قبل تسعة أيام من ثورة ١٤ تموز.

من جانب آخر، كان الموظفون والمستشارون البريطانيون في الدولة العراقية، يتقاضون اضعاف ما كان يتقاضاه نظراؤهم العراقيون.. راتب مفتش اللواء الانكليزي اكبر بكثير من راتب المتصرف (المحافظ)، والمستشار في الوزارة يتقاضى أكثر مما يتقاضاه الوزير نفسه، وكان ذلك عبئاً يفوق تحمل الميزانية العراقية^(١٦٨). وفي خطوة تعد انتهاكا صارخا للسيادة الوطنية فرضت بريطانيا تعيين بريطاني في مجلس الاعمار ليضمن لها ممارسة التأثير الذي تريده من داخل ذلك المجلس.. ولتأمين الحصة التي كانت تطمح بريطانيا في الحصول عليها من المفاوضات. ويبدو ان امريكا ضغطت بدورها، فتم تعيين عضو امريكي في مجلس الاعمار أيضا^(١٦٩). وقد تقلص عدد الموظفين البريطانيين في الدولة العراقية، في سنوات الحكم الملكي الأخيرة، ولكن بقي الكثير منهم كخبراء^(١٧٠).

عندما جرت انتخابات مجلس النواب - عام ١٩٥٤ - طالب القائم بالاعمال الأمريكي فيليب ايرلند^(١٧١)، بحل المجلس بسبب حصول المعارضة على عشرة مقاعد فيه. والغريب ان يصف ايرلند الوضع نتيجة هذه الانتخابات بالخطر جدا، وان يعتبر المستقبل مظلما وقائما. وهكذا اجبرت السفارتان الأمريكية والبريطانية الحكومة العراقية على

١٦٨- بابان. المصدر السابق. ص ٢٤٧

١٦٩- الازري. المصدر السابق. ص ٣٢١-٣٢٢.

١٧٠- انظر بابان، المرجع السابق. ص ٢٤٨.

١٧١- له كتاب (العراق دراسة في تطوره السياسي).

حل المجلس^(١٧٣). ان هذه الحادثة لها أكثر من دلالة مهمة، فهي - من جانب - تبين طريقة تفكير القوى الامبريالية، حتى عندما يكون ممثلها في بغداد، رجل باحث بمستوى ايرلند. وتبين من جانب اخر، ان تلك القوى التي كانت تهيمن على العراق، وبالرغم من جواسيسهم وخبرائهم وعلاقاتهم المتشعبة، فان معرفتهم بالشأن العراقي ظلت سطحية وغير دقيقة^(١٧٣). وهذا امر يحصل مع كل احتلال، حيث يتصور انه يعرف البلد الذي يحتله جيداً، وانه قادر ان يحكم قبضته عليه، ثم يتفاجأ بعكس ذلك تماماً. ومن المفيد الوقوف عند تقرير للحزب الشيوعي - الذي صدر في شباط ١٩٤٤ - عن نشاطات السفارة البريطانية. يقول التقرير:

(أسست لها شبكة واسعة من العملاء منبثين في جميع فروع الإدارة الحكومية، والمدارس العالية، وجميع المؤسسات الأهلية، وبين جميع الطبقات وفي الطرقات والمقاهي...) (١٧٤).

ان هذا التقرير يؤمّن إلى طبيعة العقلية السياسية السائدة في اوساط الحركات السرية آنذاك، ومدى واقعيّتها وحكمتها ودقتها. السؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا تحتاج السفارة البريطانية لهذا الجيش العرمرم من الجواسيس، والدولة العراقية كلها، بحكومتها وأجهزتها وملفاتها تحت هيمنتها؟ يبدو أن لهذا التقرير وظيفة مزدوجة، فهو يريد أن يقول للأصدقاء: كونوا على أعلى درجة من اليقظة والكتمان، لأن العدو موجود في كل مكان. ويريد أن يقول للأعداء من العراقيين: انتم من جيش العملاء. وهذا ما استخدمه الشيوعيون على أوسع نطاق ضد كل من اختلف معهم فيما بعد. اذ اتهموا خصومهم - عام ١٩٥٩ - حتى من كان منهم في اقصى المدن المنسية، ولم يزر في حياته بغداد، بالعمالة والخيانة.

١٧٢ - الازري. المصدر السابق. ص ٥٢٠ - ٥٢٣.

١٧٣ - انظر ما قاله احد الدبلوماسيين الغربيين المهمين في بغداد لبطاطو قبل الثورة بأسابيع (المصدر السابق. ص ٧٣).

١٧٤ - سيف. المصدر السابق. ص ٧٢.

٥- التآمر على القضايا العربية:

إثر تأميم الرئيس جمال عبد الناصر شركة قناة السويس، راح الأمير عبد الإله يحرض البريطانيين، على العمل العسكري ضد تأميم قناة السويس قائلاً:
(إذا كان العمل العسكري المباشر مستحيلاً في الوقت الحاضر، بسبب عدم استعداد الجيش البريطاني، فإنه بعد أن يصبح الجيش البريطاني مستعداً لذلك، لابد من العثور على ذريعة للقيام بهذا الاجراء..)^(١٧٥).
وأضاف:

(إذا لم يسقط جمال عبد الناصر في وقت قصير جداً.. سوف يعم الشرق اضطراب لا سبيل إلى علاجه)^(١٧٦).

ويروي الملحق العسكري البريطاني جرالدي غوري، بأن عبد الإله قال مرة:
(اني لاستغرب كيف اكون عربياً)^(١٧٧).

ولا ادري هل كانت هذه مجرد مزحة أو كلمة عابرة أو انه يقصد ما يقول فعلاً؟
على أي حال، يصف الدكتور محمد حسن سلمان، احد وزراء العهد الملكي، موقف الحكومة العراقية من العدوان الثلاثي على مصر، بأنه موقف غير مشرف ولا يتناسب مع الاحداث^(١٧٨). وتعلق على ذلك الدكتورة سائحة امين زكي في مذكراتها بالقول:
(ان موقف الحكومة العراقية البارد تجاه العدوان الثلاثي اثار الضباط والطبقات المثقفة وكانت كالشرارة التي اشعلت يوم ١٤ تموز ١٩٥٨)^(١٧٩).

وبعد ذلك، ادخل النظام الملكي نفسه - بدفع من الولايات المتحدة - في مأزق آخر^(١٨٠). فبحجة مكافحة الخطر الشيوعي والنفوذ السوفيتي، بدأ التخطيط للتآمر على

١٧٥- دي غوري. المصدر السابق. ص ٣٠١-٣٠٢.

١٧٦- المصدر السابق. ص ٣٠٢.

١٧٧- طارق الناصري. المصدر السابق. ص ٧٠.

١٧٨- سلمان. المصدر السابق. ص ٢٨٧.

١٧٩- ص ٧١٣.

١٨٠- سلمان. المصدر السابق. ص ٢٨٧.

سوريا^(١٨١). يقول خليل كنه أحد الوزراء المقربين لنوري السعيد:

(ويمكن القول ان ارهاق الذهن بسوريا، قد أدى بصورة مباشرة إلى سقوط الملكية)^(١٨٢).

ثم كان قيام الجمهورية العربية المتحدة - في عام ١٩٥٨ - بمثابة القشة التي قصمت ظهر النظام الملكي. وقد انفجرت إحدى عيني الأمير عبد الإله لبالغ انفعاله وتأثره من هذا الحدث. وسارع النواب والأعيان، يخففون عن الأمير وقع النكبة، ويعلنون تأييدهم له ولسياساته^(١٨٣).

وفي ١٤ شباط ١٩٥٨، أعلن الاتحاد العربي الهاشمي، بين العراق والأردن، وعين الملك فيصل الثاني رئيساً للاتحاد والملك حسين نائباً له. وتم تشكيل وزارة اتحادية، إلى جانب وزارتي العراق والأردن^(١٨٤). وأرسل الرئيس جمال عبد الناصر برقية إلى الملك (فيصل الثاني)، تهنئه بالاتحاد، وكان المؤمل ان يرد عليها ببرقية رفيقه مماثله، غير ان الأمير (عبد الإله) تباطأ في الجواب، فترك ذلك اسوأ الاثر^(١٨٥). يقول محمد حسن سلمان عضو مجلس الاتحاد (أعلى سلطة تشريعية في الاتحاد الهاشمي):

(كان صدى قيام الاتحاد في كلا البلدين، العراق والأردن، غير مسر ولا مفرح، اذ شعر الجميع بأنه رد غير جميل على قيام الوحدة بين مصر وسورية)^(١٨٦).

وتقول الدكتورة سائحة - وهي من الموالين كما قلنا للعهد الملكي - في مذكراتها:

(استقبل الشعب العراقي هذا الاتحاد بكل فتور وبرود ومعارضة، وقد سمعت انا بعض الجماعات تضحك من هذا (الاتحاد) وكأنه مهزلة ومحاولة للتشبه بالجمهورية العربية المتحدة)^(١٨٧).

١٨١- بابان. المصدر السابق. ص ١٤٦-١٥١.

١٨٢- بصري. المصدر السابق. الجزء الاول. ص ٤٨.

١٨٣- كنه. المصدر السابق. ص ٢٨٦.

١٨٤- راجع سلمان. المصدر السابق. ص ٢٨٨-٢٩٢.

١٨٥- كنه. المصدر السابق. ص ٢٧٨.

١٨٦- سلمان. المصدر السابق. ص ٢٩٢.

١٨٧- ص ٧١٥.

ومما يتعلق بهذا الاتحاد، ان نوري السعيد، وحتى لا يتحمل العراق وحده أعباء ميزانية الاتحاد، طالب بريطانيا بإعطاء الكويت استقلالها، وضمها للاتحاد كدولة ثالثة^(١٨٨)، ويكون اميرها نائباً ثانياً لرئيس الاتحاد^(١٨٩). فأخذت بريطانيا تماطل نوري السعيد، مما حدا به، وفي لقاء عاصف - يوم ٩ حزيران ١٩٥٨ - مع السفير البريطاني، بحضور وزير المالية عبد الكريم الازري، ان ينتقد بانفعال، وربما لأول مرة في حياته، السياسة البريطانية. ومما قاله:

(اني متأكد باستمراركم على هذه السياسة الخاطئة سوف تخسرون جميع البلاد العربية.. واذا بقي لكم صديق من العرب فانه سيكون متهما بالخيانة، ويطارد ويتعرض للقتل والسحل في الشوارع)^(١٩٠).

وكانت بريطانيا قد اشارت على العراق، ان يفتح شيخ الكويت اولاً. فارسلت الحكومة العراقية - في نيسان ١٩٥٨ - توفيق السويدي نائب رئيس الوزراء إلى شتورة في لبنان، للاجتماع بأمير الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح، الذي كان يستجم هناك. ثم وجهت الحكومة العراقية دعوة له لزيارة العراق، فلبى الدعوة، ولكنه رفض الاقتراح رفضاً تاماً. الأمر الذي فسرتة الحكومة العراقية، بأنه رفض من الحكومة البريطانية للاقتراح^(١٩١). المفارقة، ان هناك من يربط بين سعى نوري السعيد، لضم الكويت للاتحاد، وبين مصيره التعس في ١٥ تموز^(١٩٢).

ومن الضروري الإشارة إلى ان خليل كنه عزا عدم حماس العراقيين للاتحاد الهاشمي إلى سببين، اولهما تقسيم العراق الطائفي والعنصري، ذلك التقسيم الذي لا ينظر إلى

١٨٨- سلمان. المصدر السابق. ص٢٩٨-٢٩٩. وراجع ايضا كنه. المصدر السابق. ص٢٩٧-٢٩٩.

١٨٩- د. سانحة. المصدر السابق. ص٧١٥.

١٩٠- الازري. المصدر السابق. ص٦١٠-٦٠٧.

١٩١- المصدر السابق. ص٦٢١. وانظر الباججي. المصدر السابق. ص٥١٥.

١٩٢- انظر- على سبيل المثال- د. سانحة. المصدر السابق. ص٧١٥، وكنه. المصدر السابق.

ص٢٩٩. وانظر ايضا الحبوبى. المصدر السابق. ص١٧١.

تغيير الواقع بارتياح، خوفاً من تبدل نسب التمثيل القائمة^(١٩٣). أي أنه يعزو ذلك إلى الشيعة والاكرد. وربما قصد بذلك - وهو من أركان الطائفية السياسية المعروفين آنذاك - الشيعة وحدهم. المؤسف ان هذا الزعم تكرر في تفسير احداث لاحقة، من قبل طائفيين آخرين. ولما كنا بصدد البحث في أخطاء وخطايا العهد الملكي، فان هذا التفسير الطائفي، لرفض الشعب العراقي، ذلك الاتحاد الذي ولد كسيحاً، هو جزء من محاولة بعض المسؤولين، للتوصل من المسؤولية عن تلكم الأخطاء والخطايا. فتراهم ينسبون اخفاقاتهم مرة للدعاية الشيوعية، ومرة لجمال عبد الناصر، ومرة لجهل الشعب العراقي، ومرة للشيعة.. الخ.

ان الشعب العراقي كله، رفض ذلك الاتحاد، لأنه - ببساطه - كان مشروعاً امبريالياً، للرد على قيام الجمهورية العربية المتحدة، ولمحاربة الرئيس جمال عبد الناصر^(١٩٤). بل (لم يكن احد من رجال العراق البارزين متحمساً لذلك الاتحاد، حتى نوري السعيد، لم يكن متحمساً كما دلت على ذلك ايماءاته وتلميحاته.. اما الملك حسين، عاهل الأردن، فقد كانت علائم عدم الرضا، ظاهرة على وجهه..)^(١٩٥).

٦- الاستبداد:

أريد هنا ان أتحدث تحديداً عن تزيف الانتخابات، كمظهر فج من مظاهر استبداد النظام الملكي، مما حال - بالتالي - دون اقامة حياة سياسية سليمة ومستقرة. يقول عبد المجيد القيسي عن رؤساء الوزارات في العهد الملكي:

(مامن احد منهم الا وزور الانتخابات واهدر الحريات وتعسف باستعمال السلطات)^(١٩٦).

١٩٣- كنه. المصدر السابق. ص ٢٨٧.

١٩٤- انظر المصدر السابق. ص ٢٨٦.

١٩٥- سلمان. المصدر السابق. ص ٢٩٩.

١٩٦- القيسي. المصدر السابق. ص ١٤٤.

فالانتخابات في العهد الملكي كانت مهازل حقيقية. ولعل فيما يرويه النائب والوزير السابق عبد الكريم الازري، وكيف أصبح ذات مرة نائبا، ما يغني عن أي حديث عن تلك المهازل، اذ يقول:

(في صبيحة يوم من أيام تشرين الأول سنة ١٩٤٣ اتصل بي قريبي السيد حسين النقيب الرفيعي بالهاتف قائلاً لي اهنتك من صميم قلبي، فسألته عن ماذا تهنئني؟ اجابني على فوزك بالانتخابات النيابية. الم تستمع للإذاعة؟.. فقد ذكرت اسمك بين الفائزين في الانتخابات النيابية عن لواء العمارة (محافظة ميسان حالياً).. وقد تبين لي فيما بعد ان ما أنبأني به السيد حسين النقيب الرفيعي كان صحيحاً. وانني قد انتخبت عن لواء العمارة، وأنا لا ادري، ولم اراجع احداً لا من الناخبين ولا من المنتخبين الثانويين- وكانت الانتخابات تجري وقتئذ على درجتين- ولا احداً من رجال الإدارة المحلية ولا حتى وزير الداخلية)^(١٩٧).

ويعلق الازري على ذلك:

(وهكذا جئت إلى مجلس النواب عن غير علم ولا رغبة مني وبدون ان ابذل جهداً في ذلك. لقد انتخبني في الواقع من الأمر نائبا عن لواء العمارة الحكومة ممثلة بوزير داخليتها..)^(١٩٨).

ورغم ذلك فان جميع المجالس النيابية، كان يتم حلها بعد فترة من انتخابها (تعيينها)، سوى مجلس واحد. المفارقة المثيرة للسخرية، ان هذا المجلس الوحيد الذي اكمل مدته الدستورية، هو نفسه الذي شهد اسوأ المهازل الدستورية في تاريخ العراق الملكي. فهو البرلمان الذي عزل عبد الإله من الوصاية، وعين محله الشريف شرف، وكان ذلك بإجماع الحاضرين. وهو الذي ألغى القرار السابق واعاد الأمير عبد الإله إلى الوصاية على العرش بإجماع الحاضرين أيضاً. ثم وافق على رفع الحصانة البرلمانية عن

١٩٧- الازري. المصدر السابق. ص ١٦٠، وانظر روايات مشابهه يرويها، الشابندر. المصدر السابق. ص ٤٧٧، والهلال ص ٢٧- ٢٩ و١٤٢- ١٤٣ و١٢٣.
١٩٨- المصدر السابق. ص ١٦٢.

رئيسه (أي رئيس البرلمان) وبعض الأعضاء الآخرين وعن رشيد عالي الكيلاني ووزرائه. ثم انبرى هذا المجلس، يعدل القانون الأساسي العراقي^(١٩٩). وكان التعديل في حد ذاته مخالفة دستورية، لأنه لا يجوز تعديل الدستور خلال فترة الوصاية^(٢٠٠).

٧- الجهاز المستمر

على المجتمع المدني:

ان المرء ليشعر بالمرارة العميقة، وهو يرى الجهاز المستمر، في العهود السياسية المتعاقبة، على كل عوامل الاستمرار والتواصل والترابط بين الأجيال المتعاقبة، والتي من شأنها ان تراكم الخبرات وتعزز المؤسسات المدنية. فمثلا (عندما سقط العهد الملكي في العراق كان عمر جريدة الاهرام المصرية ثمانين عاما، بينما لم يكن يزيد عمر اية مطبوعة عراقية عن السنتين)^(٢٠١). فقد فرضت الاحكام العرفية - في العهد الملكي - ست عشرة مرة^(٢٠٢). وفي كل مرة منها، يتم منع كل شكل من اشكال الحياة المدنية أو الثقافية، بل وحتى تجمع بضعة أشخاص لاي غرض كان.

وللتدليل على عمق المأساة، سأكتفي بالحديث عما جرى عام ١٩٥٤^(٢٠٣). اذ اصدر سعيد قزاز وزير الداخلية في وزارة نوري السعيد الثانية عشرة، بيانا الغى فيه جميع الأحزاب والجمعيات والنوادي المجازة في كافة انحاء العراق. وقرر مجلس الوزراء في الوقت نفسه تعطيل الصحف الحزبية عن الصدور لمدة سنة واحدة. ثم اصدر مجلس الوزراء - بعد فترة وجيزة من ذلك - مرسوما خول وزارة الداخلية الغاء اجازات الصحف والمطبوعات. وتنفيذا لهذا المرسوم، الغى وزير الداخلية سعيد قزاز، اجازات

١٩٩- القيسي. المصدر السابق. ص ٣٧٩.

٢٠٠- راجع الحسني. المصدر السابق. الجزء السادس. ١٢٨ - ١٧٥.

٢٠١- المؤلف. على حافة الهاوية. لندن ٢٠٠٣. ص ٤٣٠.

٢٠٢- ((الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٩ وما بعدها.

٢٠٣- راجع فوزي. المصدر السابق. ص ٢١٩ وما بعدها.

١٢٠ صحيفة في بغداد، و٢٠ صحيفة في الموصل، و٧ صحف بالبصرة، و٦ صحف بكر بلاء، وصحيفة واحدة في كل من اربيل والسليمانية والكوت وكركوك، و٢ صحف في كل من العمارة والحلة. باختصار شديد تم اغلاق جميع الصحف.

وقد وصفت هذه الاجراءات بانها:

(قد ذبحت الصحافة العراقية ونحرت رقاب الصحفيين المواليين وغير المواليين، السائرين في ركاب السلطة والمعارضين لها)^(٢٠٤).

اما سلمان الصفواني (الصحفي الكبير والسياسي المعروف والوزير فيما بعد) فقد كتب يقول:

(بعد صدور قانون المطبوعات خلوت إلى نفسي.. فرأيت اني أمام أمرين لا ثالث لهما: اما ان أترك الصحافة واعتزل السياسة، واما ان اتجمل بالصبر واسير في الطريق إلى نهايتها.. ومازال هذان الهاجسان يحومان في ذهني، فيترجع عندي هذا تارة، ويترجع ذاك مرة أخرى)^(٢٠٥).

ومن سخریات القدر، ان جريدة اليقظة المسائية، التي يرأس تحريرها الصفواني، والتي كانت قد عطلت، وافق مجلس الوزراء على صدورها ثانية، فصدرت من جديد مساء ١٢ تموز ١٩٥٨. يقول احمد مختار بابان - اخر رئيس وزراء في العهد الملكي:

(كلمني عبد الله بكر (رئيس الديوان الملكي) بالتلفون بعد صدور القرار (قرار السماح لجريدة اليقظة بالصدور) قال: تعال ان الملك يريدك. فقلت ان المسألة مهمة واذا (الملك) يسألني: كيف تفرج عن الجريدة بدون اخذ رأيي؟)^(٢٠٦).

بعد ساعات من ذلك اندلعت ثورة ١٤ تموز، وذهب النظام الملكي إلى ذمة التاريخ.

٢٠٤- المصدر السابق. ص ٢٢٤.

٢٠٥- المصدر السابق. ص ٢٢٥.

٢٠٦- بابان. المصدر السابق. ص ٢٦٩.

٨- الطائفية^(٢٠٧):

من اللازم تحديد المقصود بالطائفية هنا، لان بعض الطائفيين ينفون عنهم تهمة الطائفية، بدعوى انهم غير متدينين، وبالتالي فانهم ابعد ما يكون عن الممارسات الطائفية. يقول الدكتور علي الوردي:

(الطائفية ليست ديناً انما هي نوع من الانتماء القبلي إلى مذهب أو شخص معين. والفرد الطائفي حين يتعصب لمذهب لا يهتم بما في المذهب من مبادئ خلقية أو روحية، فذلك امر خارج عن نطاق تفكيره، وكل ما يهتم به هو ما يوحي به التعصب من ولاء لجماعته وعداء لغيرهم)^(٢٠٨).

ان الطائفية في العهد الملكي، كانت سياسة بريطانية، لقت هوى وتأييداً، من بقايا السلطة العثمانية في العراق، والذين كانوا يؤلفون اغلبية اهل الحل والعقد في العهد الملكي. اذ (كانت السياسة البريطانية في العراق منذ البدء.. تقوم على اقضاء الشيعة عن المناصب الرفيعة المسؤولة)^(٢٠٩). (وقد توقعات دائرة الاستخبارات البريطانية ان تؤدي هذه السياسة إلى الايقاع بين الطائفتين، وخلق حالة من سوء التفاهم)^(٢١٠). الأمر الذي لم يحصل في أيام العهد الملكي، ولكنه حصل - وبفضاعة - بعد حوالي نصف قرن من سقوط النظام الملكي. فشباب الشيعة كانوا - شأنهم شأن غيرهم من العراقيين - متأثرين بالأفكار القومية والماركسية. وعدّوا الطائفية نتيجة من نتائج الاحتلال البريطاني، وانها ستزول بزوال النفوذ الاستعماري عن العراق. لكن الطائفية - وللأسف - باتت حتى بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، احدى ثوابت السياسة العراقية، وغدا كل من يخرج عليها هو

٢٠٧- راجع للمزيد عن ذلك، المؤلف. المصدر السابق. ص ١٩٩ - ٢٤٠. كذلك حسن العلوي.

الشيعة والدولة القومية، وعبد الكريم الازري. مشكلة الحكم في العراق. وغيرها.

٢٠٨- علي الوردي. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث. الجزء الثاني. ص ٦.

٢٠٩- عبد الله فهد النفيسي. دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث. بيروت ١٩٧٢. ص ١١٩.

٢١٠- المصدر السابق نفسه.

الطائفي وهو اللاوطني^(٢١١).

ان السلطة في العهد الملكي، سلطة طائفية بكل معنى الكلمة. وكان اختيار المسؤولين يتم على أسس طائفية^(٢١٢). وحتى عام ١٩٤٧، أي لأكثر من ربع قرن من قيام الحكم الملكي، لم يشغل رئاسة الوزراء أي شيعي. ثم جيء بصالح جبر كأول شيعي يتقلد رئاسة الوزراء. ويبدو ان ذلك كان بتوجيه بريطاني، بقصد كسب سكوت الشيعة، على الاتفاقية العراقية - البريطانية المزمع عقدها، لتحل محل اتفاقية عام ١٩٣٠. لكن الشعب العراقي برمته، انتفض واسقط المعاهدة والوزارة معا^(٢١٣).

وعندما سقط النظام الملكي - عام ١٩٥٨ - كانت قد تشكلت ٥٩ وزارة منذ عام ١٩٢٠. وكان منها خمس وزارات فقط قد شكلها رؤساء وزراء شيعة، أي ما نسبته ٨،٤٧٪^(٢١٤).

وحتى عام ١٩٥٣، لم يكن هناك ضابط شيعي واحد برتبة كبيرة. الأمر الذي احتج عليه احد الوزراء الشيعة^(٢١٥). فعين - بعد ذلك - كاظم عبادي قائدا للقوة الجوية لفترة قصيرة. ولم يكن هناك سفير عراقي واحد من الشيعة، حتى عام ١٩٥٦. وقد عين أول سفير منهم بعد ان احتج النائب الشيعي عبد الكريم الازري على ذلك أمام الملك والأمير عبد الإله^(٢١٦).

أما بالنسبة للبرلمان، فيبدو ان الهدف الأول من تزوير الانتخابات، هو الحيلولة دون ان يكون للشيعة تمثيل فيه يتناسب مع نسبتهم من الشعب العراقي^(٢١٧). فكانت مناطقهم

٢١١- المؤلف. المصدر السابق. ص ٢٠٥.

٢١٢- راجع - على سبيل المثال - بابان، المصدر السابق ص ٦٩، ١٨٥، ٢٣١، ٢٣٢. وسلمان، المصدر السابق، ص ٦٨. والشابندر، المصدر السابق، ص ٤٦٠. والازري، تاريخ في ذكريات (مصدر سابق)، ص ٥٨٨-٥٨٩. وكذلك شوكت، سيرة وذكريات، الجزء الثاني، بغداد ١٩٩٠. ص ٦٩٣-٦٩٥.

٢١٣- حسن العلوي. الشيعة والدولة القومية في العراق. لندن ١٩٩٠. ص ٢٠٠.

٢١٤- المصدر السابق. ص ٢٠٠.

٢١٥- الازري. تاريخ في ذكريات (مصدر سابق). ص ٤٤٢.

٢١٦- الازري. مشكلة الحكم في العراق (مصدر سابق). ص ٣١٤-٣١٥.

٢١٧- العلوي. المصدر السابق. ص ١٩٤.

يمثلها نواب، نصفهم من الشيعة، والنصف الآخر من رجال النظام الملكي السنة. والذين لم يسبق للكثيرين منهم ان زاروا تلك المناطق (التي عينوا كممثلين عنها). أو ربما كانوا لا يعرفونها ولا يعرفون أين تقع. وفي كل الأحوال، فإن الأمر سيبدو اقل فجاجة لو ان القائمين على تزوير الانتخابات في العهد الملكي، عينوا - ولو مرة واحدة فقط - نائبا شيعيا ليمثل منطقة سنية، كما كانوا يعينون النواب السنة عن المناطق الشيعية^(٢١٨).

ولم يقتصر الأمر على التمييز السياسي ضد الشيعة، بل هناك ما هو اخطر من ذلك. فرفعت الجادرجي ينقل عن والده السياسي المعروف كامل الجادرجي: (ان الحكومة كانت تنوي في احدى وزارات (نوري) السعيد انشاء مدارس مهنيه في الجنوب. فكان اعتراض والدي على ذلك بقوله ان نوري السعيد يريد ان يجعل من أبناء الجنوب (واغلبهم من الطائفة الشيعية) عمالا ماهرين ليس الا، في حين يجعل من أبناء الشمال (واغلبهم من السنة) خريجي جامعات)^(٢١٩). وعندما خرجت وزارة المعارف والتي كان على رأسها وزير شيعي، على سياستهم الرامية إلى حرمان أبناء الجنوب من فرص التعليم، قاموا باجراء لا مثيل له في كل العالم، قديمه وحديثه، متخلفه ومتقدمه، فقد عينوا رئيس أركان الجيش مديرا للمعارف بالوكالة، الأمر الذي كان بمثابة احتلال عسكري لوزارة المعارف، فما كان من الوزير الا ان قدم استقالته^(٢٢٠). وعندما حدثت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، كانت هناك مدن كثيرة في الجنوب، لا يوجد فيها مدارس ابتدائية للبنات، ولا مدارس ثانوية للبنين. فضلا عن حرمانها من ابسط الخدمات، ومن الطرق المعبدة التي تربطها بالمدن الأخرى.. وما شابه.

وبالرغم من الاعتراضات التي ابداهها عدد من النواب - عام ١٩٤٥ - على التمييز ضد الشيعة في القبول في الكلية العسكرية. وبالرغم من وعود وزير الدفاع آنذاك الفريق

٢١٨- راجع الازري. المصدر السابق. ص ١١٠-١٢٢.

٢١٩- رفعت الجادرجي. صورة أب. بيروت ١٩٥٨. ص ١١٦.

٢٢٠- راجع الأزري. تاريخ في ذكريات (مصدر سابق). ص ٥٦- ٦٢. وراجع ايضا الحسني. المرجع السابق. الجزء الرابع. ص ١٤١.

اسماعيل نامق بحل هذه المسألة، الا ان الوضع ظل على ماهو^(٢٢١). وحالت الطائفية السياسية في العهد الملكي، من جانب آخر، دون اصدار القانون الموحد للاحوال الشخصية للطائفتين، والذي سنته لجنة مختصة. ذلك لان القانون اخذ بعض احكامه من الفقه الشيعي. وقد صدر القانون بعد الثورة والتي اجرت عليه تغييرات اساسية^(٢٢٢).

من الضروري ان نعود قليلا إلى الوراء، إلى عام ١٩٣٥، إذ اصدر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، المشروع الإصلاحي المعروف بالميثاق، والذي لوتبنته الدولة، لكان مستقبل العراق مختلفا. فهو يقوم على ثلاثة اسس، هي إقامة حكومة منتخبة، واطلاق الحريات العامة، وتحقيق المساواة^(٢٢٣). لكن حكومة ياسين الهاشمي - القائمة آنذاك - جندت كل وسائلها لمحاربة هذا المشروع، ووصمته بأنه طائفي.

الملفت للنظر ان بعض السياسيين الشيعة، الموالين للحكومة آنذاك، والذين استخدمتهم لمحاربة هذا المشروع، راحوا فيما بعد يتبنون الأفكار الواردة في المشروع، وان لم يصرحوا بذلك^(٢٢٤).

ان حكومات الحكم الملكي لم تعامل مواطنيها الشيعة بروح طيبة. وليتها عاملتهم كما عاملت الطائفة اليهودية قبل نزوحها إلى فلسطين، وليتها اعطتهم بعض ما كانت تعطي اليهود من حقوق. فعلى سبيل المثال، كان هناك للطائفة اليهودية من يمثلها في محكمة التمييز للنظر في الأحوال الشخصية الخاصة باليهود، بينما لم يكن هناك اي قاض شيعي في محكمة التمييز حتى سنة ١٩٥٣^(٢٢٥).

٢٢١- الازري. المصدر السابق. ص ٢٢٧-٢٤٣.

٢٢٢- المصدر السابق. ص ٢٤٦-٢٤٩.

٢٢٣- الازري. مشكلة الحكم (مصدر سابق). ص ٦٢-٦٥ نقلا عن تاريخ الوزارات للحسني والذي سماه بميثاق النجف.

٢٢٤- قدم الشيخ محمد رضا الشبيبي مذكرة إلى الرئيس عبد السلام عارف - عام ١٩٦٤ - يطالبه فيها باطلاق الحريات العامة، ونبذ الطائفية... الخ. وكان الشيخ الشبيبي والشيخ علي الشرقي قد اصدرا - عام ١٩٣٥ - بيانا ضد الميثاق.

٢٢٥- بابان. المصدر السابق. ص ٢٣٣.

ولابد من الوقوف عند التبرير السخيف بأن الغبن الذي لحق الشيعة في وظائف الدولة سببه (انهم لم يكونوا مهنيين للوظائف)^(٢٢٦).

فمما يدحض ذلك - من بين أمثلة كثيرة - ان ثلاثة من وزراء حكومة النقيب (١٩٢٠) كانوا لا يجيدون القراءة والكتابة الا بصعوبة^(٢٢٧). في الوقت نفسه كان هناك العشرات أو المئات من المثقفين الشيعة، والذي حالت طائفية النظام الملكي، دون اخذهم المكان المناسب في الدولة. وكان هناك الآلاف من أساتذة وعلماء وادباء الحوزة العلمية في النجف وكربلاء والكاظمية، والذين كانوا أكثر ثقافة، من بعض كبار موظفي العهد الملكي الأوائل^(٢٢٨) والذين سنذكر بعد قليل أمثلة منهم، أي من أولئك الموظفين الذين كانوا انصاف اميين أو اميين فعلا. إن بين أساتذة وادباء الحوزة، من جمع بين التضلع في العلوم العربية والاسلامية، وبين الاطلاع الواسع على المعارف والعلوم الحديثة. بل وكان بعضهم من كبار المثقفين، كمحمد رضا الشيباني وعلي الشرقي وامثالهما.

ومن المفيد ان اتحدث عن شخصية غير عادية، من أولئك الرجال الشيعة، الذين حالت طائفية النظام الملكي، دون ان يأخذ فرصته في الدولة العراقية، رغم مواهبه المتعددة، وثقافته العميقة، وقدراته الادارية. انه احمد السالم، المثقف الكبير الذي كان يجيد الفارسية والتركية والانجليزية، فضلا عن تضلعه بعلوم اللغة العربية. وقد ذكر لي احد علماء الدين الكبار، ان اثنين من العلماء المعروفين^(٢٢٩) اختلفا في صرف احدي

٢٢٦- المصدر السابق. ص٢٢٢.

٢٢٧- العلوي. المصدر السابق. ص١٥٠.

٢٢٨- انظر المصدر السابق، ص١٤٩-١٥٠.

٢٢٩- هما السيد كاظم الحسيني والشيخ اسد حيدر. راجع عنهما د. محمد هادي الاميني. معجم رجال الفكر والادب. بيروت ١٩٩٢. الجزء الثاني. ص٥٠٦ والجزء الاول ص ٤٦٠-٤٦١ على التوالي. الطريف ان الحسيني قال لاحمد السالم بعد فراغه من الصلاة ذات مرة وكان حسن القراءة: انت كالحجاج يجيد القراءة ولايتورع عن الدماء فتبسم السالم ابتسامة عريضة (مجلة الموسم. هولندا. العددان ٧٩-٨٠، السنة ٢٠٠٩. اعلام العراق باقلامهم: مذكرات السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب. ص٦٥٥-٧١٠).

المفردات، فاحتكما اليه، فأجابهما بآية قرآنية.

كان أعلى منصب تولاه احمد السالم، في الدولة العراقية، هو مدير ناحية. فرغم كفاءته وحزمه، ورغم دحره لثورة عشائرية محلية، دوخت الحكومة واعجزتها، فان المسؤولين في بغداد، ابوا ان يرقوه إلى وظيفة أعلى، في الوقت الذي كان فيه غيره، لا يملك في منصب مدير ناحية سوى فترة قصيرة، لتجده بعد سنة أو سنتين وزيرا أو سفيرا أو نائبا.. الخ. لذلك كتب إليه السيد صالح الحلي خطيب ثورة العشرين، بيتين من الشعر، يشير فيهما إلى ان الطائفية هي التي حالت دون ترقيته:

احمد سالم من العيب لكن عيبه مذهب له جعفري
منعته من الرقي خطوب لم تنله لو انه حنبلي^(٢٢٠)

وقد بلغ من قوة عزيمته - وربما من يأسه - ان ترك منصبه هذا، وذهب ليقود ثورة لتحرير (عربستان)، الا انه ما ان دخل الأراضي الإيرانية، حتى طاردته الشرطة الإيرانية واصابته بجراح قاتلة، فحملة انصاره وعادوا به إلى البصرة، حيث مات متأثرا بجراحه، فدفنوه سرا، خوفا من الحكومة العراقية المتحالفة يومئذ مع الحكومة الإيرانية. في مقابل احمد السالم، وامثاله، من الطريف ان اذكر نموذجين من (الكفاءات) الطائفية التي عاصرتة.

يقول مير بصري عن كامل الكيلاني^(٢٢١). (شقيق رشيد عالي الكيلاني واحد كبار موظفي وزارة الخارجية):

(كتبت تقريرا وقدمته إليه فقرأه واعترض على اسلوبه الأدبي الذي لا يأتلف مع لغة الدوائر ووجد فيه عبارة (بين الفينة والفينة) فقال لي: ما معنى (بين الفينة

٢٢٠- مجلة الموسم. مذكرات السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب (مصدر سابق). وقد اوردت البيتين المذكورين لأبين للقارئ ان الشعور بالاضطهاد الطائفي للاكثرية الشيعية كان مبكرا في العراق. وبامكان المرء ان يورد الكثير من الامثلة على ذلك. اما الكلام بأن الطائفية بدأت في العراق، عام ٢٠٠٣، فهو كلام اخرق.

٢٢١- راجع عنه ايضا سلمان، المصدر السابق، ص ١٤٩ - ١٥٠.

والفيئة) (بكسر الفاء)؟ الا تعلم ان الفين (الطرايش) اندثرت في العهد الوطني؟ قلت: بين الفيئة والفيئة (بفتح الفاء وسكون الياء بعدها) تعني بين الحين والحين. فضحك وقال لي.. لم لا تكتب بالعربية؟^(٢٣٢).

اما عبد الرحمن كاظم (ضابط عثماني سابق ومتصرف (محافظ) لواء ديالى) فقد استدعى مدير التحرير الشاعر اكرم احمد، وامره بارسال برقية إلى قائممقام أحد الأفضية التابعة للواء ديالى ينبئه بسفره، فكتب مدير التحرير البرقية وفيها: (ان سعادة المتصرف على وشك السفر إلى قضائك)، فلما اطلع عليها عبد الرحمن كاظم قال له: (لماذا الشك في البرقية؟ انني مسافر الان حقا فاحذف كلمه الشك!)^(٢٣٣).

حتى عبد المحسن السعدون، أشهر رؤساء الوزارات في عهد فيصل الأول، كانت كل حصيلته العلمية، دراسته في مدرسة العشائر في استانبول. وعن استيزاره لأول مرة في العراق وزيرا للعدل في وزارة النقيب الثانية، يقول صهره توفيق السويدي (زوج ابنة اخيه):

(كان قبوله منصب وزير العدل امرا عسيرا عليه، لان معلوماته في التشريع والادارة والمحاكم والقضاء وغير ذلك من الأمور كانت في حكم العدم. ومن حسن الصدف ان كنت مديرا عاما لوزارة العدل، فتقدمت له بكل ما في وسعي من مساعدة وتوجيه مما سهل عليه مهمته الشاقة)^(٢٣٤).

الخلاصة لو اجتمعت كفاءات الشيعة إلى جانب كفاءات السنة (وطبعا وكفاءات كل العراقيين اكرادا وتركمان ومسيحيين وصابئة ويزيدية وغيرهم) لكنا امام عراق مختلف، ولما شهدنا كل تلك المآسي. يقول عبد لله النفيسي:

(لو ان الشيعة اعطوا قسطا اوفر من المشاركة في الحكومة لكان في الامكان تجنب الكثير من الاختيارات المرة، وكثير من الاضطرابات الدامية)^(٢٣٥).

٢٣٢- بصري. المصدر السابق. الجزء الثاني. ص٥٤٨.

٢٣٣- المصدر السابق نفسه.

٢٣٤- السويدي. المصدر السابق. ص٦٣.

٢٣٥- العلوي. المصدر السابق. ص١٥٠.

٩- التخلف:

سأقتصر الكلام عن تخلف العراق في ظل العهد الملكي، بالحديث عن التعليم والصحة فقط. فعندما سقط العهد الملكي - وبعد ٣٧ سنة من قيامه - كانت نسبة الأمية ٨٠٪^(٢٣٦). الأمر الذي يعني عدم بذل الحكومات الملكية المتعاقبة أي جهد حقيقي لمحو الأمية ونشر التعليم.

ربما كان وراء ذلك، الخوف من ان يزاحم أبناء الفقراء - اذا تعلموا - أبناء الطبقة السياسية الحاكمة على الوظائف. فمثلا حين تعين بضعة موظفين اداريين جدد في الدولة، كتب على محمود الشيخ علي (وزير سابق) إلى ناجي شوكت (رئيس وزراء سابق) يقول: (ان الحالة تستدعي التفكير العميق بمستقبل ابنائنا)^(٢٣٧).

وربما هو الخوف من انتشار الوعي بين صفوف أبناء الشعب. فالغريب ان بعض المتصرفين (المحافظين) كان يطالب بالغاء بعض المدارس لانها تسبب في رأيهم مشاكل ادارية^(٢٣٨). ويبدو ان هذا هو السبب فيما بعد في تأخير تأسيس جامعة بغداد - رغم التوصيات المتكررة - حتى عام ١٩٥٦^(٢٣٩).

اما الصحة، فمن المحتّم ان نكرر هنا الإشارة إلى ان معدل عمر الفرد في العراق لا يتجاوز ٢٨ - ٣٠ سنة. ولولا ارتفاع معدلات الولادة، لانقرض سكان العراق^(٢٤٠). وهذا وحده يكفي لبيان مدى تردي أوضاع المواطنين، وانتشار الفقر والجهل والأمراض بينهم، وانعدام الخدمات الصحية في الآن نفسه.

يقول لونكريك - عام ١٩٥١ - في كتابه العراق الحديث:

(كانت مشكلة نقص التغذية بصفة عامة والنقص الحاصل في القوة الجسمية، يؤلفان في الواقع مشكلة الفقر القائم، وكان علاج ذلك، وهو أمر ما يزال بعيد المنال،

٢٣٦- سمير الخليل. جمهورية الخوف. القاهرة ١٩٩١. ص ١٤٠.

٢٣٧- الازري. مشكلة الحكم (مصدر سابق). ص ٢٩٩.

٢٣٨- الازري. تاريخ في ذكريات (مصدر سابق). ص ٣٧.

٢٣٩- لونكريك. العراق الحديث. بغداد ١٩٨٨. ص ٦٣٧.

٢٤٠- الزبيدي. المصدر السابق. ص ٢٩.

يكن على الأكثر في ازدياد الثروة مثلما يكن في التثقيف... كان معدل وفيات الأطفال ما يزال مرتفعاً بشكل يدعو إلى الأسى).

ويضيف لونكريك:

(تحسنت الأوضاع الصحية في المدن إذ طبقت فيها مشاريع المجاري، كما تطور تدريب المفتشين الصحيين. غير أن الظروف بالنسبة إلى هذا المضمار بقيت في معظم أنحاء البلاد بدائية كلها)^(٢٤١).

وفي الحقيقة أن الوضع الصحي في العراق - عشية ثورة ١٤ تموز - لم يتحسن إلا شيئاً بسيطاً. ويجب الإشارة إلى أن النظام الملكي - في سنواته الأخيرة - أنشأ عدة مشاريع صحية رائدة، لكنها لم تبدأ عطاءها إلا بعد سنوات من سقوطه. فقد تأخر في إنشائها كثيراً، كمدينة الطب^(٢٤٢)، التي جرى افتتاحها عام ١٩٧٠.

١٠- عدم إرساء تقاليد سياسية:

أن عدم إرساء تقاليد سياسية، تعني في أحد بعديها غياب الشفافية، وما يترتب عليه من انعدام الثقة في الحكم. وتعني في بعدها الآخر غياب القانون و التحكم في البلد بطريقة مزاجية أو كيفية، الأمر الذي يهز شرعية الحكم ويضعف مكانته في النفوس، ويجعل قراراته موضع ازدراء وتندر.

لم يكثر الأمير عبد الإله ومعه رجالات العهد الملكي الأساسيين وفي مقدمتهم نوري السعيد بالشرعية الدستورية. إنما كانوا يعتمدون في استمرار حكمهم على ثلاث قوى: بريطانيا، وقد خذلته عند ما قامت الثورة. بل ومنعت تركيا من التدخل في العراق للإطاحة بالنظام الجمهوري^(٢٤٣). والجيش، إذ كان عبد الإله يعتقد بأن الجيش لن

٢٤١- لونكريك. المصدر السابق. ص ٦٣٨-٦٣٩.

٢٤٢- راجع سلمان. المصدر السابق. ص ٢٨١-٢٨٣.

٢٤٣- د. علاء موسى كاظم نورس. ثورة ١٤ تموز في تقارير الدبلوماسيين البريطانيين والصحافة الغربية. بغداد ١٩٩٠. ص ٧١-٧٤. وانظر ص ٧٧-٧٩.

يخونه، وان مصدر الخطر فقط هم الطلبة ورجال المعارضة المتطرفين^(٢٤٤).
اما القوة الثالثة التي كان يعتمد عليها عبد الإله فهي العشائر. إذ كان (يعتقد ان
شيوخ العشائر وعشائريهم باستطاعتهم حماية العرش والكيان الهاشمي)^(٢٤٥). ان
اعتقاد عبد الإله هذا- اضافة لرأيه في القوتين الاخرين - يدل بوضوح على قصر نظره
وعدم معرفته معرفة دقيقة بشؤون البلاد. فالعشائر كانت تشكل قوة حقيقية، عندما
كانت الدولة لا تملك أسلحة حديثة، فكانت البندقية (العشائرية) تستطيع ان تواجه
بندقية الدولة. لكن منذ عام ١٩٢٥- حين نشبت آخر ثورة عشائرية خطيرة - فقدت
العشائر القدرة على تهديد الدولة. بل وفقدت تماسكها. وأصبح الشيخ نفسه يستمد قوته
من دعم الدولة له. وتحول مركز القوة الذي كانت تحتله العشائر، إلى الشارع السياسي،
واقصد بذلك مظاهرات الطلبة وما كانت تتركه من تأثير قوي في المجتمع.
اعود فأقول ان عدم احترام رجالات الدولة الملكية للدستور، وعدم ارساء تقاليد
سياسية، هو الذي فتح الطريق أمام الضباط - في يوم ١٤ تموز- للاطاحة بالدستور
وبالنظام الملكي معاً.

يقول توفيق السويدي، انه ومحمد الصدر، وجميل المدفعي، اقترحوا على الأمير عبد
الإله، الابتعاد عن العراق (كسفير في بريطانيا أو أميركا) حتى (يفسح المجال للملك كي
يتولى سلطاته الدستورية، غير متأثر بسياسة خاله وتوجيهاته فيكتسب مزيداً من ثقة
الشعب ومحبهته). لكن الأمير (اعرب عن رفضه للفكرة بشيء من الضيق)^(٢٤٦).
كان عبد الإله، في فترة الوصاية، يسمى نفسه- وخلافاً للدستور- القائد العام، في
حين ان القانون الأساسي ينص صراحة على ان القائد العام هو الملك وحده. وكان يصبر
ان يعامل كملك (وهذا ما سبب له الابتعاد عن عامة الشعب، بل وحتى عن خواصه) كما

٢٤٤- بابان. المصدر السابق. ص١٢٢.

٢٤٥- المصدر السابق. ص١٢٣.

٢٤٦- توفيق السويدي. مذكراتي في نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية. بيروت
١٩٦٩. ص٥٢٠.

يقول رئيس الديوان الملكي بآبان^(٢٤٧).

وقد تحدثنا في مرات سابقة، عن تدخل عبد الإله- خلافا للدستور- في الصغيرة والكبيرة. فضلا عن تعديل القانون الأساسي، وتشكيل الوزارات، وتزوير الانتخابات، والتلاعب بالقضاء.. الخ.

ويروي كامل الجادرجي بانه عندما ارادت الحكومة العراقية، محاكمة زعماء الحركة الشيوعية في العراق - سنة ١٩٤٧- احضر وزير العدالة جمال بآبان الحكام (القضاة).. ووزع عليهم ٨٠٠ دينار للتأثير عليهم في اصدار الاحكام المطلوبة^(٢٤٨).

اما مجلس الوزراء، فيقول احد الوزراء:

(ان الأمور في داخل مجلس وزراء يرأسه نوري السعيد كانت تجري بشكل غريب عن اصول التضامن وتبادل الرأي والتساوي بين مختلف الوزراء، فهناك الوزراء (الكبار) وهناك الوزراء (الصغار). فالمشورة والاجتماعات الخاصة، وطبخ المقررات الهامة، هي من اختصاصات هؤلاء الكبار، اما الأمور الروتينية والشؤون العامة فهي من نصيب الصغار. وحتى هذا الصنف الأخير من الوزراء، كان هذا التمييز بين عناصره متوافر، فبعضهم يتمتع بحظوة خاصة، تمكنهم من معرفة بعض ما يجري خلف الكواليس، والبعض الاخر في عزلة وحرمان)^(٢٤٩).

وكانت الحكومات الملكية تكذب على شعبها، حتى من دون ضرورة. فقد ذهب - على سبيل المثال - وزير الشؤون الاجتماعية أركان العبادي، إلى الوصي ليلفغه بنتائج احصاء السكان العام - عام ١٩٥٧- قائلا:

(اظهرت النتائج ان عدد السكان حوالي ثمانية ملايين فهل تسمحون بان نضيف عليها مليونين للدعاية في الخارج؟).

وقد رفض الأمير عبد الإله ذلك، وعلق امام سكرتيره الخاص بان واقع العراق يفرض

٢٤٧- بآبان. المصدر السابق. ص ١٢١.

٢٤٨- الباججي. المصدر السابق. ص ٤٥٠.

٢٤٩- سلمان. المصدر السابق. ص ٢٧٠.

على الحكم استيزار هكذا أشخاص^(٢٥٠).

١١- رجعية الحكم الملكي:

لا اعني هنا بالرجعية، المفهوم الايدلوجي الذي شاع في سنوات الحرب الباردة، انما اعني المفهوم الاصطلاحي. إذ يمكن (ان يقال عن نزعة اصلاحية انها تقدمية، بمقدار ما هي تدافع عن تحسين تدريجي للنظام الاجتماعي - السياسي، وضد فكرة الثورة العنيفة على اساس صراع الطبقات)^(٢٥١). ان رجال العهد الملكي، أو بالاحرى الأغلبية منهم، وهم الذين لسوء الحظ يمسون بخيوط اللعبة، لم يسعوا لتحسين النظام الاجتماعي - السياسي في العراق، ولم يستوعبوا ان الزمن قد تغير وتبدل، وان عليهم ان يغيروا عقلياتهم وأساليبهم. فكانوا طبقة رجعية بكل ما توحى به الكلمة من معان بشعة للتخلف والتحجر.

فقد كان نوري السعيد من الطراز الذي يحب القديم ويتمسك به، وقلما يراعي التطورات الحديثة وما يرنو إليه الجيل الصاعد، ويتهم على اراء بعض الشباب، عندما يخطبون في مجلس النواب، بينما كان يجب ان يكسبهم بدلا من ان يجعلهم خصوما له^(٢٥٢). وكان من رأيه ان العراق لم يكن مهيبا بعد للانتخابات الحرة. فكان يرشح اشخاصا للنياحة ينتمي جلهم إلى الجيل القديم في فهمهم وفكرهم، ويحرم المعارضة بتزوير الانتخابات وبأساليب أخرى من الانضمام إلى مجلس النواب أو مؤسسات الدولة. وليس نوري السعيد وحده الذي يفكر بهذه الطريقة. ففي مؤتمر البلاط الشهير - عام ١٩٥٢ - الذي عقد لتدارس الأوضاع الخطيرة في العراق انذاك، كان رأي توفيق

٢٥٠- عطا عبد الوهاب. المصدر السابق. ص ١٠١ (في البلدان المتخلفة يلقي الرؤساء بالمسؤولية عن تردي الأوضاع في البلاد على كتف وزرائهم او مستشاريهم او مرؤوسيه).
٢٥١- سامي ذبيان وآخرون. قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. لندن ١٩٩٠. ص ١٤٥.
٢٥٢- بابان. المصدر السابق. ص ٥٦.

السويدي (رئيس الوزراء) بأن الشعب العراقي لم ينضج، وضرب مثلا بأن الناس ترمي بمياه بيوتهم الوسخة في الطرقات.. الخ^(٢٥٣). الأمر الذي اثار السخرية. مما حدا بالحزب الشيوعي ان يسمي المؤتمر - في بياناته - بمؤتمر البالوعة^(٢٥٤).
اما بابان (آخر رئيس وزراء ملكي) فقد تحدث - في مذكراته - عن وثبة ١٩٤٨ معترفا:

(في الحقيقة كانت المظاهرات قوية ومخيفة، وكانت تطوف احيانا حول البلاط الملكي. اشترك كل الشعب تقريبا في هذه المظاهرات)^(٢٥٥).
ثم يضيف:

(كان المتظاهرون جريئين جدا، حتى كان يوجد بينهم من ضرب نفسه بالنار، انهم جنوا تقريبا، فالحركة بالحقيقة كانت وطنية وعامة)^(٢٥٦).
ومع تحفظنا على قوله بأن هناك من ضرب نفسه بالنار، لان من كان يضرب الناس بالنار هم رجال الشرطة والامن. ولكن لندع قوله كما هو ولنقارنه بقوله الاتي:
(انني اعتقد ان الشعب العراقي لم يفهم المضمون الحقيقي، والاهداف البعيدة لمعاهدة بور تسموث لذا فانه ثار ضدها. وكان لليهود والشيوعيون دورهم الاساسي في تحريض الناس ضد المعاهدة)^(٢٥٧).
اننا يجب ان نقف كثيرا عند العبارة الاخيرة، فهذه مشكلة كل الذين حكموا العراق، اما ان يسايرهم الشعب في سياساتهم، واما انه لا يفهم وهناك من يحرضه. وفي كل عهد هناك جهة ينسب لها ذلك التحريض.
ولان الحكومة الملكية كانت تبحث عن قوة خارجية تحملها مسؤولية احداث الوثبة، ولانه لم يكن هناك وقتذاك، جمال عبد الناصر.. نسبوا للسفارتين السعودية والروسية

٢٥٣- الحبوبى. المصدر السابق. ص ٨٧.

٢٥٤- نوري. المصدر السابق. ص ١٦٠.

٢٥٥- بابان. المصدر السابق. ص ١٢٩.

٢٥٦- المصدر السابق. ص ١٣٣.

٢٥٧- المصدر السابق. ١٢٧.

معا دورا في الوثبة^(٢٥٨). بالاضافة الى اتهام اليهود^(٢٥٩).

ان رجعية النظام الملكي تتبدى باسوأ اشكالها، في عدم ايمان رجاله بوجود رأي عام، او بأهمية الرأي العام، وعدم ادراكهم أن السياسة في جوهرها - منذ الحرب العالمية الثانية على الاقل - هي كسب الرأي العام (فالرأي العام هو الموقف أو رد الفعل الجماعي لقسم هام من المجتمع في مواجهة احداث تعتبر هامة من زاوية نظر المجتمع). ومن المهم التأكيد هنا على الفرق بين الرأي العام والشعور الجماعي، لان الأول يفترض وجود معطيات موضوعية وحدا ادنى من التفكير، إضافة إلى المشاعر. بينما لا يفترض الثاني سوى البعد العاطفي الذي لا يستند إلى حقيقة موضوعية^(٢٦٠). وبدلا من العمل لكسب الرأي العام العراقي، وهي عملية بالتأكيد معقدة وتحتاج إرادة صلبة، فان الأمير عبد الإله وفي كل مرة يكون فيها وجها لوجه أمام الأزمات، فانه يردد:

(اذا كانوا لا يريدوننا هنا فنحن نذهب كما جئنا)^(٢٦١).

وما ان تمر الأزمة بسلام حتى يعود إلى طبيعته الكسولة، فلا يحسب للمستقبل حسابا^(٢٦٢).

هناك امر آخر له دلالاته الخطيرة، فبريطانيا خرجت من الحرب العالمية الثانية منهكة مترنحة، وراحت تخلي مكانتها كقوة عظمى للولايات المتحدة. ثم جاءت حرب السويس لتشكل الضربة القاضية لها كقوة امبراطورية. اما ساسة العراق الملكي فقد ظلوا ينظرون إلى بريطانيا - حتى اخر لحظة من عهدهم - نظرتهم لها يوم كانت الامبراطورية التي لاتغرب عنها الشمس. وهكذا غربت الشمس واشرقت مرارا، أما هم فظلوا في مكانهم متحجرين.

٢٥٨- بطاطو. المصدر السابق. الكتاب الثاني. ص٢١٥.

٢٥٩- المصدر السابق. ص٢١٦.

٢٦٠- ذبيان. المصدر السابق. ص٢٤٦.

٢٦١- عطا عبد الوهاب. المصدر السابق. ص ٩٦.

٢٦٢- بابان. المصدر السابق. ص١٢٣.

يروى ان الشيخ محمد رضا الشيببي عضو مجلس الاعيان - اواخر العهد الملكي - غضب مرة من نوري السعيد. فذهب نوري السعيد إلى داره يتعذر له ويتراضاه، وقال له: اترك الامور تجري على اعنتها، فانه سوف يأتي يوم تترحم على عهدنا^(٢٦٣). وهكذا هم حكام العراق اما ان تقبل بنا والا فسيأتي الطوفان. وقد كرر ذلك صدام - مع انه لاسبيل للمقارنة بين الرجلين - فقد قال عام ١٩٧٧: ان من يأخذ العراق منا سيستلم العراق ارضا بلا شعب. أي اما نحن او الخراب. ولسوء الحظ ان نبوءتي العجوز العثماني والسفاح المنحط، كليهما قد تحققتا.

١٢- الاهمال المتعمد للجيش:

يقول العقيد جerald دي غوري (الملحق العسكري البريطاني ببغداد وصديق الأمير عبد الإله) في كتابة ثلاثة ملوك في بغداد:

(اصبح الجيش العراقي بعد الحرب العالمية الثانية في وضع يرثى له. ذلك لانه خلال ثماني سنوات، لم يجر فيه أي تدريب.. حتى الاحذية التي كان يلبسها الجنود لم تعد ملائمة للسير، في حين كانت تجهيزاته من الملابس قليلة، واجازاته طويلة أكثر من المطلوب، ومرتباته ضئيلة. وقد انقصت أقواته إلى رقم يقل بألف سرعة حرارية عن الحد الأدنى الذي يعتبر ضروريا، في نظر الاطباء الاوربيين، بالنسبة إلى الجيوش الشرقية)^(٢٦٤).

ويضيف:

(لم يكن الوصي ولا نوري السعيد، ولاسيما الاخير، يرغبان في تقوية الجيش، وذلك بعد الذي حدث في سنة ١٩٤١)^(٢٦٥).

ولا بد ان نقف قليلا عند النظرة الدونية، التي كانت تطبع نظرة اغلبية الضباط

٢٦٣- مير بصري. اعلام اليهود في العراق الحديث. القدس ١٩٩٣. ص ٣٧.

٢٦٤- انظر ايضا مذكرات سندرسن باشا. بغداد ١٩٥٨. ص ٤٠٢.

٢٦٥- ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

ورجال الحكومة لجنودهم، والذين يأتون عادة من اصول فقيرة. اذ كان يعفى من الخدمة العسكرية، كل من يكمل الدراسة الثانوية، او يدفع مائة دينار للدولة، وهو مبلغ كبير جدا في تلك الايام. وقد ورث المجتمع العراقي، او بالاحرى الجيش العراقي، هذه الثقافة^(٢٦٦) من الجيش العثماني، والذي كان جميع ضباط الجيش العراقي الاوائل قد خدموا فيه. ومما يثير الاستغراب، ان الضباط الذين هربوا - بعد فشل حركة مايس - اخذوا سواقتهم وخدمهم من الجنود (والذين كانوا يسمون في الجيش العراقي بالمراسلين) معهم إلى ايران، ثم إلى سجون افريقيا، حين تم ابعادهم إلى هناك، رغم ان اولئك الجنود لم يكن لهم ناقة او جمل في الامر^(٢٦٧). وقد عد علي محمود الشيخ علي (احد الوزراء الهاربين، وهو من اصول عثمانية)^(٢٦٨) مساواة الانجليز لهم - في السجن - مع اولئك الجنود وكأنها جريمة من جرائم الاحتلال. يقول الشيخ علي:

(وطبقوا علينا نظام واحد وعوملنا معاملة واحدة.. فهم لم يفرقوا بين وزير أو أمير أو قائد أو جندي أو خادم أو عبد اسود فالجميع اذا كانوا شرقيين فانهم سواسية في نظرهم ومتكافئون وفق مبادئ ديمقراطيتهم ولكن الخدم والجنود انفسهم جمعوا انفسهم في غرفة واحدة واخذوا يساعدوننا في تسهيل امورنا وقضاء حوائجنا الضرورية جزاهم الله خيرا)^(٢٦٩).

ان احتقار واستصغار الشعب العراقي، والجنود العراقيين، كانت سمة غالبية على حكام العهد الملكي. فهذا عبد الإله (الأمير)، كان جالسا ذات مرة مع الملحق العسكري

٢٦٦- الثقافة بنظر الاناسيون المعاصرون هي مجمل انماط سلوكيات مجموعة اجتماعية.
٢٦٧- انظر الشابندر. المصدر السابق. ص ٣٢٠ (واشارته عن الجندي متعب حسن (خادم كامل شبيب) في روديسيا). وانظر نفس المصدر ص ٣٠٢ (خادم يونس السبعواوي يقوم بعملية الطبخ) وص ٢٩٩ (اتى معي السائق عمر ليخدمني). وكذلك انظر علي محمود الشيخ علي، المصدر السابق، ص ١٠٥ (يقوم من كان معنا من الجنود والسواق العرب بحمل امتعتنا واشيائنا).

٢٦٨- القيسي. المصدر السابق. ص ٤٥٢.

٢٦٩- علي محمود الشيخ علي. المصدر السابق. ص ١٢٨.

البريطاني العقيد جرالدي غوري، في الهواء الطلق، فجاء احد الجنود ليرجو الأمير حول امر ما^(٢٧٠).. قبل يد الأمير، وحاول ان يقبل يد الضابط الانجليزي، ولكن الأخير سحبها بسرعة.. لم ينزعج الأمير لان احد جنوده حاول ان يقبل يد ضابط بريطاني (هو أجنبي على أي حال)، لكنه انزعج لان هذا الجندي قطع عليه حديثه مع الضابط البريطاني، فأخذ يردد: (غير مهذب ومخلص خير من مهذب وغير مخلص)^(٢٧١).

لكن احتقار الوصي ورجال العهد الملكي لشعبهم، ارتد عليهم يوم ١٤ تموز، غضبا هستيريا يمزق الجثث ويسحلها.. اما البريطانيون الذين كان الوصي يحترمهم ويتملقهم، فقد تركوه يواجه مصيره المأساوي، دون ان يكثرثوا لذلك، إنما كان همهم كيف يكسبون الحكام الجدد^(٢٧٢). وقد بلغ الامر بالحكومة البريطانية ان رفضت إقامة عزاء رسمي للعائلة المالكة في إحدى الكنائس البريطانية، فأقام أصدقاء العائلة المالكة - واغلبهم من البريطانيين المتقاعدين الذين خدموا سابقا في العراق - عزاء غير رسمي^(٢٧٣).

ولنعد إلى الجيش العراقي، ولنتحدث عما جرى له في حرب فلسطين عام ١٩٤٨، والتي تركت جرحا مستعرا في نفوس العراقيين، وخاصة ضباط الجيش. فقد كان الجيش العراقي يفتقر - شأنه شأن الجيوش العربية الأخرى وعلى نحو أكثر سوءاً - للتدريب والتنظيم والتسليح^(٢٧٤). وعلى الجانب الآخر من المعركة، كان يقف جيش حديث مدرب جيدا، ومسلح بأسلحة حديثه، يفوق الجيش العراقي والجيوش العربية معا، عددا وعدة، وتقف على رأسه قيادة عسكرية وسياسية ذكية وملهمة.

يقول لونكريك عن دور الجيش العراقي في حرب فلسطين:

٢٧٠- ربما كان الجندي مخطئا، فنحن لا نعرف ما الذي دفعه ان يقتحم على الوصي جلسته بدون استئذان. لكن القائد او الحاكم يجب الا ينظر إلى شعبه او جنوده باحتقار او استصغار.
٢٧١- دي غوري. المصدر السابق. ص ٢٣٤-٢٣٥.

٢٧٢- نورس. المصدر السابق. ص ٧٨-٧٩.

٢٧٣- انظر جيرالدي غوري. المصدر السابق، ص ٢٤٦ (بل ان القصر الملكي البريطاني بلغهم انه لا يوافق على ان تقام صلوات على روح فيصل الثاني في اية كنيسة).

٢٧٤- لونكريك. المصدر السابق. ص ٥٧٣.

(الحملة العسكرية كانت منذ البداية تدار بشكل ضعيف، غير محظوظ، وذلك لان القيادة العليا لم تكن ملهمة، وترتيبات التموين والتجهيز ناقصة، كما ان انضباط القوات العراقية ومدى تحملها، والتي قدرت بانها أعلى من بقية القوات العربية الأخرى، ماخلا القوات الأردنية، لم يحقق لها سوى القليل من الأمجاد)^(٢٧٥).

وأظن ان لونكريك لم ينصف - بعبارة الأخيرة - القوات العراقية الا قليلا. فقد قاتل الضباط والجنود العراقيون بشجاعة متناهية، وحققوا في أكثر من مكان انتصارات مدهشة^(٢٧٦). رغم ان الجيش العراقي آنذاك كان واحدا من اسوأ الجيوش حظوظا في التاريخ، إذ تخلت عنه قيادته وتركته - في المعركة - وجها لوجه مع قدره السيء.

وقد ورد في تقرير اللواء نور الدين محمود قائد القوات العراقية في فلسطين - في حزيران ١٩٤٨ - إلى رئاسة الأركان:

(وخلال مدة بقائي في المفرق فتشت القوة الآلية فوجدت ان معظم جنود الفوج الآلي غير مدربين، حتى ان القسم الأعظم لم يرموا بأسلحتهم الخاصة بهم. وبالإضافة إلى ذلك علمت ان الفوج المذكور استلم مدافع الهاون في يوم حركته من بغداد ولا يعلم احد في الفوج حتى ولا بالقوة الآلية كلها كيفية استخدام هذه المدافع. وقد تركت في السيارات منتظرين ورود الاعداد اللازمة لادارتها من بغداد. هذا من جهة، ومن جهة أخرى وجدت ان اعداد الأسلحة في المدرعات لم يدربوا بأسلحتهم مطلقا، فاضطرت إلى الابراق لوزارة الدفاع للموافقة على ترميتهم بضعة اطلاقات بصورة مستعجلة لكي يعرفوا خواص اسلحتهم على الاقل. وعند استفساري عن موقف العتاد ظهر لدي ان مقدار عدد ٢ رطل والبيزة كان محدود جداً. كما ان الوحدات استصحبت عتاد الخط الأول فقط ولم يؤسس خط المواصلات بعد. وكانت الوحدات تستهلك الارزاق التي جلبتها من بغداد. وكانت بقية قضايا التموين والاعاشة في دور التأسيس. هكذا كانت الحالة للقوة الآلية المرسلة إلى

٢٧٥- المصدر السابق نفسه.

٢٧٦- الأزري. المصدر السابق. ص ١٩.

فلسطين والمزعم اشتراكها في القتال دون التهيؤ له. وان وضعية كهذه جعلتني في حالة استغراب من إرسال قوات وزجها في القتال بهذا الوضع الناقص^(٢٧٧).

واحسب ان أي تعليق أو كلام عن تقصير أو خيانة الحكومة، بعد تقرير القائد العراقي هذا، هو من نافل الكلام.

وقد برر نوري السعيد كل تلك المخازي بالقول:
(لن اسمح بخراب العراق لخاطر فلسطين)^(٢٧٨).

والحقيقة ان نوري السعيد - سياساته - خرب العراق واضاع فلسطين في الوقت نفسه. ومادامنا بصدد الحديث عن حرب فلسطين عام ١٩٤٨، وحتى تكتمل الصورة لدى القارئ عما كان يجري، فان عددا من المسؤولين العراقيين واقاربهم، كانوا يهربون البنزين، عبر الأردن، إلى إسرائيل التي كان الجيش العراقي يقاتلها آنذاك^(٢٧٩).

وبرر نوري السعيد - في منتصف الخمسينات - دخول العراق في حلف بغداد، بالعمل على تسليح الجيش العراقي بأسلحة حديثه، ويعلق على ذلك بطاطو قائلاً:

(ولم يكن للأسلحة الحديثة التي تلقاها المصريون الان من الاتحاد السوفيتي، وبكميات مذهلة عند مقارنتها مع القليل ذي القيمة الحقيقية الذي تلقاه نوري السعيد من حلفائه، الا ان تثير الشكوك حول ما اذا كان المسار الذي يسير السعيد فيه هو الافضل لصالح الجيش)^(٢٨٠).

باختصار شديد كان التسليح البريطاني للعراق سيئاً جداً^(٢٨١). حتى انه لم يكن في

٢٧٧- الحسني. المصدر السابق. الجزء السابع. ص ٢٩٧ (نقلا عن الحاج. المصدر السابق. ص ٩٠-٩١).

٢٧٨- الحاج. المصدر السابق. ص ٩١.

٢٧٩- رفائيل بطي. ذاكرة عراقية. الجزء الثاني. دمشق ٢٠٠٠. ص ١٤٠.

٢٨٠- بطاطو. المصدر السابق. الجزء الثالث، ص ٧٥-٧٦.

٢٨١- خليل ابراهيم حسين، مرسوعة ١٤ تموز (٧) اللغز المحير عبد الكريم قاسم، بغداد ١٩٩٠، ص ٣٤٣.

العراق - عندما سقط النظام الملكي - جهاز رادار واحد لكشف الطائرات^(٢٨٢).



والآن أريد ان اذكر وجهتي نظر في العهد الملكي، احدهما لاحد رجالات العهد الملكي، والاخرى غربية. واترك للقارئ المقارنة بينهما.
يقول توفيق السويدي في نهاية مذكراته:

(وفقنا الله في ان نجعل من العراق أخيراً- وقبل ان نبعد عن مراكز المسؤولية فيه - دولة مستقلة حديثة غنية منظمة، مرهوبة الجانب، لها وزنها في الميزان الدولي، ومكانتها المرموقة بين دول المنطقة، بل بين دول العالم وكانت الدلائل تبشر بالمزيد من ذلك كله لو قدر للعراق ان يواصل مسيرته المباركة).

اما ماريون ويتر سلوجت فيقولان:

(وكما كان الحال في مصر في مطلع اوائل الخمسينات، فقد صار واضحاً ان مسألة سقوط النظام العراقي باتت مسألة وقت ليس الا، ثم جاءت ازمة السويس لتؤكد عزلة النظام وتكتملها، ذلك انه مع نهاية عام ١٩٥٦، كانت الحكومة العراقية على خلاف مع جميع الحكومات العربية، ثم ضاعف من هذه العزلة ذلك الضيق شبه العالي ببطء معدلات النمو، وغياب الحريات المدنية في العراق)^(٢٨٣).



اما الصورة التي بدا عليها العراق، يوم ١٣ تموز ١٩٥٨ - آخر يوم من عمر النظام الملكي - فلم يكن فيها ما ينبئ بالحدث الذي سيهز العراق في اليوم التالي. فالصحف أعلنت بأن الحكومة ستصدر غداً بياناً حول محادثات النفط الجارية، بين ممثلي الشركات ووزير الاقتصاد العراقي. كما نشرت عدداً من الإيرادات الملكية بتعيين ونقل

٢٨٢- الزبيدي. المصدر السابق. ص ٢٧٧.

٢٨٣- سلوجت. المصدر السابق. ص ٨٧.

بعض كبار الموظفين، وكانت هذه آخر الإرادات الملكية، التي صدرت في العهد الملكي^(٢٨٤).
ومن المقالات المنشورة في ذلك اليوم، مقالا للأستاذ عبد اللطيف حبيب، في جريدة
البلاد، عن الثورة الفرنسية، بعنوان (غدا) جاء فيه:

غدا ١٤ تموز.

يومك يا فرنسا!

ثم يضيف: (كنت تعلمين أي ظل من الاستبداد - من الظلم.. من الرعب، يلقيه
لويس وغيونه واتباعه وبطانته على أرجائك، حتى فزع ناسك إلى بيوتهم، فحبسوا
انفسهم فيها، واغلقوا ابوابها.. حتى كان يوم ١٤ تموز.. يوم أوغلت في كسر شوكة
الباستيل، ومطاردة لويس واتباعه، اعداءك، اعداء النور والحرية.. اولئك الذين
اراقوا دماءك لحماية جورهم وعتوهم وظلمهم واستبدادهم!)^(٢٨٥).

ونشرت الصحف في ذلك اليوم - ولآخر مرة - التعليق السياسي الذي يذاع من محطة
الاتحاد العربي، والذي كانت مديرية الدعاية العامة تجبر الصحف على نشره داخل اطار
واضح. وكان يبدأ بنداء: (أخي العربي حيثما تكون). وجاء فيه:

ويظن الطغاة - وهذا شأن كل الطغاة - (طبعاً كان المقصود بذلك جمال عبد
الناصر) ان الناس لا يرون ولا يعقلون، يظنون ان الشعب نام، وسينام عن اثمهم..
ويظن البغاة ان حبل البغي طويل.. انه حبل ناعم، لكن ليس بالطويل، سينقطع
في وجه تيار الحرية والعزة والكرامة الأصيلة، لا زيف الكلام، وبهرج الخداع..
سينقطع فتسقط الاوثان المعلقة عليه.. ستتحطم الاصنام المثبتة بخيوط، وتعود
للامة المنكوبة حريتها وعزتها وكرامتها..^(٢٨٦).

٢٨٤- فوزي. المصدر السابق. ص ٢٥٩.

٢٨٥- المصدر السابق. ص ٢٤٦- ٢٦٥.

٢٨٦- المصدر السابق. ص ٢٦٨- ٢٦٩.

ويعلق الصحفي القومي المعروف احمد فوزي على هذا التعليق قائلاً:

(وفعلاً.. في اليوم التالي.. يوم ١٤ تموز ١٩٥٨.. سقط الطغاة.. ولكن في بغداد، وتحطمت اصنامهم المثبتة بخيوط، وارتفعت صور القائد العربي جمال عبد الناصر فوق الهامات في كل مكان من ارض العراق)^(٢٨٧).

المفارقة ان احمد فوزي وجد نفسه بعد اشهر من ذلك لاجئاً سياسياً في مصر.



كانت العائلة المالكة ونوري السعيد يستعدان - يوم ١٢ تموز ١٩٥٨ - للسفر في اليوم التالي. العائلة المالكة ستسافر لغرض التجهيز لعرس الملك فيصل الثاني على الأميرة التركية (فاضلة)^(٢٨٨). اما الملك فيصل الثاني نفسه ونوري السعيد فيسافران لحضور اجتماع مجلس حلف بغداد في انقرة. وتقرر ان يبقى الأمير عبد الإله في بغداد نائباً عن الملك.

كان يفترض ان يكون كل من العائلة المالكة ونوري السعيد خارج العراق، ليلة ١٤ تموز ١٩٥٨، لكن حظهم السيء جمعهم تلك الليلة في بغداد. فقد كانت العائلة المالكة قد قررت السفر إلى تركيا، صبيحة يوم التاسع من تموز، ومنها إلى لندن، للتسوق لزواج الملك، وأيضاً لقضاء العطلة الصيفية هناك. لكن توفيق السويدي (وزير خارجية الاتحاد العربي يومذاك) كان قد أشار على الملك فيصل الثاني، بضرورة تأخير سفرته المزمعة، نحو أسبوع أو أكثر، حتى يعود الأمير عبد الإله إلى بغداد، من سفرته إلى اسطنبول و لندن، كي لا يكون هناك فراغ سياسي، يشغله الملك حسين بن طلال، باعتباره نائب فيصل الثاني في رئاسة الاتحاد العربي، فيعمل على استمالة العسكريين العراقيين، من خلال زيارات يقوم بها لهم، وهو مالا تحبذه الحكومة العراقية^(٢٨٩).

٢٨٧- المصدر السابق. ص٢٦٩.

٢٨٨- وريثة العروش. المصدر السابق. ص٢٩٤.

٢٨٩- المصدر السابق. ص ٢٩٩ - ٣١٠.

وكان عبد الإله قد سافر إلى اسطنبول لينهي مسألة شراء قصر هناك. وترك أمر انضمامه إلى الوفد الملكي، ليقرره بعد عودته منها.

وعندما عاد (أي الأمير عبد الإله) من اسطنبول كان متوعدًا، وطريح الفراش، وقرر ألا يسافر مع الوفد الملكي (صبيحة ١٤ تموز). ولم يحضر إلى البلاط إلا صباح ١٢ تموز ١٩٥٨، وللمرة الأخيرة في حياته^(٢٩٠). وفي ذلك اليوم (أي ١٣ تموز) وصلت إلى العائلة المالكة بالبريد، صورة لعبد الإله، وقد لطخ مرسلوها وجهه أوساخًا. الأمر الذي أزعج العائلة - خاصة والدته عبد الإله - وأحزنها^(٢٩١).

أما نوري السعيد فقد سافر إلى لندن - أواخر حزيران ١٩٥٨ - لقضاء الصيف هناك، لكنه عاد إلى بغداد، قبل ١٤ تموز، لسبب طارئ. يقول توفيق السويدي:
(لو كان غائبًا عن بغداد في ليلة ١٤ تموز لما كان الانقلاب)^(٢٩٢).

ورأي السويدي هذا، يؤكد ما قلته سابقًا من أن رجال العهد الملكي لم يفهموا التغييرات السياسية العميقة، التي اجتاحت العالم بعد الحرب العالمية الثانية، وخاصة بعد حرب السويس عام ١٩٥٦. فإذا كانت بريطانيا قد أعادت الوصي إلى الحكم عام ١٩٤١، فإن تكرار هذا الأمر أصبح مستحيلًا بعد حرب السويس عام ١٩٥٦^(٢٩٣). والتي دفعت بريطانيا إلى اتخاذ قرارها بالانسحاب من شرق السويس. فضلًا عما يعنيه ظهور الاتحاد السوفيتي - بعد الحرب الثانية - كقوة عظمى، من تغيير استراتيجي، في ميزان القوى في الشرق الأوسط آنذاك، مما يجعل بريطانيا والولايات المتحدة تفكران ألف مرة قبل التدخل عسكريًا في العراق^(٢٩٤).



٢٩٠- عطا عبد الوهاب. المصدر السابق. ص ١٠٥-١٠٦.

٢٩١- مذكرات وريثة العروش. المصدر السابق. ص ٣١١.

٢٩٢- بصري. اعلام السياسة في العراق الحديث (مصدر سابق). الجزء الأول. ص ١٦٩.

٢٩٣- انظر نورس. المصدر السابق. ص ٧١-٧٣ (وثيقة خطيرة لوزارة الخارجية البريطانية تسمي المحاولة التركية لاعادة النظام الملكي في العراق ب(الحماقة الاجرامية) ص ٧٢).

٢٩٤- انظر المصدر السابق، ص ٧٠-٧١ و٧٣-٧٥.

لقد ثبت بعد الثورة أن أجهزة الأمن والاستخبارات لم يكن لديها المعلومات الكافية عن تنظيم الضباط الأحرار. وان المسؤولين كانوا يغطون في نوم عميق^(٢٩٥). بحيث لم يشعروا حتى ببعض محاولات الضباط الأحرار للشروع بالثورة، مثل محاولة عبد الوهاب الشواف وعبد الغني الراوي، في ١١/٥/١٩٥٨، والتي تم تنفيذ جزء من خطتها، كاحتلال المشاجب والمستودعات في معسكر الهندسة، والتحاق الضباط بالكلية العسكرية وتوجه عبد الكريم قاسم إلى جلولاء^(٢٩٦).

وقد عثر عبد المجيد جليل الذي عينته الثورة مديراً للأمن العام، في أضاير مديرية الأمن العامة على كتابين، أحدهما من الاستخبارات العسكرية بتاريخ ١٩٥٨/٧/٥، تسأل فيه الاستخبارات، مديرية الأمن العامة، إذا ما كان لديها أية معلومات عن نشاط الضباط الأحرار، والثاني جواب مديرية الأمن العامة على كتاب الاستخبارات، وكان يحمل تاريخ ١٣ تموز ١٩٥٨، أي قبل الثورة بيوم واحد، ولم يُوقع لحدوث الثورة^(٢٩٧).

كان لدى الاستخبارات العسكرية قائمة بأسماء أكثر من ٢٥ ضابطاً من الضباط الأحرار، من ضمنهم أسماء عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وناجي طالب ورجب عبد المجيد ورفعت الحاج سري. ولما عرض مدير الاستخبارات قائمة الأسماء على رئيس الأركان أمر بحفظها. وكانت هناك تقارير أخرى عن منظمة الضباط الأحرار، حُفظت هي الأخرى. وقد اختفت هذه التقارير صباح يوم الثورة، وقيل وقتها أن بعض ضباط الاستخبارات أحرقوا أوراقاً مهمة، قبل وصول الثوار إلى مبنى وزارة الدفاع^(٢٩٨). ويبدو أن الفريق رفيق عارف رئيس أركان الجيش، كان يعتقد أن الجيش العراقي مؤسس على تقاليد متينة، وأنه ليس ثمة انقلاب يهدد النظام الملكي^(٢٩٩)، كما قال ذلك بنفسه للملك

٢٩٥- اللواء الركن عبد الكريم فرحان، ثورة ١٤ تموز في العراق، باريس ١٩٨٦، ص ٨٣-٨٤.

٢٩٦- المصدر السابق، ص ٨٣.

٢٩٧- صبحي عبد الحميد، اسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، بيروت ١٩٩٤، ص ١٠٤.

٢٩٨- المصدر السابق، ص ١٠٥.

٢٩٩- مذكرات الملك حسين، المصدر السابق، ص ١٤١.

حسين قبل أربعة أيام من الثورة.

ويقال أن ضابط امن الحلة أنور ثامر، وهو ابن خالة عبد السلام عارف، ابلغ رؤساءه بمعلومات دقيقه عن تنظيم الضباط الأحرار، بل وابلغهم بأن ثمة انقلاب سيحصل ليلة ١٤ تموز. ولكنه لم يجد اذنا صاغية. وجدير بالذكر أن عبد السلام عارف عين انور ثامر- عام ١٩٦٥- مديرا للأمن العام، وظل يشغل هذا المنصب لسنتين. ثم عينه الرئيس عبد الرحمن عارف - عام ١٩٦٧- متصرفا للكويت (محافظة واسط).
لقد (انهار كل شيء - يوم ١٤ تموز ١٩٥٨- في بضع ساعات، وقبل أن يفيق أعداء الثورة، داخل العراق أو خارجه، من هول المفاجأة. فتهافت مراكز القوى ولم يجرؤ احد على إصدار أمر أو تحريك ساكن: قواد الفرق، التشكيلات، الحاميات، القواعد، الحرس الملكي، القوة السيارة، الشرطة، الأمن، الاستخبارات، رؤساء العشائر، شيوخ الإقطاع)^(٣٠٠).

٣٠٠- فرحان. المصدر السابق. ص ١٤٦.

القسم الثاني

ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

إن التدخل البريطاني الذي أفشل حركة مايس ١٩٤١، والمصير المأساوي الذي انتهى إليه قادة الحركة الخمسة، كان هاجسا مرعبا، منع أي ضابط عراقي من التفكير بالانقلاب على النظام الملكي، طيلة العقد التالي لحركة مايس^(٣٠١). وحتى حينما بدأ مسلسل الانقلابات السورية، في ٣٠ آذار ١٩٤٩، إذ وقعت ثلاثة انقلابات هناك في عام واحد، لم يحرك الضباط العراقيون ساكننا ولم يتأثروا بها.

لكن نجاح ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر، كان نقطة فاصلة في تاريخ المنطقة، امتد تأثيرها بسرعة إلى العراق^(٣٠٢). (لقد نجحت الثورة في مصر برغم وجود القواعد والمعسكرات البريطانية التي تضم عشرات الآلاف من الجنود)^(٣٠٣). الأمر الذي شجع بعض الضباط العراقيين على تنظيم أنفسهم، على منوال تنظيمات الضباط الأحرار في مصر. ومما له دلالة على مدى تأثير الضباط الأحرار العراقيين بالثورة المصرية، إن فكرة إلغاء الملكية لم يتبناها الضباط الأحرار في العراق، إلا بعد إلغاء النظام الملكي في مصر^(٣٠٤). إذ ألغيت هناك في ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٥٣، أي بعد حوالي العام من قيام الثورة في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢.

وقد ظهرت عدة تنظيمات في الجيش العراقي بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٨. لكننا سنقصر

٣٠١- اسماعيل العارف، اسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية في العراق، لندن ١٩٨٦، ص ١٣٠.

٣٠٢- محسن حسين الحبيب، حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق، بيروت ١٩٨١، ص ٤٨.

٣٠٣- فرحان. المصدر السابق. ص ٥٤- ٥٥.

٣٠٤- د. محمد الدليمي، كامل الجادرجي ودوره في السياسة العراقية، بيروت ١٩٩٩، ص ٢٣٥ (الهامش) (مقابلة مع العميد المتقاعد خليل ابراهيم حسين).

كلامنا على التنظيم الذي ارتبطت باسمه ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. لان بقية التنظيمات لم تلبث سوى فترة قصيرة ثم اندمجت في ذلك التنظيم أو اختفت.

ويجب التأكيد هنا، بان تنظيم الضباط الأحرار، لم يكن سوى مجموعات من الأصدقاء، الذين كانوا يتحدثون عن إسقاط النظام الملكي. فلم يكن هناك تنظيم هرمي، ولا قيادة ولا خلايا^(٢٠٥). بل ان تسميات الضباط الأحرار واللجنة العليا واللجنة الوسطية، لم تظهر إلا بعد ثورة ١٤ تموز^(٢٠٦). ثم صارت تستخدم بأثر رجعي، وأضيفت لها الكثير من الأشياء الأخرى.

البدايات:

يبدو ان بدايات الضباط الأحرار في الجيش العراقي ترجع إلى خريف عام ١٩٥٢^(٢٠٧). بل وتحديدًا إلى أيلول من ذلك العام^(٢٠٨). وما من شك على الإطلاق ان الرئيس الأول (الرائد) المهندس رفعت الحاج سري كان البادئ الأول لحركة الضباط الأحرار^(٢٠٩). ويروي رجب عبد المجيد - في مذكراته المخطوطة - انه هو الذي عرض على رفعت الفكرة، وان رفعت وافق في الحال، واشترط ان يكون لكل منهما كتلته المستقلة عن

٣٠٥- الذكرة التاريخية لثورة ١٤ تموز، بغداد ١٩٨٧، ص ٣٤٢ و ٣٤٤ (شهادة حميد السراج الذي يقول ليس هناك تنظيم هرمي وان الخلايا هي عبارة عن مجموعات من الاصدقاء الذين انضموا للضباط الاحرار والامر نفسه ينطبق على اللجنة العليا حيث جمعت اعضاءها رتبهم العالية وصادقاتهم الشخصية).

٣٠٦- خليل ابراهيم حسين، ثورة ١٤ تموز، الجزء السادس، بغداد ١٩٨٩، ص ١١٢ (الهامش)، ١٢٠ (الهامش)، ٢٨٨ وما بعدها، ٣٠٤ (الهامش)، ٣٠٨.

٣٠٧- العارف. المصدر السابق. ص ٧٥.

٣٠٨- صبحي عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٣١. وانظر ايضا بطاطو. المصدر السابق. ص ٨٢. بينما يروي اخرون ومنهم خليل ابراهيم بأن حركة الضباط الاحرار ولدت في ارض فلسطين في سنة ١٩٤٨ - عندما كان الجيش العراقي يقاتل هناك - على يد رفعت الحاج سري (حسين. المصدر السابق. ص ٦٤-٦٨ و ٢٨٢ و ٢٩٢-٢٩٣ (الهامش)).

٣٠٩- بطاطو. المصدر السابق. ص ٨٠ وانظر فرحان. المصدر السابق. ص ٥٥ و ١٥٢-١٥٣.

الأخرى، ويكون الاتصال بين الاثنين فقط (أي بين رفعت ورجب) (٣١٠).

كان رفعت هو الأكثر نجاحاً في كسب الضباط، فقد استطاع ان يضم - بين آخرين - إلى كتلته، الرئيس الأول شكيب الفضلي، والمقدم صالح عبد المجيد السامرائي، والمقدم وصفي طاهر، والمقدم الركن شاكر محمود شكري، والمقدم الركن إسماعيل الجنابي، والمقدم الركن إسماعيل العارف، والعقيد الركن عبد الوهاب الأمين، والزعيم الركن محي الدين عبد الحميد (٣١١).

أما رجب فقد أرسل في تشرين الأول إلى انكلترا في دورة تدريبية ولم يعد إلى بغداد إلا في نيسان (ابريل) ١٩٥٣. وخلال هذه الفترة لم يكسب إلا واحداً، هو الرئيس الأول الركن صبيح علي غالب معاون الملحق العسكري في السفارة العراقية بلندن. إلا ان رجب سيلعب الدور الأساسي في حركة الضباط الأحرار فيما بعد، وتحديدًا بعد العدوان الثلاثي على مصر. جدير بالذكر هناك روايات تقول بان السلطات العسكرية العليا في العراق، كانت وبصورة مبكرة، تسمع بين الفينة والفينة، ببعض نشاطات الضباط الأحرار، لكنها لم تنظر إليها بعين الخطورة وإنما اعتبرتها من قبيل الطيش (٣١٢).

في أيلول (سبتمبر) ١٩٥٤ فاتحت حركة الضباط الأحرار، العقيد الركن عبد الكريم قاسم أمر اللواء التاسع عشر، فأبدى على الفور موافقته وقال بأنه يفكر في هذا الموضوع منذ أمد بعيد (٣١٣). وهذه هي رواية إسماعيل العارف احد أقدم الضباط الأحرار، ووزير المعارف في عهد عبد الكريم. وقد قال في روايته هذه بأنه هو الذي فاتحه بنفسه. والحقيقة ان هذه الرواية، هي واحدة من روايات متعددة، حول انضمام عبد الكريم قاسم إلى الضباط الأحرار.

أما الرواية الثانية، فهي لعبد الكريم فرحان، عضو اللجنة العليا لحركة الضباط

٣١٠- مذكرات العزاوي. المصدر السابق. ص ٣٦.

٣١١- بطاطو. المصدر السابق. ص ٨٣.

٣١٢- انظر مثلاً العارف، المصدر السابق، ص ٧٨، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٠.

٣١٣- المصدر السابق. ص ١٠٢. وانظر رواية اخرى مختلفة: بطاطو. المصدر السابق. ص ٩٦ (ارسل رفعت الحاج سري الرئيس اول شكيب الفضلي لمفاتحة عبد الكريم قاسم).

الأحرار، وأحد الذين ثاروا فيما بعد على عبد الكريم قاسم. تقول الرواية بان عبد الكريم قاسم كان يقود جماعة (تسعى وتعمل لنفس الأغراض التي تعمل من أجلها منظمة الضباط الأحرار)^(٢١٤). وانه تم تكليف العقيد الركن ناجي طالب، للاتصال به ومفاوضته للانضمام للمنظمة الأم. وقد تطوع المقدم وصفي طاهر ليقوم بإرشاده إلى دار عبد الكريم، إذ كان يعرفها ويعرف دار أخيه حامد قاسم وتحدث هذه الرواية - كما يبدو - عن انضمام عبد الكريم قاسم إلى اللجنة العليا عام ١٩٥٧^(٢١٥).

وتقول رواية ثالثة لمحسن حسين الحبيب في كتابه عن الثورة:

(ان الكلام والمشاورات دارت حول انضمام عبد الكريم قاسم بمفرده إذ لم يكن لديه تنظيم مرتبط به كما ادعى البعض)^(٢١٦).

وتبدو هذه الرواية غريبة، لان الحبيب وفي مقابلة أجراها معه الباحث ليث الزبيدي عام ١٩٧٧ - أي قبل صدور كتابه بحوالي أربع سنوات - تحدث عن التنظيم الذي يقوده عبد الكريم، والمنفصل عن التنظيم الاخر الذي سماه الباحث بتنظيم بغداد^(٢١٧).

وتقول رواية رابعة، ان الرئيس (النقيب) رفعت الحاج سري، اتصل بالمقدم الركن عبد الكريم قاسم امر الفوج الأول التابع للواء الأول، بفلسطين عام ١٩٤٨، ودعاه إلى العمل للإطاحة بالحكم في بغداد، والذي كان مسؤولاً عن فشل الجيش العراقي، في القيام بواجبه في الدفاع عن فلسطين. وقد وافق عبد الكريم على الفور وتعهد بمفاتحة من يثق به من الضباط. ويبدو - حسب هذه الرواية - ان عبد الكريم كان الشخص الثاني، بعد العقيد الركن نجيب الربيعي، الذي فاتحة رفعت للانضمام إلى تكتل الضباط الوطنيين

٢١٤- فرحان. المصدر السابق، ص ٧٠ وانظر ايضا بطاطو، المصدر السابق، ص ٨٧ وما بعدها.
٢١٥- فرحان. المصدر السابق. ص ٧١ وايضا بطاطو. المصدر السابق. ص ٩٧. وايضا روايات مشابهة ولكنها لا تشير إلى التنظيم الذي يقوده عبد الكريم قاسم كرواية صبحي عبد المجيد، المصدر السابق، ص ٥٧ ومذكرات العميد الركن جاسم كاظم العزاوي، ثورة ١٤ تموز، بغداد ١٩٩٠، ص ٧٤-٧٥.

٢١٦- ص ٥٥.

٢١٧- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٠٩- ١١٠ (انظر المتن والهامش ص ١١٠).

والذي أصبح اسمه بعد ثورة مصر حركة الضباط الأحرار^(٢١٨). وحسب هذه الرواية فقد أصبح لعبد الكريم قاسم - فيما بعد - تكتل خاص به، عرف بكتلة المنصورية ثم انضم إلى كتلة الضباط القادة (اللجنة العليا) - في آب ١٩٥٧ - والتي أصبح رئيسها^(٢١٩). ويروي الباحث حنا بطاطو - وهذه رواية خامسة عن علاقة عبد الكريم بالضباط الأحرار - انه كان على اتصال بتنظيمات الضباط الأحرار ثم قطع ذلك الاتصال^(٢٢٠). ومما يذكر ان نوري السعيد استدعى عبد الكريم، بعد انكشاف اجتماع الكاظمية - الذي عقد في صيف عام ١٩٥٦ -^(٢٢١). الأمر الذي يعني ورود اسمه في القضية^(٢٢٢). وهذا ما يعزز رواية بطاطو الأنفة الذكر بان لعبد الكريم قاسم صلة سابقة لانكشاف اجتماع الكاظمية بتنظيمات الضباط الأحرار^(٢٢٣).

٣١٨- حسين. المصدر السابق. ص ٦٥ و ٢٨٢.

٣١٩- المصدر السابق. ص ٢٨٦ - ٢٨٩.

٣٢٠- بطاطو. المصدر السابق. ص ٩٦. (يتبنى بطاطو الرأي الذي يقول بان حركة الضباط الاحرار نشأت عام ١٩٥٢ على يد رفعت الحاج سري بتأثير الثورة المصرية).

٣٢١- الزبيدي، المصدر السابق، ص ١٣١.

٣٢٢- العزاوي، المصدر السابق، وحسين، المصدر السابق، ص ١٦٩ - ١٧٣. وكذلك العارف. المصدر السابق. ص ١٢٣.

٣٢٣- هناك - على الاقل - خمس روايات اخرى، عن انضمام عبد الكريم للضباط الاحرار، نذكرها بعبارة: فاحداها تقول ان شاكر محمود شكري هو الذي فاتح عبد الكريم - عام ١٩٥٢ - للانضمام إلى الضباط الاحرار (د. فاضل حسين. سقوط النظام الملكي في العراق. القاهرة ١٩٧٤. ص ١٤١). والثانية تقول ان اسماعيل علي هو الذي فاتحه عام ١٩٥٣ (نفس المصدر و الصفحة). وتقول الثالثة ان عبد السلام عارف هو الذي فاتح عبد الكريم عندما خدم بامرته كأمر لاحد افواج اللواء التاسع عشر (بطاطو، المصدر السابق، ص ٩٤). ويروي الدكتور خدوري بان عبد الكريم قاسم قد انضم إلى منظمة بغداد (أي التي عرفت فيما بعد باللجنة العليا) عام ١٩٥٦ ثم بادر - بعد عودته من الاردن - للمطالبة بدمج منظمته بمنظمة بغداد.. الخ (خدوري، العراق الجمهوري، ص ٣٩). اما الرواية الاكثر اثاره فهي التي تقول ان كتلة عبد الكريم قاسم قد بدأت بالتشكل عام ١٩٥٠. أي ان عبد الكريم قاسم قد سبق رفعت الحاج سري الذي شكل كتلته عام ١٩٥٢ بعامين (د. عقيل الناصري، عبد الكريم قاسم من ماهيات السيرة الذاتيه، دمشق ٢٠٠٦، ص ٤٨٨).

ومهما كان الأمر، فإن عبد الكريم قاسم و عبد السلام عارف كانا - عندما شكل عدد من الضباط الأحرار لجنة عليا لهم ونهضوا ثانية بالتنظيم - على رأس وحدتيهما العسكريتين، في المفرق في الأردن، ولم يعودا إلى موقعيهما الأصليين في معسكري المنصور وجلولاء حتى ٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٧^(٢٢٤). ولم تكن لهما أية صلة بتلك المجموعة التي تتخذ من بغداد مقرا لها. وسنعود للحديث عن انضمامهما عندما نتحدث بعد قليل عن تشكيل اللجنة العليا للضباط الأحرار.

ولابد ان نشير هنا إلى ان عبد الكريم قاسم والذي كان لواءه التاسع عشر يعسكر في الأردن لنجدته إذا وقع عليه اعتداء إسرائيلي^(٢٢٥)، ومعه عبد السلام عارف الذي كان يقود احد أفواج اللواء المذكور، فكرا- بعد العدوان الثلاثي على مصر- بإعلان العصيان والانضمام إلى الجيش السوري. وابلغا القيادة العسكرية السورية بذلك، والتي وافقت بعد تردد، لكن عبد الحميد السراج - مدير الشعبة الثانية في الجيش السوري آنذاك وابرز السوريين اللذين لعبوا أدوارا سياسية مهمة في زمن الوحدة - طلب من عبد السلام ان يقنع عبد الكريم بالعدول عن الفكرة لعدم جدواها فيما يتعلق بإسقاط الحكم الملكي^(٢٢٦).

اجتماع الكاظمية:

تعرضت حركة الضباط الأحرار - في تشرين الأول ١٩٥٦ - لهزة عنيفة. فقد عرف رئيس أركان الجيش بكل التفاصيل المتعلقة باجتماع عقده عدد من الضباط في احد البيوت

٢٢٤- بطاطو. المصدر السابق، ص٩٤ و٧٨.

٢٢٥- كان الهدف الحقيقي من ارسال هذه القوة هو تهديد سوريا والتطويع بكيانها وضماها للعراق منتهزة فرصة انشغال مصر بالعدوان الثلاثي (عبد الكريم الجدة. الزعيم المنقذ، بغداد ١٩٦٠. ص٢٧ (نقلا عن حسين. المصدر السابق. ص١٠١-١٠٢)).

٢٢٦- صبحي عبد الحميد، المصدر السابق، ص٤٧ (وقد اخبره بذلك عبد الحميد السراج في لقاء بينهما بالقاهرة عام ١٩٧١). وانظر رواية للسراج قريبة من الرواية الاولى في حسين، المصدر السابق، ص١١٠-١١٢.

في الكاظمية^(٢٣٧). وقام رئيس الأركان بإجراء تحقيق مع المجتمعين ثم أبعدهم عن المراكز الحساسة وفرقهم. فنقل المقدم رفعت الحاج سري إلى ضابط تجنيد في قلعة صالح^(٢٣٨)، والمقدم إسماعيل العارف ملحقا عسكريا في واشنطن^(٢٣٩)، والمقدم صالح عبد المجيد السامرائي ملحقا عسكريا في عمان. أما العقيد الركن عبد الوهاب الأمين فقد بقي في منصبه كرئيس لشعبة الحركات العسكرية في دائرة الأركان العامة في وزارة الدفاع^(٢٤٠). جرى لغط شديد حول الشخص الذي وشى بالاجتماع، وقد رفض الفريق رفيق عارف رئيس الأركان^(٢٤١) ان يبوح - بعد ثورة ١٤ تموز - باسم الواشي للمسؤولين^(٢٤٢). وقد تبادل إسماعيل العارف وعبد الوهاب الأمين - بسبب ما أثاره اجتماع الكاظمية من شكوك - الاتهامات والمهاترات. ويعلق على ذلك خليل إبراهيم حسين - صاحب موسوعة ١٤ تموز واحد أقدم الضباط الأحرار - قائلا:

(وللحقيقة والتاريخ فاني أقول ان كلا منهما برئ من تهمة الوشاية براءة الذئب من دم يوسف)^(٢٤٣).

٢٢٧- صبحي عبد الحميد، المصدر السابق، ص ٥٤- ٥٥، ٢٢٤، ٢٤٠- ٢٤٧، ٢٥٢. والعارف، المصدر السابق، ص ١٢٣ وما بعدها. وفرحان، المصدر السابق، ص ٦١- ٦٣ ومذكرات العزاوي، المصدر السابق، ص ٥٤- ٦٣ والزبيدي، المصدر السابق، ص ١٣١- ١٢٤.

٢٢٨- يبدو ان نقل رفعت الحاج سري إلى قلعة صالح كان مقررا قبل اجتماع الكاظمية وقد اخبره خاله جميل المدفعي (احد رؤساء الوزارات في العهد الملكي) بذلك قبل الاجتماع. (انظر حسين، المصدر السابق، ص ١٦).

٢٢٩- عندما علم نوري السعيد وزير الدفاع انذاك باجتماع الكاظمية، طلب من رئيس الاركان تشديد الخناق على سكرتيه اسماعيل العارف (الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٢٢٣).

٢٣٠- صبحي عبد الحميد، المصدر السابق، ص ٥٤- ٥٥ وانظر ايضا بطاطو، المصدر السابق، ص ٨٣- ٨٤.

٢٣١- بعد خروجه من السجن- في تموز ١٩٦١- عاش رفيق عارف في عزلة تامة إلى سنة ١٩٨٨، اذ عينه صدام عضوا- مع ضباط كبار سابقين- في لجنة عسكرية استشارية عن الحرب مع ايران. وتوفي في اب ١٩٩٠.

٢٣٢- بطاطو. المصدر السابق، ص ٨٤.

٢٣٣- حسين، المصدر السابق. ص ١٦٢.

وكان إسماعيل العارف قد كلف خليل إبراهيم حسين، بإبلاغ رفعت الحاج سري بانكشاف اجتماع الكاظمية^(٢٣٤). وفعلا ذهب خليل إلى بيت رفعت وأبلغه بذلك^(٢٣٥).

خلاصة الأمر ان على المرء ألا يلتفت لما قيل حول اجتماع الكاظمية من اتهامات. لان اجتماع الكاظمية استخدم على أوسع نطاق - كمادة للتشهير - في الخلافات الشخصية بين الضباط الأحرار، وفي الصراع الذي نشب بعد ١٤ تموز على السلطة.

ويعتقد خليل إبراهيم حسين - ويقول انه توصل إلى ذلك بعد التحقيق الدقيق - بان سائق سيارة الأجرة - العائدة لصالح السامرائي - التي نقلت الضباط الأربعة إلى محل الاجتماع، كان يعمل مع مديرية الأمن العامة، ولم يراع الضباط الأربعة - أثناء الطريق - السرية والأمن، فراحوا يتحدثون بالرموز، فأشاروا إلى عدم حضور عبد الكريم قاسم الاجتماع، وربما ذكروا اسم فائق السامرائي.. الخ. فكتب السائق تقريراً بذلك إلى رؤسائه، وهكذا وصلت الأخبار مشوشة إلى رئيس الأركان، فالمخبر اقتصر على ذكر الأسماء الأولى التي وردت أمامه، وما ذكره من معلومات لم يكن ذا قيمة^(٢٣٦).

على أي حال، ان رفعت الحاج سري عزف بعدها عن أي نشاط مع التنظيم الرئيسي للضباط الأحرار^(٢٣٧). وواصل عبد الوهاب الأمين والذي بقي داخل العراق، نشاطه في تنظيم الضباط الأحرار، وكان احد الذين نهض التنظيم ثانية على أيديهم، بعد فترة قصيرة من حادثة الكاظمية. بل وربما كان له دور خطير - وان كان غير مباشر - في نجاح ثورة ١٤ تموز، وسنشير إلى ذلك في الوقت المناسب. وأصبح إسماعيل العارف - بحكم

٢٣٤- العارف، المصدر السابق. ص ١٢٥.

٢٣٥- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ١٦٧.

٢٣٦- حسين. المصدر السابق. ص ١٦٤ (الهامش). وانظر ما ورد في شهادة اسماعيل العارف (الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٣٢٨ و ٣٣٠ و ٣٣٤)

٢٣٧- مذكرات العزاوي، المصدر السابق، ص ٧٣ و ٧٩. (وعزا بطاطو عدم مشاركة رفعت إلى الرقابة المشددة المفروضة عليه (بطاطو. المصدر السابق، ص ٨٥)).

مكان عمله الجديد - بعيدا عن أي نشاط للضباط الأحرار، ولكنه ظل بعواطفه ومشاعره مع التنظيم^(٢٣٨).

أما الشخص الرابع، وهو المقدم صالح عبد المجيد السامرائي، والذي اصدر رئيس الأركان امرا فوريا بنقله إلى منصب معاون الملحق العسكري في الأردن، ورفض ان يسمح له بتأجيل سفره، ولو لفترة قصيرة من الزمن لانجاز بعض الأمور الشخصية المتعلقة^(٢٣٩). فقد قطع علاقته بالتنظيم. وهو بالمناسبة ثالث ضابط ينضم إلى الضباط الأحرار عام ١٩٥٢ حسب إحدى الروايات^(٢٤٠). لكنه عندما قامت ثورة ١٤ تموز - وكان ملحقا عسكريا بالأردن - حاول بالتنسيق مع الحكومة الأردنية التآمر على الثورة^(٢٤١). فاستدعي إلى بغداد وأودع السجن، إلا انه تمكن من الهرب ولجأ إلى الأردن، حتى اغتيل في أوائل السبعينات في لبنان^(٢٤٢). على يد مكتب العلاقات العامة (جهاز المخابرات فيما بعد) الذي كان يرأسه صدام حسين.

تزعزعت الثقة - بعد انكشاف اجتماع الكاظمية - بين الضباط الأحرار، وتسرب الخوف والقلق إلى بعض النفوس، فتجمد النشاط، وبدا ان كل شيء قد انتهى وان التنظيم قد لفظ أنفاسه^(٢٤٣). ويروي إسماعيل العارف بان التنظيم قد تجمد - بعد ذاك - لمدة ستة أشهر^(٢٤٤).

٢٣٨- انظر رواية مناقضة، العزاوي، المصدر السابق، ص ٥٦.

٢٣٩- العارف، المصدر السابق، ص ١٢٥-١٢٦.

٢٤٠- المصدر السابق، ص ٧٦ (وانظر رواية قريبة من ذلك بطاطو، المصدر السابق، ص ٨٣).

٢٤١- يبدو ان ذلك جاء ردا على حالته على التقاعد - صبيحة ١٤ تموز - من قبل عبد الكريم قاسم (حسين، المصدر السابق، ص ١٦٤). ولم تكن علاقة الاثنين طيبة في أي يوم من الايام

(انظر العارف - المصدر السابق. ص ١٠٢ و ١٠٣).

٢٤٢- العارف، المصدر السابق، ص ١٧٦-١٧٧.

٢٤٣- فرحان، المصدر السابق، ص ٦٣.

٢٤٤- العارف، المصدر السابق، ص ١٣٣.

البداية الحقيقية:

يبدو ان الخوف من المصير الذي انتهى إليه قادة حركة مايس ١٩٤١، ومن التدخل البريطاني، ظل عالقا في ذهن الكثير من الضباط^(٢٤٥). وهكذا ظل تنظيم الضباط الأحرار يراوح في مكانه. والقول بأنه كان هناك تنظيم - بالمعنى الدقيق للكلمة - فيه الكثير من التجاوز^(٢٤٦). فلم تكن هناك قيادة أو تشكيلات أو خطة أو رؤية للعمل. وكان الأمر كله عبارة عن مفاتحة الضباط لبعضهم، بفكرة الإطاحة بالنظام، ويأتي الرد عادة بالموافقة.

ومن المهم ان اكرر هنا ما قلته أكثر من مرة، بان الانجاز السهل والعظيم في آن معا، الذي حققه الضباط الأحرار في ١٤ تموز ١٩٥٨، شحذ أذهان الكثيرين منهم، فاحذوا يتحدثون عن تنظيم ذي قيادة وخلايا فضلا عن برنامج ولجان.. الخ. وجاءت الدراسات والأبحاث الجامعية لتعتبر ذلك من المسلمات والحقائق. فانجاز ضخمة ثورة ١٤ تموز لابد ان يكون وراءه تنظيم عظيم. وصار الضباط الأحرار الآخرون - من الذين لم يقدر لهم ان يلعبوا دورا يذكر في أحداث يوم ١٤ تموز - يرددون ذلك، أو يجارون الآخرين فيما يرددونه، أو يسكتون عندما يرد ذكرهم كشركاء في أحداث سبقت الثورة. وهكذا تضخمت الأدوار وتعددت الأحداث وتعددت الأسماء وتضاعفت الأعداد.. إلى آخره.

على أي حال، ان أواخر عام ١٩٥٦ أو بداية عام ١٩٥٧، كانت هي البداية الحقيقية للضباط الأحرار وقد لعب العدوان الثلاثي على مصر، الدور الأساسي، بل وبإمكان المرء ان يقول - وهو يتحدث عن تلك الأيام من عام ١٩٥٦ - الدور الوحيد، في تأجيج مشاعر الضباط، و في استنهاض هممهم، للعمل بشكل جدي لإسقاط النظام الملكي. وكاد البعض من الضباط - ولفرط حماسه - ان يرتكب مغامرات حمقاء، ولكن زملاءهم

٢٤٥- انظر سلوجت. المصدر السابق. ص ٩٢.

٢٤٦- انظر صبيح عبد الحميد، المصدر السابق، ص ٢٥٢ (رسالة صبيح علي غالب عضو اللجنة العليا واحد اقدم الضباط الاحرار).

اثنوههم عن ذلك^(٣٤٧).

فالنصر المدوي الذي حققه الرئيس جمال عبد الناصر في حرب السويس، من جهة، وموقف النظام الملكي من العدوان الثلاثي، والذي اعتبره أبناء الشعب العراقي، وغالبية ضباط الجيش العراقي، موقفاً خيانياً، من جهة أخرى، جعل وقوع انقلاب في العراق، مسألة وقت فقط.

وما دمنّا قد اشرنا لموقف النظام الملكي في العراق، من العدوان الثلاثي على مصر، فمن الملائم ان نذكر، بان الإذاعة العراقية اشغلت نفسها - خلال العدوان الثلاثي - بأخبار الاضطرابات في هنغاريا، والتي تزامن وقوعها مع العدوان الثلاثي، فراحت إذاعة بغداد تشن الحملات الشعواء على الاتحاد السوفيتي، لعدوانه على هنغاريا، متجاهلة العدوان الثلاثي على مصر^(٣٤٨).

لقد أدى اندحار العدوان الثلاثي على مصر، إلى اهتزاز هيبة النظام الملكي في العراق، التي كانت مهتزة أصلاً وبشكل سيء. ثم ان عدم اتخاذ النظام الملكي - بعد انكشاف اجتماع الكاظمية- إجراءات صارمة بحق الضباط الأحرار، شجع الضباط الأحرار على مواصلة عملهم ثانية^(٣٤٩). و كان انضمام عبد الكريم قاسم إلى اللجنة العليا للضباط الأحرار، الحدث الأهم في تاريخ تنظيمات الضباط الأحرار، إذ قدر له ان يلعب (وصاحبه عبد السلام عارف)، الدور الأخطر في الفترة التالية^(٣٥٠).

ولنرجع الآن إلى اليوم الذي تشكلت فيه اللجنة العليا للضباط الأحرار، ولم يكن عبد الكريم قاسم قد انضم إليها بعد. والحقيقة ان اللجنة العليا هي عبارة عن مجموعة من ضباط جمعتهم رتبهم العالية وصدقاتهم الشخصية^(٣٥١). وقد (عرف هذا التكتل

٣٤٧- بطاطو، المصدر السابق، ص ٨٤-٨٥.

٣٤٨- العارف، المصدر السابق، ص ١٢٢.

٣٤٩- بطاطو، المصدر السابق، ص ٨٥.

٣٥٠- فرحان. المصدر السابق. ص ٦٣-٦٤.

٣٥١- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٣٤٣ و ٢٤٤ (شهادة حميد السراج).

بأسماء متعددة وحتى بعد الثورة وأثناء محاكمة عبد السلام عارف لم يتفق من دعتهم المحكمة للشهادة من أعضائه على اسم معين لتكتلهم حتى استقر الاسم نهائياً في الرسائل الجامعية بعد ذهاب قائدي الثورة إلى رحمة الله بالهيئة العليا (وما هي كذلك) (٢٥٢). وسنستعمل في هذا الكتاب تسمية اللجنة العليا، لتمييز هذه المجموعة عن غيرها من مجموعات الضباط الأحرار.

فقد عقد اجتماع - في أحد أيام كانون الأول ١٩٥٦ - لعدد من الضباط الأحرار، في دار الرئيس الأول (الرائد) الطيار المتقاعد محمد سبع، واختيرت هذه الدار لأنها بعيدة عن الأنظار ولأن صاحبها قد اعتزل الخدمة العسكرية وامتنع الأعمال التجارية، ولذلك فهو بعيد عن المراقبة وعيون الفضوليين (٢٥٣). وكانت المبادرة قد جاءت من رجب عبد المجيد وناجي طالب، اللذين قررا متابعة السير قدما ونجحا في استمالة عدد من الضباط الأحرار وهم: الزعيم الركن محيي الدين عبد الحميد والعقيد الركن عبد الوهاب الأمين والمقدم وصفي طاهر (٢٥٤) والعقيد الركن محسن حسين الحبيب والمقدم الركن عبد الكريم فرحان والرئيس الأول الركن صبيح علي غالب وصاحب الدار الرئيس الأول المتقاعد محمد سبع.

كان عدد الضباط المجتمعين ثمانية، إذ تخلف عن حضور الاجتماع العقيد الركن عبد الوهاب الأمين. واقترح رجب عبد المجيد أن يضم المقدم رفعت الحاج سري إليهم فتمت الموافقة بالإجماع على ذلك (٢٥٥). وفي الاجتماع التالي الذي عقد بعد أسبوع أو حول ذلك، في المكان نفسه، انتخبت اللجنة الزعيم الركن محيي الدين عبد الحميد، أكبر الأعضاء رتبة، رئيساً لها، كما انتخبت رجب عبد المجيد، الذي أصبح الآن مقدماً مهندساً، أمين سر لها (٢٥٦).

٢٥٢- حسين، المصدر السابق، ص ٢٩٠.

٢٥٣- الحبيب، المصدر السابق، ص ٥١.

٢٥٤- بطاطو، المصدر السابق، ص ٨٤.

٢٥٥- الحبيب، المصدر السابق، ص ٥١.

٢٥٦- بطاطو، المصدر السابق، ص ٨٥-٨٦.

أرسلت اللجنة العليا - في بداية عام ١٩٥٧ - وصفي طاهر، لمفاتحة عبد الكريم قاسم، من أجل توحيد الجهود. ولكنه طلب ان يجتمع بأحد أعضاء اللجنة العليا، وبناجي طالب تحديداً، قبل إعطاء جوابه^(٣٥٧). وبعد التداول في بيته في العلوية ببغداد مع الزعيم الركن ناجي طالب، اندمجت جماعته بالحركة الرئيسية^(٣٥٨). كان ذلك في آذار حسب رواية محسن حسين الحبيب أحد أعضاء اللجنة^(٣٥٩). أو قبل هذا التاريخ - في كانون الثاني - حسب روايات أخرى^(٣٦٠). أو بعد هذا التاريخ - في أيار (مايو) - حسب رواية بطاطو^(٣٦١).

بعد شهر من ذلك، فاجأ عبد الكريم اللجنة العليا للضباط الأحرار، باصطحابه عبد السلام عارف إلى اجتماعها^(٣٦٢). يقول محسن الحبيب عضو اللجنة العليا:

(لقد كان حضور عبد السلام اجتماعنا هذا مفاجأة لنا لأنه لم يكن منضمًا إلينا حتى ذلك الوقت، كنا قد قررنا سابقاً عدم انضمام أي عضو إلى الحركة ما لم يطرح اسمه من قبل أحد الأعضاء وعلى أن يجري قبوله بإجماع الآراء، ويخبر بذلك بواسطة العضو الذي رشحه. لقد كان عبد الكريم يعرف ذلك بالطبع، ولكنه لم يخبرنا قبل مجيئه بأنه يرشح عبد السلام للانضمام إلى الحركة أو أنه سيجلبه معه في الاجتماع القادم، وهكذا ساد الاجتماع جو من الوجود، وبعد أن رأى عبد الكريم الانطباع غير الحسن الذي أحدثه تصرفه هذا، اخذ يمدح عبد السلام ويزكيه للانضمام إلينا ويبيدي ثقته فيه، وبعد أن جرى الأمر على هذه الصورة

٣٥٧- انظر الحبيب، المصدر السابق، ص ٥٥ وبطاطو، المصدر السابق، ص ٩٧ ومذكرات العزاوي، المصدر السابق، ص ٧٤- ٧٥.

٣٥٨- بطاطو، المصدر السابق، ص ٩٧.

٣٥٩- الحبيب، المصدر السابق، ص ٥٥ وانظر كذلك مذكرات العزاوي، المصدر السابق، ص ٧٤.

٣٦٠- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١١١. (يبدو أن هذه الرواية هي الأدق من بين الروايات الأخرى).

٣٦١- بطاطو، المصدر السابق، ص ٩٧.

٣٦٢- المصدر السابق، ص ٩٧. والزبيدي، المصدر السابق، ص ١١٢.

(وهي صورة الأمر الواقع) قبلنا طلبه، واحضر احدنا القران الكريم فاقسم عبد الكريم قاسم (الذي لم يكن قد اقسم اليمين حتى ذلك الوقت)، واقسم بعده عبد السلام عارف اليمين على العمل معنا^(٣٦٣).

ويذكر رجب عبد المجيد سكرتير اللجنة العليا، وأقدم عضو فيها من الضباط الأحرار، بأن هناك احتجاجات قد صدرت من بعض أعضاء اللجنة العليا، على تصرف عبد الكريم هذا^(٣٦٤). والذي يقال انه حسم الأمر بقوله: (هذا معنا في التنظيم وهو يعرف كل شيء) فصار أعضاء اللجنة العليا أمام الأمر الواقع، وتم قبوله على مضض^(٣٦٥).

أصبح عبد الكريم قاسم بعد فترة قصيرة من انضمامه للجنة العليا رئيسا لها. ولدينا بهذا الصدد روايتان. تقول الأولى ان أعضاء اللجنة العليا وفي اجتماع لهم - كان عبد الكريم وعبد السلام غائبين عنه - قرروا اختياره، باعتباره الأقدم رتبة، رئيسا للتنظيم، ومحي الدين عبد الحميد وناجي طالب - اللذان يليانه بالأقدم - نائبين له، ورجب عبد المجيد سكرتيرا للجنة العليا. ويؤكد محسن حسين الحبيب على ان اختيار عبد الكريم كان على أساس القدم ليس الا، فهم كونهم ضباطا يقدرون القدم العسكري ويحترمونه، ولهذا أصبح الأقدم رتبة رئيسا للتنظيم. واتفق أعضاء اللجنة العليا على انه ليس للرئيس صلاحيات خاصة وإنما واجبه تنظيمي فقط^(٣٦٦).

ويذكر الحبيب ان رجب عبد المجيد طرح اسم ناجي طالب لرئاسة التنظيم، ووجهة نظره في ذلك هي ان عبد الكريم يعمل خارج بغداد ولا نراه إلا مرة في الأسبوع. بالإضافة

٣٦٣- الحبيب، المصدر السابق، ص ٥٥.

٣٦٤- صبحي عبد الحميد، المصدر السابق، ص ٢١٠- ٢١١ (رسالة رجب عبد المجيد للمؤلف).

٣٦٥- الزبيدي، المصدر السابق، ص ١٢٨ (انظر ايضا في نفس المصدر رواية مختلفة ادلى بها عبد الوهاب الامين امام محكمة المهداوي وذكر فيها ان عبد الكريم قاسم عرض على اللجنة العليا فكرة ضم عبد السلام وان اللجنة قررت ابقائه تحت التجربة ثم وتحت الحاح عبد الكريم قاسم ضمته اليها). ويقول بطاطو عن رواية الامين هذه: (صار معروفا اليوم، وبالتأكيد، انها كانت ملفقه) بطاطو، المصدر السابق، ص ٧٧ (الهامش).

٣٦٦- الحبيب، المصدر السابق، ص ٦٣- ٦٤ و ٦٥.

إلى أنه ليس للقدم العسكري فضل ولا دخل في هذه القضية. لكن دفعاً لحصول أي خلاف في هذه المرحلة المهمة من مراحل العمل، تم الأخذ باقتراح الرئاسة حسب القدم^(٣٦٧). أما الرواية الثانية فتقول ان رجب طرح وجهة النظر الأنفة الذكر، وأيده ضباط آخرون. لكن عبد السلام عارف - الذي كان حاضراً - أصر على انتخاب عبد الكريم قاسم. فتمت تسوية الأمر بانتخابه رئيساً ومحي الدين وناجي طالب نائبين فضلاً عن رجب كسكرتير للجنة^(٣٦٨).

بلغ عدد أعضاء اللجنة العليا - عشية الثورة - خمسة عشر ضابطاً، فقد أضيف إليها فضلاً عن الأسماء التي ذكرناها كل من: العقيد طاهر يحيى (والذي أحيل على التقاعد قبل الثورة بسبب معلومات عن نشاطه ضد النظام). والعقيد عبد الرحمن عارف (أمر فوج فيصل المدرع). أما عبد الوهاب الشواف فقد جرى ضمه للجنة العليا، قبل شهرين من ثورة تموز^(٣٦٩)، وذلك في محاوله من اللجنة للحد من اندفاعه الشديد إلى حد المغامرة للقيام بعمل ما ضد النظام الملكي^(٣٧٠). الأمر الذي يعرض - عند فشله - جميع الضباط الأحرار في الجيش للخطر. ذلك (لان الكتل قد تشابكت والكل يعرف الكل)^(٣٧١). يقول رجب عبد المجيد:

(اقول للتاريخ انه عندما دخلت على عبد الوهاب الشواف في وزاره الدفاع لإقناعه بعدم التحرك وترك مغامرة يوم ١١ مايس ١٩٥٨ قال لي: (لعد اني مثل قرنديل؟) قلت له: (شنو قرنديل؟) قال: (قرنديل يدق الكبه ولا يأكلها). قلت له: (ماذا تقصد؟) قال: (لماذا أنا لست من اللجنة العليا؟) فقلت: أنت تريد ان تعرض البلد للخطر لانك لست عضواً في اللجنة العليا؟).

٣٦٧- المصدر السابق، ص ٦٤. (الغريب ان رجب عبد المجيد يروي بان اختيار قاسم تم بالاقتراع السري وانه كان المعارض الوحيد) (الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ١٤٢)).

٣٦٨- الزبيدي، المصدر السابق، ص ١٢٥.

٣٦٩- المصدر السابق، ص ١٢١.

٣٧٠- انظر المصدر السابق، ص ١٢١ (الهامش) والحبيب. المصدر السابق. ص ٧٨-٨٢.

٣٧١- العزاوي، المصدر السابق. ص ٩٩-١٠٠.

ولهذا السبب - يقول رجب عبد المجيد - اقترحت ان يدخل الشواف عضواً في اللجنة العليا لكي تتجنب الأخطار التي ربما تصدر عنه ^(٢٧٢).

اللجنة البديلة:

بعد الوهن الذي أصاب حركة الضباط الأحرار، على اثر حادثة الكاظمية، أعاد - بتأثير العدوان الثلاثي والذي اشرنا لقوة تأثيره سابقا عند الحديث عن البداية الحقيقية للضباط الأحرار - عدد من الضباط متوسطي الرتب من الذين كان قد كسبهم رفعت الحاج سري ^(٢٧٣)، جميع أنفسهم، في حلقه أخذت على عاتقها إدامة الاتصال بالضباط الصغار وإعادة تنظيمهم ورفع معنوياتهم ^(٢٧٤). ويطلق خليل إبراهيم حسين - صاحب موسوعة ١٤ تموز - على هذه المجموعة تسمية (كتلة ضباط الركن الأعوان) ^(٢٧٥). أما ناجي طالب (عضو اللجنة العليا للضباط الأحرار) فيسميها بمجموعة صبحي عبد الحميد. ويشفع كلاهما - حسين وناجي طالب - تسميتهما للمجموعة بالقول: (وهي المجموعة التي صارت بعد الثورة تعرف بالحلقة الوسطية) ^(٢٧٦). وفضلا عن (اللجنة الوسطية) ^(٢٧٧) هناك عدة تسميات أطلقت عليها مثل لجنة الظل ^(٢٧٨)، ولجنة الاحتياط ^(٢٧٩)، واللجنة العليا البديلة ^(٢٨٠).

-
- ٢٧٢- الذاكرة التاريخية. المصدر السابق. ص ١٥١ (بتصرف).
٢٧٣- العزاوي. المصدر السابق. ص ٧٩. وانظر بطاطو. المصدر السابق. ص ٩٨.
٢٧٤- صبحي عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٦٢.
٢٧٥- حسين. المصدر السابق. ص ٢٨٤.
٢٧٦- المصدر السابق. ص ٣٠٨ (شهادة ناجي طالب).
٢٧٧- المصدر السابق. ص ٦٢. وسماها الزبيدي في ص ١٣٠ من كتابه عن ثورة تموز باللجنة الوسطية (هيئة الظل) ثم عاد وسماها في ص ١٦٥ بالحلقة الوسطية (لجنة الظل).
٢٧٨- العارف. المصدر السابق. ص ١٣٤ (وقد سماها لجنة ظل قيادية بديلة).
٢٧٩- بطاطو. المصدر السابق. ص ٩٨ و ١٠٠.
٢٨٠- الحبيب. المصدر السابق. ص ٧٦ ومذكرات العزاوي. المصدر السابق. ص ٧٩-٨٦.

كان هؤلاء الضباط الأحرار يدركون بأن رتبهم اصغر من أن تمكنهم من القيام بانقلاب عسكري، وليست لديهم وحدات عسكرية يقودونها، وبالتالي فأنهم اذا أرادوا الانفراد في تنفيذ الحركة، فعليهم الانتظار عدة سنوات، حتى يصبحوا برتب عسكرية اكبر ويعينوا قادة لوحات عسكرية، وهو أمر غير مضمون^(٢٨١). لذلك انضموا - في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٧ - إلى كتلة الضباط القادة التي عرفت فيما بعد باللجنة العليا^(٢٨٢). وهكذا أصبحت اللجنة العليا الآن، بانضمام قاسم وجماعته، وهؤلاء الضباط متوسطي الرتب إليها، جاهزة للقيام بالثورة. والحقيقة ان الثورة كانت من صنع هاتين المجموعتين، قاسم ومجموعته، واللجنة البديلة، كما سيأتي تفصيله فيما بعد.

أما الشخص الذي استطاع ربط هؤلاء الضباط باللجنة العليا، فهو الرئيس الأول الركن عبد الستار عبد اللطيف^(٢٨٣). والذي أصبح ممثلهم لديها^(٢٨٤) وقد سلم عبد الستار، رجب عبد المجيد، قوائم تضم أسماء (٨٠) ضابطاً هم أعضاء هذا التنظيم، وينفي رجب استلامه هذا العدد ويروي بأنه استلم ثمانية أسماء فقط^(٢٨٥). ويقال ان اللجنة العليا قررت اعتبار هذه المجموعة لجنة بديلة (احتياط) لمتابعة العمل في حال حصول شيء للجنة العليا^(٢٨٦). وهذه الرواية هي موضوع اختلاف أيضاً.

هناك اتفاق على ان المقدم الركن محمد مجيد، والرائد الركن صبحي عبد الحميد، والرائد الركن خالد مكي الهاشمي، والرائد الركن إبراهيم جاسم التكريتي، والرائد

٣٨١- العزاوي. المصدر السابق. ص ٨٣.

٣٨٢- بطاطو، المصدر السابق، ص ٩٨.

٣٨٣- مذكرات العزاوي، المصدر السابق، ص ٨٤.

٣٨٤- انظر المصدر السابق. ص ٨٦ وكذلك بطاطو. المصدر السابق. ص ٩٨.

٣٨٥- العزاوي. المصدر السابق. ص ٨٤. وانظر بخلاف ذلك رواية رجب التي يشير فيها إلى ثمانية أسماء استلمها فقط (الذاكرة التاريخية (مصدر سابق) ص ١٤٤).

٣٨٦- بطاطو. المصدر السابق. ص ٩٨ والعزاوي. المصدر السابق. ص ٨٥ وانظر الحبيب. المصدر السابق. ص ٨٨.

الركن عبد الستار عبد اللطيف، والرائد الركن جاسم كاظم العزاوي، والرائد الركن حسن مصطفى النقيب، كانوا أعضاء في اللجنة البديلة^(٢٨٧). أما الأسماء الأخرى فهناك خلاف حولها. فصبحي عبد الحميد يذكر اسم الرائد طه الدوري من بين أعضاء اللجنة^(٢٨٨). أما العزاوي فيذكر الرئيس الأول (الرائد) خالد حسن فريد^(٢٨٩). ويذكر بطاطو الرئيس الأول (الرائد) الركن عيسى الشاوي والرئيس الأول طه الدوري^(٢٩٠) إضافة للأسماء الأخرى.

وسعى رفعت الحاج سري وعبد الوهاب الشواف ووصفي طاهر إلى تشكيل كتلة جديدة، يكون عمادها تنظيم اللجنة البديلة، وتأخذ على عاتقها مهمة القيام بالثورة^(٢٩١). وهكذا انبثقت كتلة جديدة لها وزنها من حيث عدد أفرادها وقطعاتها^(٢٩٢). إذ انفصل بعض ضباط (اللجنة البديلة) عنها والتحقوا بهذا التكتل الجديد مثل حسن النقيب وطه الدوري^(٢٩٣). لكن هذا التكتل لم يستطيع ان يعمل شيئاً.

كان الحدث الأهم في تاريخ اللجنة البديلة، هو اختلافها مع رجب عبد المجيد سكرتير اللجنة العليا، والمكلف من قبل الأخيرة بالتنسيق مع اللجنة البديلة. فكلفت اللجنة العليا عبد السلام عارف ليقوم بالتنسيق معها، بدلا من رجب^(٢٩٤). وكانت تلك فرصة ذهبية لعبد الكريم قاسم (وصاحبه عبد السلام عارف) للمضي قدما في تحقيق هدفهما، بالاستفراد بالعمل، بمعزل عن رفاقهم في اللجنة العليا.

٣٨٧- صبحي عبد الحميد. المصدر السابق. ص٦٢.

٣٨٨- المصدر السابق. ٦٢.

٣٨٩- العزاوي. المصدر السابق. ص١٠٢.

٣٩٠- بطاطو. المصدر السابق. ص١٣٠.

٣٩١- الزبيدي. المصدر السابق. ص١٠٣.

٣٩٢- العزاوي. المصدر السابق. ص٩٦.

٣٩٣- المصدر السابق. ص٩٧.

٣٩٤- المصدر السابق. ص٨٤ و٨٨.

الخلافات داخل اللجنة العليا:

ان المرء يكتشف وبسرعة، وهو يتتبع مجرى الأحداث المتعلقة بتنظيم الضباط الأحرار، ان عبد الكريم قاسم ورغم علاقته باللجنة العليا للضباط الأحرار، بل وموقعه فيها كرئيس لها، كان وصاحبه عبد السلام عارف يخطط للثورة بمعزل عن بقية أعضاء اللجنة العليا.

وقد ذكر عبد السلام عارف في إفادته أمام محكمة الشعب، وبعد ان تحدث عن الخلافات التي حدثت في اللجنة: (وأخيرا قال لي قاسم دعنا نجاملهم كإخوان وكي لانفرط بإخوتنا وتنفيذ قسمنا، ولكن العمل الحاسم بيني وبينك، وفلا حاول كثير من ضباط الثورة معرفة وقت ويوم الحركة فأبينا الإجابة وكانت غايتنا الكتمان والمباغنة)^(٢٩٥).

يقول محسن حسين الحبيب:

(لقد تحول الحوار الهادئ والمناقشة الرصينة التي كانت تسود اجتماعاتنا إلى استفزاز وتحد ومحاولة فرض الرأي وطرح أسئلة وخطط تعجيزية. حدث ذلك من قبل عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف عند حضورهما اجتماعات اللجنة العليا، تبين بعدئذ بأنهما كانا يتفقان على موقفهما من المواضيع التي ستناقش قبل حضورهما الاجتماع، كما ظهر بان أسلوب الاستفزاز ومحاولة فرض الرأي الذي اتبعاه خلال اجتماعات اللجنة العليا كان مقصودا وان الغرض منه هو محاولة إظهار باقي أعضاء اللجنة العليا بمظهر المترددين العاجزين عن القيام بتنفيذ الثورة وكانا يبالغان بنشر أنباء الخلافات التي تحصل خلال مناقشات اللجنة العليا وإيصالها إلى أسماع باقي الضباط الأحرار مع ان الخلاف في الرأي شيء طبيعي عند مناقشة أي قضية خطيرة....)^(٢٩٦).

على أي حال، كانت هناك وجهتي نظر داخل اللجنة العليا للضباط الأحرار. فأغلبية

٣٩٥- وزارة الدفاع. محاكمات المحكمة العسكرية العليا الخاصة. الجزء الخامس. بغداد

١٩٥٩. ص ٤٢٧ (نقلا عن الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٢٧ (الهامش)).

٣٩٦- الحبيب. المصدر السابق. ص ٧٨.

أعضاء اللجنة كانوا يميلون إلى التروي واحكام الخطة والمضي في كسب الضباط ريثما تصبح القوات الموالية لهم في بغداد كافية لاحتلال جميع الأهداف والمواقع المهمة في بغداد. أما عبد الكريم وعبد السلام فيعتقدان ان قتل بضعة أشخاص من كبار المسؤولين سيؤدي إلى تقويض نظام الحكم، لذلك يجب انتهاز فرص إقامة الاحتفالات والمهرجانات والاستعراضات لتصفيتهم. وكان من مؤيدي هذا الرأي عبد الوهاب الشواف وعبد الغني الراوي. وبلغ الخلاف اوجه، واتُّهمت اللجنة العليا بالخوف والتردد والجبن^(٣٩٧). وأوشكت اللجنة البديلة على التمرد والانفراد بالعمل^(٣٩٨).

اخبر عبد الكريم اللجنة العليا في اجتماعها - في ٢٠ مايس ١٩٥٨ - بخطة عسكرية للثورة، كان ضباط (اللجنة البديلة) قد وضعوها. ثم سلمها إلى عبد السلام لقراءتها على المجتمعين. كان الدور القيادي الأول- في الخطة- لعبد الكريم قاسم، والذي كانت صفته فيها القائد العام للقوات المسلحة. ثم يليه عبد السلام عارف كمعاون للقائد العام ثم بقية أعضاء اللجنة. اعترض بقية الأعضاء على الخطة ووصفوها بأنها (مدرسية) وضعها ضباط مبتدؤون^(٣٩٩). وبالعودة إلى ملاحظة ذكرناها آنفا، فأن وضع هذه الخطة من قبل (اللجنة البديلة)، يومئ إلى أن عبد الكريم وعبد السلام قد كسبا ضباطها إلى جانبهم في صراعهم مع بقية أعضاء اللجنة العليا.

وفاجأ عبد السلام، اجتماعا للجنة - في حزيران ١٩٥٨ - بالقول: (انه وعبد الكريم قاسم قررا تنفيذ خطة الثورة يوم السبت (أي بعد يوم واحد من الاجتماع)). وأضاف بان فوجه سيقوم بمسيرة ليلية من معسكره في جلولاء (شمال شرق بغداد) باتجاه بغداد، وانه بإمكانه استغلال هذه المسيرة والوصول إلى بغداد، وعلى ضباط اللجنة العليا ان ينفذوا الواجبات المحددة لهم في الخطة التي عرضها عليهم عبد الكريم، والتي قلنا انها من وضع اللجنة البديلة. وتوتر الاجتماع جدا. وقال له محسن حسين

٣٩٧- فرحان. المصدر السابق. ص ٧٩- ٨٠.

٣٩٨- العارف. المصدر السابق. ص ١٣٤ (وهو يسميها لجنة ظل قيادية بديلة).

٣٩٩- انظر الحبيب. المصدر السابق. ص ٨٥- ٨٦.

الحبيب: (ان الثورة التي يتوقف نجاحها أو فشلها على فوجك وحده اقرأ عليها السلام). ولما رأى عبد السلام معارضة رفاقه قال في حدة: (هذا حدنا وإياكم!). وفعلًا كان هذا آخر اجتماع يحضره عبد السلام^(٤٠٠). المفارقة انه هتف - عندما اشتد النقاش - قائلًا: (أقول لكم أيها الإخوان: ماكو زعيم إلا كريم). ويعني بذلك عبد الكريم قاسم. ولم تمض أشهر كثيرة إلا وكان الشيوعيون يرددون هذا الشعار - الإيقاع ضد عبد السلام عارف نفسه^(٤٠١).

وفي أواخر حزيران، عقدت اللجنة العليا اجتماعًا آخر لها لوضع الخطط التفصيلية للثورة، ولمناقشة موضوع تشكيل حكومة الثورة. وكان الاتفاق تامًا على تشكيل مجلس سيادة من ثلاثة أعضاء يقوم بمهام رئيس الجمهورية بصفة مؤقتة. وعلى ان يكون معظم الوزراء من المدنيين، مع عدد قليل من العسكريين ان اقتضت الضرورة.

وتقرر تشكيل لجنة لترشيح الأشخاص الملائمين لاشغال المناصب المهمة في الدولة، على ان تقوم اللجنة باختيار اسمين أو ثلاثة لكل منصب، ثم يتم الاتفاق على الأسماء النهائية من قبل اللجنة العليا، عند عرضها عليها في الاجتماع الذي سيعقد لهذا الغرض في الأسبوع المقبل. اختارت اللجنة العليا لجنة اختيار الأسماء من طاهر يحيى ومحمد سبع، وفيما هي تتذكر حول العضو الثالث، واذا بعبد الكريم يتدخل لأول مرة في الحديث - فقد كان صامتًا طيلة الجلسة - ويقترح ان يكون العضو الثالث هو عبد السلام عارف.

اعترض رجب قائلًا ان على اللجنة تقديم تقريرها خلال أسبوع، وبما ان عبد السلام غير موجود في بغداد، فكيف يتسنى له حضور اجتماعات اللجنة^(٤٠٢) فانفجر عبد الكريم متهما اياه بانه كان السبب في ابعاد عارف، والتأمر لابعاد أعضاء معينين من اللجنة العليا، واتهمه كذلك بتوسيع شقة الخلاف في صفوف الضباط الأحرار. واشتد التوتر

٤٠٠- المصدر السابق. ص ٨٩ - ٩١.

٤٠١- بطاطو. المصدر السابق. ص ١٠٨.

٤٠٢- الحبيب. المصدر السابق. ص ٩٤.

واضطر المجتمعون إلى رفع الاجتماع^(٤٠٣).

ثم عقد الاجتماع الأخير للجنة العليا- في ٤ تموز ١٩٥٨- في بيت عبد الكريم قاسم بناء على اقتراحه في الاجتماع السابق. ولم يحضره رجب عبد المجيد بسبب سوء التفاهم الذي حصل بينهما في ذلك الاجتماع. وما ان بدأ الاجتماع، حتى طرق الباب المقدم فاضل عباس المهداوي (وهو ابن خالة عبد الكريم قاسم) وابلغه ان الاستخبارات العسكرية قد علمت بهذا الاجتماع، فتفرق المجتمعون بسرعة^(٤٠٤).

ويبدو ان ذلك كان مرتباً من قبل عبد الكريم نفسه^(٤٠٥). ولم ينعقد بعد ذلك أي اجتماع للجنة العليا.

يقول عبد الكريم فرحان عضو اللجنة العليا:

(كان أعضاء اللجنة العليا قد سمعوا بصدور الاوامر للواء العشرين بالتحرك لكن عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف اتفقا على كتمان الأمر بالنسبة للهيئة العليا وعدم اشراكها لئلا تطالب بتنفيذ القرارات التي سبق الاتفاق عليها أو تعترض على التعيينات التي ستعلن وكان الاثنان واثقين من ان الضباط الأحرار سيندفعون بكل طاقتهم لاسناد الثورة حال سماعهم النبأ)^(٤٠٦).

وانتظر أعضاء اللجنة في الأيام التالية ان يتصل بهم قاسم دون جدوى. بل انه حاول، ومن خلال العقيد عبد اللطيف الدراجي، الذي التقاه العقيد الركن محسن حسين الحبيب والعقيد رجب عبد المجيد مصادفة في النادي، مساء الجمعة الحادي عشر من تموز، ان يوحي لهم بان موعد الانقلاب قد أجل. وطبعاً لم يصدق أعضاء اللجنة بهذا الكلام^(٤٠٧).

٤٠٣- بطاطو. المصدر السابق. ص ١٠٩.

٤٠٤- الحبيب. المصدر السابق. ص ٩٦.

٤٠٥- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٧٨ (الهامش). ويطاطو. المصدر السابق. ص ١٠٩.

٤٠٦- فرحان. المصدر السابق. ص ٩١.

٤٠٧- بطاطو. المصدر السابق. ص ١٠٩.

وقبل أن نتحدث عن أحداث الرابع عشر من تموز، أريد أن أشير بسرعة إلى عدد أعضاء تنظيم الضباط الأحرار، وهو أمر من الصعب تحديده بدقة. ولكن استناداً لرواية الباحث ليث الزبيدي، فإن العدد حوالي (٢١٨) ضابطاً بما فيهم أعضاء اللجنة العليا للضباط الأحرار الخمسة عشر^(٤٠٨).

التحضيرات للثورة:

في أواخر حزيران (يونيو) ١٩٥٨، صدرت أوامر دائرة الأركان العامة (مديرية الحركات العسكرية)، بعودة اللواء المدرع السادس من الأردن^(٤٠٩). وتحرك لواء المشاة العشرين، من معسكره في جلولاء - يوم ٢ تموز (يوليو) - إلى الأردن^(٤١٠)، ليحل محل اللواء المذكور. غير أن تحرك اللواء العشرين أرجئ لعدم اكماله نواقصه، واستمر التأخير مدة عشرة أيام، إذ أجل التحرك إلى السابع من تموز ثم إلى ليل ١٣ - ١٤ منه^(٤١١). فهاً ذلك ظرفاً أكثر ملائمة بالنسبة للضباط الأحرار^(٤١٢).

لقد اعتادت الأركان العامة أن تحرك الوحدات العسكرية خلال النهار. ولكن عبد الوهاب الأمين - فيما يبدو - والذي كان يشغل منصب مدير الشعبة الأولى في مديرية الحركات العسكرية، لعب دوراً في جعل حركة اللواء العشرين تتم ليلة ١٣ / ١٤ تموز وليس نهراً^(٤١٣).

يقول خليل إبراهيم حسين أحد أقدم الضباط الأحرار ومؤلف موسوعة ١٤ تموز المشهورة بأن الأمين هو الذي أمر بتحريك اللواء كاملاً وأمر أن يُعطى عتاد الخط الأول

٤٠٨- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١١٢-١١٣.

٤٠٩- صبحي عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٩٥.

٤١٠- بطاطو. المصدر السابق. ص ١٠٨.

٤١١- بطاطو. المصدر السابق. ص ١٠٨.

٤١٢- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٧٧.

٤١٣- صبحي عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٩٧.

وهو ايضا الذي وافق على مسيرته في الليل^(٤١٤). ويضيف بأن عبد الكريم قاسم تحرك - في أيلول ١٩٥٦ - إلى ايج ثري، ولما عاد كان المفروض أن يعمل انقلابا، ولكن تحريك لوائه - حسب الاوامر العسكرية - بقدمات وسرايا، حال دون القيام بذلك. اما في هذه المرة فان العقيد عبد الوهاب الأمين أمر بتحريك اللواء العشرين كاملا^(٤١٥).

ولعب العقيد الأمين - من خلال منصبه في الحركات العسكرية - ادوارا أخرى ساهمت في تهيئة الظروف للثورة. فأمر الحرس الملكي العقيد طه البامرني، يروي بان الأمين كان يعيق تجهيز لواء الحرس الملكي، بالاسلحة والمعدات، وانه اضطر مرة ان يستعين بمدير الحركات (العميد الركن شكري محمود نديم) لاجباره، على صرف بعض طلبات الحرس الملكي^(٤١٦).

اما مايقال عن تصرفات صدرت من الأمين صباح يوم الثورة، كاتصاله تلفونيا بالزعيم احمد مرعي مدير الاستخبارات العسكرية وكذلك بمدير الحركات، يسألهما عن علمهما بالثورة وعن الاستعدادات التي تم اتخاذها لمجابهتها^(٤١٧). فربما كان القصد منها الاطلاع على ما عند رؤسائه من اخبار، أو ربما اراد تأمين نفسه، اذا ما فشلت

٤١٤- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ١٦٧.

٤١٥- المصدر السابق. ص ١٧١ (وقد كان جزاء عبد الوهاب الامين، من عبد السلام عارف، جزاء سنمار، فقد ابعده إلى القاهرة كملحق عسكري، وابلغ الحكومة المصرية (او بالاحرى حكومة الجمهورية العربية المتحدة) بانه متآمر على الثورة. ويعزو الامين ذلك إلى حقد عبد السلام عارف عليه لانه اصدر امرا بنقل شقيقه عبد الرحمن وكتيبته إلى خارج بغداد (انظر العزاوي. المصدر السابق. ص ١٦٢-١٦٥)).

٤١٦- العميد المتقاعد خليل ابراهيم حسين. موسوعة ١٤ تموز (٧) اللفز المحير عبد الكريم قاسم. بغداد ١٩٩٠. ص ٣٠-٣٣ وانظر ايضا شهادة رجب عبد المجيد (الذاكرة التاريخية (مصدر سابق) ص ١٥٧).

٤١٧- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٢٣ وايضا العزاوي. المصدر السابق. ص ٦١. (وذكر الزبيدي ايضا ان الامين قام بزيارات للسجناء من رجال العهد الملكي وارسل الصحف والمجلات لهم. وهذه ليست مثلبة على الرجل بل حسنة له).

الثورة، خاصة وان عبد الكريم وعبد السلام قد اخفيا عن رفاقهم كل شيء، فلم يعرفوا-
اول الأمر- تفاصيل ما يجري على الأرض.

وبالعودة إلى أواخر حزيران أو أوائل تموز - عام ١٩٥٨ - كان اثنان من أفواج اللواء العشرين الثلاثة، تحت قيادة ضابطين من الضباط الأحرار، من المرتبطين بعبد الكريم قاسم، هما عبد السلام عارف، وعبد اللطيف الدراجي. وقد كسب الأخير للضباط الأحرار عارف نفسه^(٤١٨). وعموما فإن الدراجي و رغم دوره الأساسي في الثورة، لعب دور التابع أكثر مما لعب دور الشريك. فساير عبد الكريم وعبد السلام في جميع ما أراداه وخاصة رغبتهما بالانفراد بتنفيذ الثورة وعدم اخبار اللجنة العليا بموعد التنفيذ. واقسم يميناً معهم على ذلك^(٤١٩).

سيقوم اللواء العشرون - حسب الخطة التي وضعها قاسم وعارف^(٤٢٠) - بالسيطرة على بغداد واعلان الثورة فور وصوله إليها، وتقوم اللجنة البديلة (الحلقة الوسطية) بالسيطرة على معسكر الرشيد واعتقال رئيس أركان الجيش رفيق عارف، الذي كان يسكن في دار في المعسكر نفسه.

اما اللواء التاسع عشر الذي يقوده عبد الكريم، فيندفع إلى بغداد، فور سماعه صوت الثورة من الإذاعة^(٤٢١). وبذلك يتولى تأمين ظهر القوات الزاحفة^(٤٢٢). وقبل ذلك فإن الضباط الأحرار في اللواء سيقومون باعتقال قائد الفرقة الثالثة اللواء الركن غازي الداغستاني والسيطرة على الفرقة. وكان الأمير عبد الإله يعول على الداغستاني كثيراً، في حماية النظام الملكي من أي انقلاب. ويقال ان عبد الإله عندما سمع من الراديو بيان

٤١٨- العزاوي. المصدر السابق. ص٧٦.

٤١٩- الزبيدي. المصدر السابق. ص١٧٧.

٤٢٠- هي بالاصل خطة (اللجنة البديلة) التي سبق ذكرها عند الحديث عن الخلافات داخل اللجنة العليا.

٤٢١- صبحي عبد الحميد. المصدر السابق. ٩٥.

٤٢٢- الزبيدي، المصدر السابق. ص١٨٢.

الثورة قال ليفصل: (الله كريم! فرقة غازي الداغستاني!)^(٤٢٣).

وابلغ المقدم الركن محمد مجيد، المقدم المخابر نهاد فخري، ان يقوم ومجموعة من الجنود، بالسيطرة على بدالة التلغونات في بغداد، عند سماعه بيان الثورة من الراديو. ونفذ فخري ذلك بنجاح تام^(٤٢٤).

ولعب الضباط الأحرار، وضباط الصف، المتواجدون في (مدرسة المشاة)، القرية من قصر الرحاب، دورا أساسيا في السيطرة على قصر الرحاب، حيث تسكن العائلة المالكة. ولولاهم لكان الموقف حرجا، إذ ان عتاد القوة المهاجمة أوشك على النفاد^(٤٢٥). أو انه نفذ فعلا^(٤٢٦). ولم يكن دور مدرسة المشاة مقررا ضمن الخطة التي وضعها عبد الكريم وعبد السلام^(٤٢٧). اما العقيد عبد الرحمن عارف امر فوج مدرعات فيصل، وشقيق عبد السلام عارف، والمكلف - حسب الخطة - بتدعيم القوة المهاجمة، فلم يبرز له دور، وبالكاد تجد له ذكرا يوم الثورة^(٤٢٨).

٤٢٣- دي غوري. المصدر السابق. ص ٣٣٢.

٤٢٤- العزاوي. المصدر السابق ص ١٢١.

٤٢٥- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٨٦.

٤٢٦- حسين. المصدر السابق. ص ٣٦. وانظر ايضا ص ٥٣ - ٥٤ (يقول الرئيس عبد الجواد حميد احد قادة القوة المهاجمة: كان من الممكن ان نفشل في اداء مهمتنا.. لولا قدوم جماعة مدرسة المشاة بالسرعة المطلوبة).

٤٢٧- يقول حميد السراج احد ضباط مدرسة المشاة: (قمنا باحتلال قصر الرحاب انا والمرحوم عبد الستار العبوسي وآخرون، ولا صلة لنا بعبد الكريم قاسم او عبد السلام عارف او الكادر الوسطي الذي سمعنا عنه مؤخرا (ويقصد بالكادر الوسطي اللجنة البديلة او الحلقة الوسطية)) (الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٣٤٥).

٤٢٨- يقول العزاوي (ص ١٢٩) عن عبد الرحمن عارف: (توارى عن الانظار، ولم يلتحق بوحدة الا بعد ظهر يوم ١٤ تموز). وانظر بخلاف ذلك رواية محسن حسين الحبيب في كتابه (ص ١٠٠) بان عبد الرحمن اول أمر وحدة يصل - يوم الثورة - معسكر الوشاش. اما رواية فالح حنظل عن دور عبد الرحمن في الهجوم على قصر الرحاب فهي رواية سماعية غير موثقة (انظر بطاطو. المصدر السابق. ص ١١١).

وقد سبق لعبد الرحمن عارف ان رفض الاشتراك في خطة عرضت عليه للثورة، لو كتب لها النجاح لآخذ فيها الدور الذي آخذة شقيقه عبد السلام في ثورة ١٤ تموز. فعشية احتفالات عيد الجيش، في ٦ كانون الثاني ١٩٥٨، كانت كتيبة عبد الرحمن، تقوم بمسيرة تدريبية - فجر كل يوم - من معسكرها في الوشاش (القريب من قصر الرحاب) إلى معسكر الرشيد، استعدادا للاشتراك باستعراض الجيش في ذلك العيد. فعرض العقيد الركن ناجي طالب على اللجنة العليا، خطة تتكون من جزئين، حيث تقوم كتيبة عبد الرحمن- والتي سيكون لها الدور الأساسي في الخطة- عند مرورها قريبا من قصر الرحاب، بتطويقه والسيطرة على الإذاعة والجسور، واعتقال الثلاثة الكبار وعلان الثورة. وتقوم القطعات الأخرى المعسكرة في معسكر الرشيد، بالزحف نحو جانب الرصافة والسيطرة عليه^(٤٢٩).

لكن عبد الرحمن رفض على الفور موافقه على ذلك قائلا انه ليس لديه ما يكفي من الذخيرة لاسلحته وانه لايمكنه الاعتماد الا على قلة من مرؤوسيه وانه يتوقع المشاكل من نائبه العقيد سلمان الحصان الذي كان على علاقة سيئة به^(٤٣٠). ولم يثته عن رفضه تعهد أعضاء اللجنة الآخرين بتزويده بالعتاد اللازم^(٤٣١).

كانت مسألة توفير العتاد للقوات المشتركة بالثورة، مشكلة للضباط الأحرار، فالأوامر العسكرية تقضي عادة بعدم توزيع العتاد على الوحدات العسكرية اثناء تنقلها داخل البلاد. لكن من خلال التنسيق بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف - حسب رواية منذر سليم احد ضباط اللواء العشرين وقائد الهجوم على قصر الرحاب - تم توفير كميات من العتاد^(٤٣٢). المفارقة ان السيارة المحملة بتلك الكميات من العتاد، والمكلفة

٤٢٩- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٦٤.

٤٣٠- بطاطو. المصدر السابق. ص ١٠٧.

٤٣١- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٦٥.

٤٣٢- انظر الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٨٣. وكذلك العزاوي. المصدر السابق. ص ١١٦.

بمرافقة القوة المتجهة صوب قصر الرحاب، لتوزيعه عليها هناك، ضلت طريقها وخرجت عن الرتل، وكان الأمر حرجا جدا، بحيث ان إحدى السريتين المؤلفتين للقوة المهاجمة، كان العتاد الموجود عندها ٣ اطلاقات لكل جندي. لكن تدخل ضباط وجنود مدرسة المشاة - كما اشرنا من قبل - هو الذي حسم الأمر^(٤٣٣).

في مساء الخميس ١٠ تموز ١٩٥٨، اجتمع عبد السلام عارف، في دار الرئيس الأول الركن عبد الستار عبد اللطيف، باعضاء اللجنة البديلة وهم بالاضافة الى صاحب الدار: الرئيس الأول الركن جاسم كاظم العزاوي، والرئيس الأول الركن محمد مجيد، والرئيس الأول الركن إبراهيم جاسم التكريتي. اما باقي أعضاء اللجنة البديلة وهما: الرئيس أول الركن صبحي عبد الحميد، والرئيس أول الركن خالد مكي الهاشمي، فقد كانا في الأردن^(٤٣٤).

ابلق عبد السلام المجتمعين بتفاصيل الخطة ووزع عليهم الواجبات، و طلب منهم أن يقسموا على أن لا يخبروا أي شخص بالثورة ماعدا ضباط خلاياهم^(٤٣٥)، على ان يتم تبليغهم بعد الساعة العاشرة من ليلة ١٢ - ١٤ تموز، ماعدا العقيد وصفي طاهر الذي كلف عبد الستار عبد اللطيف بتبليغه في الساعة الثامنة من نفس الليلة^(٤٣٦).

وطلب عبد السلام ايضا تعيين ضباط ادلاء - من تنظيم اللجنة البديلة - لقيادة سرايا اللواء العشرين إلى اهدافها في بغداد، وخاصة المفاوز المكلفه باعتقال رجال العهد الملكي من السياسيين وكبار الضباط^(٤٣٧). وطلب من المجتمعين توجيه اولئك الضباط الادلاء لاستطلاع دور كبار رجال الدولة امثال مدير الشرطة العام ومدير الأمن العام ومير امن بغداد وغيرهم^(٤٣٨).

٤٣٣- حسين. المصدر السابق. ص ٥٣- ٥٤.

٤٣٤- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٢٦٧ (رسالة محمد مجيد إلى المؤلف).

٤٣٥- المصدر السابق. ص ٩٦.

٤٣٦- العزاوي. المصدر السابق. ص ١١١.

٤٣٧- المصدر نفسه.

٤٣٨- المصدر السابق. ص ١٣٦.

ثار جدل بين المجتمعين وعبد السلام حول سبب عدم تبليغ الضباط الأحرار بموعد الثورة. كان رأي عبد السلام: (ان ما هو موجود يكفي ولا حاجة لنا إلى ضباط عزل ليست لديهم قطعات عسكرية). فطلبوا منه ابلاغ رفعت الحاج سري - على الاقل - باعتباره المؤسس الأول للتنظيم. فلم يوافق على ذلك وقال لهم: (ان مكان رفعت محفوظ، غير أن في كتلته ضباطا متهورين ومندفعين ومتشجنين.. الخ)، فحاججوه في سبب تبليغ وصفي طاهر وحده، وهو من قيادة الكتلة المذكورة. رد عليهم عبد السلام بانفعال ظاهر: (ان هذه هي رغبة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم، وهو اعلم به من غيره ويتحمل مسؤولية ذلك. ولا تنسوا انه قائد الحركة ولديه من وصفي طاهر ضمانة اكيدة بعدم تسرب الخبر)^(٤٣٩).

ويعلق جاسم كاظم العزاوي على عدم تبليغ أعضاء اللجنة العليا قائلاً:
(انني احمل عبد السلام مسؤولية ذلك لان رتبته اقل من رتب اغلب أعضاء اللجنة العليا وامكاناته العقلية وكفاءته اقل منهم بالتاكيد.. فقد اقنع عبد الكريم قاسم والحق عليه بعدم ابلاغ اللجنة خوفا من عدم الموافقة على تعيينه بمنصب نائب القائد العام وزير الداخلية، إذ انه لا مصلحة لعبد الكريم قاسم بعدم اخبارهم، لأنه بالأساس أقدم الجميع ورئيس اللجنة، فمكانه محفوظ، علاوة على كفاءته التي يعترف بها الجميع)^(٤٤٠).

والحقيقة اني لا اوافق العزاوي في رأيه هذا. فعبد الكريم لا يقل حماسا عن صاحبه عبد السلام، في القيام بالثورة، بدون اخبار زملائهم في اللجنة العليا، حتى لا يشاركوهم في المناصب العليا في الدولة، ولا في رسم مستقبل البلد وسياسته.
الخلاصة، لقد تم تبليغ عدد قليل جدا من الضباط، وهم الذين سيقومون بواجبات التنفيذ^(٤٤١). والواقع اننا نعرف اغلب الضباط الذين قام عبد السلام بتبليغهم بالثورة.

٤٣٩- المصدر السابق. ص ١١١-١١٢.

٤٤٠- المصدر السابق. ص ١١٢.

٤٤١- مذكرات عبد السلام عارف. بغداد ١٩٦٧. ص ٤٠-٤١ (نقلا عن الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٨٠-١٨١).

اما الضباط الذين بلغهم عبد الكريم بنفسه، فلا نعرف الا القليل عنهم. ذلك لان اغلبهم قتل مع عبد الكريم قاسم وبالتالي لم نسمع رواياتهم عن الثورة^(٤٤٢). هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان تاريخ ثورة ١٤ تموز - أو الكثير منه - كتب بأزمان وايدٍ معادية لعبد الكريم قاسم. فكان هناك توجه قوي لتقليل دوره - في ثورة تموز - ودور الضباط الذين ساندوه إلى آخر لحظة في حياته. فمن غير المعقول الا يبلغ عبد الكريم رجالا مثل عبد الكريم الجدة، فاضل عباس المهداوي، جلال الاوقاتي... الخ. خاصة انهم سيتولون مناصب أساسية في الجيش يوم الثورة، فالأخير - مثلاً - أصبح قائدا للقوة الجوية وعبد الكريم الجدة امرا للانضباط العسكري.

مسيرة اللواء إلى بغداد:

في الساعة الثامنة من ليلة ١٣/١٤ تموز - وقبل ساعة من تحرك اللواء العشرين من معسكره - بلغ فاضل محمد علي، منذر سليم وغيره من ضباط الفوج الثالث (الفوج الذي يقوده عبد السلام) بان الثورة ستكون هذه الليلة^(٤٤٣). وكان عبد السلام قد كسبهما وآخرين من الضباط لحركه الضباط الأحرار، وأدوا القسم امامه عام ١٩٥٦، عندما كانوا جميعا - بما فيهم عارف - ضباطا في اللواء التاسع عشر الذي يقوده عبد الكريم قاسم^(٤٤٤).

وفي مساء نفس الليلة (١٣ - ١٤ تموز)، وربما في نفس الساعة التي بلغ بها عارف ضباطه، ابلغ عبد الكريم قاسم صديقه احمد العبدى بخطة الثورة التي ستنفذ صباح اليوم التالي، ١٤ تموز، وابلغه انه سيكون رئيسا لاركان الجيش وعليه الالتحاق بمنصبه

٤٤٢- ما خلا - مثلاً - عبد الكريم الجدة الذي نشر كتابه (ثورة الزعيم المنقذ) في عام ١٩٦٠.
٤٤٣- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق) ص ٨٤ (رواية منذر سليم) وانظر بخلاف ذلك رواية ثانية لمنذر سليم يقول فيها ان عارف ابلغه بالثورة عند الساعة الرابعة فجرا وعلى مشارف بغداد (حسين، المصدر السابق. ص ٩).
٤٤٤- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق) ص ٤٨ (رواية منذر سليم).

رأساً عند سماعه ذلك من الإذاعة، أو تبليغه من قبل النقيب قاسم الجنابي^(٤٤٥). ثم توجهوا معاً، قاسم والعبدي، بسيارة الأخير إلى جلولاء، ليكونا وكبار ضباط الفرقة الثالثة، إلى جانب اللواء غازي الداغستاني، في وداع اللواء العشرين^(٤٤٦).

تحرك اللواء في الساعة التاسعة مساءً. وبحسب رواية العقيد الركن كمال مصطفى مقدم اللواء، فإن عبد السلام عارف طلب منه - عندما كان يضع خطة مسير اللواء باتجاه بغداد - أن يضع فوج عبد السلام في المؤخرة. وتبين فيما بعد أنه ينبغي من وراء ذلك، استلام سيارة محملة بالعتاد، أعدها الزعيم عبد الكريم في معسكر المنصور. فاستلمها - عندما مر فوجه من معسكر المنصور - مغلفة بخيمة لاختفاء محتوياتها^(٤٤٧).

وقد وضع خطة الاستيلاء على اللواء العشرين، الزعيم عبد الكريم قاسم، بالتعاون مع العقيد عبد السلام عارف آمر الفوج الثالث، والعقيد عبد اللطيف الدراجي آمر الفوج الأول في اللواء نفسه. وتقوم الخطة على اقتناع آمر اللواء الزعيم الركن أحمد حقي محمد علي، الذي لم يكن من الضباط الأحرار، بأن يأخذ المقر المتقدم وجماعة استطلاع ومأوى اللواء، ويسبقهم إلى مدينة الفلوجة، الواقعة غربي بغداد بمسافة ٦٠ ميلاً، لاختيار معسكر مؤقت يقضي اللواء ليلته فيه، ثم يتابع مسيرته في اليوم التالي إلى الأردن^(٤٤٨).

يقول العقيد الركن كمال مصطفى مقدم اللواء العشرين: (وعندما وصل الرتل إلى بعقوبة جاء عبد السلام عارف.. فاقترح على آمر اللواء العشرين أن يستصحب مقره وينفصل عن الرتل ويتقدم بسرعة ليكر في اختيار معسكر استراحة يأوي إليه اللواء قرب مدينة الفلوجة قبل وصول القسم الأكبر. فاقنع آمر اللواء بالفكرة وتحركت بصحبته

٤٤٥- العزاوي. المصدر السابق. ص ١١٦. (ويعلق العزاوي على اختيار العبدي رئيساً للاركان قائلاً: (عين رئيساً لاركان الجيش، لانه رجل مسالم لا يقول (لا) او يعترض على أي واحد اعلى منه رتبة، فضلاً عن انه يلي عبد الكريم قاسم من حيث الرتبة والقدم في الجيش).

٤٤٦- د. محمد حسين الزبيدي. ثورة ١٤ تموز في العراق. بغداد ١٩٨٣. ص ٤٥٠-٤٥١.

٤٤٧- العارف. المصدر السابق. ص ١٧٢ (مقابلة مع العقيد الركن كمال مصطفى مقدم اللواء العشرين، حررت سنة ١٩٦٧).

٤٤٨- المصدر السابق. ص ١٧١.

تاركين الرتل بأمره عبد السلام عارف وكان الأخير يبعث إلينا ببرقيات تموهية متتابعة بجهاز الاتصال عن تقدم الرتل^(٤٤٩).

كان الحل الآخر أمام عبد السلام، لو لم يستطع اقتناع أمر اللواء بالانفصال عن الرتل، والاسراع إلى الفلوجه، هو اعتقاله وإرساله إلى معسكر الهندسة^(٤٥٠). أما وقد اقتنع بعرض عبد السلام، فقد أصبح الأخير هو الضابط الأعلى في الرتل.

ولنقف قليلاً عند ما فعله الرئيس قاسم أحمد الجنابي (أحد الضباط الأحرار)، بعد اجتياز اللواء العشرين، مدينة بعقوبة في طريقه إلى بغداد. فقد كان المفروض أن يتسلم الرئيس الجنابي، أمر سرية الهندسة الثامنة، والمكلف بالسيطرة على مقر الفرقة الثالثة ومدينة بعقوبة، رسالة من عبد الكريم قاسم ليبدأ بتنفيذ الواجبات الموكلة إليه. إلا أن الأخير لم يبعث الرسالة المتفق عليها، مما أوقع قاسم الجنابي في حيرة من أمره. فأنبرى، والحالة تلك، لينفذ العمل على مسؤوليته وقبل الوقت المحدد للتنفيذ، وبمجرد اجتياز اللواء العشرين مدينة بعقوبة، فأكمل جميع واجباته بنجاح قبل الساعة الثانية بعد منتصف الليل. إذ اعتقل الجنابي، قائد الفرقة اللواء غازي الداغستاني، والذي كان يحسب الضباط الأحرار له ألف حساب، فقد كان شجاعاً ومحترماً ونظيف اليد. كما اعتقل الجنابي كبار الضباط^(٤٥١). وسيطر سيطرة تامة على مدينة بعقوبة. لقد أبدى الجنابي بطولية نادرة، وما قام به كان سيعرضه للاعدام، إذا حصل أي تردد من قبل الضباط الأحرار في اللواء العشرين، في تنفيذ الثورة، أو تم تأجيلها لأي سبب كان^(٤٥٢). وبالعودة إلى مسيرة اللواء العشرين، فإن عبد السلام ما أن تسلم قيادة اللواء، حتى سار

٤٤٩- العزاوي. المصدر السابق. ص ١٢٠.

٤٥٠- نفس المصدر السابق.

٤٥١- ومن سخریات القدر، أن يصبح أحد الضباط الذين اعتقلهم الجنابي، وهو حماد شهاب، مرافق غازي الداغستاني، ابن الثورة، واحد كبار ضباطها في العهد العارفي، ووزير دفاع العراق في العهد البعثي الثاني. بينما يمسي الجنابي خائناً لها، وكان بينه وبين الإعدام ثوان- يوم ٩ شباط ١٩٦٣- ثم اكتفوا بسجنه لبضعه اشهر.

٤٥٢- المصدر السابق. ص ١٢١.

في مقدمة الرتل، وبدأ في إعطاء وقفات قصيرة متعددة، لتقليل سرعة المسير وترك فجوة بعيدة بينه وبين أمر اللواء وجماعة الاستطلاع التي تحركت باتجاه بغداد. والتي كان يتابع مراحل تقدمها بواسطة جهاز اللاسلكي. ولما تأكد عبد السلام من اجتياز أمر اللواء، مدينة بغداد، في طريقه إلى الفلوجه، قرر إعطاء وقفة طويلة في نقطة واقعة على بعد خمسة عشر كيلومتر من بغداد. حيث قام والضباط الأحرار في اللواء بالاستيلاء عليه^(٤٥٣).

فقد طلب عبد السلام من النقيب فاضل الساقي والملازم كريم جاسم، اعتقال العقيد الركن ياسين محمد رؤوف أمر الفوج الثاني، والوحيد من بين امراء الافواج الثلاثة الذي لم يكن من الضباط الأحرار، ولكنهما تأخرا في اعتقاله^(٤٥٤). أو أن فاضل الساقي - ولأن ياسين محمد رؤوف كان محبوبا بين ضباطه وجنوده - طلب من العقيد عبد السلام - حسب رواية أخرى - إعفاءه من هذه المهمة. فطلب عارف أن يستدعى له العقيد ياسين، حيث أخبره حين حضر امامه بالحركة قائلا: (سنقوم بحركة ما رأيك ان تشترك معنا فيها)^(٤٥٥).

وقيل ان عبد السلام ركب مع ياسين محمد رؤوف في سيارته، واستدرجه إلى حيث كانت تنتظرهم مجموعة من الضباط والجنود، وهناك قال له: (لقد قامت ثورة في بغداد هذا الصباح وقرر لواءنا الانضمام إليها ومساندتها فهل انت معنا ام ضدنا)^(٤٥٦). فرد العقيد ياسين: (انت لست أمر اللواء.. أريد الاتصال بالآمر). عند ذلك أمر عبد السلام الضباط فاضل الساقي ومهدي علي الصالحي وكاظم الزهيري وضابط الصف شلال درويش وضابط صف آخر باعتقاله. وتمت السيطرة على الفوج الثاني، وعين العقيد عادل

٤٥٣- العارف. المصدر السابق. ص ١٧١.

٤٥٤- ليث الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٨٤.

٤٥٥- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). (رواية الرائد منذر سليم) ص ٨٥.

٤٥٦- محمد حمدي الجعفري. نهاية قصر الرحاب. بغداد ١٩٨٩. ص ١٤٢.

جلال مساعد العقيد ياسين - وهو كردي من الضباط الأحرار^(٤٥٧) - أمرا للفوج^(٤٥٨). في هذه الاثناء، التحق باللواء العشرين - في منطقة الحسينية أو قبل ذلك - عدد من الضباط الأحرار المكلفين بمهمة ارشاد القوات الزاحفة إلى اهدافها النهائية في بغداد. وهناك روايات متعددة حول عدد واسماء الضباط الذين التحقوا فعلا كأدلاء. لكن الثابت ان المقدم وصفي طاهر والرئيس الأول إبراهيم عباس اللامي والملازم الأول عبد الله مجيد والملازم الأول منعم حميد^(٤٥٩) كانوا بين المتحقيقين، أو ربما كانوا المتحقيقين الوحيديين. علما ان بينهم، من تهرب من مهمته فيما بعد، كما سيأتي بيانه في حينه. ان حركة اللواء العشرين البطيئة، وما نجم عنها من تأخير في الوصول إلى بغداد، وما اضاعه عبد السلام من وقت ثمين في محاولة اقتناع ياسين محمد رؤوف أمر الفوج الثاني، احدث بلبلة بين الضباط الأحرار، واراد البعض منهم التخلي عن الحركة والعودة إلى بغداد، الا ان عبد السلام أصر على المضي في المهمة مهما كلف الأمر، ووزع العتاد على القطعات العسكرية ثم تفرقت إلى اهدافها^(٤٦٠). فدخلت بغداد الساعة ٤، ٣٠ صباحا، أو حول ذلك^(٤٦١).

اندفع الفوج الثالث من اللواء (بقيادة العقيد الركن عبد السلام عارف) باتجاه الكرخ، حيث الاهداف الرئيسية. فاتجهت إحدى سرايا الفوج الثلاث إلى قصر الرحاب،

٤٥٧- يقول العزاوي بان جلال لم يكن من الضباط الاحرار، وانما جارى عبد السلام- وهم على ابواب بغداد- خضوعا للأمر الواقع. ويروي بانه قال في حينها: (هذا اشراح يعمل بينا المجنون) ويقصد بذلك عبد السلام. وقد نقل عبد اللطيف الدراجي ذلك إلى عبد السلام، الذي كان وراء تعيين جلال- في الايام الاولى للثورة- قائمقاما لزاخو، عقابا له. لكن عبد الكريم قاسم عينه فيما بعد وزيرا للزراعة (انظر العزاوي. المصدر السابق. ص ١١٤-١١٥).
٤٥٨- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٨٥.

٤٥٩- انظر العزاوي. المصدر السابق. ص ١١٤ و ١٢٤. وعبد الحميد. المصدر السابق. ص ٢١٧.
وحسين. المصدر السابق. ص ٩- ١٠.
٤٦٠- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٨٤.
٤٦١- بطاطو. المصدر السابق. ص ١١.

والثانية إلى بيت نوري السعيد. اما الثالثة والتي كان يقودها المقدم فاضل محمد علي فقد قامت بتطويق معسكر القوة السيارة المجاور لبناية الإذاعة والتلفزيون، والتي كانت تشكل خطراً شديداً على الثورة. استطاع المقدم فاضل تنفيذ مهمته بسهولة ودون إطلاق نار، فقد قام بتجريد افراد القوة السيارة من السلاح، ومنحهم اجازة للذهاب إلى بيوتهم^(٤٦٢). واصبح المقدم فاضل محمد علي - ومنذ الآن - امراً للفوج^(٤٦٣)، بدلاً من عبد السلام الذي اصبح نائباً للقائد العام للقوات المسلحة.

وقام مقر الفوج مع سرية اسناد، بقيادة العقيد الركن عبد السلام عارف نفسه، بالسيطرة على الإذاعة^(٤٦٤). وكانت الإذاعة مغلقة، فاضطر عبد السلام ان ينتظر ساعة كاملة، حتى يصل الموظف المختص ويفتحها. وقبل افتتاح الإذاعة - والتي اصبحت مقراً للثورة - اتخذ عبد السلام من مبنى جمعية الشبان المسلمين المجاور لها مقراً مؤقتاً له^(٤٦٥). وسيطر الفوج الثاني بقيادة قائده الجديد عادل جلال على منطقة الاعظمية والبلاط الملكي. أما الفوج الثالث بقيادة العقيد عبد اللطيف جاسم الدراجي فسيطر على وزارة الدفاع ودوائر البريد والبرق، والجسور التي تربط الرصافة بالكرخ، ومنطقة مدارس الشرطة. وانضمت كتيبة مدرعات فيصل - وكان مقرها معسكر الوشاش (حدائق الزوراء حالياً) - بقيادة العقيد عبد الرحمن عارف إلى الفوج الثالث في السيطرة على الكرخ - وذلك حسب رواية صبحي عبد الحميد^(٤٦٦).

٤٦٢- العزاوي. المصدر السابق. ص ١٢٩.

٤٦٣- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٩٩.

٤٦٤- العزاوي. المصدر السابق. ص ١١٤ (واظن ان سرية الاسناد المذكورة هنا هي نفسها السرية التي يقودها المقدم فاضل محمد علي والتي قامت في الوقت نفسه بالسيطرة على معسكرات القوة السيارة المجاورة للإذاعة).

٤٦٥- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٢٦٨ (رسالة محمد مجيد للمؤلف).

٤٦٦- المصدر السابق. ص ٩٩ (وانظر بخلاف ذلك رواية محسن حسين الحبيب في كتابه (ص ١٠٢) اذ يقول: (وقد سألت عبد الرحمن عارف وكانت ثكنة كتيبته (كتيبة المدرعات) قريبة من كتيبتي عن الموقف فأجاب بأنه لايعرف التفاصيل فسألته عن عبد السلام فقال انه في الاذاعة... الخ).

وفي الساعة السادسة اذاع عبد السلام عارف، البيان الأول للثورة من اذاعة بغداد^(٤٦٧). وعندها اندفع اللواء التاسع عشر بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم باتجاه بغداد. فطبقا للخطة التي اتفقا عليها، فان اللواء التاسع عشر لا يتحرك باتجاه بغداد الا بعد سماعه لصوت الثورة من الإذاعة^(٤٦٨).

وكان عبد الكريم قد هيا لواءه للقيام بتدريب ليلي - ليلة ١٢ / ١٤ تموز - باتجاه بعقوبة. فقد سبق ان قام هذا اللواء بعمليتي تدريب ليلي - في أواخر شهر حزيران - و بنفس الاتجاه. ووصل اللواء في المرتين السابقتين إلى مشارف بعقوبة. لكن عبد الكريم، وبوصفه آمر اللواء، ابدى انزعاجه من عدم قيام اللواء باجراء التمرين بشكل مرض، وعقابا لهم تقرر ان يقوم اللواء في غضون الأسبوعين اللاحقين (من ١ تموز إلى ١٥ منه) بإعادة التمرين نفسه. طالبا من الضباط كافة تدريب أفواجهم على الإكثار من المسيرات الليلية. كان ذلك في الاجتماع الذي اعقب التمرين، وامام جميع منتسبي اللواء، من ضباط وجنود. و لم يكن يعلم اغلب ضباط اللواء التاسع عشر - عدا بعض الضباط الصفار - شيئا عن الحركة^(٤٦٩).

ولما وصل اللواء إلى بعقوبة، وعلموا بالثورة من الإذاعة، خاف بعض الضباط واخذ بيدي شكوكه في نجاحها. بينما تحمس لها البعض الآخر. ومهما يكن من امر، فقد واصل اللواء التاسع عشر تقدمه نحو بغداد، فبلغها في حوالي الساعة العاشرة^(٤٧٠)، أو العاشرة والنصف^(٤٧١). بعد ان اتمت الثورة سيطرتها على مرافق الدولة كافة وانتهى كل شيء. فدخل عبد الكريم قاسم وزارة الدفاع^(٤٧٢). واتخذ منها - منذ ذلك الحين - مقرا له.

٤٦٧- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٩٩. (يروي بطاطو ان عبد السلام اذاع البيان الاول الساعة ٦،٣٠ واظن ان ذلك غير دقيق).

٤٦٨- المصدر السابق. ص ٩٥.

٤٦٩- العزاوي. المصدر السابق. ص ١١٥.

٤٧٠- المصدر السابق. ص ١١٧-١١٨.

٤٧١- العارف. المصدر السابق. ص ١٧٥.

٤٧٢- العزاوي. المصدر السابق. ص ١١٨.

دور اللجنة البديلة والضباط الأحرار:

كانت هناك - ليلة ١٢/١٤ تموز - مجموعتان من ضباط (اللجنة البديلة) مكلفتين بواجبات خطيرة، كاعتقال رئيس أركان الجيش و أمري كتائب الدبابات الثلاث، المراقبة في بغداد، والموالية للنظام الملكي، والسيطرة على معسكر الرشيد.

تجمعت المجموعة الأولى التي يقودها الرئيس أول الركن جاسم كاظم العزاوي، في معسكر الهندسة (الذي كان جزءا من معسكر الرشيد أو مجاورا له)، حوالي الساعة الواحدة صباحا^(٤٧٣). وتضم بالإضافة إلى العزاوي:

- الملازم أول احمد أبو الجبن (والذي لعب دورا أساسيا في تنفيذ المهام الموكلة للمجموعة)^(٤٧٤).

- الملازم أول حافظ خزل العباسي.

- الملازم أول عبد الرحمن حسن والملازم خير الدين احمد حمدي.

- الملازم تحسين عبد الحليم والملازم علاء كاظم الجنابي^(٤٧٥).

- الملازم إبراهيم حسن^(٤٧٦).

اما المجموعة الثانية فكانت في مدرسة الهندسة الآلية الكهربائية. ويقودها الرئيس

أول الركن عبد الستار عبد اللطيف، وتضم:

- المقدم الركن محمد مجيد. - محمد حسين المهداوي. - جميل صبري.

- كمال عباس الفضلي^(٤٧٧).

٤٧٣- المصدر السابق. ص ١١٨

٤٧٤- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٢٧٣ (رسالة محمد مجيد).

٤٧٥- المصدر السابق. ص ٩٦ (الهامش) (يبدو ان خير الدين احمد حمدي هو نفسه خيرى الدباغ الذي يتردد ذكره في مذكرات العزاوي).

٤٧٦- العزاوي. المصدر السابق. ص ١٥٠.

٤٧٧- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٩٧ (وقد ذكرهم باعتبارهم الذين قاموا بالسيطرة على المدرسة. بينما يروي العزاوي بان عبد الستار ومحمد مجيد بقيا لوحدهما وانضموا إلى مجموعته واظن ان روايته صحيحة (انظر مذكراته ص ١٤٣)).

كانت الإشارة المتفق عليها مع عبد السلام عارف، لقيام المجموعتين بالمهمات الموكلة لهما، هي وصول صندوق عتاد مع ضابط من اللواء العشرين، في حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل. ومرت الساعة الثانية والثالثة ولم يصل شيء^(٤٧٨).

والحقيقة ان موضوع صندوق العتاد (الإشارة) ملتبس جدا، وتدور حوله روايات متناقضة^(٤٧٩). وهناك رسالة من العزاوي إلى أحمد أبو الجبن^(٤٨٠) تؤكد استلام الصندوقين. لكن ثمة أسئلة تطرح نفسها: متى بالضبط وصل الصندوقان؟ فربما حصل ذلك بعد وصول اللواء العشرين إلى بغداد، ومن الذي اوصلهما؟ ولماذا تفرق الضباط اذا كانت الإشارة قد وصلت في الموعد المحدد فعلا؟

لاح الفجر وانبتق نور الصباح ولم يكن هناك ما يدل على الثورة، فتفرق الجميع ولم يبق احد منهم، ولكنهم شاهدوا عند عودتهم إلى بيوتهم اللواء العشرين وهو يسيطر على بغداد، فقرروا العودة إلى معسكر الرشيد، لتنفيذ ما يمكن تنفيذه من المهمات التي كانوا مكلفين بها^(٤٨١). ولحسن حظهم، كان النظام الملكي مهترئا وأيلاً للسقوط، فبالرغم من مضي الوقت، وعدم وجود العدد الكافي من الضباط، استطاعوا ان ينجزوا كل المهام الموكلة لهم.

٤٧٨- العزاوي. المصدر السابق. ص ١٤١.

٤٧٩- انظر مثلاً رواية محمد مجيد (عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٢٦٨ و ٢٧١). وانظر الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٨٥. يقول الزبيدي: (وصلت الاشارة المتفق عليها بالتنفيذ وهي وصول صناديق العتاد والتي استلمها ابراهيم جاسم التكريتي والملازم حردان عبد الغفار التكريتي من العقيد عبد اللطيف الدراجي آمر الفوج الاول). والغريب انه ينسب هذه الرواية إلى جاسم العزاوي (الذي أجرى معه مقابلة في ٥-٦-١٩٧٦). بينما يذكر جاسم العزاوي في مذكراته (ص ١٢٤) ان جاسم التكريتي وحردان التكريتي تخلفا ولم يلتحقا بواجبهما، ولم يظهر الا بعد منتصف نهار ١٤ تموز. وعلى أي حال لا يرد- في مذكرات العزاوي- أي شيء عن وصول الصندوقين او استلامهما. بل ان المرء يفهم من مذكراته انهما لم يصلا ابدا.

٤٨٠- حسين. المصدر السابق. ص ٥٢.

٤٨١- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٢٧٢ (رسالة محمد مجيد).

فقد تمكنت مجموعة جاسم كاظم العزاوي من السيطرة على معسكر الهندسة واعتقال رئيس أركان الجيش الفريق الركن رفيق عارف^(٤٨٢). وسيطر عبد الستار عبد اللطيف ومحمد مجيد بمن كان معهما على مدرسة الهندسة الآلية الكهربائية^(٤٨٣)، وعلى مدخل معسكر الرشيد، ومنعوا دخول الضباط غير المرغوب فيهم إلى المعسكر، وبخاصة أمري الوحدات واعتقلوا من أصر منهم على الدخول^(٤٨٤).

واسرع ضباط أحرار آخرون إلى اعتقال أمري كتائب الدبابات^(٤٨٥). وقام العقيد المهندس رجب عبد المجيد - عضو اللجنة العليا للضباط الأحرار والذي لم يبلغ بالثورة من قبل قاسم وعارف - بالاستعانة بمدرسة صنائع القوة الجوية ومعسكر الهندسة للسيطرة على المطار ومدخل منطقة تل محمد^(٤٨٦).

اما خارج بغداد، فلم يحدث شيء يستحق الذكر، سوى تمرد اللواء الركن عمر علي قائد الفرقة الأولى، والذي اراد التحرك نحو بغداد لقمع الثورة. فاتصل بأمر اللواء الأول

٤٨٢- المصدر السابق. ص ٩٦ (الهامش). (الحقيقة ان هناك ثلاث روايات- على الاقل- عن اعتقال رئيس الاركان. انظر رواية الملازم آنذاك علاء كاظم الجنابي (في الذاكرة التاريخية (مصدر سابق) ص ٧٩- ٨١) ورد جاسم العزاوي على هذه الرواية في مذكراته ص ١٤٩. وهناك رواية الملازم اول آنذاك عبد الحافظ خزعل العباسي، التي يقول فيها بانه هو الذي قاد عملية اعتقال رئيس الاركان (انظر حسين. المصدر السابق. الجزء السادس. ص ٣٨٨- ٣٨٩). اما الرواية الثالثة فهي رواية الرئيس الاول الركن آنذاك جاسم العزاوي، والتي يقول فيها بانه هو الذي قاد عملية اعتقال رئيس الاركان بنفسه، وان الملازم اول احمد ابو الجبن والملازم اول حافظ خزعل العباسي والملازم علاء كاظم الجنابي كانوا تحت امرته (العزاوي. المصدر السابق. ص ١٤٤- ١٤٩)).

٤٨٣- وذلك حسب رواية عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٩٧. اما العزاوي- وكما اشرت في هامش سابق- فله رواية اخرى، اكرر القول هنا انها تبدو الادق.

٤٨٤- العزاوي. المصدر السابق. ص ١٤٤.

٤٨٥- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٧٠ (من اولئك الضباط كان سعيد صيلبي، محمد جواد الصالح، نعيم عبد النبي، صالح هادي الراوي).

٤٨٦- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٢٧٣ (رسالة محمد مجيد)

في المسيب، العميد الركن وفيق عارف - شقيق رئيس الأركان- وبأمر حامية البصرة الزعيم الركن ناجي طالب وحثهما على التحرك لسحق الثورة^(٤٨٧).

ظل الزعيم الركن وفيق عارف - برغم صدور قرار قيادة الثورة بأحاطته على التقاعد - مسيطرا على اللواء وتأخر الضباط الأحرار باللواء في اعتقاله^(٤٨٨). ثم قام الرئيس الأول عبد الجبار عبد الكريم، وبشجاعة نادرة واقدام مميز، يساعد الملازم الأول طارق عباس الفضلي، وضباط آخرون، باعتقاله وهيئة ركنه، واصبح العقيد فاضل عباس المهداوي أمرا اللواء^(٤٨٩).

ان ما قام به اللواء عمر علي يدل على حماقة الرجل. فهل كان الجيش مستعدا ان يقاتل، مع اللواء عمر علي أو غيره، دفاعا عن النظام الملكي، خاصة بعد مقتل العائلة المالكة وسيطرة الثوار على بغداد وخروج الجماهير إلى الشوارع؟ وما يؤكد حماقة الرجل، انه سرعان ما صدق بعد ساعات من ذلك أقوال معسولة ووعود غامضة، إذ أن عبد الكريم قاسم اتصل به هاتفيا يطلب حضوره إلى بغداد لاستشارته ببعض الأمور، قائلا له ان جميع قادة الفرق موجودون معه في بغداد. ولتأكيد ذلك طلب منه التحدث مع كل من اللواء الركن طارق سعيد واللواء الركن مزهر الشاوي^(٤٩٠).

وفي رواية أخرى - ربما كانت متممة للاولى - ان مزهر الشاوي اقتنع عمر علي - وهو يحدثه بالتلفون - بان الأمر استتب في بغداد للثورة، وان العائلة المالكة لاقت حتفها، وطلب منه الحضور إلى بغداد، للتداول في تشكيل مجلس الثورة، فانطلت عليه الخدعة،

٤٨٧- الزبيدي. المصدر السابق. ص ٢٠٠.

٤٨٨- يقول العزاوي(ص١٥٣): (ان أمر اللواء الذي عينته الثورة اعتراه الجبن فلم يتسلم مقاليد اللواء) ويقصد عبد الجبار يونس ويضيف: (كذلك جبن المهداوي وتخاذل وانهار ولم يستطع القيام بشيء). وبخلاف ذلك عن المهداوي يقول عبد الحميد: (واختار الضباط الاحرار العقيد فاضل المهداوي امرا له وكان أمر سرية الحراسة ولكن امراء الافواج تخاذلوا فاصبح هو الضابط الاقدم (هامش ص١٩١ من كتابه)).

٤٨٩- العزاوي. المصدر السابق. ص ١٥٣.

٤٩٠- المصدر السابق. ص ١٥٣.

وجاء إلى بغداد، حيث جرى اعتقاله^(٤٩١). وكان موقف الضباط الأحرار في الفرقة الأولى سلبيا، ولم يقيم الزعيم الركن محمود شيت خطاب أمر مدفعية الفرقة - وأعلى ضباط الفرقة رتبة - بأي عمل، بل دخل غرفته وعزل نفسه.

أما في الموصل، فقد أعلن الزعيم الركن ناظم الطبقجلي، أمر اللواء الخامس، عن تأييده للثورة، في حين كان الزعيم الركن عبد العزيز العقيلي، أمر لواء المشاة الرابع، مترددا ولم يبد أي فعالية إيجابية إلا في اليوم الثاني للثورة. وأعلن العقيد الركن خليل سعيد أمر لواء المشاة الثالث في أربيل، والمقدم الركن صبيح علي غالب أحد ضباط ركن الفرقة الثانية في كركوك تأييدهما للثورة منذ اللحظات الأولى.

ولم يبلغ أحد من الضباط الأحرار في القوة الجوية بالثورة، بل سمعوا بها من المذيع. فقام المقدم الركن عارف عبد الرزاق والرئيس الأول الركن الطيار كمال العزاوي، بالسيطرة على معسكر الحبانية بمساعدة الطيارين الشباب. وبعد ساعتين من إعلان الثورة، كانت الطائرات العراقية تحلق فوق بغداد تأييدا للثورة^(٤٩٢).

الهجوم على قصر الرحاب:

في الساعة الرابعة من صباح يوم ١٤ تموز، وفي قرية الحسينية التي استراح عندها اللواء العشرون، أرسل العقيد الركن عبد السلام عارف أمر الفوج الثالث، على الرئيس (النقيب) منذر سليم أمر إحدى سرايا الفوج، وابلغه بحضور عدد من ضباط (اللجنة البديلة)، والذين كان بينهم الملازم الأول عبد الله مجيد، بالامر التالي:

(يا منذر إن الثورة ستعلن في هذا اليوم عند دخولنا بغداد، وسيكون هدفك قصر الرحاب وستكون بامرتك كذلك سرية الرئيس (النقيب) عبد الجواد حميد الصايغ^(٤٩٣))

٤٩١- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٠١-١٠٢.

٤٩٢- العزاوي. المصدر السابق. ص ١٥٥.

٤٩٣- قتل في ثورة الشواف في الموصل - آذار ١٩٥٩ - حيث أطلق الشيوعيون النار عليه بعد اعتقاله (حسين. المصدر السابق. ص ١٢ الهامش)

من الفوج الثاني الذي يقوده العقيد الركن ياسين محمد رؤوف الذي اعتقل الان لرفضه الاشتراك بالثورة، وسيكون دليلك إلى هدفك (قصر الرحاب) الملازم عبد الله مجيد أمر مفرزة تصليح الفوج الأول الحرس الملكي وسيزودك بالمعلومات الأخرى^(٤٩٤).

انطلق منذر سليم إلى هدفه، وكان معه في السيارة كل من الرئيس عبد الجواد حميد والدليل عبد الله مجيد الذي جاء بملابسه المدنية، تتبعهما سيارة عبد الله مجيد المدنية يقودها الملازم أول منعم عزيز^(٤٩٥) - أحد ضباط الحرس الملكي ايضاً - وكان يغطي وجهه بكوفيه^(٤٩٦). يقول منذر سليم:

(في الحقيقة لم يسبق لي ان عملت في بغداد ولم اكن اعرف طبيعة الحرس الملكي ونقاط التفتيش وقصر الرحاب. كنت معتمدا على عبد الله مجيد)^(٤٩٧).

لكن عبد الله مجيد - الذي كان مرتبكا حسب رواية منذر - قال له عند وصولهم إلى تل محمد، أنه سيسبقهم إلى جانب الكرخ لترك سيارته الخاصة في البيت، ثم يلتقي بهم في ساحة المتحف. يقول منذر سليم:

(فذهب وذهب معه منعم عزيز ولم أرهما بعد ذلك الا بعد نجاح الثورة وبقيت بدون دليل يرشدني إلى مداخل القصر ونقاط حرسه)^(٤٩٨).

بعد ظهر يوم ١٤ تموز، جاء الملازم أول عبد الله مجيد إلى غرفة مساعد أمر فوج الحرس الملكي وسأله عن ضباط الفوج هل جاؤوا كلهم من بيوتهم؟ لم يجبه مساعد أمر الفوج الذي هو أعلى منه رتبة ومنصبا، بل كان مندهشا من سؤاله. لكن دهشته تبددت حين رفع عبد الله مجيد سماعة التلفون، وراح يملي بلهجة أمرة على من تكلم معه، اسماء ضباط من الحرس الملكي، طالبا احالتهم على التقاعد، وإذاعة أسمائهم من الراديو، بأمر من العقيد عبد السلام. وفعلا اذيع أمر احالتهم على التقاعد في مساء

٤٩٤- حسين، المصدر السابق. ص٩ (رواية منذر سليم).

٤٩٥- انظر المصدر السابق. ص١٠.

٤٩٦- عبد الحميد. المصدر السابق. ص١٠٨ (رواية منذر سليم).

٤٩٧- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص٨٥.

٤٩٨- عبد الحميد. المصدر السابق. ص١٠٨ - ١١٠ (رواية منذر سليم).

اليوم نفسه (يوم ١٤ تموز). واخذ عبد الله مجيد^(٤٩٩) يخرج ويأتي متى شاء مستصحبا معه الرئيس منعم عزيز، ثم التحقا كمرافقين بالعقيد عبد السلام عارف وانقطعا نهائيا عن الفوج^(٥٠٠).

ولنعد الان إلى منذر سليم وعبد الجواد حميد اللذين انتظرا وسريتهما، عبد الله مجيد وصاحبه منعم عزيز، في ساحة المتحف، وكانت الساعة تشير إلى الخامسة والثلاث صباحا. فلما يؤسأ توجهها إلى الهدف، إلى قصر الرحاب^(٥٠١).

كان عدد جنود سريتي (منذرو عبد الجواد) معا، ١٦٠ جنديا، أي ما يعادل عدد جنود سرية واحدة في ملاكها الاصلي. اذ كان النقص في عدد الجنود- في ذلك الوقت- عاما في الجيش العراقي^(٥٠٢). وكانت اوضاع القوة المهاجمة، مزرية في كل جوانبها. فلم يكن لدى كل جندي سوى ٣٠ طلقة فقط، واجهزة الاتصال (المخابرة) عاطلة^(٥٠٣). وامراء الفصائل، كانوا ضباط صف، ولم يكونوا ضباطا من خريجي الكلية العسكرية. والطريف ان احد امراء الفصائل، وهو نائب ضابط جون، كان نائما ولا يدري بما يجري حوله. وقد اوكل منذر سليم، قيادة فصيله إلى رئيس عرفاء السرية قاسم داخل^(٥٠٤).

اما قوات الحرس الملكي، فكانت تفوق القوة المهاجمة التي كان يقودها منذر سليم، عددا وعدة، بما لا سبيل إلى مقارنته^(٥٠٥). ولكن كانت تعوزها ارادة القتال، وقائد عسكري

٤٩٩- كان احد ضباط فوج عبد السلام، وقد كسبه عبد السلام للضباط الاحرار عام ١٩٥٧ ثم نقل إلى فوج الحرس الملكي (حسين. المصدر السابق. ص ١١ الهامش) وقد مات مجيد مع عبد السلام في حادث الطائرة المشهور.

٥٠٠- حسين. المصدر السابق. ص ٧١.

٥٠١- المصدر السابق. ص ١٠.

٥٠٢- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١١٠ (رواية منذر سليم).

٥٠٣- حسين. المصدر السابق. ص ١١ (رواية منذر سليم)، اما عبد الجواد حميد فيقول انه وزع ٣ اطلاقات فقط لكل جندي في سريته (أنظر نفس المصدر، ص ٥٤).

٥٠٤- المصدر السابق. ص ١١.

٥٠٥- أنظر المصدر السابق. ص ٢٩.

شجاع. فضلا عن انها لاتملك خطة عسكرية لمواجهة مثل هذه الاحوال^(٥٠٦). فما الذي يدفع ضباط أو جنود الحرس الملكي للدفاع عن نظام كرية آيل للسقوط؟ اصف الى ذلك ان الملك أو ولي العهد، لم يكرما - يوما ما - احدا من الحرس الملكي، مهما كان نشيطا او متحمسا. وعندما كان الامير عبد الاله يفتش بعض نقاط الحراسة في قصر الرحاب ليلا، ويرى احد الحراس قائما بواجباته جيدا أو ملابسه العسكرية جيدة، يطلب تشجيعه ومكافأته. والغريب الا يقوم عبد الاله بمكافأة الجندي مباشرة. وانما يقوم مرافقه في الصباح التالي بالاتصال بأمر الحرس طالبا اليه مكافأة ذلك الجندي مكافأة نقدية. وحين يسأل الأمر مرافق الوصي: من أين يأتي بالنقود؟ يرد عليه المرافق: من واردات الحانوت. فيرد عليه الأمر: هل يوافق الأمير ولي العهد ان اتلاعب باموال الحانوت؟ فيرد المرافق: لا ولكن تقدر ان تأخذ من واردات الحانوت بأسلوب معين وتجري التسوية في السجلات. فيرفض الأمر ذلك، وينتهي الأمر فقط بمنح الجندي إجازة. وبالتالي فان هدية عبد الإله للجندي لا تزيد عن قوله له: انك حارس جيد^(٥٠٧).

على أي حال وكما لحظة جديرة بالانتباه عن الانقلابات العراقية، ان القوات المكلفة بحماية السلطة العليا، وفي كل مرة تأخذ فيها حالة الدفاع ولا تبادر إلى الهجوم، فان الغلبة تكون للانقلابيين. حدث هذا في ١٤ تموز ١٩٥٨ وفي ٨ شباط ١٩٦٣ وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وفي ١٧ تموز ١٩٦٨. مع الإشارة إلى خصوصية الانقلاب الأخير والذي خان فيه قادة الحرس الجمهوري رئيسهم. اما في المرات التي تبادر فيها القوات المدافعة عن النظام إلى الهجوم على الانقلابيين، فان الغلبة تكون لها. كما حصل في حركة الشواف في ٨ آذار ١٩٥٩، وحركة حسن سريع في ٣ تموز ١٩٦٣، وحركة عارف عبد الرزاق في ٣٠ حزيران ١٩٦٦.

عندما وصلت القوة المهاجمة، قصر الأميرة راجحة المجاور لقصر الرحاب، اصدر منذر سليم الأوامر بالتوقف، وجمع أمري الفصائل (وهم كما قلنا ضباط صف)،

٥٠٦- المصدر السابق. ص ٢٨-٢٩.

٥٠٧- المصدر السابق. ص ٢٩-٣٠ (الهامش) (الرواية لأمر الحرس الملكي طه البامرني).

واخبرهم ولأول مرة بالثورة وبالمهمة المكلفين بها. كانت الساعة آنذاك تشير إلى الخامسة والنصف. ولما كان منذر سليم وعبد الجواد حميد لا يعرفان نقاط حراسة الحرس الملكي ولا المنافذ إلى قصر الرحاب ولا الطرق المؤدية إلى داخله. أي أنهم يجهلون كل شيء. قررا تطويق القصرين الملكيين المتجاورين (راجحة والرحاب)^(٥٠٨). واتخذوا مقرهما أمام قصر راجحة. وفي هذه اللحظة التحقت بهم مفرزة الهاون ٣ عقدة مع سيارة عتاد الهاون - وكانت قد تعطلت أمام دار الاذاعة بالصالحية - بقيادة الملازم يونس حميد نصرت. الآن نحن أمام صورتين. الاولى من داخل قصر الرحاب، وتقدمها لنا روايتا هيام زوجة عبد الإله وطه البامرني قائد الحرس الملكي للأحداث. اما الصورة الثانية، فهي من خارج قصر الرحاب. وتقدمها لنا روايتا منذر سليم وعبد الجواد حميد، واللتان - واقصد روايتي منذر وعبد الجواد - ستكونان - من الآن - متناقضتين، إلى الحد الذي لا يمكن الجمع بينهما. وسيضطر الباحث بعد تدقيق قليل ان يتخلى عن رواية منذر سليم لما يجري بعد الان حول ودخل قصر الرحاب.

يبدو ان الأمير عبد الإله قد علم بقيام اللواء العشرين بالثورة، قبل وصول القوة المكلفة بالهجوم على قصر الرحاب بفترة ليست قصيرة. تقول الأميرة هيام: حوالي الساعة الخامسة صباحاً رن التلفون في غرفتنا (الأمير عبد الإله وأنا) .. واخذ الأمير يتكلم مع ضابط، فلاحظت ان الأمير ارتبك، واصفر وجهه، وجلس على كرسي وأخذ يدخن. ثم رد على الضابط: سأصل وأرى ماذا يجب ان نعمل. سألته - والكلام للأميرة هيام - ماذا حدث؟ فصاح بأعلى صوته علي وقال: انقلاب. وتضيف الأميرة هيام قائلة: نظرت من الشباك لم أجد أحداً يتقدم نحونا. واستمر الأمير عبد الإله يدخل السيارة تلو السيارة. ثم ذهب إلى اخته الكبيرة الأميرة عابدية، واخذ يكملها بالتركية، وحدث جدل بينهما... الخ^(٥٠٩).

وهكذا اضاع الأمير عبد الإله وقتاً ثميناً، في تدخين السجائر ثم الجدل مع شقيقته.

٥٠٨- المصدر السابق. ص ١١-١٢ (رواية منذر سليم).

٥٠٩- المصدر السابق. ص ٨٥-٨٧.

ومرت دقائق ودقائق أو حتى ربما ساعة من الوقت، ولما يُصدر امرا لقوات الحرس الملكي، أو يقيم بأية خطوة. كان بإمكانه ان يفعل الكثير. لكنه بدا مستسلما لقدره.

لا ندري من هو الضابط الذي ابلى عبد الإله بالثورة. ربما كان قائد الحرس الملكي نفسه، والذي عرف بالثورة لأول مرة، حينما كان يحلق ذقته، اذ اتصل به اكثر من ضابط من ضباط الحرس الملكي، يبلغونه بان قوات من اللواء العشرين، منعته من عبور الجسر الحديدي، وهم في طريقهم للالتحاق بعملهم في قصر الرحاب. فاستدعى أمر الحرس الملكي، ضباطه من بيوتهم، فالتحق منهم عشرة بعملهم - وكانت الساعة تشير إلى الخامسة والنصف - وتم توزيع السلاح والعتاد على قوات الحرس الملكي، ثم اخذت القوات مواقعها. وتم كل ذلك قبل وصول القوات المهاجمة إلى قصر الرحاب^(٥١٠). كانت القوة المهاجمة قد وصلت إلى قصر الرحاب في حوالي الساعة السادسة، واخذت مواقعها بالقرب من قصر الرحاب وحوله بانتظار الهجوم عليه^(٥١١).

يقول الرئيس عبد الجواد:

(لما دخلنا بغداد وطلبت من الرئيس الأول منذر تسليمي العتاد اخبرني بان سيارة العتاد مفقودة وربما تكون اخطأت الطريق وخرجت عن الرتل، واعلمني انه مضطر للذهاب إلى مبنى الاذاعة لاستلام عتاد من العقيد عبد السلام الموجود مقره هناك. الأمر الذي اوقعني في حرج ونحن على ابواب وصولنا إلى منطقة الواجب)^(٥١٢).

٥١٠- المصدر السابق. ص ١٨-١٩.

٥١١- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٨٥-١٨٦ (هناك روايات متعددة حول ساعة وصول القوة المهاجمة إلى منطقة قصة الرحاب. ولكن بعد تدقيق الروايات المختلفة، ترجحت عندي الرواية المذكورة اعلاه).

٥١٢- حسين. المصدر السابق. ص ٥٣ وبخلاف ذلك يروي منذر سليم انه لم يذهب إلى الاذاعة الا بعد ان انتهى الموقف في قصر الرحاب. وانه اتصل بعبد السلام مخبرا اياه بما حصل، فطلب منه الحضور إلى الاذاعة لسرد التفصيلات (المصدر نفسه. ص ١٥). واظن ان منذر سليم لم يذهب إلى الاذاعة لحظة وصولهم قصر الرحاب، وانما ذهب بعد تبادل اطلاق النار مع الحرس الملكي، ونفاد عتاد القوة المهاجمة. وايا كان الامر فان ذهابه - وهو قائد القوة - كان خطأ فادحا.

يصف الرئيس (اللواء فيما بعد) سامي مجيد مصطفى - أحد ضباط مدرسة المشاة، الذين انضموا إلى القوة المهاجمة وحسموا الأمر - اوضاع القوة المهاجمة قائلاً:

(ان انتشارها لانجاز واجب احتلال القصر كان هزيلا وناقصا ومخطوءا.. يدل على ذلك وقوف سيارات لوري القوة على الشارع بمواجهة قصر الرحاب وترجل الجنود وانبطاحهم على الارضية المقابلة لسور القصر ضمن نطاق ومرمى اسلحة قوة حراسة القصر. (كذلك) عدم ارسال اية مفاوز لمحاصرة كافة جوانب القصر ورحبة عجلاته أو مسك النقاط الحيوية في المنطقة... لذلك كان القصر حرا من جوانبه الثلاثة..).

ويقول أيضا:

(كان بإمكان العقيد البامرني ان يغير الاحداث تماما لصالح النظام الملكي القائم آنذاك لو تصرف بما كان يمليه عليه واجبه كقائد عسكري) ويخلص إلى القول: (اجزم بأنه لو كان قد اتخذ اية اجراءات عسكرية ايجابية خلال نصف الساعة الأولى من إذاعة البيان الأول للثورة لاستطاع تغيير الموقف بشكل جذري لغير صالح الثورة)^(٥١٣).

ويؤكد قائد الحرس الملكي هذا الأمر قائلاً:

(لو كان هناك مقاومة من قوات الحرس الملكي التي مواضعها محصنة ومخفية ضد السرية المتقدمة وقد وقف معظم مراتبها وجنودها على الشارع العام أو امتد على رصيف الشارع مكشوفين للخطر ومعرضين للنار لا يحميهم أي ستر لأبيدت القوة المتقدمة عن بكرة أبيها أو وقع معظم افرادها بالاسر أو عادوا من حيث أتوا)^(٥١٤).
لقد كمل موقف طه البامرني المتخاذل، موقف الأمير عبد الإله الخائر، فبدت الأمور - في معركة السيطرة على قصر الرحاب - محسومة، حتى قبل ان يبدأ إطلاق النار بين الجانبين.

٥١٣- المصدر السابق. ص ٦٠- ٥٨.

٥١٤- المصدر السابق. ص ٢٥.

ارسل الأمير عبد الإله على قائد الحرس. وكانت علامات الخوف والتعب بادية على الأمير - حسب رواية قائد الحرس - اما الملك فيصل الثاني فكان رابط الجأش ومبتسما. وامر الأمير قائده بالتهيؤ والاستعداد إلى ان تحضر القوات الموالية للنظام الملكي. وامره كذلك بجلب بقية الفوج (فوج الحرس الملكي) للقصر بسرعة. كما امره بعدم اعطاء الأوامر بفتح النار الا بأمر من الأمير نفسه. وادى له البامرني آخر تحية عسكرية سيؤديها له وخرج^(٥١٥).

لا مزيد من تعليق على موقف الأمير واوامره سوى القول ان الرجل كان خائرا لا يقوى على فعل شيء. في هذه الاثناء حاول عبد الإله الاتصال بنوري السعيد وبرئيس اركان الجيش وبوزير الداخلية وبمدير الامن العام. لكن الهاتف كان يرن في بيوتهم أو مكاتبهم دون جواب^(٥١٦).

وكلم الرئيس عبد الرحمن محمد صالح آمر حرس قصر الرحاب، القوة المهاجمة - ربما بأمر من الأمير عبد الإله - مستفسرا عن الأمر. فقال له منذر سليم قائد القوة المهاجمة:

(ان الجيش قام بثورة ضد نظام الحكم وانتم الان محاصرون من جميع الجهات، ونحن لانريد فتح النار حتى لا تزهق ارواح بريئة، ولا فائدة من كل مقاومة، لذلك اطلب منك الذهاب إلى القصر واخبار الملك والأمير عبد الإله بالاستسلام والخروج من القصر لا ذهب بهم إلى مقر الثورة)^(٥١٧).

ذهب عبد الرحمن ولم يرجع. وحتى هذه اللحظة لم تطلق رصاصة واحدة من الجانبين^(٥١٨). ولكن بعد انتظار قلق، وحوالي السادسة والربع، بدأ اطلاق النار. ويبدو

٥١٥- المصدر السابق. ص ٢٠ (رواية آمر الحرس الملكي).

٥١٦- الف باء. العدد ٥١٢، ص ٩- ١٠ (نقلا عن عبد القادر. المصدر السابق. ص ٢٠٥).

٥١٧- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١١٠ (رواية منذر سليم).

٥١٨- حسين. المصدر السابق. ص ١٢ (رواية منذر سليم ايضا).

ان القوة المهاجمة هي التي رمت قصر الرحاب بينادقها^(٥١٩).

وبعد فترة قصيرة بدا الوضع أمام منذر سليم والقوة المهاجمة حرجا، بسبب نقص العتاد. فذهب منذر - في هذا الوقت كما يبدو - إلى عبد السلام في دار الاذاعة^(٥٢٠) ويصف أمر الحرس الملكي العقيد طه البامرني، حالة القوة المهاجمة قائلاً:
(كانت معنويات السرية منهارة والمراتب عطاشى فسقيتهم ماء بواسطة جنود الحرس)^(٥٢١).

ويضيف قائلاً:

(كان بإمكانني ان اجمع جنود السرية المهاجمة (الثائرة) وادخلهم إلى ساحة قصر الرحاب واقول للأمير عبد الإله هؤلاء الجنود هم الثائرون وهم الذين تقدموا نحو قصر ك اما ضباطهم فقد تركوهم لجلب العتاد لهم كما يدعي ضباطهم)^(٥٢٢).

٥١٩- انظر الزبيدي. المصدر السابق. ص ٦٨١. في شهادته في ندوة الذاكرة التاريخية لثورة ٤١ تموز، تحدث منذر سليم- قائد القوة المهاجمة- بأنه هو الذي بدأ الرمي. فهو يقول مانصه: (في هذه الاثناء رميت عدة اطلاقات.. والاطلاقات كان اتجاهها غرفة العرش. وفتح جنودنا النار واحتمد الرمي) (الذاكرة التاريخية. ص ٧٨). اما في شهادته المنشورة في موسوعة ٤١ تموز (ج ٧ ص ٢١) فيقول مانصه: (سمعت اصوات اطلاقات ترمى من شرفة القصر العليا (غرفة حرس العرش) فما كان من جنودي الا وردوا على الرمي بالمثل وفتحوا نيرانهم.. الخ). ان منذر سليم اطلق في مناسبات مختلفة شهادات متناقضة. والحقيقة انه ليس الوحيد في ذلك، فقد فعل الامر نفسه طه البامرني قائد الحرس الملكي واغلب الضباط الاحرار. حتى ان بعضهم كرر روايات غيره، ونسب احداثها لنفسه. ولا ندري في الحقيقة من هو البطل ومن هو سارق الدور (انظر على سبيل المثال روايتي محمد مجيد وجاسم العزاوي عن ملاقاتهم اللواء العشرين ورؤيتهم للرئيس حميد الموالى (الذاكرة ص ٩٦ والعزاوي ص ٢٤١)) وانظر ايضا روايتي علاء الجنابي وجاسم العزاوي عن اعتقال رئيس الركان (الذاكرة ص ٠٨ والعزاوي ص ٤٤١-٩٤١).

٥٢٠- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١١٠.

٥٢١- المصدر السابق. ص ١١٤ (رسالة البامرني إلى المؤلف).

٥٢٢- حسين. المصدر السابق. ص ٢٦.

ويؤكد هذا الحال، ضابط من مدرسة المشاة، انضم وآخرون منها إلى القوة المهاجمة.
يقول حميد السراج:

(وفي هذه الاثناء شاهدت عبد الجواد حامد (حميد) فسألته عن السرية.. قلت:
أين الآمر؟ فأجاب: لقد ذهب إلى عبد السلام عارف في دار الاذاعة بعد ان أوشك
العتاد على النفاذ. قلت له: وكيف يترك أمر السرية قوته المكلفة بتنفيذ الواجب؟)
ويضيف السراج: (ثم طلبت من المرحوم عبد الجواد التعاون معنا في اقتحام القصر
وجمع ما تبقى من جنود سريته الذين هرب معظمهم بتأثير رمي الحرس الملكي
لكن عبد الجواد حامد تركني وانصرف)^(٥٢٣).

ان الهجوم على قصر الرحاب، من الان فصاعدا، سيكون قصة ضباط وضباط صف
مدرسة المشاة، الذين تدخلوا وحسموا الأمر هناك.
ولنقف قليلا عند الأميرة بديعة شقيقة الأمير عبد الإله، والتي تسكن مع زوجها
وأطفالها في بيتهم بالمنصور، وكانوا قد آووا إلى فراشهم على أمل ان يستيقظوا مبكرا،
ليسافروا مع الملك وبقية نساء العائلة المالكة إلى أنقرة - وكان السفر مقررا في الساعة
الثامنة صباحا - ثم إلى لندن للتجهيز لعرس الملك فيصل.

استيقظت الأميرة بديعة على أصوات رمي، اخذ بعد قليل يتزايد، وبدا بوضوح انها
تأتي من قصر الرحاب. فاتصلت بالقصر فكان الخط مشغولا^(٥٢٤). ثم تمكنت من
الاتصال بامها الملكة نفيسة في قصر الرحاب. لم تعرف من امها شيئا، فقد اختنقت
الام بعبراتها. لكن الملك فيصل الثاني، اتصل بعد قليل بخالته. كان رابط الجأش عندما
سألته: (ماذا يحصل عندكم؟) فرد عليها: (هل تريد حرسا). فلما ردت عليه بالنفي،
قال لها: (طيب.. افتحي المذيع اذن وستعرفين ما حصل)^(٥٢٥).

٥٢٣- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٣٤٧.

٥٢٤- وريثة العروش. المصدر السابق. ص ٢١٢-٢١٣.

٥٢٥- المصدر السابق. ص ٢١٣-٢١٤.

تجمع كل الشهادات بان الملك فيصل كان ثابت الجنان^(٥٢٦). ويقال انه بعد إذاعة بيانات الثورة، خرج من غرفته في القصر، وكان يحمل بيده راديو يستمع إلى الاذاعة، وقال لعبد الإله: خالو يظهر من الاذاعة انه حتى ناجي طالب معهم اذ اذاعوا اسمه وزيرا. فلم يجب عبد الإله بشيء^(٥٢٧).

كان الرئيس عبد الستار سبع العبوسي، أمر دورة تدريب المشاة الأساسية في مدرسة المشاة^(٥٢٨)، وضباط آخرون من المدرسة، قد علموا قبل قليل بوقوع الثورة. فلما سمعوا أصوات الرمي من ناحية قصر الرحاب، وبعد دقائق من الحيرة، اقترح العبوسي أن يذهب والرئيس محمد علي سعيد - بالسيارة - لاستطلاع الموقف في قصر الرحاب القريب منهم. ذهب العبوسي وصاحبه ثم عادا بسرعة. وقال لزملائه الضباط بان موقف القوة المهاجمة ضعيف، ولا بد من المشاركة الفورية لتعزيز الموقف لصالح الثورة. ثم توجه إلى مستودع العتاد، وكسر بابه، واخذ منه كمية من العتاد الخفيف، ومدفع ١٠٦ ملم المضاد للدبابات، ومعه أربع قنابل، وعاد إلى منطقة قصر الرحاب، بعد ان طلب من الرئيس سامي مجيد مصطفى، ان يجهز ضباط الصف من منتسبي المدرسة - والذي كان عددهم يربو على المائة - بالعتاد، ويرسلهم باية سيارة متوفرة إلى قصر الرحاب بأسرع وقت^(٥٢٩).

أطلق العبوسي القذيفة الأولى من مدفعه (١٠٦) ملم المضاد للدبابات، فاشعلت النار في الطابق العلوي من قصر الرحاب^(٥٣٠). فاضطرت العائلة المالكة ان تهبط إلى سراديب القصر. اما الأمير عبد الإله فقد اصطحب معه مرافقه العسكري، وصعد إلى الطابق العلوي، حيث اجتاز النيران، ودخل إلى غرفته وفتح خزائنه الخاصة واخذ مبلغا من

٥٢٦- انظر حسين. المصدر السابق. ص٦٢ (شهادة المقدم محمد شيخ لطيف ضابط استخبارات الحرس الملكي).

٥٢٧- المصدر السابق. ص٦٢.

٥٢٨- الجعفري. المصدر السابق. ص١٥٩ (تقرير العبوسي عن الهجوم على قصر الرحاب).

٥٢٩- حسين، المصدر السابق. ص٤١ (شهادة سامي مجيد).

٥٣٠- العارف. المصدر السابق. ص١٧٣.

النقود وبعض الحاجات الضرورية، ونزل إلى الطابق الأرضي^(٥٣١). واستمر العبوسي فاطلق قذيفتين من مدفعه المضاد للدبابات^(٥٣٢). وفي هذه الاثناء وصلت مدرعتان - من كتيبة مدرعات فيصل التي يقودها العقيد عبد الرحمن عارف - وشوهد المقدم مصطفى العمري والملازم الاحتياط محمد جواد غصبيه، وهما من ضباط الكتيبة^(٥٣٣). وانهاled الرصاص على قصر الرحاب^(٥٣٤). كان التلفون^(٥٣٥) يرن في قصر الرحاب بدون هوادة. فقد اتصل كافة الوزراء، وشخصيات كثيرة، وكانوا يسألون عما يجري، فيرد عليهم الرئيس هاشم الحاج كمال، مساعد آمر الحرس الملكي، بأنه أيضا لا يدري^(٥٣٦). ثم خرج آمر الحرس الملكي العقيد طه البامرني مستسلما، وهو يحمل قطعة قماش بيضاء. كان في حالة غير طبيعية من الخوف، حتى انه اخذ يخاطب الضباط الثائرين، وهم اقل منه رتبة بكثير، بكلمة (سيدي)^(٥٣٧). ولطه البامرني روايته لما جرى. فهو يقول انه انضم عن قناعة للضباط الثائرين، بعد ان عرف هوية الثورة وقيادتها^(٥٣٨).

-
- ٥٣١- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٨٧.
- ٥٣٢- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١١١ (تقرير العبوسي عن الهجوم على قصر الرحاب).
- ٥٣٣- انظر حسين. المصدر السابق. ص ٢٢ (لم يرد في هذه الرواية ولا في اغلب الروايات ان عبد الرحمن عارف كان حاضرا).
- ٥٣٤- انظر حسين. المصدر السابق. ص ٢٢ (لم يرد في هذه الرواية ولا في اغلب الروايات ان عبد الرحمن عارف كان حاضرا).
- ٥٣٥- ان عدم قطع التفونات عن قصر الرحاب هو احد اخطاء القوة المهاجمة والذي كان يمكن ان يكون قاتلا.
- ٥٣٦- المصدر السابق. ص ٦٨ (شهادة الرئيس هاشم الحاج كمال مساعد آمر الفوج الحرس الملكي).
- ٥٣٧- انظر المصدر السابق. ص ٤٢ - ٤٣ وانظر أيضاً ص ٥٨ و ص ٦٥.
- ٥٣٨- المصدر السابق. ص ٢١ - ٢٢ (وقد عين البامرني بعد الثورة أمراً للمقاومة الشعبية التي هيمن عليها الحزب الشيوعي. وأميل الى ان البامرني لم يكن خائناً للنظام الملكي، ولكنه أثر الاستسلام للاوضاع الجديدة ومجاراتها).

طلب العبوسي من احدى المدرعتين الموجودتين - ويبدو انه لا يوجد غيرهما - ان تدخل من باب السور وتقوم بالرمي، ثم تتقدم بغية الاستتار خلفها. وعندما وصلت المدرعة إلى الباب الداخلية كان الرمي قد توقف من الداخل^(٥٣٩).

في المقابل، طلب الأمير عبد الإله من مرافقه (الرئيس ثابت يونس) ان يخرج إلى الساحة الأمامية، لمعرفة من هم الضباط الذين دخلوا الساحة، ويتفاوض معهم. بعد دقائق عاد الرئيس ثابت وهو يقول: (سيدي الجماعة متهسترين وقد طلبت منهم التفاوض لكن واحد منهم اعرفه زين وأنا اقدم منه وما عنده ضبط وطلب ان تخرجوا وبعدها يتم التفاوض وما شفت غير اربعة ضباط كلهم برتبة رئيس وما شفت ضابط برتبة كبيرة حتى اتكلم معه)^(٥٤٠).

خرجت العائلة المالكة^(٥٤١). كان يتقدمها الملك فيصل الثاني وقد شبك اصابعه أمام جسمه، وعلت وجهه ابتسامة هادئة. كان لونه شاحبا الا من حمرة خفيفة علت وجهه. وتلته الأميرة عابدية (خالة الملك وشقيقة عبد الإله)، ثم الملكة نفيسة ام عبد الإله، تحمل قرآنا وقد فتحته. فعبد الإله الذي كان متوتر النظرة ويرتدي بدلة بدون ربطة عنق، ثم زوجته ثم بقية الخدم.

كانت النسوة - نسوة العائلة المالكة - متهالكات تماما وقد خارت قواهن فاستندت كل واحدة بذراعها على كتف الأخرى. وكن بملابس سوداء كاملة ماعدا زوجة عبد الإله والتي كانت تلبس فستانا ملونا^(٥٤٢).

انقطعت كافة أصوات الرمي، وساد صمت رهيب. ولم تمر لحظات الا وعبد الستار

٥٣٩- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٢٨٢ (تقرير العبوسي عن الهجوم على قصر الرحاب).

٥٤٠- حسين. المصدر السابق. ص ٧٥ (شهادة كاظم ضاحي مرافق الامير).

٥٤١- اعتمدت في وصف خروج العائلة المالكة على ثلاث روايات وهي رواية الاميرة هيام زوجة عبد الإله والرئيس سامي مجيد مصطفى من ضباط مدرسة المشاة والمقدم محمد شيخ لطيف ضابط استخبارات الحرس الملكي (راجع المصدر السابق ص ٤٥-٤٦ و٤٩ و٦٢ و٦٣ و٨٦ وغيرها).

٥٤٢- المصدر السابق. ص ٤٥-٤٦ (شهادة سامي مجيد).

سبع العبوسي يشق ستار الصمت، بصلية رشق بها العائلة المالكة. تهاوى الصف الأمامي حيث يقف عبد الإله على الأرض، وصادر عبد الإله صيحة الم طويلة وهو يسقط على ظهره. افرغ عبد الستار مخزن غدراته (٣٠ طلقة) فيهم. ثم ملأها بمخزن جديد وافرغه في جسد عبد الإله الساقط على الأرض^(٥٤٣)، صارخاً فيه (يا خائن)^(٥٤٤).

وعندما اطلق العبوسي رصاصه على العائلة المالكة، انهمر الرصاص عليهم - على العائلة المالكة - من كل حذب وصوب^(٥٤٥). وفتح الملازم محمد جواد غصبيه أيضاً نار مدرعته ومزق اشلاءهم اربا اربا^(٥٤٦). وبسبب انهيار الرصاص من كل حذب وصوب، اصيب الرئيس مصطفى عبد الله والرئيس حميد السراج. الأول تحت كتفه والثاني في ساقه^(٥٤٧). وهما من ضباط مدرسة المشاة الذين انضموا إلى القوة المهاجمة، ولعبوا الدور الاساسي في حسم الأمر^(٥٤٨).

كان بين الضحايا، الملكة نفيسة ام عبد الإله، والأمير عبد الإله، والأميرة عبدة شقيقة عبد الإله، والملك فيصل الثاني. وقتل من الخدم اثنان، وكذلك مرافق الأمير عبد الإله النقيب ثابت يونس (من الموصل)^(٥٤٩). كان ذلك قد حدث حوالي الساعة الثامنة

٥٤٣- المصدر السابق. ص٤٦.

٥٤٤- المصدر السابق. ص٨٦ (شهادة الاميرة هيام).

٥٤٥- العارف. المصدر السابق. ص ١٧٣ والزبيدي. المصدر السابق. ص ١٨٨ وبطاو. المصدر السابق. ص ١١١.

٥٤٦- حسين. المصدر السابق. ص ٣٧ (شهادة عبد الله الحديثي) وانظر ايضا المصدر نفسه. ص ٢٤ (شهادة طه البامرني) وكذلك ص ١٤ - ١٥ (شهادة منذر سليم والذي نقل ذلك على لسان احد ضباط الصف ممن حضروا المجزرة).

٥٤٧- المصدر السابق. ص ٤٧.

٥٤٨- ضباط مدرسة المشاة الذين لعبوا دورا اساسيا في الهجوم على قصر الرحاب هم: عبد الستار العبوسي، مصطفى عبد الله، حميد السراج، سامي مجيد مصطفى، محمد علي سعيد، عبد الكريم رفعت، حبيب شبيب (انظر الجعفري، المصدر السابق. ص ١٦٢) (تقرير العبوسي عن الهجوم على قصر الرحاب).

٥٤٩- وريثة العروش. المصدر السابق. ص ٣٣٣.

صباحاً أو قبيل ذلك^(٥٥٠).

ويروي منذر سليم بأنه رأى - عندما كان عائداً من مقابلة عبد السلام في الاذاعة - الناس وقد هجموا على النقيب ثابت يونس (وكان جريحا ممداً إلى جانب جثة الأمير عبد الإله في سيارة). كان لا يزال حياً فانزلوه من السيارة واخذوا يركلونه بارجلهم، ويدوسون فوقه، حتى مات. وقد حاول منذر انقاذه ولم يستطع^(٥٥١).

نجت من المذبحة، السيدة هيام الحبيب، زوجة الأمير عبد الإله. إذ أصيبت بساقها وتصور الثأرون أنها ميتة. ثم جرى نقلها إلى المستشفى واسعافها. وقد حاولت الجموع في الطريق سحلها^(٥٥٢). بل وكادوا يطبقون على الذين انقذوها ويمزقونهم شر ممزق، ولكن وجود الجنديين المسلحين معها هو الذي حال دون ذلك^(٥٥٣). وقد تزوجت هيام فيما بعد من ابن عمها قيس بن علي الحبيب، والذي يقال ان اباها كان يريد تزويجها منه، قبل ان يخطبها الأمير عبد الإله - عام ١٩٥٥ - والذي لم يكن وارداً رفض طلبه. وعاشت في الاردن حتى وفاتها في كانون الثاني ٢٠٠١^(٥٥٤). وقد قاطعتها الأميرة بديعة^(٥٥٥) - شقيقة الأمير عبد الإله - إلى ان ماتت. لأنها عاشت في كنف العائلة المالكة الأردنية، والتي تقول عنها - أي عن العائلة المالكة الأردنية - الأميرة بديعة: (لا اكتم انه بقيت في نفسي اشياء على (ابن ابن عمي) الملك حسين بن طلال. ففي عام ١٩٥٩ ارسل وفداً اردنيا رسمياً إلى بغداد، ليبارك القتلة انقلابهم على أهلي)^(٥٥٦).

كان من الناجين أيضاً من المذبحة، ربيبة للأميرة عبدية، أصيبت في ساقها أيضاً. وخادم مصري كان يحمل الجنسية العراقية خرج يصرخ: انا مصري، انا مصري. فلم

٥٥٠- انظر بطاطو. المصدر السابق. ص ١١١.

٥٥١- حسين. المصدر السابق. ص ١٥.

٥٥٢- حسين. المصدر السابق. ص ٨٦- ٨٧.

٥٥٣- المصدر السابق. ص ٨٢.

٥٥٤- وريثة العروش. المصدر السابق. ص ٢٧٨ و ٣٣٤.

٥٥٥- المصدر السابق. ص ٢٧٨.

٥٥٦- المصدر السابق. ص ٢٤٩.

يتعرض له احد بسوء^(٥٥٧).

عندما ذهب منذر سليم - قائد القوة المكلفة بالهجوم على قصر الرحاب - إلى عبد السلام عارف في الاذاعة، واخبره بحراجة موقف القوة المهاجمة، ونفاد عتاها، خاف عبد السلام على الثورة ان تفشل، فاضاف إلى البيان الأول - والذين كان يكرر اذاعته بصوته - النداء التالي للجماهير:

(فما عليكم الا ان تآزروه في رصاصه وقنابله وزئيره المنصب على قصر الرحاب وقصر نوري السعيد)^(٥٥٨).

فزحفت الجماهير باتجاه قصر الرحاب. في هذه الاثناء كان ضباط مدرسة المشاة قد حسموا الأمر. وبينما كانت السيارة التي تنقل جثث العائلة المالكة، في طريقها إلى وزارة الدفاع، اعترضتها الجماهير الزاحفة واخذت منها جثة عبد الإله. سحلوا الجثة في الشوارع، ومثلوا بها، ثم علقوها أمام وزارة الدفاع، في ذات المكان الذي اعدم فيه المرحوم العقيد صلاح الدين الصباغ، ابرز قادة ثورة مايس ١٩٤١^(٥٥٩). ثم صعد اثنان من الاوغاد، واخذوا يقطعانها اربا اربا، كما يفعل الجزار بذبيحته. يقال انه عندما جاء هذان الشخصان - ليقطعا جثة عبد الإله - وبأيديهما السكاكين، اخذ بعض الواقفين يصرخون وبحماس: افسحوا المجال للفدائيين ! ويقول طالب مشتاق في مذكراته:

(عندما كنت في الشام صدف ان زرت يوما صديقا لي وكان هذا الصديق ضابطا برتبة عقيد في الجيش السوري، وخلال زيارتي هذه اراني إناء زجاجيا فيه ابهام يد يسرى وقد ملأ الاناء بالاسبرتو، وقال: هذا إبهام الأمير عبد الإله أرسل لي هدية من بغداد)^(٥٦٠).

٥٥٧- المصدر السابق. ٢٣٤.

٥٥٨- انظر ايضا الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٩٥ (يروي الزبيدي بان عبد السلام كان قد تلقى مكاملة هاتفية بعدم السيطرة على قصر الرحاب، فاضاف هذا المقطع إلى البيان الاول).

٥٥٩- العارف. المصدر السابق. ص ١٧٤

٥٦٠- ص ٥٧٥ (الهامش).

يتساءل الباحث هنا بطاطو حول ما جرى لجثتي نوري السعيد وعبد الإله قائلًا: (هل كان هذا عملاً وحشياً أو لا إنسانياً؟) ويجب على ذلك قائلًا: (ربما لا يكون إصدار مثل هذا الحكم ملائماً، ولكن علينا أن نضيف - لا تبريراً بل توضيحاً- أن نوري وولي العهد لم يكونا أبداً رحيمين بحياة الناس. ثم: استغرب أن تتبع اللاإنسانية من الأوضاع اللاإنسانية التي كان يعيشها (شرقاوية) - سكان الكواخ الطينية - بغداد؟^(٥٦١).

الهجوم على بيت نوري السعيد:

توجهت السرية التي يقودها الرئيس بهجت سعيد إلى دار نوري السعيد، والحق بها المقدم وصفي طاهر - الذي سبق أن عمل مرافقاً لنوري السعيد عدة سنوات - ومعه الرئيس إبراهيم عباس اللامي^(٥٦٢). غير أن المهمة باءت بالفشل، فنوري السعيد كان قد فر هارباً في الساعة الخامسة والربع صباحاً^(٥٦٣). وقد تعددت الروايات، التي تتحدث عن هروبه، وعن الشخص الذي أنذره بوقوع انقلاب في البلد.

فهناك رواية تقول أن مدير الأمن العام بهجت العطية اتصل به، محذراً إياه من شيء ما غير اعتيادي يحدث في بغداد، وأنه لربما كان الجيش يحاول القيام بانقلاب^(٥٦٤). وتقول رواية ثانية أن إحدى الخبازات اعتادت أن تقصد القصر الذي يقيم فيه نوري السعيد صباح كل يوم لتخبز لاهل القصر. ولما جاءت على عادتها في صباح ١٤ تموز، وشاهدت ما شاهده في الطريق من تجمعات وحركات غير مألوفة، ايقظت نوري من نومه، واحاطته علماً بما يجري^(٥٦٥).

٥٦١- بطاطو. المصدر السابق. ص ١١١-١١٢.

٥٦٢- العزاوي. المصدر السابق. ص ١٢٤.

٥٦٣- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٩٠.

٥٦٤- حسين. المصدر السابق. ص ١٦٧-١٦٨ (جمع خليل إبراهيم حسين بين ما أخبره به العطية بعيد الثورة وبين الرواية التي تقول بأن الخبازة عمشة أخبرت نوري السعيد بأن الجيش يتقدم نحو داره مطلقاً النار).

٥٦٥- شوكت. المصدر السابق. ص ٦١٧.

وتقول رواية ثالثة بان قائد القوة المهاجمة خائنه أعصابه، فأمر بإطلاق النار من مسافة بعيدة، فلما انتبه نوري لازيز الرصاص، هرب من داره...^(٥٦٦).

وتقول رواية رابعة بان صباح نوري السعيد - ربما - اتصل بالتلفون السري بوالده، واخبره بمشاهدته جنود يترجلون عند باب الاذاعة، وانه - أي صباح - عندما سألهم عن الأمر، طلبوا منه ان يمضي في طريقه ولا يتدخل في الأمر^(٥٦٧).

وقيل ان نذكر الرواية الخامسة، من المفيد الإشارة إلى ان دي غوري الملحق العسكري البريطاني يقول: (عثر الجيش على (صباح)^(٥٦٨) في اليوم التالي، فقتل والقذح في كفه، والتنديد على شفثيه)^(٥٦٩). أي انه قتل عندما كان عائدا من سهرته، التي حرص ان تمتد حتى الفجر، ثم يذهب ليحضر مراسيم توديع العائلة المالكة ووالده، وينام بعدها كما يشاء^(٥٧٠). ويقال ان الذي قتله هو المقدم فاضل محمد علي^(٥٧١). ومما يذكر فان صباح هو الولد الوحيد لنوري وقد ولد عام ١٩١١^(٥٧٢).

ولنعد الان إلى الرواية الخامسة، والتي تقول بان وصفي طاهر قد اخبر المرأة التي تقصد بيت نوري السعيد كل صباح لتخبز لهم. وهي بدورها نقلت الخبر إلى نوري. وكان هدف وصفي طاهر من ذلك، ان ينجو بنفسه في حال اخفاق الثورة. ولا يبعد ان يكون

٥٦٦- كنه. المصدر السابق. ص ٢٠٦.

٥٦٧- العزاوي. المصدر السابق. ص ١٢٥-١٢٦.

٥٦٨- خلف صباح وزوجته السيدة عصمت ولدين: (عصام) مات مريضا بالقلب و(فلاح) الطيار الخاص للملك حسين، والذي طلق زوجته (من آل العسكري) وتزوج شركسية اردنية وله منها ابنتان. تصوف وتأثر بافكار الاخوان المسلمين. انقلبت به السيارة عندما كان عائدا من مطار عمان ومات (وريثة العروش. المصدر السابق. ص ٣٣٥).

٥٦٩- دي غوري. المصدر السابق. ص ٣٣٥.

٥٧٠- انظر العزاوي. المصدر السابق. ص ١٢٥.

٥٧١- المصدر السابق. ص ١٢٩ (يرى العزاوي بان صباح قتل يوم ١٥ تموز وليس صبيحة ١٤ تموز).

٥٧٢- الدكتور مجيد خدوري. عرب معاصرون - ادوار القادة في السياسة. بيروت ١٩٧٢. ص ٥٢.

فعل ما فعل بدافع من محبته لنوري^(٥٧٣). لقد شاعت هذه الرواية، في خضم الصراع على السلطة، وكان القصد منها الإساءة لعبد الكريم قاسم ورجاله. ولكن الغريب ان يتبنى باحث بمستوى مجيد خدوري رواية كهذه ليس فيها الا القليل من المنطق.

فوصفي طاهر ضابط شجاع. وحين اشتعلت حرب فلسطين عام ١٩٤٨، كان ضابطاً بفوج تدريب الحلة، فقدم طلباً إلى وزارة الدفاع يطلب فيه إرساله إلى فلسطين. فقبلوا طلبه ونقلوه إلى الوحدات المقاتلة بفلسطين^(٥٧٤). وتبدى شجاعته أيضاً، في ٨ شباط ١٩٦٣، إذ قاتل دفاعاً عن نظام عبد الكريم قاسم حتى الموت. ولم يهرب كما فعل آخرون. لكن الحديث عن شجاعة وصفي، لا ينفي صدور أفعال شائنة منه، اقل ما يقال عنها انها تفتقر إلى المروءة والشرف، كرمي جثة نوري السعيد بالرصاص، بل وحتى قبوله دور الدليل إلى بيته، و هو الذي كان يوماً حارسه الأمين. وكشهادته ضد عبد السلام عارف^(٥٧٥). وموقفه السلبي من إعدام رفعت الحاج سري صديقه السابق الذي كسبه إلى تنظيم الضباط الأحرار^(٥٧٦). بل وحضوره عملية إعدامه ورفاقه، الأمر الذي يؤمى إلى انحطاط الرجل ووضاعته. واتذكر هنا ان ضابطاً في المخابرات السورية، كلفه رؤساؤه بالتحقيق مع احد اللاجئيين السياسيين العراقيين في دمشق، فطلب منهم إعفاءه من ذلك، لانه صديقه ولا يستطيع ان يحقق معه، فكلفوا غيره بالمهمة.

على أي حال، ما ان اقتربت القوة المكلفة بالهجوم على بيت نوري السعيد، من الهدف، حتى شرع الجنود باطلاق النار، بسبب ما اصابهم من ارتباك لرهبة الموقف، وعدم

٥٧٣- الدكتور مجيد خدوري. العراق الجمهوري. بيروت ١٩٧٤. ص ٨٧.

٥٧٤- العزاوي. المصدر السابق. ص ١٢٥ وانظر كذلك ما قاله رجب عبد المجيد عنه (الذاكرة التاريخية (مصدر سابق) ص ١٣٧ و ١٣٩).

٥٧٥- لم يكن وصفي طاهر الوحيد الذي تحامل في شهادته امام المحكمة ضد عبد السلام عارف. بل ان اغلب الضباط الاحرار الذين استدعتهم المحكمة للشهادة ادلوا بشهادات مسيئة لعبد السلام.

٥٧٦- انظر الذاكرة التاريخية (مصدر سابق) ص ١٧٤.

سيطرة أمر السرية عليهم^(٥٧٧).

اما نوري السعيد، فقد اسرع إلى درج مكتبه، واخرج مسدسا أو اثنين، واندفع يعدو حافي القدمين، نحو الحديقة قاصدا النهر، وهو يحمل حذاءه بيده. فرأى في وسط النهر صيادين اثنين في قارب نهري. فدعاهما طالبا نقله إلى الجانب الآخر. فاركبوه وغطوه بغطاء. وقبل وصول القارب إلى الضفة الأخرى، سمع نوري ضجيجا، فطلب من الصيادين العودة به إلى جانب الكرخ، ولكن باتجاه يبعد حوالي نصف كيلو متر عن قصره^(٥٧٨). وهناك نزل وذهب إلى منزل الدكتور صالح البصام^(٥٧٩).

يقال بان نوري السعيد، حينما وصل إلى بيت الدكتور صالح البصام، كان أول سؤال له عن الملك فيصل الثاني، وليس عن ولده صباح. كان يسأل عن الملك قائلا:
(اخبروني أين هو الآن؟ ماذا حل به؟ هل مازال حيا؟)^(٥٨٠).

وحوالي الساعة الثامنة والربع صباحا، تم تهريبه إلى بيت الاستربادي في الكاظمية^(٥٨١). حيث وضع في الصندوق الخلفي للسيارة^(٥٨٢).
وتقول رواية اخرى ان نوري ليس عباءة نسائية وجلس في المقعد الأمامي^(٥٨٣). وكان من يقود السيارة هي ثمينة عبد الهادي الجلبي^(٥٨٤)، زوجة صالح البصام، وليس مرتضى

٥٧٧- العارف. المصدر السابق. ص ١٧٤.

٥٧٨- شامل عبد القادر. عبد الكريم قاسم البداية والنهاية. عمان ٢٠٠٢. ص ١٨٢- ١٨٣ (ان كتاب عبد القادر غزير المعلومات وكثير الفائدة، ولكنه للأسف يحتاج إلى ضبط هوامشه، وترتيب فصوله وموضوعاته حسب الاحداث، وحذف ما هو مكرر. بل ويحتاج إلى اعادة صياغة فهناك الكثير من العبارات التي لم افهم المقصود منها).

٥٧٩- المصدر السابق. ص ٢١٨- ٢١٩.

٥٨٠- وريثة العروش. المصدر السابق. ص ١٨٢.

٥٨١- عبد القادر. المصدر السابق. ص ١٨٣.

٥٨٢- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٩١.

٥٨٣- حسين. المصدر السابق. ص ١٦٨.

٥٨٤- وريثة العروش. المصدر السابق. ص ٣٥٣.

البصام^(٥٨٥) كما شاع وقتها، لتخليص ثمينة من ملاحقة حكومة الثورة آنذاك^(٥٨٦).
وهنا في بيت الاسترابادي، سمع من الاذاعة بمقتل الملك وعبد الإله. ويقال انه حاول الاتصال بسعيد قزاز ورفيق عارف و خليل كنه و خليل إبراهيم، ولكن لم يرد عليه احد. وفكر أن يسافر إلى اللواء الأول في المسيب، ولكن الجماهير ملأت الشوارع، والدوريات العسكرية اخذت تقتش السيارات^(٥٨٧). وفي هذه الأثناء اعلنت الحكومة عن تقديم عشرة آلاف دينار جائزة لكل من يلقي القبض عليه حيا» أو ميتا^(٥٨٨).
كان نوري السعيد يقلب مؤشر الراديو بين محطات الاذاعة وهو يردد بهياج: (مدا افتهم.. مدا افتهم)^(٥٨٩). وكان يبدي اسفه وخيبة امله للسرعة التي انهارت فيها قوة الحرس الملكي^(٥٩٠). ويقال انه كان يقول اذا لم تنزل قوات بريطانية في الحبانية فمعنى ذلك ان الانكليز هم الذين دبروا الانقلاب^(٥٩١). اما عندما سمع باسم عبد الكريم قاسم، فرواية تقول انه لزم الصمت^(٥٩٢). وثانية تقول انه اخذ يردد: كريم كريم خدعنا خدعنا^(٥٩٣).

-
- ٥٨٥- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٩١.
٥٨٦- حكم في ١١/٩/١٩٥٨ بالحبس الشديد لمدة سنة واحدة على صالح البصام وسنة ونصف على مرتضى البصام في قضية ايواء نوري السعيد (عبد القادر. المصدر السابق. ص ٢١٨- ٢١٩) واعتقد ان هذا الحكم متعسف.
٥٨٧- عبد القادر. المصدر السابق. ص ١٨٣.
٥٨٨- حسين. المصدر السابق. ص ١٦٨.
٥٨٩- عبد القادر. المصدر السابق. ص ١٨٣.
٥٩٠- المصدر السابق. ص ٢١٤.
٥٩١- حسين. المصدر السابق. ص ١٦٨ (اعتقد ان الرواية الادق هي ما ذكر عنه بانه كان يتمتم بصوت مسموع: (لقد تأخروا، لقد تأخروا) ولما سأله محمود الاسترابادي عن قصده اجاب: (قطعات الانزال الانكليزية التي نزلت في الاردن والقطعات الامريكية التي نزلت في لبنان) (العزاوي. المصدر السابق. ص ١٢٧).
٥٩٢- عبد القادر. المصدر السابق. ص ٢١٤.
٥٩٣- حسين. المصدر السابق. ص ١٦٩ (الهامش).

لا نعرف السبب الذي دفع نوري السعيد إلى مغادرة بيت الاسترابادي، في تلك الظروف الصعبة. ولكن يقال ان التفتيش عنه، اقترب من الشارع الذي تقع فيه دار الاسترابادي، وهنا ارتبك وطلب نقله^(٥٩٤). وفي حوالي الساعة الواحدة ظهرا^(٥٩٥)، أو الثالثة إلا ربعا^(٥٩٦)، من بعد ظهر الثلاثاء ١٥ تموز، غادر بيت الاسترابادي، متنكرا بعباءة نسائية، تصحبه زوجة الحاج محمود الاسترابادي وخادمتها. وكان يقود السيارة مظفر الحاج محمود^(٥٩٧)، قاصدين منزل هاشم جعفر شقيق ضياء جعفر (الوزير المعروف). فاسرع عمر هاشم جعفر^(٥٩٨) إلى وزارة الدفاع وقابل عبد الكريم قاسم واخبره بمكان وجود نوري السعيد^(٥٩٩). وكان الاخير قد احس بالخطر المحدق، عندما علم بخروج عمر من البيت^(٦٠٠). وتقول رواية اخرى ان عمر لم يكن موجودا، وانما سمع بوجود نوري في بيتهم، من شقيقته التي كلمها بالتلفون. الأمر الذي اثار قلق نوري السعيد ودفعه إلى المغادرة^(٦٠١).

اتجه نوري السعيد ومعه زوجة الاسترابادي وخادمتها إلى دار هادي جعفر (شقيق ضياء جعفر أيضا)، حيث اوصلتهم قريبا من الدار زوجة هاشم جعفر. وما ان دخل نوري

٥٩٤- العزاوي. المصدر السابق. ص ١٢٧.

٥٩٥- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٩١.

٥٩٦- حسين. المصدر السابق. ص ١٦٩.

٥٩٧- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٩١.

٥٩٨- اعتقد ان الحماس الثوري الذي كان يطفئ على الشباب في تلك الايام هو الذي دفع عمر للابلاغ عن نوري السعيد. ولذلك فانتني لا اتفق مع وجهة النظر التي ظهرت فيما بعد والتي تقول بان اغراء المكافاة الضخمة هو الدافع (مشتاق. المصدر السابق. ص ٥٨٢). حتى وان طلب الشاب تبديل جائزته المادية بارساله إلى خارج العراق لاكمال دراسته والحصول على الدكتوراه (العزاوي. المصدر السابق. ص ١٢٧-١٢٨).

٥٩٩- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٩١.

٦٠٠- العزاوي. المصدر السابق. ص ١٢٨.

٦٠١- حسين. المصدر السابق. ص ١٦٩ (لا اميل للاخذ بهذه الرواية لانه من غير المرجح ان يذكر اسم نوري السعيد في التلفزيون في ذلك اليوم الذي كان فيه هو المطلوب الاول للثورة).

الدار، حتى هاج هادي جعفر في وجهه قائلاً : في خيركم ما خيرتونا وشركم عم علينا. الا ان زوجته ادخلت نوري احدى الغرف واخذت المسدس منه وقالت له ساتصل بسيارة اجرة لنقلك إلى دار محمد العريبي. اذ كان يريد ان يذهب إلى الأخير، عله يتمكن من تهريبه إلى خارج العراق. ووصلت سيارة الاجرة، وغادر نوري السعيد - الذي لازال متتكرًا بالعباءة النسائية - الدار مع زوجة الاسترادي وخادمتها، متوجهاً إلى منطقة البتاوين، ولم يكن يعرف دار محمد العريبي على وجه التحديد.

ما ان ترك نوري السعيد دار هادي جعفر الا ووصل وصفي طاهر مع مفرزة من الجيش، والدليل عمر هاشم جعفر، إلى دار والد الأخير، ثم توجهوا إلى دار هادي جعفر، ولم يعثروا على احد^(٦٠٢).

وعندما وصل نوري منطقة البتاوين، استفسر لدى احد المحلات عن منزل محمد العريبي، فعرفه صاحب المحل واخذ يصرخ (نوري السعيد امسكوه) وتجمهرت الناس حوله، فاخرج مسدسه واخذ يطلق النار يمينا ويسارا، ولكن الجماهير الغاضبة بالاشتراك مع الجنود الذين تواجدوا في مكان الحادث، تبادلوا اطلاق الرصاص معه، فقتل هو والسيدة زوجة محمود الاسترادي. اما الخادمة فقد هربت. وفي هذه الاثناء حضرت المفزة بقيادة المقدم وصفي طاهر فوجدت نوري مقتولا، فرمى وصفي جثته برزخة من رشاشته^(٦٠٣). وتنسب احدى الروايات لوصفي ادعائه بأنه قتل نوري السعيد^(٦٠٤). وادعى خضير صالح السامرائي - وهو ضابط صف في القوة الجوية - بأنه هو الذي قتله^(٦٠٥).

٦٠٢- المصدر السابق. ص ١٦٩-١٧٠.

٦٠٣- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٩١-١٩٢.

٦٠٤- حسين. المصدر السابق. ص ١٧١. (انظر بخلاف ذلك رواية العقيد قاسم حمودي الذي يقول انه هو الذي نقل جثة نوري السعيد إلى وزارة الدفاع وان وصفي طاهر وابراهيم عباس اللامي استقبلاه هناك وقالوا له: من اين جئت به؟ فاننا مكلفان بالبحث عنه) (الذاكرة التاريخية: المصدر السابق. ص ٣١٠)).

٦٠٥- حسين. المصدر السابق. ص ١٧٠-١٧١.

ولم تصدق الاستخبارات رواية الأخير، وبالتالي لم يفز هو أو غيره بالجائزة^(٦٠٦). ويعتقد مجيد خدوري (ان موته كان انتحارا لا اغتيالا، ذلك انه كان يحمل دائما مسدسا، وقد صرح مرارا بانه لن يتردد في اطلاق النار على نفسه اذا وجد انه لن يستطيع النجاة من الموت)^(٦٠٧).

نقلت جثة نوري إلى وزارة الدفاع حيث اطلع عليها عبد الكريم قاسم وعدد من الوزراء وقادة الفرق^(٦٠٨). ثم استقرت جثته في معهد الطب العدلي، وبعد اجراء اللازم سلمت وجثة ولده صباح إلى الشرطة، والتي دفنتها في مقبرة باب المعظم^(٦٠٩). ويقال ان وصفي طاهر ابلغ الشيوعيين بمحل دفنه فجاءوا في اليوم التالي ونبشوا قبره واخرجوا جثته^(٦١٠).

يروي طالب مشتاق بان (بعض الغوغاء ذهب إلى المقبرة في اليوم التالي يسأل عن قبر نوري السعيد ولما لم يدلهم عليه احد اخذوا ينبشون بعض القبور الحديثة وقد اخرجوا جثنا عديدة من لحودها قبل ان يعثروا على جثة نوري السعيد. ولما استولوا على الجثة، اخذوا يسحلونها في الشوارع ويرغمون اصحاب السيارات ان يمرروا فوقها بسياراتهم)^(٦١١).

تحولت جثة نوري السعيد إلى كتلة لحم عديمة الملامح. وقد احرق الغوغاء ما بقي منها. وقيل بل انهم رموا بقاياها في نهر دجلة. هكذا كانت نهاية الرجل الذي كان يقول: (لم يولد بعد الإنسان الذي يستطيع اغتيالي)^(٦١٢).

٦٠٦- القيسي. المصدر السابق. ص٦٣٤.

٦٠٧- خدوري. عرب معاصرون (مصدر سابق). ص٤٨. وانظر رد الزبيدي عليه (الزبيدي.

المصدر السابق) ص١٩٢ (الهامش)).

٦٠٨- الزبيدي. المصدر السابق. ص١٩٢.

٦٠٩- حسين. المصدر السابق. ص١٧٢-١٧٤.

٦١٠- العزاوي. المصدر السابق. ص١٢٨.

٦١١- مشتاق. المصدر السابق. ص٥٨٣ (الهامش).

٦١٢- خدوري. المصدر السابق. ص٨٤.

حول تصفية العائلة المالكة:

حدث جدل كثير حول مقتل العائلة المالكة. وفي البداية تفاخر بارتكاب هذه الجريمة كثيرون. ثم مع مرور الوقت، ومع ما حدث في العراق من مأس، اعادت للبعض رشدهم، تبرأ منها حتى من شارك فيها.

ان مجزرة قصر الرحاب، وصمة عار في جبين رجال ١٤ تموز. حتى وان كان لديهم خوف حقيقي مما جرى - على يد عبد الإله ونوري السعيد - لقادة ثورة مايس من اعدامات. اصف إلى ذلك تقطيع الجثث وسحلها، كما جرى لجثتي عبد الإله ونوري السعيد.

إن الجريمة لاتبرر الجريمة. وهذا المنطق الذي ساد في العراق سابقا، أي تبرير الجريمة باخرى، قاد العراق من سيء إلى اسوأ، حتى انتهى به الأمر ان أصبح مصيره على كف عفريت.

لقد برر الضباط الأحرار مجزرة قصر الرحاب، بجرائم النظام الملكي. وبرر الشيوعيون ثم البعثيون، جرائمهم عام ١٩٥٩ و ١٩٦٣ بجرائم الطرف الاخر. وكانت جرائم كل فريق تتفوق على جرائم من سبقه بشاعة بحيث اخذت جرائم القتل والتكيل السياسي خطا تصاعديا، نوعيا وعدديا.

ثم استولت على العراق، العصابات الفاشية، في ١٧ تموز ١٩٦٨، فاخذت التصفيات طابعا لم يألفه العراق في تاريخه. وقد رأينا كيف برر اولئك الجلادون جرائمهم - التي طالت مئات الالاف من المواطنين الابرياء - أمام المحكمة باحداث جرت في العهد الملكي أو الجمهوري.

ومن الواجب ان نشير هنا إلى ان ما جرى بعد ١٧ تموز ١٩٦٨، لايمكن مقارنته - باي شكل كان - بالعهود التي سبقتة. ففي العهد الملكي، حدثت في السجون حالة اغتصاب واحدة، ولم تتكرر كما اشرنا لذلك سابقا. ولم تحدث أية حالة اغتصاب في السجون في عهود عبد الكريم قاسم و عبد السلام عارف (١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ - ١٩٦٦) وعبد الرحمن عارف. بينما مارست عصابات صدام الفاشية عمليات الاغتصاب (آلاف

المرات بحق الموقوفات والموقوفين معا) (٦١٣).

ولنعد إلى تصفيه العائلة المالكة. فهناك عدة روايات عما قرره اللجنة العليا بشأن الثلاثة الكبار (الملك وعبد الإله ونوري). مع التذكير هنا بما قلناه سابقا، بأنه مع مضي السنين، اختلفت المواقف وتغيرت الآراء، لذلك فإن الكثير من الروايات التي سمعنا بها فيما بعد، جاءت في أجواء ما بعد الثورة، تلك الأجواء المختلفة تماما عن أيام العهد الملكي. وبالتالي من الصعب معرفة ما جرى فعلا داخل اللجنة العليا حول هذا الأمر.

يروى محسن حسين الحبيب بأن اللجنة العليا توصلت إلى الحل الآتي: لما كان الملك فيصل الثاني لا يزال شابا وليس له دخل في كل ما حل بالعراق فإنه يجبر على التنازل عن العرش رسميا ويسفر خارج العراق. أما عبد الإله ونوري السعيد فبالنظر لجرائمهما الكبيرة التي ارتكباها بحق العراق والامة العربية فانهما يقدمان إلى محكمة عليا لتحاكمهما وهي التي تقرر مصيرهما (٦١٤).

ويقول رجب عبد المجيد بأن غالبية أعضاء اللجنة العليا اتفقوا على ذلك، ما عدا عبد السلام عارف الذي قال: (نقطع رأس ونموت خبر) ! وظل عبد الكريم قاسم ساكتا. ويعلق رجب على ذلك قائلا: (نحن نعرف انه وعبد السلام كانا متفقين) (٦١٥).

ويقال ان أعضاء اللجنة العليا انقسموا - حول مصير الملك - إلى ثلاثة اقسام: فبعد الكريم وعبد السلام كانا يرغبان بتصفيته فور قيام الثورة. ومحبي الدين عبد الحميد ومحسن حسين الحبيب ومحمد السبع كانوا يرون ترك مصيره إلى ظروف التنفيذ وما

٦١٣- نوري. المصدر السابق. ص ١٣٦ (وقد حدثت جرائم اغتصاب كثيرة في العهد البعثي الاول (٨ شباط - ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣) راجع كتاب (المنحرفون) الذي اصدرته الحكومة العراقية عام ١٩٦٤).

٦١٤- الحبيب. المصدر السابق. ص ٧٥.

٦١٥- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ١٤٨ - ١٤٩. (الحقيقة ان رواية رجب هذه ملتبسه وركيكه. فهو قال اتفقنا وتراجع على الفور وقال لم يحصل اتفاق. ثم ذكر بان عبد الكريم هو الذي شذ عن الغالبية ثم قال ان عبد السلام هو الذي تكلم وعبد الكريم كان ساكتا).

يطراً على الثورة من مخاطر. اما القسم الثالث وهم ناجي طالب ورجب عبد المجيد ورفعت الحاج سري وعبد الوهاب الشواف فكانوا يعارضون قتله ويطالبون بالابقاء عليه واجباره على التنازل عن العرش.

وكان هناك ضباط احرار، خارج اللجنة العليا، مثل العقيد عبد الغني الراوي والمقدم نعمان ماهر الكنعاني، يفكرون بالابقاء على الملك والنظام الملكي، وان تقتصر الحركة على التخلص من عبد الإله ونوري السعيد، وتشكيل وزارة وطنية تأخذ على عاتقها مهمة القيام بالاصلاحات^(٦١٦).

وعندما اجتمع عبد السلام عارف باللجنة البديلة - يوم ١٠ تموز ١٩٥٨ - لتبليغها بالثورة. ناقشوه في مصير العائلة المالكة، وكان من رأيهم الابقاء على حياة الملك. الا انه اصر على قتله للتخلص من أي اشكال في المستقبل^(٦١٧).

وقد استشار عبد الكريم قاسم، السياسي المعروف كامل الجادرجي، حول قتل الملك، فوافق الأخير على قتله مع عبد الإله ونوري السعيد^(٦١٨). ويقال ان الجادرجي سأل: كم خروفا يذبح في بغداد كل يوم؟ ف قيل له ثلاثة آلاف. فقال: ماذا سيحدث لو صاروا ثلاثة آلاف وثلاثة^(٦١٩).

٦١٦- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٧٠- ١٧١ (ولم يذكر الزبيدي رأي عبد الكريم فرحان وعبد الوهاب الامين وعبد الرحمن عارف وطاهر يحيي. ويبدو ان مصدره رجب عبد المجيد. انظر نفس المصدر. ص ١٢٧ (الهامش)).

٦١٧- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٢٦٩- ٢٧٠ (رسالة محمد مجيد الذي كان احد الحاضرين بالإضافة إلى عبد الستار عبد اللطيف وجاسم العزاوي و ابراهيم جاسم التكريتي).
٦١٨- رفعت الجادرجي. المصدر السابق. ص ١٥٧ وانظر بخلاف ذلك د. محمد الدليمي. المصدر السابق. ص ٢٤٢- ٢٤٣.

٦١٩- القيسي. المصدر السابق. ص ٢٣٥ وانظر ايضا د. فاضل حسين. سقوط النظام الملكي (مصدر سابق). ص ٧٠ (يقول د. فاضل: (اخبرني كامل الجادرجي انه عندما سئل عن مصير الملك. سأل الجادرجي بدوره عن عدد ما يذبح من الاغنام في بغداد في اليوم الواحد، ف قيل له (٤٥٠٠). فقال: فليكن عدد ما يذبح يوم الثورة (٤٥٠٠١) أي يذبح الملك مع ما يذبح).

ولا اظن ان النتيجة ستختلف لو اجاب الجادرجي بخلاف هذا. فعبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف كانا متفقين على قتل الثلاثة الكبار. وقد ابلغ عبد الكريم، الرئيس جمال عبد الناصر، بواسطة حسين جميل، بذلك، قبل حوالي عام من الثورة^(٦٢٠).

فيما بعد، وتحديدًا في أيلول ١٩٦٠، اجتمع وزير خارجية العراق هاشم جواد بالملك حسين - خلال اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة - ونقل إليه أسف عبد الكريم قاسم، لمقتل العائلة المالكة صبيحة ١٤ تموز، حيث لم يأمر بقتلهم وانما قتلوا بطريق الخطأ، ولم يتمكن من الحيلولة دون ذلك لانه كان بعيدا عن بغداد عندما وقع الحادث. وعلى اثر هذا الاعتذار تبادل العراق والأردن العلاقات الدبلوماسية^(٦٢١). وتعلق الأميرة بديعة شقيقة الأمير عبد الإله على ذلك قائلة: (ما كان يفترض منه - وتقصد الملك حسين - ان يفعل هذا وانا على قيد الحياة)^(٦٢٢). وبغض النظر عن هذه المبادرة السياسية، التي كان هدفها التقريب بين العراق والأردن، لمواجهة عدوتهما المشتركة الجمهورية العربية المتحدة، والتي كانت تشكل خطرا حقيقيا على نظامي البلدين. وبغض النظر عن روايات هنا وهناك لتبرئة عبد الكريم قاسم^(٦٢٣)، ولتخفيف مسؤوليته^(٦٢٤)، فيما يتعلق بتصفية العائلة المالكة، فان كل الدلائل تشير إلى ان الضباط الثلاثة (قاسم وعارف والدراجي) اتفقوا على قتل الثلاثة الكبار (الملك وعبد الإله ونوري)^(٦٢٥). اما قتل النساء والخدم فمن المؤكد انه جاء عرضا، ولم يكن مقررا في ذهن احد قط.

٦٢٠- الزبيدي. المصدر السابق. ص١٤٨.

٦٢١- خليل ابراهيم حسين. موسوعة ١٤ تموز. الجزء الخامس. ص٣٢٤-٣٢٥.

٦٢٢- وريثة العروش. المصدر السابق. ص٢٤٩.

٦٢٣- قال طالب حامد قاسم (ابن شقيق عبد الكريم) في مقابلة اجرتها معه قناة الفيحاء في ١٤/١/٢٠٠٥: (جاء عبد الكريم قاسم إلى بيتنا وعيونه دامعة وقال لامي: ان الملك فيصل قد مات).

٦٢٤- انظر طالب الحسن. اغتيال الحقيقة (عبد السلام عارف واشكالية الكتابة في تاريخه السياسي). بغداد ٢٠٠٤. ص١٢٥-١٣٠.

٦٢٥- الزبيدي. المصدر السابق. ص١٢٧ (الهامش).

وعلى أي حال، فإن إبادة العائلة المالكة حدثت في غياب منذر سليم قائد القوة المكلفة بالهجوم على قصر الرحاب، والذي ذكر في إحدى رواياته، بأن عبد السلام لم يصدر له أمرا عن كيفية التعامل مع الملك أو عائلته^(٦٢٦). وقد قام عبد الستار العبوسي، وبعض ضباط مدرسة المشاة - كما بينا سابقا - وربما أيضا شاركهم غيرهم، من فوج فيصل المدرع أو غيره، بتصفية العائلة المالكة. وكلهم لم يتلقوا أي أمر مباشر بقتل العائلة المالكة. بل لم يكونوا مبلغين من قبل بالاستعداد للمشاركة بالثورة. لكن عبد السلام عارف، وبعد أن روى له عبد الستار العبوسي، ما جرى في قصر الرحاب، قال له: (عافرم زين سويت)^(٦٢٧). أي حسنا ما فعلت.

ولنقف الآن مطولا عند قصة العبوسي. فقد ولد في منطقة باب الشيخ عام ١٩٣٠ لآب قصاب. له شقيقان هما: جواد وهو ضابط قتل في إحدى العمليات العسكرية. والآخر قتل في حادث غامض عندما كان يدرس في الولايات المتحدة. تخرج العبوسي من الكلية العسكرية ثم الأركان وتزوج من شقيقة قاسم الجنابي (الضباط الذي لعب دورا مهما في الثورة). وعين العبوسي - بعد الثورة - معاونًا لانور الحديثي مدير المعتقل الذي وضع فيه كبار رجال العهد الملكي، ثم ملحقا عسكريا في موسكو، ثم قائدا للقوة البحرية العراقية. وكانت آخر رتبة عسكرية حصل عليها هي رتبة عقيد^(٦٢٨).

عانى العبوسي كثيرا من قتله العائلة المالكة. واخذت معاناته تكبر مع الأيام. وبلغ الأمر به، أنه عندما كان أمرا لفوج، في إحدى المعارك الدائرة - عام ١٩٦٥ - بين الجيش

٦٢٦- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٠٩ (رواية منذر سليم للمؤلف في شهر كانون الثاني ١٩٨٤).

٦٢٧- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٢٨٣ (تقرير العبوسي عن الهجوم على قصر الرحاب). وانظر أيضا نفس التقرير ونفس العبارة لعبد السلام (الجعفري. المصدر السابق. ص ١٦٣).

٦٢٨- الف باء. العدد ١٤٤٥ في ٥ حزيران ١٩٩٦. ص ١٠-١١ رواية محمود هادي العبوسي (نقلا عن عبد القادر. المصدر السابق. ص ٣٢١-٣٢٥). (والحقيقة أن العبوسي لم يكن قائدا للقوة البحرية إنما كان رئيسا لأركان القوة البحرية).

العراقي والحركة الكردية، ظل واقفا على ارض المعركة ولم ينبطح أو ينسحب، رغم كثافة النيران. فذهب إليه صديقه العقيد الركن عدنان محمد نوري وقال له:

- لماذا عملت هكذا؟ الحمد لله لم تصبك رصاصة. فرد عليه:
- عدنان انك لا تعلم بانني لم أذق النوم منذ قتلي الملك وانه يأتي اليّ في المنام لابسا لباسا ابيضا ويقول لي: لماذا قتلتي هل اصابك ضرر مني، هل قمت بخطأ ما.. لماذا حرمتني لذة الحياة وانا في ريعان الصبا. ويضيف العبوسي قائلاً:
- يتكرر علي الكلام كل ليلة ولم اذق طعم النوم طيلة هذه الفترة فياليت تصيبني طلقة أو شظية قنبلة.

انتقل بعدها معلما في الكلية العسكرية. والتقاء صديقه عدنان وسأله عن احلامه فقال: انها ازدادت واخذ عبد الإله يظهر لي في المنام أيضا. وبعض الأيام ارى نساء لم اشاهدهن من قبل، وهن يلومنني ويقولن لي انك تعيش واشباحنا تطاردك حتى نلتقي. ثم يتساءل العبوسي: هل تعتقد يا عدنان بانني سوف ألاقهم في الآخرة؟ فاخذ يهون عليه الأمر ويقول له: لماذا لا تطلب تعينيك في الخارج وتعالج نفسك فهذه حالة مرضية. فأجابه العبوسي: وهل تعتقد بانني ارتحت في روسيا. نفس الشيء كان يلاحقني.
ثم عين العبوسي رئيسا لاركان البحرية في البصرة. وهناك تردت حالته النفسية للغاية. وكان يهنئ كل شخص يسمع به قد مات ويقول اهنته تخلص من هذه الحياة^(٦٢٩).
وذات صباح - في شباط ١٩٧٠ - كانت زوجته تهيء له الفطور، فدخل غرفته على حين غرة، وانطلقت رصاصتان. هرعت زوجته اليه، فوجدته مضرجا بدمائه ومسدسه الشخصي إلى جانبه^(٦٣٠). ودفن في مقبرة الغزالي ببغداد^(٦٣١).

اظن ان الكثيرين لو كانوا محل العبوسي، يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ - ذلك اليوم الذي

٦٢٩- حسين. المصدر السابق. الجز السابع. ص٨٨-٨٩(رواية العقيد الركن المظلي عدنان محمد نوري).

٦٣٠- الف باء (مصدر سابق) .. (عبد القادر. المصدر السابق. ص٢٢٤).

٦٣١- حسين. المصدر السابق. ص٨٩.

فقدت فيه الناس عقولها^(٦٣٢) - لما ترددوا عن ارتكاب نفس الفعل. الا ان ما يميز العبوسي عن غيره، انه رجل ذو شرف وضمير. فبمجرد ان هدأت النفوس، احس بتأنيب الضمير وبفداحة الجريمة. الأمر الذي لم يشعر به من شاركوه نفس العمل. فضلا عن عبد السلام عارف وعبد الكريم قاسم والضباط الآخرين.

بل ولنتقارن العبوسي بالجلادين صدام واخيه برزان وطه الجزراوي، ورئيس محكمة الثورة الارهابية عواد بندر، وعلي حسن مجيد، الذين وقفوا يتفاخرون أمام المحكمة بجرائمهم ويبررونها ويشتمون ضحاياهم من النساء والاطفال والرجال.

والمثير للسخرية ان يقول طه الجزراوي بعد الحكم عليه بالاعدام: انا بريء والله ينتقم ممن ظلمني. فبالاضافة الى انه احد مجرمي المقابر الجماعية، والتي دفنوا فيها الاطفال والنساء والرجال احياء. فهو الجلاد الذي ترأس المحكمة الخاصة - في ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٠ - والتي حكمت بالاعدام على عشرات الضباط والسياسيين، من الناصريين والاخوان المسلمين والمستقلين^(٦٣٣). وتناول اثناء ذلك غدائه ثم صرح: انها اطيب وجبة كباب تناولها في حياته^(٦٣٤). ولا يقل عن اولئك الجلادين انحطاطاً وسفالة، المحامون الذين تبرعوا ليدافعوا عن تلك الجرائم، بحجة انها صدرت عن سلطة شرعية، وان القوانين النافذة - وقتها - تبيح تلك الجرائم.

ورحم الله عبد الله بن عمر الذي اتهم مصعب بن الزبير باستباحة دماء الناس. فقال له مصعب: اني قتلتهم على الحق. فرد عليه عبد الله بن عمر: والله لو كانوا من غنم ابيك لعد ذلك اسرافاً^(❖).

(❖) الرواية هنا بمعناها

وليست بمبناها.

وبالعودة إلى احداث ذلك اليوم، الذي فقدت فيه

٦٣٢- يصف الدكتور عبد الجبار الجومرد الناس- يوم الثورة- في الموصل قائلاً: (كان فرح الناس شديداً، فهم يرقصون وينشدون ويهتفون، وكأنهم قد فقدوا عقولهم) (المصدر السابق.

ص ٩١) فكيف الحال في قصر الرحاب صبيحتن؟

٦٣٣- المؤلف. المصدر السابق. ص ١٤٤-١٤٦.

٦٣٤- نشر هذا التصريح البطولي!!! في العدد الخاص الذي اصدرته مجلة الصياد اللبنانية عن مؤامرة كانون الثاني ١٩٧٠ بتمويل من الحكومة العراقية. وكان العدد مغفلاً من التاريخ.

الناس عقولها، فقد قتلت الجماهير الهاجعة، وزيرين اردنيين - من وزراء الاتحاد الهاشمي - ومثلوا بهما، معتقدين انهما وزيران عراقيان.

كما قتلوا عددا من الاردنيين والاجانب^(٦٣٥). وهاجموا السفارة البريطانية، وحاولوا حرقها، وقتلوا احد ضباطها. ولولا وصول قوة من الجيش لاصبحت اثرا بعد عين^(٦٣٦). وحطموا تمثال الجنرال مود - الذي احتل بغداد عام ١٩١٧ - المنصوب أمامها. كما حطموا تمثال الملك فيصل الأول. ويعلق صبحي عبد الحميد على ذلك قائلاً: (لم يسيء هذا الملك للبلاد بل بذل جهدا كبيرا في تقليص النفوذ الانكليزي فيها)^(٦٣٧).

من جانب آخر، لم تحدث اعمال معادية للثورة، سوى حادثة واحدة وهي حريق مخازن الوقود في الباب الشرقي في اليوم الثاني للثورة. ويبدو انها كانت عملا تخريبيا^(٦٣٨). فقد كانت هناك - في العهد الملكي - خطة للقيام بتخريبات تعجيزية لعرقلة الثورات والانتفاضات الشعبية، وكسب الوقت، ريثما يتجمع الموالون ليجهزوا على الثائرين^(٦٣٩). فلم ينفذ أي جزء من تلك الخطة. اما ذلك الحريق - ايا كانت اسبابه واغراضه - فلم يكن ذا اثر يذكر. ويعزو بطاطو للمظاهرات التي سدت الشوارع والجسور، دورا كبيرا في عرقلة اية اعمال مضادة، ويضيف:

(كان للجماهير، بفضل عنفها، تأثير نفسي هائل، إذ انها زرعت الرعب في قلوب مؤيدي الملكية، واسهمت في شل ارادتهم، واعطت الانقلاب طابع العمل الذي لا سبيل إلى مقاومته، وهو ما شكل الحصن الحصين له)^(٦٤٠).

وبعد مقتل العائلة المالكة وانهيار النظام الملكي، انحسر الخوف من اية اعمال عدائية - من الداخل - ضد الثورة. لكن قيادة الثورة بدأت تخشى انفلات العنف من عقاله في

٦٣٥- العارف. المصدر السابق. ص ١٧٧٧

٦٣٦- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٠٢.

٦٣٧- نفس المصدر السابق.

٦٣٨- الحبوبي. المصدر السابق. ص ١١١.

٦٣٩- العارف. المصدر السابق. ص ١٧٧.

٦٤٠- بطاطو. المصدر السابق. ص ١١٥.

ذلك اليوم. فقد ازدحمت العاصمة بالناس.. والكثير منهم بمزاج قتالي.. وكان الأمر يشبه موجة المد الآتية.. والتي أصبحت مربعة وساحقة في زحفها^(٦٤١).

كانت كلمة واحدة كافية لقتل أي إنسان. ففي منطقة الصالحية ببغداد، مر بسيارته الدكتور صالح البصام ومعه زوجته، فصرخ في المتظاهرين خادم كان يعمل في بيتهم: (هذه ابنة سارق أموال الشعب عبد الهادي الجلبي). فهجموا عليهم ولم يخلصهم من موت محقق سوى صرخة آخر يعرفهم - أراد ان يخلصهم - منكرها انها ابنة الجلبي^(٦٤٢). حتى داخل معسكرات الجيش، كاد ان يفلت الأمر، ففي مدرسة الهندسة - على سبيل المثال - تظاهر بعض الجنود وهم ينادون بالموت لداود سرسم، آمر مدرسة الهندسة. فاتصل به جاسم العزاوي - احد الضباط الأحرار - طالبا منه عدم المجيء للمعسكر حفظا لسلامته^(٦٤٣). ×

لذلك اعلنت قيادة الثورة منع التجول، ثم اعلنت في وقت لاحق بعد الظهر الأحكام العرفية^(٦٤٤). وطلبت من الجماهير في بيانات متوالية الكف عن التجمهر في الشوارع. واحتلت قطعات من الجيش الأماكن الاستراتيجية في العاصمة، فاستتب الامن وهدأت الأحوال تماما في اليوم الثالث من الثورة^(٦٤٥).

وقد بلغ عدد القتلى في يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق نحو ثلاثين قتيلًا، من ضمنهم أفراد العائلة المالكة، ونوري السعيد وولده صباح، كما فيهم اثنان من وزراء الاردن واثنان من الأمريكان واثنان من الألمان وانكليزي واحد^(٦٤٦).

٦٤١- المصدر السابق. ص ١١٤.

٦٤٢- وريثة العرش. المصدر السابق. ص ٣٣٦ (ليست بالضرورة هذه الرواية صحيحة ولكنها تعبر بدقة عن الواقع في ذلك اليوم).

٦٤٣- العزاوي. المصدر السابق. ص ١٥١.

٦٤٤- بطاطو. المصدر السابق. ص ١١٤.

٦٤٥- العارف. المصدر السابق. ص ١٧٧.

٦٤٦- الزبيدي. المصدر السابق. ص ٢٠٦ (الهامش) ومن نافل القول الاشارة إلى ان نوري السعيد قتل في ١٥ تموز وليس ١٤ تموز.

دور عبد الناصر:

في عام ١٩٥٢، قام الجيش العراقي بتمرين عسكري واسع النطاق، في منطقة راوندوز. وقد دعيت لحضوره وفود عسكرية عربية وأجنبية. كان بينها وفد مصري يضم ثلاثة ضباط، ادهم المقدم جمال حماد الملحق العسكري المصري في سوريا ولبنان.

كان المقدم إسماعيل العارف - وهو أحد الضباط الأحرار الاوائل - مرافقا للوفود العربية. وقد نشأت بينه وبين تلك الوفود وخاصة الوفد المصري علاقة وثيقة. فبادر الملحق العسكري المصري جمال حماد إلى سؤال العارف، اذا كان هناك امل في قيام الجيش العراقي بثورة عسكرية، وهل هناك محاولة لإنشاء تنظيم للضباط الأحرار، على غرار تنظيم الضباط الأحرار في مصر.

وبعد تريث في الإجابة، اخبره العارف بوجود حركة ستطرح بالنظام القائم. ثم بعد فترة من انتهاء التمرين، التقى العارف ورفعت الحاج سري بالملحق العسكري المصري في داره ببغداد، وحدثاه عن تنظيم الضباط الأحرار في الجيش. فابلغهم حماد بأنه اوصل الخبر إلى جمال عبد الناصر، وان القيادة المصرية تؤكد استعدادها لدعم الثورة العراقية العتيدة، و انها جاهزة لحماية الضباط ومعاونتهم بكل ما لديها من امكانيات^(٦٤٧).

الطريف ان الملحق العسكري المصري جمال حماد، عندما شاهد - في التمرين - الزعيم الركن نجيب الربيعي قال: (ان هذا الرجل زي الرجل بتاعنا)^(٦٤٨). ويقصد بذلك محمد نجيب رئيس الجمهورية المصرية آنذاك. وشاءت الاقدار ان يأخذ نجيب الربيعي^(٦٤٩)، في الثورة العراقية عام ١٩٥٨، نفس الدور الذي اخذه محمد نجيب، في

٦٤٧- العارف. المصدر السابق. ص ٨٠- ٨١ وانظر ايضا حسين. المصدر السابق. الجزء السادس. ص ١٣٠- ١٣٤.

٦٤٨- العارف. المصدر السابق. ص ٨٠- ٨١ وانظر ايضا حسين. المصدر السابق. ص ٨٠.

٦٤٩- كان نجيب الربيعي الرئيس الروحي والفقري لتنظيم الضباط الاحرار في العراق في مرحلته الاولى على ما يبدو (انظر شهادة خليل ابراهيم حسين في الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ١٦٧).

الثورة المصرية عام ١٩٥٢، ولكن بصورة أكثر سلبية، فقد اختلف محمد نجيب مع جمال عبد الناصر والضباط الذين قاموا بالثورة فسجنوه. اما نجيب الربيعي^(٦٥٠) فارتضى ان يكون مجرد صورة، ولم يحرك ساكنا، فظل في منصبه حتى النهاية. وعندما وقع انقلاب ٨ شباط ١٩٦٢ كان الرجل في زيارة للصين الشعبية، فعاد منها وذهب إلى بيته، ولم يتعرض له احد بسوء.

وبالعودة إلى اتصالات الضباط الأحرار العراقيين مع عبد الناصر. فان تلك الاتصالات استمرت بوسائط متعددة. لكن ما يهمنا الان الاتصاليين الذين حصلوا عن طريق حسين جميل وصديق شنشل.

فقد ارسل عبد الكريم قاسم رئيس اللجنة العليا للضباط الأحرار، رشيد مطلق^(٦٥١) - في تموز ١٩٥٧ - للاتصال بحسين جميل^(٦٥٢)، وتكليفه بالسفر إلى القاهرة للاتصال بالرئيس عبد الناصر، والاستفسار منه عن موقفه من تنظيم الضباط الأحرار في العراق، وعن المساعدة والعون التي سيقدمها في حالة اندلاع الثورة.

وبالفعل ذهب حسين جميل وابلغ الرئيس عبد الناصر بذلك. فكان جوابه بأنه سيقدم للثورة كل عون ومساعدة تحتاج اليها اذا نجحت، اما اذا فشلت المحاولة فانه سوف يمنح القائمين بها حق اللجوء السياسي.

كما ابلغ حسين الرئيس عبد الناصر بنية القائمين بالحركة بتصفية الثلاثة الكبار (الملك وعبد الإله ونوري السعيد) وسأله هل يعتقد بان الغرب سيتدخل لقمع ثورة العراق

٦٥٠- يصف الدكتور عبد الجبار الجومرد وزير الخارجية بعد الثورة، نجيب الربيعي قائلاً: رجل في العقد الخامس من عمره، جميل الصورة، رزين عاقل مفكر، يصلح لان يكون رجل دولة.. ولكنه مسابير، لا يحب الاصطدام مع مناقشيه، ولو كان هو على حق وفي امر هام، وكان خصمه مسيئاً للمصلحة (حسين. المصدر السابق.. الجزء السابع. ص ٩٤-٩٥).

٦٥١- صديق لعبد الكريم قاسم، كان يعمل موظفاً في دائرة الكمارك. عين بعد الثورة مديراً لمؤسسة السياحة والاصطيفاف.

٦٥٢- لم يكن هذا الاتصال بعلم اللجنة العليا للضباط الاحرار (انظر الحبيب. المصدر السابق. ص ٧٤).

والانتقام لمقتل الثلاثة الكبار. فكان جواب عبد الناصر: (بان مصالح الغرب في العراق أهم من مقتل الثلاثة الكبار، ولذلك فانهم لا يتدخلون لصالح الثلاثة)^(٦٥٣).

وكلفت اللجنة العليا للضباط الأحرار، ممثلة برجب عبد المجيد، امين عام حزب الاستقلال محمد صديق شنشل، الذي كان يستعد للسفر - في ١٢ شباط ١٩٥٨ - لحضور اجتماع المكتب الدائم للخريجين العرب في دمشق^(٦٥٤). الاستيضاح من الرئيس جمال عبد الناصر عن موقف الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي، من تدخل دول حلف بغداد ضد الثورة^(٦٥٥). كان رد الرئيس عبد الناصر بان الجمهورية العربية المتحدة تضع جميع امكانياتها تحت تصرف الثورة العراقية. اما موقف الاتحاد السوفيتي، فيرى انه سيكون شبيها بموقفه من العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦^(٦٥٦).

وفي صباح ١٤ تموز ١٩٥٨، اتصل كامل الجادرجي زعيم الحزب الوطني الديمقراطي هاتفيا بوزارة الدفاع، وطلب التحدث مع احد المسؤولين (من الثورة). فحوله مسؤول البدالة إلى الرائد خليل إبراهيم حسين. فطلب الجادرجي منه اجراء اتصال سريع برجال الجمهورية العربية المتحدة^(٦٥٧).

كان الرئيس جمال عبد الناصر قد سمع بنبأ الثورة في العراق، وهو في عرض البحر عائدا من يوغسلافيا إلى القاهرة. فاصدر اوامره على الفور بوضع الجيش بحالة طوارئ، وقرر ان تدخل الجمهورية العربية المتحدة المعركة إلى جانب العراق، اذا ما تحركت الجيوش الغربية لضرب الثورة. وقفل راجعا إلى يوغسلافيا، حيث درس هناك الموقف مع تيتو، الذي أشار عليه بالذهاب إلى موسكو فوراً.

٦٥٣- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٤٨.

٦٥٤- المصدر السابق. ص ١٤٩.

٦٥٥- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٣٢٠- ٣٢١ (رواية رجب عبد المجيد) وانظر ايضا الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ١٤٨ (شهادة رجب عبد المجيد ايضا).

٦٥٦- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٤٩.

٦٥٧- الدليمي. المصدر السابق. ص ٢٤٤ (رواية خليل ابراهيم حسين الذي عين بعد الثورة معاوناً لمدير الاستخبارات العسكرية).

فطار إلى موسكو واجتمع بخروشوف، وطلب منه عمل كل ما يمكن عمله لاسناد ثورة العراق، وذلك للحيلولة دون تدخل تركيا وايران ضد الثورة. وفعلا قام الجيش السوفيتي، الموجود بقفقاسيا، بمناورات كبرى على مقربة من الحدود المشتركة مع إيران وتركيا، استخدمت فيها القوة الجوية والصواريخ بكثافة، مما جلب انتباه الدولتين.

ثم طار الرئيس عبد الناصر عائدا من الاتحاد السوفيتي إلى دمشق عبر إيران والعراق. فشهد من الطائرة التظاهرات التي كانت تطوف الشوارع في بغداد ابتهاجا بالثورة. ولم يرغب بالنزول في مطار بغداد، لانه اراد ان يتمتع الشعب العراقي بفرحة نصره^(٦٥٨).

الموقف الغربي من الثورة:

كتب محمد حديد يقول:

(لقد اذهلت ثورة ١٤ تموز العالم باجمعه لانها قامت في بلد كان معقلا بل حصنا من حصون الاحلاف العسكرية الاستعمارية والرجعية)^(٦٥٩).

وقد فاجأت الثورة الغرب تماما. وفسر ذلك بان المخابرات البريطانية ارتكبت خطأ تقليديا بتجنيد عملاء من أصدقائها وليس من العناصر المناوئة لبريطانيا. اما المخابرات الأمريكية فكانت مشغولة بمتابعة ما يجري في الكويت والأردن باهتمام^(٦٦٠). ومن المفيد ان نسلط الضوء على الاهتمامات البريطانية في اليوم الأول للثورة. ففي مذكرة اعدت من قبل وزارة الخارجية البريطانية، لاطلاع زعيم حزب العمال المعارض، على التطورات في العراق، في اطار التشاور الدائم بين الحكومة والمعارضة البريطانيتين،

٦٥٨- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ٢٧٥ (رواية محمد مجيد للمؤلف عن لقاءهم بعبد الناصر يوم ١٩/٧/١٩٥٨).

٦٥٩- جريدة التآخي العدد ٧٨٤ في ١٤/٧/١٩٧١ (نقلا عن د. محمد الزبيدي. المصدر السابق. ص ٤٨٣).

٦٦٠- فرحان. المصدر السابق. ص ١٤٩ و ١٥٠.

ومؤرخه في ١٥ تموز ١٩٥٨، جاء فيها:

(لقد تطور الوضع في الشرق الاوسط بصورة خطيرة وبسرعة غير متوقعة. الاضطراب في لبنان الذي كان بوضوح منظما من قبل ناصر، قد تبعه مؤثرات في الاتحاد العربي. في العراق، ما يزال الوضع مشوشا جدا ونحن لا اتصال لنا بسفارتنا منذ صباح امس، ولكن لدينا رسالة تقول، ان المستر مايكل رايت (السفير) وجميع موظفيه باستثناء واحد، سالمون، ولكن نحن لانعرف ما حدث للرعايا البريطانيين الآخرين، والذي نعرفه، ان امريكيين اثنين قد قتلوا وربما توجد اصابات اخرى. ان الوضع في حقول النفط هاديء ولكن نحن لانعرف كم سيطول ويدوم هذا الهدوء. نحن ما نزال على اتصال مع القوات البريطانية في الحبانية، وان السلطات العراقية ما تزال ودية. وليس لدينا اخبار بصدد ما حل بالملك، أو نوري. ان واجبا الرئيسي هو حماية حياة البريطانيين وممتلكاتهم. وانه ليس من السهل رؤية كيف يمكن تحقيق ذلك عمليا. في الوقت نفسه، ان الثورة في العراق، قد سببت تدهورا سريعا في الوضع اللبناني..الخ)^(٦٦١).

ولو تتبعنا الموقف البريطاني خلال الأيام التالية للثورة، نجده امينا لمبدأ الملك البريطاني الشهير هنري الثامن: (الدول لها مصالح وليس اصدقاء). ففي اجتماع لمجلس الوزراء البريطاني - الذي كان في حالة انعقاد دائم - قال وزير الخارجية سلوين لويد: (انه سيكون من الضروري تحديد موقفنا تجاه الحكومة الجديدة في العراق. وان التقارير تشير إلى ان الحكومة تفرض سيطرتها على الوضع في البلاد. وهي تواقه على ما يبدو للمحافظة على العلاقات الثقافية والتجارية معنا. وسوف يكون من غير المستحسن بسبب ذلك، ان نتخذ أي عمل متهور ربما يثير انتقاما ضد مصالحنا النفطية في العراق. والسبيل الصحيح في المدى القصير، هو قبول الوضع الحالي. اما موقفنا في المستقبل فانه سوف يعتمد على السياسة التي تتبناها الحكومة الجديدة)^(٦٦٢).

٦٦١- نورس. المصدر السابق. ص ٥٢- ٥٤.

٦٦٢- المصدر السابق. ص ٦٨- ٦٩.

وقد مضت الحكومة البريطانية بعيداً في هذا الموقف. فحينما ابلغت تركيا الولايات المتحدة - في ١٨ تموز - خططها لغزو العراق طالبة غطاء جويًا أميركيا لعملية الغزو، اعتبرت الحكومة البريطانية ذلك (حماقة إجرامية)^(٦٦٣). وأخذت تراهن على ابعاد رجال الثورة العراقية عن عبد الناصر وجلبهم إلى جانبها^(٦٦٤). والخطر ان الخارجية البريطانية وفي برقية لها - في ٣٠ تموز ١٩٥٨ - إلى سفيرها في السويد، ليشرح لوزير خارجية السويد، الموقف البريطاني من النظام الجديد، ذكرت:

(ان الأمور اذا ما سارت على ما يرام، فان النظام الحالي ربما يثبت كونه مشكلة اكبر لناصر من النظام السابق. ونحن ربما نكون قادرين على العمل معهم، ولكن اذا ما سقط نظامهم فسيخلفهم بالتأكيد متطرفون يعتمدون على ناصر وعلى الشيوعيين)^(٦٦٥).

ولم يكن الموقف الأمريكي مختلفا عن الموقف البريطاني. ولو ان وزير الخارجية الأمريكية دالاس، كانت لديه على ما يبدو، تحفظات شخصية بصدد الاعتراف بالنظام الجديد. وكان مقتنعا بان النظام الجديد هو حتى الان ميال لناصر، لذا ليس هناك توقع ببقاء العراق عضوا مخلصا في حلف بغداد^(٦٦٦). لكن الولايات المتحدة كانت تشارك بريطانيا الرأي بان الخطط التركية لغزو العراق حماقة^(٦٦٧).

ولابد من الإشارة هنا إلى تأثير البيان السوفيتي - الصادر في ١٦ تموز - والذي دعا الولايات المتحدة، لسحب قواتها من لبنان. واعلنت فيه موسكو عن حقها في اتخاذ الاجراءات الضرورية للمحافظة على الامن والسلام في المنطقة. كما اعلنت موسكو - في نفس اليوم - اعترافها بالنظام الجديد في بغداد^(٦٦٨). اضيف إلى ذلك اعلان الجمهورية

٦٦٣- المصدر السابق. ص ٧٠-٧٢.

٦٦٤- المصدر السابق. ص ٧٣ و ٧٨ و ٨٥.

٦٦٥- المصدر السابق. ص ٨٥.

٦٦٦- المصدر السابق. ص ٨٠.

٦٦٧- المصدر السابق. ص ٧٣.

٦٦٨- المصدر السابق. ص ٥٦- ٥٨ و ٧٠-٧١.

العربية المتحدة بان أي عدوان على العراق هو عدوان عليها^(٦٦٩). وعموما فان هزيمة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، كانت ماثلة في اذهان الأميركيان والبريطانيين وهم يناقشون اوضاع المنطقة.

فعلى سبيل المثال، وعشية تحريك وحدات الجيش العراقي (اللواء العشرين) إلى الاردن. والتي اعتبرها جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة - حسب رواية ولبركرين ايفلاند في كتابه حبال من رمال - حركة بريطانية ليبرهنوا بان امريكا وحدها لا تستطيع معالجة ثورة عبد الناصر في لبنان. وان بريطانيا باستطاعتها انقاذ الموقف، باستخدام الجيش العراقي، لتحويل انتباه الجمهورية العربية المتحدة، عن الحرب الاهلية اللبنانية. يقال بان دالاس وصف ذلك الاجراء بانه جنون مطبق وعلق عليه: (انه عمل انتحاري يشبه عملية قناة السويس)^(٦٧٠).

وفعلا كان ذلك عملا انتحاريا، فبدلا من أن يتوجه اللواء العشرون إلى الاردن، سيطر على بغداد وعلن الثورة فيها.

وقد اعلنت الحداد على العائلة المالكة، ثلاث دول، هي بالاضافة إلى الاردن، إيران حيث اعلن الشاه الحداد في بلاده لمدة ثمانية أيام، وليبيا التي اعلن فيها الملك السنوسي الحداد لخمسعة عشر يوما.

بينما لم تعلن الحداد، بريطانيا أو امريكا أو تركيا وما شابه. بل وفي بريطانيا منعت الملكة (باعتبارها رئيسة الكنيسة البريطانية) - وكما ذكرنا سابقا - ان تقام الصلوات على روح الملك فيصل الثاني في اية كنيسة. فاضطر عدد من اصدقائه ان يقيموا الصلوات من اجله في معبد لاحدى طوائف (الاخوة الفرسان)^(٦٧١).

واتفقت دول حلف بغداد - في ٢٨ تموز - على ان الاعتراف المبكر بحكومة العراق الجديدة، يعد امرا مرغوبا فيه. وفي الأول من آب، اعترفت بريطانيا بالنظام الجديد.

٦٦٩- المصدر السابق. ص ١٠١.

٦٧٠- العارف. المصدر السابق. ص ١٦٩.

٦٧١- دي غوري. المصدر السابق. ص ٣٤٦.

وفي اليوم التالي اعترفت به الولايات المتحدة^(٦٧٢).

انه درس تكرر مرارا في الشرق الاوسط، حيث يتخلى الغرب عن حلفائه لمجرد ان يضعفوا أو يهزموا. والغريب ان حلفاء الغرب في منطقتنا لم يتعظوا ولا مرة من تلك الدروس. بل ولم يفكروا ان يمسكوا الحبل - على الاقل - من المنتصف، فيوازنوا بين تحالفهم مع الغرب وبين مصالح شعوبهم.

ومن الضروري ان نشير ولو بسرعة، إلى التغطية الإعلامية الغربية لاحداث العراق. إذ صوروا ما حدث بأنه ثورة شيوعية من تدير موسكو والقاهرة^(٦٧٣). ويبدو ان العقلية الغربية، ورغم تقدم الغرب الهائل، لا تختلف عن اية عقلية اخرى في تحيزها وانتقائيتها وتخيالاتها.

فهذا هو العقيد دي غوري الملحق العسكري البريطاني، في كتابه الشهير ثلاثة ملوك في بغداد، يتحدث عن احداث اليوم الأول للثورة قائلاً: (كان من أهم الخطوات التي اتخذها الأشخاص الذين اشتركوا بالثورة، انه تم اثناء الليل اطلاق سراح السجناء الشيوعيين المسجونين في سجن بعقوبة. والاتيان بهم إلى بغداد وقد عين من بينهم قادة لمجموعات وسلمت اليهم تعليمات مكتوبة، مع شعارات واعلام لغرض استخدامها عند الفجر لاثارة الدهماء وتوجيههم)^(٦٧٤). وبغض النظر عما يريد ان يوحي به دي غوري من هذه الرواية، وهو الذي كرر القول في كتابه بأن ثورة تموز هي من عمل عملاء الروس والمصريين^(٦٧٥). فان السجناء السياسيين ومنهم الشيوعيون في سجن بعقوبة أو غيره، لم يطلق سراحهم الا بعد عدة أيام من الثورة، إذ تشكلت لجنة لدراسة قضاياهم، والتي قامت بالافراج عنهم تباعا، فمثلا ان بهاء الدين نوري السكرتير السابق للحزب الشيوعي، والشاعر الكردي الشهير عبد الله كوران، لم يطلق سراحهم الا يوم ٢٨ تموز^(٦٧٦).

٦٧٢- نورس. المصدر السابق. ص ٨٤-٨٥.

٦٧٣- انظر العارف. المصدر السابق. ص ١٥٩-١٦٢.

٦٧٤- دي غوري. المصدر السابق. ص ٣٢٧.

٦٧٥- المصدر السابق. انظر مثلا ص ٣٢٠، ٣٤٤، ٣٤٥.

٦٧٦- نوري. المصدر السابق. ص ٢٤٣.

التنسيق مع المعارضة الوطنية:

هناك روايات متعددة عن إقامة الضباط الأحرار اتصالات، في مراحل مختلفة من نشاطهم، مع زعماء من المعارضة الوطنية. لكن ما يهمنا الآن الاتصالات التي جرت بينهما خلال السنة السابقة أو السنتين السابقتين للثورة.

بدأت الصلة الرسمية بين الضباط الأحرار وجبهة الاتحاد الوطني^(٦٧٧) - في نيسان ١٩٥٧ - عندما أخبر رجب عبد المجيد، صديقه عبد الستار علي حسين (أحد قادة حزب الاستقلال) بوجود تنظيم الضباط الأحرار، دون أن يذكر له أي اسم من الضباط الأحرار، وطلب منه إبلاغ الجبهة بذلك. فاقترحت الجبهة أن يحضر واحد أو اثنان من ممثليها، اجتماعات اللجنة العليا للضباط الأحرار. فرفض طلبها هذا، واتفق على استمرار الاتصالات بينهما، عن طريق صديق شنشل (من قيادة حزب الاستقلال أيضاً) ممثلاً للجبهة، ورجب عبد المجيد ممثلاً للضباط الأحرار^(٦٧٨). وقد مر بنا الكلام عن تكليف الضباط الأحرار شنشل للاتصال بعبد الناصر.

ويبدو أن اتصالات عبد الكريم قاسم، ببعض الزعماء السياسيين، كانت أسبق من هذا الاتصال الرسمي. فقد أرسل صديقه رشيد مطلق - في تشرين أول ١٩٥٦^(٦٧٩) - إلى حسين جميل سكرتير عام الحزب الوطني الديمقراطي (وهو صديق لمطلق أيضاً)، وعرض عليه رغبته والضباط الأحرار بالتعاون. ويقول جميل بأنه أوضح لمطلق بأن الانقلاب قد يذهب بأوضاع تشكو منها البلاد، ولكنه يأتي بأوضاع هي ضد الحريات

٦٧٧- تأسست جبهة الاتحاد الوطني- في شباط ١٩٥٧- من الأحزاب التالية: الوطني الديمقراطي والاستقلال والبعث والشيوعي. وأصدرت بيانها الأول- في آذار ١٩٥٧- الذي طالب بتنحية وزارة نوري السعيد وحل المجلس النيابي والخروج من حلف بغداد وتوحيد سياسة العراق مع البلاد العربية وانتهاج سياسة مستقلة قائمة على الحياد الإيجابي وإطلاق الحريات وإلغاء الإدارة العرفية وإطلاق سراح السجناء (الدليمي. المصدر السابق. ص ١٩٩-٢٠٠).

٦٧٨- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق)، ص ١٤٦-١٤٧ (شهادة رجب عبد المجيد).

٦٧٩- يبدو أن هذه الاتصالات قد أجراها عبد الكريم قبل انضمامه للجنة العليا للضباط الأحرار.

والحكم الديمقراطي. وبرغم هذه التحفظات، ظل الاتصال بينهما مستمرا^(٦٨٠). وقام جميل - بتكليف من عبد الكريم قاسم- بابللاغ جمال عبد الناصر، بنية الضباط الأحرار القيام بالثورة، كما مربنا سابقا. ويعلق محسن حسين الحبيب عضو اللجنة العليا للضباط الأحرار على هذه الاتصالات قائلًا: (علمنا بهذا بعد حدوثه وتلك كانت الثغرة الأولى والخطيرة في تنظيم الثورة وهي ثغرة (الفردية) والعمل بروح الـ (انا) وكانت نتائجها وخيمة على الثورة والبلاد كلها)^(٦٨١).

واوفد عبد الكريم، رشيد مطلق أيضا - في أواخر تشرين الأول ١٩٥٦ - إلى كامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي. وتظهر هنا امامنا روايتان. تقول الأولى - استنادا إلى اوراق كامل الجادرجي غير المنشورة - انه رفض التعاون مع العسكريين للقيام بانقلاب، لان تجربته في انقلاب بكر صدقي في عام ١٩٣٦، لا تشجعه على اعادة التجربة^(٦٨٢).

وتقول الثانية ان الجادرجي تحول إلى تأييد العمل العسكري- بصورة قاطعة- بعد حل نوري السعيد لمجلس النواب الذي كان الجادرجي عضوا فيه. لهذا وافق على الاتصال بالعسكريين واعطى الضوء لقادة الحزب الوطني الديمقراطي للاتصال بهم^(٦٨٣).

وكيفما كان الحال، فان الأيام التي قضاها الجادرجي في السجن - إذ حُكم في ١٩ كانون الأول ١٩٥٦ بالحبس الشديد لمدة ثلاث سنوات ولم يطلق سراحه الا في أواخر حزيران ١٩٥٨ - قد غيرته كثيرا، فراح يشجع العسكريين على إزالة النظام الملكي^(٦٨٤).

وقد اتصل رشيد مطلق - في الوقت نفسه - بمحمد حديد نائب رئيس الحزب الوطني الديمقراطي^(٦٨٥). فكان عبد الكريم قاسم ولسنتين قبل الثورة، على صلة وثيقة بمحمد

٦٨٠- الدليمي. المصدر السابق. ص٢٣٦.

٦٨١- الحبيب. المصدر السابق. ص٧٢.

٦٨٢- ليث الزبيدي. المصدر السابق. ص١٤٤.

٦٨٣- الدليمي. المصدر السابق. ص٢٣٨.

٦٨٤- الدليمي، المصدر السابق، ص٢٤٠.

٦٨٥- الزبيدي. المصدر السابق. ص١٤٤.

حديد. وقد ترك حديد انطبعا طيبا في نفسه، فعينه وزيرا للمالية بعد الثورة^(٦٨٦). وفي صيف ١٩٥٧، طلب الضباط الأحرار من فائق السامرائي وصديق شنشل، كتابة مسودة (البيان الأول) للثورة. وأعد شنشل مسودة البيان ووافق عليها فائق السامرائي، ونقلها إلى أحد الضباط الأحرار. وفيما بعد فإن البيان الأول الذي اذاعه عبد السلام عارف، جاء متفقا في أغلب النقاط مع البيان الذي اعده شنشل، ما خلا الناحية الإسلامية، التي ابرزها البيان الذي اذاعه عبد السلام أكثر من البيان الذي كتبه شنشل^(٦٨٧). وفي ربيع عام ١٩٥٨، وكان الجادرجي لا يزال في السجن، اتصل رشيد مطلق - بتكليف من عبد الكريم قاسم - بحزبي الاستقلال والوطني الديمقراطي، وطلب اليهما تحديد موقفيهما على نحو واضح وثابت ازاء الاشتراك بالثورة، على ان يظل الأمر سرا ولا يطلع عليه احد من أعضاء الحزبين، عدا كامل الجادرجي ومحمد حديد ومحمد مهدي كبه وصديق شنشل. واجتمع هؤلاء الأربعة مع مطلق في زنزانة الجادرجي بسجن بغداد. فاتفق المجتمعون على مساهمة الحزبين بالثورة وتحمل المسؤولية فيها^(٦٨٨). ولما تم ابلاغه - يوم ١١ تموز ١٩٥٨ - بأن ساعة الصفر ستكون صبيحة يوم ١٤ تموز، يقول الجادرجي قلت حينها: (فليبارك الله في هذه الحركة ويجعلها بداية خير ويمين للبلاد)^(٦٨٩).

كان رشيد مطلق قد حضر إلى منزل الجادرجي، واخبره بموعد الثورة، وطلب منه ان يبلغ السيد محمد حديد الذي كان في الموصل في ذلك الوقت، فارسلت برقية اليه واخرى إلى هديب الحاج حمود، للحضور إلى بغداد^(٦٩٠). اما الرواية التي تقول بان عبد الكريم قاسم عرض رئاسة الوزراء على الجادرجي^(٦٩١)،

٦٨٦- خدوري. العراق الجمهوري (مصدر سابق). ص ٤٧.

٦٨٧- الزبيدي. المصدر السابق. ١٤٥.

٦٨٨- المصدر السابق. ص ٢٢٩.

٦٨٩- الدليمي، المصدر السابق. ص ٢٤٠.

٦٩٠- الزبيدي. المصدر السابق. ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

٦٩١- الدليمي. المصدر السابق. ص ٢٤١ والزبيدي. المصدر السابق. ص ٢٢٩ (الهامش).

فلا يسع المرء الا ان يتحفظ عليها، لان عبد الكريم وعبد السلام لن يضحيا بنفسيهما، ليسلما الحكم للجادرجي أو غير الجادرجي، بل انهما تهربا من زملائهم في اللجنة العليا للضباط الأحرار، واخفيا عنهم الحركة، حتى لا يشاركوهم في الحكم القادم.

وارسل عبد الكريم قاسم صديقه مطلق - في ١١ تموز أيضا - لابلغ الحزب الشيوعي بموعد الثورة. وكان عبد الكريم، وعن طريق المطلق، على اتصال بالحزب الشيوعي منذ صيف عام ١٩٥٦، إذ ابلغ الحزب الشيوعي آنذاك، عن عزمه الاطاحة بالنظام الملكي، في خريف ذلك العام، اثناء المناورات التي تجري في الرطبة. ولكن الحركة لم تقم بسبب عدم حضور الثلاثة الكبار للمناورات^(٦٩٢).

وبلّغ عبد الكريم جبهة الاتحاد الوطني بموعد الثورة، عن طريق صديقه كمال عمر نظمي عضو الجبهة. لكنه اي عبد الكريم لم يبلغ حزبي الاستقلال والبعث رسميا، بموعد الثورة، كما بلغ الشيوعي والوطني الديمقراطي^(٦٩٣). وكان ذلك تصرفا احمقا منه.

دولة الضباط:

في العراق الجمهوري، ومنذ ١٤ تموز ١٩٥٨ حتى ١٧ تموز ١٩٦٨، أصبح الضباط هم زعماء البلاد ورجال الدولة^(٦٩٤). وكانوا يستعينون لفترات قصيرة - عند الحاجة - برجال الحركات السرية، لتدعيم سلطتهم. فقد استعان عبد الكريم قاسم بالشيوعيين في السنة الأولى من حكمه. واستعان عبد السلام عارف - بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ - بالبعثيين لثمانية اشهر، وبالقوميين لبضعة اشهر اخرى.

اما الزعامات السياسية التقليدية، والتي كانت تقود المعارضة في العهد الملكي،

٦٩٢- الزبيدي. المصدر السابق. ص ١٤٦ و ٢٠٤.

٦٩٣- المصدر السابق. ص ٢٠٣ و ٢٠٥.

٦٩٤- الطريف ان ضابطا برتبة رائد، من الذين شاركوا بالثورة، طلب تعيينه اما عضوا في مجلس قيادة الثورة، واما رئيسا لجامعة بغداد (الذاكرة التاريخيه (مصدر سابق) ص ٢٢٤- ٢٢٥).

وتزعمت في فترات عديدة منه الشارع السياسي^(٦٩٥). فان زعامتها تراجعت - بعد الثورة - بسرعة مذهلة. حتى انه يمكن القول بان نفوذها في الشارع العراقي - والذي كان النظام الملكي يحسب له الحساب - تلاشى خلال بضعة أسابيع من الثورة. ولم تعد الناس تلتفت لوجودهم، الا حين يعينهم العسكريون في احدى الوظائف العامة.

وهكذا فان النظام الملكي، لم يسقط بسلطته فحسب، بل يمكن القول ان معارضته التقليدية سقطت معه أيضا. وربما كان لطبيعة المجتمع العراقي الفلاحي - العشائري، والذي تشكل القوة القيمة العليا في ثقافته، اثر كبير في هذا التحول السياسي - الاجتماعي السريع. وعموما فان تلك القيادات لم يكن لها يوماً نفوذ حقيقي في المجتمع العراقي، وكان نفوذها يقتصر على فئات من الطلبة والمتعلمين.

هناك سؤال يطرح نفسه: هل ان مستقبل العراق سيكون مختلفا، لو ان الضباط سلموا السلطة - يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ - لقيادة جبهة الاتحاد الوطني، واكتفوا هم بتسلم القيادات العسكرية العليا في الدولة؟.

ثمة احتمال ضئيل بان النتائج ستكون أفضل. لان الجبهة ستتشق، حول الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، إلى معسكرين: يقف في احدهما الحزب الشيوعي والوطني الديمقراطي، ويقف في الآخر البعث والاستقلال. بل وسيختلف كل حزب مع غيره حول كل شيء، وسيستعينون بالجيش ثانية، أو ان الجيش نفسه سيبادر - وهو يراهم منشقين - إلى تسليم السلطة بنفسه.

ولنقف الان عند حكومة الثورة، التي شكلها عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وعبد اللطيف الدراجي - في ١٢ تموز ١٩٥٨ - في اجتماع عقدوه في معسكر المنصور^(٦٩٦). فقد اقتسم عبد الكريم وعبد السلام المناصب الرئيسية بينهما، فاخذ الاول رئاسة الوزراء والقيادة العامة للقوات المسلحة ووزارة الدفاع. واخذ الثاني المناصب التالية:

٦٩٥- انظر مثلا الدليمي. المصدر السابق. ص ١٣٩ (هتفت الجماهير في انتفاضة عام ١٩٥٢ بحياة الجادرجي وطالبت بحكومة وطنية برئاسته).
٦٩٦- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٠٢.

نائب القائد العام، ونائب رئيس الوزراء، ووزير الداخلية. ومن حسن حظهما، أي حظ عبد الكريم وعبد السلام، ان صاحبهما عبد اللطيف الدراجي، رجل بلا طموح، فأقصى ما كان يتمناه هو منصب آمر الكلية العسكرية^(٦٩٧).

وحسب رواية إسماعيل العارف، فان عبد الكريم قاسم وضع قائمة الوزارة، واستشار فيها كلا من عبد السلام عارف وعبد اللطيف الدراجي، واخفاها عن أعضاء اللجنة العليا. فادخل فيها عبد السلام، الدكتور جابر عمر وزيرا للتربية. واقترح عبد اللطيف الدراجي ادخال نسيبه الدكتور محمد صالح محمود (تركمانى) وزيرا للصحة^(٦٩٨).

وضمت الوزارة عضوا واحدا من اللجنة العليا - إضافة بالطبع لقاسم وعارف - هو العقيد الركن ناجي طالب وزيرا للشؤون الاجتماعية. اما الوزارات الأخرى فأسندت إلى المدنيين من زعماء الحركة الوطنية، فحصل الحزب الوطني الديمقراطي على وزارتين هما المالية لمحمد حديد والزراعة لهديب الحاج حمود. ونال حزب الاستقلال وزارة واحدة هي الإرشاد، والتي شغلها محمد صديق شنشل. اما حزب البعث فنال وزارة الاعمار التي اسندت إلى امين سر القيادة القطرية للحزب فؤاد الركابي. واختيرت لوزارات الخارجية والاقتصاد والمواصلات، أسماء سبق ان جرى ترشيحها من قبل اللجنة العليا للضباط الأحرار. فاختر إبراهيم كبه للاقتصاد وعبد الجبار الجومرد للخارجية وبابا علي الشيخ محمود للمواصلات. اما الوزارات الأخرى فاسندت إلى مدنيين مستقلين، وقد لعب عامل الصداقة والقربة الشخصية دورا كبيرا في ذلك، فقاسم رشح صديقه مصطفى علي وزيرا للعدلية، ومر بنا ترشيح عبد السلام لصديقه جابر عمر، والدراجي لقريبه محمد صالح محمود^(٦٩٩).

ويبدو ان تعيين ناجي طالب وزيرا كان يرتبط بالأسباب التي أفصح عنها عبد السلام

٦٩٧- انظر العزاوي. المصدر السابق. ص ١٧٣ (ويروى ان الدراجي رفض منصب وزير الدفاع (البيدي. المصدر السابق. ص ٢٣١) ولله في خلقه شؤون).

٦٩٨- العارف. المصدر السابق. ص ٢١٤.

٦٩٩- البيدي. المصدر السابق. ص ٢٢٢.

عارف قبل الثورة بحوالي الشهر، إذ قال حرفيا: (اننا سنتخلص من ناجي طالب ومحسن حسين الحبيب صباح الثورة وذلك بتعيينهم وزراء، بعد شهرين نجري تعديلا وزاريا فنخرجهم فيخسرون الوزارة والجيش لان من الخطر بقاءهم في الجيش)^(٧٠٠).

ومن الواضح ان عبد السلام يستبطن في كلامه نزعة طائفية بغیضة. وقد عبر عن هذه النزعة بوضوح في اجتماعه باللجنة البديلة - في اواخر حزيران ١٩٥٨ - عندما اخبرهم ان الثورة على الأبواب، ثم اخرج جريدة الجيش، التي تصدر مرة واحدة كل سنة، وتحتوي جميع أسماء الضباط، وطلب منهم تأشير الضباط من ذوي الرتب العسكرية المشابهة لرتبتهم، أو اقل منها، لغرض تحديد من يبقى في الخدمة، ومن يحال على التقاعد. يقول العزاوي: (طلبنا من عبد السلام توجيهها في كيفية تقييم أولئك الضباط والأسس التي يجب اتباعها في ذلك، فكان جوابه يتسم بطرح توجيهات غير وطنية، بعيدة عن توجهات الثورة دفعني هذا الأمر إلى مناقشته وإلى ايضاح اهداف الثورة التقدمية الإنسانية البعيدة عن الإقليمية والطائفية والعنصرية، ثم عزمت على ترك الاجتماع، لكن إلحاح الأخ صبحي عبد الحميد^(٧٠١)، الذي اعزه كثيرا، جعلني اعود واجلس)^(٧٠٢). ان عبد السلام عارف شأنه شأن الكثيرين من ضيقي الافق، كان طائفيا. ومع ذلك لم اصدق ما نسب له ليلة ١٤ تموز من القول:

(هناك ثلاث جماعات يجب استئصالها وهم: الأكراد والمسيحيون والشيعة)^(٧٠٣).

٧٠٠- العزاوي. المصدر السابق. ص ١١٢. ومما يذكر ان محسن الحبيب قد عين في منصب ثانوي خارج بغداد. يقول الحبيب: (وهكذا تركت بغداد مقر الثورة وميدانها الرئيس وكأنني غريب عنها) (الحبيب. المصدر السابق. ص ١٠٤).

٧٠١- السؤال الذي يطرح نفسه: اما كان يجب على صبحي عبد الحميد (القومي العربي) وغيره من الضباط القوميين الحاضرين ان يتصدوا لطائفية عبد السلام عارف كما تصدى لها جاسم العزاوي؟ وكيف ارتضوا- فيما بعد- ان يكونوا شركاء في الحكم (واقصد عامي ١٩٦٤-١٩٦٥)؟

٧٠٢- المصدر السابق. ص ٩٥.

٧٠٣- الزبيدي. المصدر السابق. ص ٢٤٤ (الهامش).

وكنت احسب ذلك من دعايات الشيوعيين ضده، فليس ثمة إنسان سوي يفكر بهذه الطريقة. ولكنني بعد ان قرأت رواية العزاوي الأنفة الذكر، ورواية عبد الكريم فرحان الذي كان وزيرا في عهده^(٧٠٤). ورواية احمد ابو الجبن عن خطابه في كلية الاحتياط - في نهاية ١٩٦٥ - وكلامه المنفر ضد وحدة العراقيين^(٧٠٥)، وروايات اخرى، ادركت ان الرجل كان مهووسا بالطائفية، وان التصريح المذكور ليس غريبا على طريقة تفكيره.

وعلى أي حال، فان التشكيلة الوزارية لثورة تموز، اخذت بالطريقة القديمة نفسها في توزيع السلطة^(٧٠٦). حيث كانت نسبة الوزراء الشيعة ٢٣٪ من مجموع الوزراء، وهم ناجي طالب وهديب الحاج حمود و إبراهيم كبة.

اما فؤاد الركابي (المولود في الناصرية عام ١٩٣٠) فهو من اصول كردية سنية. ولم يكن في أي يوم من الأيام شيعيا. ولكن لقبه (الذي اخذه من امه)، واعتداله، واخلاصه للعروبة، وعلاقاته الطيبة مع ابناء جيله من اهالي مدينته الناصرية، جعلت الكتاب يصنفونه على الشيعة^(٧٠٧). وشُكل مجلس السيادة - ليقوم بمهام رئيس الجمهورية - على اسس طائفية أيضا. فالفریق الركن نجيب الربيعي، العربي السني، رئيسا. والعقيد الركن خالد النقشبندی، الكردي السني، عضوا. ومحمد مهدي كبة، العربي الشيعي، عضوا. يقول الباحث ليث الزبيدي:

(واتفق الثلاثة (ويقصد عبد الكريم وعبد السلام والدراجي) على ترشيح محمد مهدي كبة زعيم حزب الاستقلال لكونه من الطائفة الشيعية ومن زعماء الحركة

٧٠٤- عبد الكريم فرحان. حصاد ثورة. لندن ١٩٩٤. ص ١٣٧: (في اجتماع لمجلس قيادة الثورة احاط عبد السلام عارف الاعضاء علما بقرب ايفاد (٤٢) طالبا من الكلية العسكرية العراقية إلى الكلية الفنية بمصر على ان يكونوا من السنة).

٧٠٥- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق) ص ٢٥٤.

٧٠٦- حسن العلوي. التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي في العراق. لندن ١٩٨٨. ص ١٣٧.

٧٠٧- انظر مثلا بطاطو. المصدر السابق. ص ١٢٦. للاسف لم يجر تكريم هذا الرجل بعد سقوط صدام، ولم يطلق اسمه على شارع او مدرسة.

الوطنية)(٧٠٨). اما صبحي عبد الحميد فيقول: (لقد راعوا في انتخاب مجلس
السيادة التوازن الطائفي والقومي في العراق)^(٧٠٩).

المفارقة هنا، ان الاختيار للمناصب السياسية، عندما يكون وفق الطريقة المتبعة في
العهد الملكي، التي تجعل من الأكثرية أقلية طائفية، فهي تراعي - في نظر صبحي عبد
الحميد - التوازن الطائفي في العراق. اما عندما تجري وفق النسب السكانية، فهي
محاصصة طائفية بغيضة. وملاحظة سريعة سنعود اليها لاحقا بالتفصيل، فان المسألة
الطائفية غدت - في العهد الجمهوري - معضلة حقيقية. فالناس في العهد الملكي كانوا
يحسبونونها من حبال الاستعمار، أما وقد قام نظام وطني، فان تشكيل الدولة على نفس
الأسس الطائفية السابقة، ابقى العراق تحت المعادلة القلقة التي وصفها الملك فيصل
الأول كالاتي: حكومة عربية سنيه تحكم أكثرية شيعية^(٧١٠). وبالتالي فان العراق اخذ
ينزلق شيئاً فشيئاً إلى احضان المخطط البريطاني القديم القائم على الايقاع بين ابناء
الشعب العراقي^(٧١١).

وبالعودة إلى مجلس السيادة، فقد كان مجرد صورة. وقد استقال الشيخ محمد مهدي
كبة منه - في ٧ شباط ١٩٥٩ - شأنه شأن الوزراء القوميون الذين استقالوا من الوزارة.
وحاول عبد الكريم قاسم بمختلف الوسائل إقناعه بسحب استقالته، التي ظلت معلقة لمدة
طويلة. لكن كبة ظل مصرأً عليها، وكان يرفض استلام راتبه الشهري، وحتى بعد قبول
استقالته، رفض استلام الرواتب التي صرفت له عن المدة بين تقديم استقالته وقبولها،
رغم ان القوانين تبيح له ذلك، وانه كان في امس الحاجة اليها^(٧١٢).

وقد تمادى عبد الكريم قاسم في التعامل مع مجلس السيادة بعد ذلك، لدرجة ان

٧٠٨- الزبيدي. المصدر السابق. ص ٢٣١.

٧٠٩- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٠٣.

٧١٠- شوكت. المصدر السابق. ص ٦٢٤.

٧١١- النفيسي. المصدر السابق. ص ١٩٩ (النفيسي اكاديمي كويتي كبير لكنه للأسف تحول
في الفترة الاخيرة إلى مشجع للعنف الطائفي في العراق).

٧١٢- العزاوي. المصدر السابق. ص ٢١٠.

مراسيم جمهورية خطيرة، كانت تعد وتذاع من الاذاعة، قبل عرضها على مجلس السيادة، وتوقيعها منه، كما يقضي الدستور المؤقت. يقول جاسم العزاوي سكرتير عبد الكريم قاسم:

(اذكر، على سبيل المثال، تكليف السيد محمد سلمان بوزارة النفط، إذ اخذت المرسوم بعد اذاعته من الراديو إلى دار السيد رئيس مجلس السيادة فوقعه دون ان يبدي أي ملاحظة تدل على امتعاضه).

وكان نجيب الربيعي هو الذي يوقع - في الاونة الأخيرة - المراسيم الجمهورية، نيابة عن مجلس السيادة، برئيسه وأعضائه^(٧١٣). وهذه واحدة من ممارسات كثيرة، تدل على ان عبد الكريم قاسم، شأنه شأن سلفه الوصي، وشأن خلفائه الحكام الجمهوريين، كان لا يحترم الدستور، ولا يلتزم باحكامه، حتى عندما يكون لديه مجلس سيادة صوري^(٧١٤). وهكذا فان كل الذين حكموا العراق، لم يكن يهمهم إقامة دولة عراقية حديثة، مبنية على اسس قانونية صحيحة. إنما كان يهمهم الحكم، والحكم وحده.

وهذا يفسر بالتالي، كيف ان الاوضاع في العراق، كانت في كل نظام تسمي اسوأ من النظام الذي سبقه، فالممارسات اللاديمقراطية، واللاقانونية، كانت تتراكم وتتكاثر، بحيث اضعفت واوهنت استقرار العراق، ووحدته شعبه، وسلامته الوطنية.

ظل مجلس السيادة مكونا - بعد استقالة كبة - من عضوين فقط، حتى وفاة عضو المجلس (الكردي) خالد النقشبندی - عام ١٩٦١ - بسكتة قلبية. فاصدر عبد الكريم قاسم قرارا بصفته القائد العام للقوات المسلحة الوطنية - في ٢٧ تشرين الأول ١٩٦١ - بحل مجلس السيادة، واعادة تشكيله من نجيب الربيعي رئيسا، وعبد المجيد كمونة (عضو مجلس الخدمة سابقا) وهو شيعي، ورشاد عارف وهو كردي، عضوين في المجلس. وكلا الشخصيتين غير معروفتين سياسيا^(٧١٥).

٧١٣- المصدر السابق نفسه.

٧١٤- المصدر السابق نفسه.

٧١٥- العارف. المصدر السابق. ص ٣٢٠.

ان بعض رجال القانون المقربين من عبد الكريم قاسم، افتوا بان من حقه، استخدام صلاحيات القائد العام للقوات المسلحة الوطنية، في اعادة تشكيل مجلس السيادة. لانه - أي القائد العام للقوات المسلحة الوطنية - هو الذي اصدر البيان الأول للثورة وأسس النظام الجمهوري. مع الإشارة إلى ان ذلك المنصب لم يكن قد الغي حتى ذلك الوقت^(٧١٦). لكن الطريقة التي تمت بها اعادة تشكيل مجلس السيادة هي - وحسب رواية وزير المعارف آنذاك^(٧١٧) - الحادثة الأكثر دلالة، التي تظهر طبيعة الحكم العسكري الفردي وأساليبه، في إدارة شؤون البلاد بعد ١٤ تموز. فقد شكّا وزير المعارف إسماعيل العارف إلى عبد الكريم قاسم، من ان رئيس مجلس السيادة، لم يوقع على مرسوم اعادة تعيين الدكتور عبد الجبار عبد الله رئيساً لجامعة بغداد. فقال له عبد الكريم: (ان الفريق نجيب الربيعي بدأ يتناسى التاريخ القريب وهو متأثر ببعض الدعايات ومع ذلك لا تقلق سوف يوقعه بعد غد).

في اليوم التالي، وفي اجتماع مجلس الوزراء، قال عبد الكريم قاسم: أرجو ان يسمع المجلس ما يلي: قررت باعتباري لازلت القائد العام للقوات المسلحة الوطنية، الذي كان ولا يزال مصدر السلطات للنظام الثوري، ان احل مجلس السيادة وأعيد تأليفه بعددث. فوجيء الجميع بذلك وسكتوا وكأن على رؤوسهم الطير. اما رئيس مجلس السيادة والذي كان يحضر اجتماعات مجلس الوزراء، فقد امتنع لونه وبدا عليه الارتباك واضحا.. وفي منتصف الجلسة توقف عبد الكريم قاسم وقال: لدينا مرسوم آخر اقرأه عليكم. ثم بدأ يقرأ مرسوم اعادة تأليف مجلس السيادة من الربيعي وعارف وكمونه. عند ذاك بدت علائم الارتياح على وجه الربيعي الذي ظل مرتبكا طوال الجلسة. الا انه وقع على مرسوم تعيين عبد الجبار عبد الله^(٧١٨) قبل انفضاضها وكأنه فهم الدرس.

٧١٦- المصدر السابق. ص ٣٢٣ (الهامش).

٧١٧- المصدر السابق. ص ٣٢٢-٣٢٣.

٧١٨- احد خريجي جامعة هارفرد الامريكية. متضلع في علوم الفيزياء والانواء الجوية. كان يساري النزعة وجابه خلال رئاسته الجامعة معارضة قوية من الاساتذة (المصدر السابق. ص ٢٢٠). مات في الولايات المتحدة عام ١٩٦٩ ودفن فيها.

تقييم ثورة ١٤ تموز:

في تقييم ثورة ١٤ تموز، تبرز امامنا ثلاث نقاط أساسية، لا يمكن اغفال أي منها أو الفصل بينها، والا فسنقع في تبسيط مخل لحدث مثل ثورة ١٤ تموز، بكل اسبابه وظروفه ونتائجه. هذه النقاط هي:

أولاً: ان ١٤ تموز كانت ثورة بكل معنى الكلمة. فنحن ابتداء من هذا اليوم، سنكون أمام عراق يختلف كلية عن العراق الملكي. ليس في نظام الحكم فحسب، بل ان المجتمع العراقي طرأت عليه تغيرات كبرى، وكان يحتاج لسنوات طويلة حتى يتغير بتلك الصورة التي تغير عليها بعد ١٤ تموز.

لقد أدت الثورة إلى انقلاب اجتماعي عظيم، في القيم والمفاهيم، وفي العادات والتقاليد. وانا هنا اصور الأمور كما هي دون ان أقصد الاشادة بها، أو الإساءة إليها.

ان مما ينافي البحث العلمي القول بان ١٤ تموز انقلاب عسكري. (فالثورة في الميدان الاجتماعي السياسي هي التغيير المفاجئ في النظام الاجتماعي والسياسي والمؤسسي القائم. قد تكون الثورة عنيفة وقد تتخللها عمليات سفك دماء لكنها تكون دوما من عمل قوى منظمة أو غير منظمة تفوق من حيث القوة القوى المحافظة التي تدافع عن النظام وتكون نتيجة الثورة خلق نظام جديد)^(٧١٩). وبعيداً عن حرفية التعاريف الأكاديمية يقول كامل الجادرجي: (يمكننا ان نقول بان ثورة ١٤ تموز ثورة شعبية لم يقم بها الجيش الا بدور الطليعة)^(٧٢٠).

كانت المدينة العراقية تحت رحمة سلطة عثمانية متخلفة. وتقف على رأس هذه السلطة طبقة سياسية مغلقة تقريبا، ومن الصعب الانضمام اليها، ومن ثواتيه الفرصة لينضم اليها، فانه يظل على هامشها. وكان الريف تحت رحمة اقطاع قاس بشع. وفي يوم ١٤ تموز، سقط كل هذا، وسقطت معه رموزه وقيمه وتقاليده.

٧١٩- ذبيان وآخرون. المصدر السابق. ص٧٦.

٧٢٠- الدليمي. المصدر السابق. ص٢٤٦.

ثانياً : لقد حدث بعد ثورة ١٤ تموز صراع سياسي عنيف. ورغم انه لا سبيل إلى تقادي حدوث بعض صور العنف في المجتمع آنذاك. فان رجال الثورة، وخاصة عبد الكريم قاسم، لو كانوا اكثر حكمة وحكمة، لكانت الأمور أقل سوءاً بكثير، ولعبر البلد تلك المرحلة بأقل الخسائر.

إن النظام الملكي، هو الذي خلق ظروفًا مؤاتية لذلك العنف السياسي. ففي عالم السياسة، ليس هناك حاضر، وإنما ماضٍ ومستقبل. أو بعبارة أدق حركة تمتد من الماضي إلى المستقبل، لأن الحاضر لا يلبث إلا أن يصبح ماضياً. وبالتالي فبإمكان المرء أن يتحدث عن ماضٍ ومستقبل. أما حديثه عن الحاضر فهو من قبيل التجاوز.

فالنظام الملكي بعدم تأسيسه لحياة سياسية سليمة، تقوم على تقاليد مستقرة، وبإهماله الصحة والتعليم، حيث ترك خلفه أكثر من ٨٠٪ من الشعب أمياً. وبإجهاد المستمر على الحياة المدنية، وبقمعه القوى السياسية وقسوته على مواطنيه، خلق بيئة مثالية للعنف السياسي، تحول فيها ضحية الأمس إلى جلاّد اليوم. ويجب ألا نغفل ونحن نتحدث عن ذلك العنف السياسي، الإشارة إلى العوامل الخارجية، من اقليمية ودولية، حيث أجواء الحرب الباردة، ومارافقها من صراعات وانقلابات وحروب.

وحيث كانت مسألة الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، قضية كبرى في المنطقة، ان لم تكن آنذاك القضية الأكبر، والتي دارت حولها صراعات وثورات ومؤامرات.

لكن الشيء الأكيد، ما لم يكن هناك خلل ذاتي، فلن يكون هناك تأثير كبير للعامل الخارجي. ولذلك فان أنظارنا يجب ان تتجه أولاً صوب العوامل الذاتية التي انتجت ذلك الصراع. وبالتالي لابد من التأكيد بأن الصراع الذي نشأ بعد الثورة، والذي اخذ صوراً متعددة منذ ذلك الحين، ما هو الا تعبيرات وتمظهرات لأزمة كيان، سببها التشوهات التي اصابت الدولة العراقية، منذ تأسيسها، والتي تعمقت في مراحل مختلفة من العهد الملكي. وفشلت الثورة في إزالتها، فظل كل شيء كما هو.

ثالثاً : اذا نظرنا إلى ١٤ تموز، على أساس ما انتهت اليه الأمور، خاصة بعد عقد من الزمان، عندما جاء إلى الحكم نظام القتل في ١٧ تموز، ومجازرهم وحروبهم، وصولاً إلى الاحتلال الأمريكي للعراق. فان المرء يتمنى لو ان كل هذا لم يحدث، ولو ان النظام

الملكى لم يسقط.

لكنّ هذا الكلام، أشبه بالبكاء على الأطلال، وهو لا يستقيم ودراسة التاريخ. فالنظام الملكى يجب أن ننظر له كما هو فى زمانه، وهو بهذا المقياس كان - كما قلنا مراراً - نظاماً فاسداً، سيئاً، عصياً على الإصلاح والتطوير.

من جانب آخر إن كل حدث تاريخى لابد أن تناقش نتائجه، وأن يحكم عليه على أساسها. الأمر الذى يدفع المرء للقول ان ثورة ١٤ تموز اخفقت فى بلوغ اهدافها. وان كل الانجازات التى تم تحقيقها، فقدت قيمتها المادية والمعنوية، بعد فترة ليست طويلة من قيامها.

القسم الثالث

عهد عبد الكريم قاسم

ولد عبد الكريم^(٧٢١) في المهديّة - أحد احياء بغداد الشعبيّة - في ٢١ تشرين الثاني ١٩١٤^(٧٢٢). لأب سني وأمّ شيعيّة، هما: قاسم محمد البكر الزبيدي، المولود في مدينة الحلة عام ١٨٧٠ والمتوفي في بغداد عام ١٩٥٦، حيث دفن في مقبرة الشيخ معروف ببغداد. ويقال ان اسم الاب الاصلي هو جاسم، ويبدو ان عبد الكريم كان أول افراد العائلة استخراجا للجنسية، فثبت اسم ابيه قاسما وليس جاسما. وبالطبع ان ذلك قد تم بموافقة ابيه ورضاه، لان حصول أي فرد من افراد العائلة على الجنسية، يحتاج إلى حضور الاب وموافقته^(٧٢٣). اما الام فهي كفيّة حسن اليعقوبي، وقد ولدت عام ١٨٨٠، وتوفيت في ٩ شباط ١٩٥٣، أي قبل عشر سنوات من مقتل ابنها في نفس اليوم، وقد دفنت في مدينة النجف، بناء على وصيتها. وهناك روايات تقول ان أمه كردية فيلية^(٧٢٤).

٧٢١- اعتمدنا في ترجمة عبد الكريم قاسم على المصادر التالية: بصري، المصدر السابق. الجزء الاول. وليث الزبيدي، المصدر السابق. وعبد القادر، المصدر السابق. وخدوري، المصدر السابق. و خليل ابراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، الاجزاء ٥ و ٦ و ٧. ود. عبد الخالق حسين. ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ العراقية وعبد الكريم قاسم، دمشق ٢٠٠٣. وعلي خيون، دبابات رمضان، بغداد ١٩٨٨. ود. عقيل الناصري، عبد الكريم قاسم (من ماهيات السيرة الذاتية) دمشق ٢٠٠٦. واحمد فوزي، عبد الكريم قاسم في ساعاته الاخيرة، بغداد ١٩٩٠.

٧٢٢- بحسب الاضبارة الشخصية لعبد الكريم قاسم في ملفات وزارة الدفاع فانه اجرى معاملة لتصحيح مواليد من ١٩١٠ إلى ١٩١٤. اما في دفتر خدمته الاصلي فقد ورد انه من مواليد ١٩١٢ (خيون). المصدر السابق. ص٤٤ هامش رقم ١٩). وانظر ردا على ذلك (د. الناصري، المصدر السابق، ص١٧٨-١٧٩ (الهامش)).

٧٢٣- انظر الناصري، المصدر السابق، ص١٦٥-١٦٨.

٧٢٤- انظر ردا على هذه الرواية، المصدر السابق. ص١٦١-١٦٣.

والأكراد الفيلية هم الأكراد الشيعة وموطنهم الأصلي إيران. ويغلبون عادة انتماءهم الطائفي على انتمائهم القومي، أي انهم شيعة قبل ان يكونوا اكرادا.

كان عبد الكريم قاسم أصغر اخوته، وهم حامد (١٩٠٥ - ١٩٨٦) وكان تاجر حبوب، وهو الوحيد - من بين اخوانه واخواته - الذي اتبع مذهب امه. ويقال ان قاسم الاب، عندما سكن الصويرة، ارسل اولاده إلى احد كتاتيب المدينة. ولما عرف ان الملا يعلم اولاده الصلاة على الطريقة الجعفرية، نهره وطلب منه الاكتفاء بتعليمهم المبادئ العامة وحفظ القرآن^(٧٢٥). اما الأخ الثاني فهو عبد اللطيف (١٩١٠ - ١٩٧٧) وكان نائب ضابط في القوة الجوية، ولم يتغير حاله في عهد أخيه قط^(٧٢٦)، فقد كان يذهب إلى عمله يوميا على دراجة هوائية. وكان متدينا، بسيطا في ثقافته وسلوكه، ولم يعقب. ولعبد الكريم شقيقتان، هما أمينة زوجة ياسين محمد صالح القيسي رئيس كتاب محكمة الكاظمية. ونجية زوجة الزعيم الركن عبد الجبار جواد قائد الفرقة الرابعة، وشقيق العقيد محمد علي جواد قائد القوة الجوية العراقية، الذي قتل مع الفريق بكر صدقي عام ١٩٣٧.

انهى عبد الكريم دراسته الثانوية في الفرع الادبي عام ١٩٣١. وانخرط في نفس العام في سلك التعليم، فعين معلما للغة الانجليزية في مدرسة الشامية الابتدائية. ولكنه ترك التعليم في العام التالي، والتحق بالكلية العسكرية، التي تخرج منها في نيسان ١٩٣٤.

اشترك في حركات الفرات - أي في قمع ثورة العشائر - في السنة التالية. وفي النصف الأول من عام ١٩٣٧، قدم مع آخرين طلبا لنقل خدماته إلى القوة الجوية العراقية، ولكن طلبه رفض لعدم صلاحيته ان يكون طيارا. ورفع في شهر أيلول ١٩٣٧ إلى رتبة ملازم أول. وفي مايس ١٩٣٨ نقل من الديوانية إلى أمر فصيل في الكلية العسكرية ببغداد.

٧٢٥- المصدر السابق. ص ١٥٩ - ١٦٠ (الهامش).

٧٢٦- هذا الامر يذكرنا بالرتب والامتيازات والاموال التي منحها صدام لاخوانه واقربائه، فعلى سبيل المثال، عين السائق بالجيش العراقي، علي حسن مجيد، وزيرا للدفاع برتبة فريق اول طيار ركن. وعين الجندي حسين كامل مجيد وزيرا للتصنيع العسكري برتبة فريق اول ركن. والجندي عبد حمود سكرتيرا لرئيس الجمهورية برتبة فريق فضلا عن شهادة الدكتوراه التي صار يتلقب بها (راجع للمزيد طالب الحسن. حكومة القرية. بيروت ٢٠٠٢).

جمعت الكلية العسكرية - سنة ١٩٣٨ - بين اشخاص ربطت بينهم فيما بعد، احداث دامية، غيرت وجه التاريخ العراقي. ففي هذه السنة التحق بالكلية كطلاب: عبد السلام عارف، الذي انهى للتو دراسته الثانوية، والمعلمان احمد حسن البكر وطاهر يحيى. وكان عبد الرحمن عارف قد تخرج من هذه الكلية في نفس هذه السنة. اما معلمهم في الكلية فكان عبد الكريم قاسم^(٧٢٧).

التحق عبد الكريم بكلية الأركان في كانون الثاني ١٩٤٠، وتخرج منها في كانون أول ١٩٤١، بدرجة (أ)^(٧٢٨)، والتي يمنح الحاصل عليها قدم سنتين^(٧٢٩) كما نجح في امتحان اللغة الانكليزية الذي اجرتة وزارة الدفاع للضباط الأركان، وحصل على الجائزة المخصصة للناجحين.

اشترك في حرب فلسطين - عام ١٩٤٨ - فكان امرا للفوج الثاني للواء الأول الذي كان يقوده نجيب الربيعي - رئيس مجلس السيادة بعد الثورة - وسنعود بعد قليل للحديث عن دوره في حرب فلسطين.

وفي أيلول ١٩٥٠، اوفد إلى انكلترا في دورة عسكرية. ورفع في السنة التالية إلى رتبة عقيد ركن. وفي كانون الأول ١٩٥٣ أصبح امرا للواء التاسع عشر التابع للفرقة الثالثة التي كان يقودها نجيب الربيعي أيضا. وفي أيار ١٩٥٥ رُفِعَ إلى رتبة زعيم ركن. وفي ٦ كانون الثاني ١٩٥٩ رُفِعَ إلى رتبة لواء ركن، وفي ٦ كانون الثاني ١٩٦٣ إلى رتبة فريق ركن. ولكن لقب الزعيم - الذي اخذ من رتبته يوم الثورة - ظل لصيقا باسمه. وبالعودة إلى الورا، إلى حرب فلسطين عام ١٩٤٨، حيث ابلى عبد الكريم قاسم

٧٢٧- المؤلف. المصدر السابق. ص ٣٥.

٧٢٨- سمعت من ضابط عراقي كبير، والعهد عليه، بان الحاصلين على درجة (أ) من كلية الاركان، يعدون على الاصابع.

٧٢٩- الغريب ان ينشر باحث بمستوى خليل ابراهيم حسين رسالة من النقيب علاء الدين محمود يقول فيها ان تلميذه عبد الكريم قاسم كان مستواه العلمي العسكري متوسطا - يميل إلى اقتباس اراء غيره ويتبناها.. الخ (انظر حسين. المصدر السابق. الجزء السادس. ص ٢٠ (الهامش) و انظر رد الناصري عليه في عبد الكريم قاسم (مصدر سابق). ص ٢٧٤ - ٢٧٥).

بلاء حسنا في تلك الحرب، وحضر اسمه ببطولاته وانجازاته في تاريخ تلك الحرب^(٧٢٠). فقد كان - بدون اية مبالغة - بطل حرب فلسطين. وبلغ من جديته في تلك الحرب (انه امتنع عن تناول أي كحول مدة بقائه في فلسطين رغم انه كان في حياته العسكرية يجامل جلّاسه بالشرب في بعض الأحيان)^(٧٢١).

يقول العميد الركن المتقاعد جاسم العزاوي في مذكراته: (لقد تعرفت في فلسطين بالمقدم الركن، حينذاك، عبد الكريم قاسم إذ التحقت وفصيلي من سرية الهندسة الالية إلى مقر فوجه.. كنا في حينه ندهش لشجاعته واقدامه وحماسه الوطنية في قتال الصهاينة، وكان محبوبا عند منتسبي وحدته واقرانه... ولقد اشعل نار الحماسة في فوجه بعد ان تسلمه من المقدم الركن المرحوم علي غالب عزيز وهو في حالة انهيار تام وارعب الصهاينة وحطم مغنوياتهم في قاطعه إلى درجة انهم رموا المنشورات من الطائرات على قطعائنا تحرض الجنود على عبد الكريم قاسم)^(٧٢٢).

ويقول خليل إبراهيم حسين: (ان المقدم الركن عبد الكريم قاسم قد أمر حينئذ بطرية المدفعية الملحقه به ان تضرب المواقع اليهودية لمعاونة الجيش المصري الذي كان يُضرب بالنقب، أو بالرد على نيران اليهود التي قصفت مواقع فوجه، ولم يكن عمله هذا يرضي القيادة العراقية فأحالته إلى مجلس تحقيقي مرتين فادين في الأولى وبريء في الثانية. وفي حينه قدر الضباط عمل عبد الكريم قاسم واستهجنوا امر القيادة وضمروا الثأر في نفوسهم..^(٧٢٣)).

فذاث يوم قام اليهود بهجوم مباغت على فوج عبد الكريم قاسم، وتمكنوا من احتلال

٧٢٠- راجع خليل سعيد، تاريخ حرب الجيش العراقي في فلسطين، بغداد ١٩٦٦، الجزء الثاني، ص ٦-١٦، ٢١، ٣٦، ٤٢، ٦٢، ٨٥، ٩٧، ٩٨، ١١٨.

٧٢١- حسين، المصدر السابق، ص ٧٤.

٧٢٢- العزاوي، المصدر السابق، ص ٣٢.

٧٢٣- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ١٨. (حرصت ان اقتصر في الحديث عن بطولات عبد الكريم قاسم في فلسطين على شهادات الضباط الذين انشقوا عليه بعد ١٤ تموز ١٩٥٨ وتأمروا على نظامه، أي الضباط غير المواليين له).

بعض الربايا ، فقام الفوج بهجوم مقابل وتمكن من استعادتها وطرد اليهود منها . وقامت قيادة القيادة العراقية ، واعتبرت ان عبد الكريم هو السبب في خرق الهدنة والتحرش باليهود ، وخلق مواقف لم يخطط لها ولم ترض عنها القيادة ، فاحيل إلى مجلس تحقيقي برئاسة مزهر الشاوي . وكانت نتيجة المجلس التحقيقي إدانة عبد الكريم قاسم ، باعتباره السبب في خرق الهدنة واحداث المتاعب . وقد أثار هذا القرار امتعاضاً شديداً بين الضباط الناقمين على ما يجري من مهازل .

واعترض عبد الكريم على المجلس التحقيقي ، وتشكل مجلس تحقيقي آخر برئاسة العقيد الركن عمر علي- قائد الفرقة الأولى يوم ١٤ تموز والذي مررنا في القسم الثاني على قصته - فبراً ساحته واعتبر اليهود هم البادئين في خرق الهدنة^(٧٣٤) .

ولنمر الآن بسرعة على بطولات اخرى لعبد الكريم قاسم في فلسطين . فقد نظم في ١٢ تموز ١٩٤٨ مفرزة قادها بنفسه ، وعبر بها نهر الاردن من جسر الشيخ حسين ، فقصفت مستعمرات العدو في (بيسان) و(ماعوز حاييم) قصفا شديدا ، موقعة في أرتال سياراته خسائر فادحة . وعادت إلى مواضعها الاصلية . ثم وفي صباح اليوم التالي اعاد الكرة على نفس الاهداف ، موقعا فيها خسائر فادحة^(٧٣٥) .

وعندما اصدرت له القيادة امرا - في ١٦ تموز ١٩٤٨ - بأن يتحرك فوجهه لالاتحاق بجحفل اللواء الأول ، على ان يقطع طريقا حددته له القيادة ، وهو طريق آمن وبعيد عن خطوط النار . لم يسلك عبد الكريم ذلك الطريق ، وانما سلك طريقا آخر ، كان يمر بمواجهة المستعمرات اليهودية ، ومكشوفاً تحت تأثير النيران المعادية . ولكنه كان اقصر من الطريق الأول ولا يتطلب قطعه اكثر من نصف المدة التي يقطع فيها ذلك الطريق .

وصل الفوج سالماً إلى هدفه . ولما سألته القيادة عن مبررات عمله ، اجاب : بأنه اعتقد ان الموقف يتطلب الاسراع والوصول باقرب وقت مستطاع ، لان القطعات العراقية لا بد

٧٣٤- حسين ، المصدر السابق ، ص ٥٥-٥٦ .

٧٣٥- المصدر السابق ، ص ٧١ .

وانها كانت بحاجة إلى النجدة والعون، ولذلك سلك الطريق الثاني^(٧٣٦).

وفي ٢٠ آب ١٩٤٨ نقل المقدم الركن علي غالب عزيز من منصب أمر الفوج الأول التابع للواء الأول، وحل محله المقدم الركن عبد الكريم قاسم، الذي التحق بعمله الجديد في اليوم نفسه. وفي المساء هاجم العدو الفوج الأول، واحتل بعض الربايا. فلم يمهلهم أمر الفوج (الجديد)، اذ قام بهجوم مقابل سريع، استمر حتى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي، واستطاع طرد العدو والسيطرة على الموقف، ولم يتكبد سوى اربعة جرحى^(٧٣٧).

وفي ٢٦ آب ١٩٤٨، عقد اجتماع برئاسة المراقبين الدوليين، بين الجانب الاسرائيلي الذي مثله عدد من الضباط. والجانب العراقي الذي مثله المقدم الركن عبد الكريم قاسم والرئيس الأول الركن خليل سعيد والملازم الأول خليل إبراهيم حسين (مؤلف موسوعة ١٤ تموز فيما بعد).

كان المراقبون الدوليون مزودين بخرائط مؤشرة تأشيراً مغلوطة. وكانت الموافقة على هذه التأشيرات، تعني التخلي عن ارض يدافع عنها العراقيون، وتسليمها للاسرائيليين، فرفض الضباط العراقيون الثلاثة التنازل عن شبر واحد، وهدد الاسرائيليون باستخدام القوة لفرض ذلك. فكان جواب عبد الكريم قاسم ورفاقه الاثنين: حبذا لو حاولتم ذلك، لنلقنكم الدرس الذي تستحقونه.

وفعلا نفذ العدو تهديده، وهاجم المواقع العراقية، ولكن فوجه وبمعاونة جحفل اللواء الأول، لقنهم الدرس الذي يستحقونه، وأفضل هجومهم^(٧٣٨).

وقد كرمه قائد القوات العراقية في الاردن بكتابي شكر. الأول بتاريخ ١٤ حزيران

٧٣٦- حسين، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٦ (ومن الملاحظ ان خليل ابراهيم حسين ورغم حديثه المسهب عن بطولات عبد الكريم قاسم وانجازاته، فهو ما انفك يشكك بنواياه وسلامة قواه العقلية. ويبدو انه لم يغفر لعبد الكريم ما عاناه في عهده من اعتقال وتعذيب ما كان يستحقه رجل مثله ابداً).

٧٣٧- المصدر السابق، ص ٧٢.

٧٣٨- المصدر السابق، ص ٧٤-٧٥.

١٩٤٨، على جهوده المنطوية على العزم والجرأة، وخصوصا عمله الأخير في جلب مدافع هاون ٣ عقدة، والتي سبق ان فقدوها فوج عراقي آخر في منطقة كيشر.

اما الثاني ففي ٢٤ آب ١٩٤٨، وشكره فيه لقيادته بنفسه، سرية مشاة، وطرده اليهود من الربايا التي احتلوها، والذين هربوا هروبا مخزيا، وتركوا في مواقعهم جميع امتعتهم^(٧٣٩).

وهاجم الاسرائيليون ليلة ٢٧-٢٨ آب ١٩٤٨، ربايا المناضلين دير البلوط وكفر قاسم، واحتلوا بعض الربايا. ولم يمهلهم قاسم هذه المرة أيضا، فشن هجوما مقابلا، واسترجع جميع الربايا، في معركة استمرت طيلة يوم ٢٨ آب، وفي المساء ابرق إلى القيادة العراقية قائلاً: (من السهولة احتلال المجدل) وطلب الأمر بذلك. لكن القيادة اجابته بما يلي: (ليس لمجدل يابا اهمية كبرى.. الخ)^(٧٤٠).

لقد امضى عبد الكريم قاسم اكثر من سنة في فلسطين (من ٥ مايس ١٩٤٨ إلى ١١ حزيران ١٩٤٩) كان فيها القائد المنتصر في كل معاركه^(٧٤١)، رغم عدم تعاون القيادة العسكرية معه، والتي احواله - كما تطرقنا لذلك سابقا - إلى مجلس تحقيقي.

يقول خليل إبراهيم حسين:

(سبق ان ذكرنا ما وجب ذكره عن تحركات عبد الكريم قاسم في فلسطين والتي كانت مثار إعجاب الكثير من الضباط الأعوان (من رتبة ملازم إلى رتبة رائد..)) رغم ما رافقها من تهويل ومبالغة. اما الضباط الذين في مستوى رتبته أو أعلى فلم يكن تشنيعهم من ضروب المنافسة أو النقد البناء بل كان حسدا أو حقدا على ما اصابه من شهرة)^(٧٤٢).

٧٣٩- المصدر السابق، ص ٧٥-٧٦.

٧٤٠- المصدر السابق، ص ٧٢-٧٣.

٧٤١- المصدر السابق، ص ٧٢ وانظر عبد القادر، المصدر السابق، ص ٣١-٣٤.

٧٤٢- المصدر السابق، ص ٩٤ (ادى الصراع على السلطة - بعد ١٤ تموز - وتولي اعداء عبد الكريم السلطة، إلى التعتيم على دوره في فلسطين، بحيث ان الاجيال التالية لاتعرف شيئا عن ذلك الدور).

وتميز عبد الكريم قاسم - كما يقول خليل إبراهيم حسين - بمساعدة الفلسطينيين وكسب صداقتهم والحنو عليهم ومد يد العون للمناضلين واللاجئين، وخاصة لاجئي اللد والرملة الذين سلمهم كلوب باشا إلى اليهود بعد دخول الجيوش العربية، وراقب سلوك جنوده مراقبة دقيقة، والحقيقة كانت رقابة النفس الذاتية لمتسبي الجيش العراقي في فلسطين مدعاة فخر واعتزاز^(٧٤٣).

ولنقف الان عند التقارير، التي كان يكتبها عنه رؤسائه، خلال مراحل خدمته العسكرية. إذ نجده قد طور نفسه وحسن من ادائه، الأمر الذي يوميء إلى قابليات الرجل وقدراته العسكرية الجيدة.

٧٤٣- المصدر السابق، ص ٧٣، العجيب الا يذكر عبد الكريم قاسم - ولو لمرة واحدة - في الادبيات الفلسطينية، اليسارية منها واليمينية، رغم كل بطولاته ومواقفه في فلسطين. بينما يكون التمجيد من نصيب صدام، الذي صار بعد ان اختلف في التسعينات مع الامريكان يتلطي خلف راية فلسطين، وضرب تل اييب بـ ٤١ صاروخا، قتلت ثلاثة او اربعة اسرائيلين، واخذ يعطي كل من يقوم بعملية استشهادية ٢٥ الف دولار. بينما لم يقدم لفلسطين طيلة ٢٢ سنة من حكمه، عندما كانت ميزانية العراق السنوية تنوف على الثلاثين مليار دولار، شيئا. بل تأمر على الثورة الفلسطينية - في ايلول ١٩٧٠ - مع الملك حسين. فقد حرص النظام العراقي الثورة الفلسطينية، على مقاتلة النظام الاردني. وفي الوقت نفسه ابلغوا النظام الاردني انهم لن يتدخلوا في المعركة الدائرة مع الفلسطينيين (باتريك سيل. ابو نضال بندقية للايجار. القاهرة ١٩٩٢. ص ١١٨ وانظر ايضا خدوري. العراق الاشتراكي. بيروت ١٩٥٨. ص ٢٧٢). وفي اواخر السبعينات شن النظام العراقي حملة اغتياالات واسعة في صفوف المقاومة الفلسطينية، بحيث ان احد قادة المقاومة صرح بانهم لم يعودوا يعرفون من يقتلهم: هل هم الموساد ام المخابرات العراقية (انظر عن الاغتيالات سيل (المصدر السابق) ص ٧٧ - ٨٣ و ص ٢٣١ وما بعدها). اما جريمة صدام الكبرى بحق فلسطين كما هي بحق العراق كانت حربه ضد ايران. يقول مدير استخباراته العسكرية في اعتراف متأخر بالحقيقة بأن الحرب العراقية - الايرانية كانت (لتحويل المجهود العربي والاهتمام من الصراع العربي - الاسرائيلي إلى صراع آخر يتم فيه ضرب القوة الايرانية بالقوة العراقية) (اللواء وفيق السامرائي. حطام البوابة الشرقية. الكويت ١٩٩٧. ص ٣٦٤). ومن يريد ان يتأكد من صحة هذا القول فليُنظر الآن إلى اوضاع الامة العربية والتي تشتت شملها وانحدرت اوضاعها بسبب حروب صدام ومغامراته.

فقد جاء في التقرير السري لعام ١٩٤٤، بأن عبد الكريم قاسم كثير النسيان حتى في واجبه، بطيء العمل جداً، كثير التشبث لاخذ الاجازات، غير مرتبط بواجبه ولا يصلح لمنصبه^(٧٤٤).

وما ادري مدى دقة التقرير السابق، واقصد بالدقة هنا مهنية الضابط الذي وضع التقرير وحياديته. فكل التقارير الأخرى اشادت بكفاءاته وقدراته.

فأمر اللواء الثالث كتب عنه في التقرير السنوي بعد الحركات الفعلية التي جرت للفترة من ٩ آب إلى ٢٠ تشرين الأول ١٩٤٥ يقول:

(انه ضابط ركن خلوق جداً، كريم النفس، ودقيق في اعماله وثقافته العامه جيدة، وسوف يكون في المستقبل من ضباط الجيش القديرين)^(٧٤٥).

وذكر التقرير السنوي السري، لعام ١٩٤٦، إنه يصلح لوظيفته، ويتمكن من إنجاز واجبه، حريص جداً، يحب المسؤولية، ذو تشبث شخصي ممتاز، دقيق في أعماله، يوثق به ويعتمد عليه، عصبي المزاج.

وفي عام ١٩٤٩، وكان عبد الكريم قاسم برتبة مقدم ركن وبمنصب آمر فوج، كتب عنه آمر اللواء يقول:

(آمر جريء إلى حد التهور، مندفع في مصالح وحدته وضبطها).

وكتب نجيب الربيعي قائد الفرقة الثالثة - عام ١٩٥٤- عن مرؤوسه عبد الكريم قاسم آمر اللواء التاسع عشر بأنه حريص، أمين، ذو اخلاق متينة، يعتمد عليه. و اضاف: (هذا علمي به منذ ان اشتغلنا معا في اللواء الأول وفي حركات فلسطين ويمتاز بشيء واحد هو عدم الاستقرار في مقره).

وكتب عند قائد الفرقة الثالثة - عام ١٩٥٧- وكان عبد الكريم لا يزال أمرا للواء

٧٤٤- خيون، المصدر السابق، ص٣٦ (مع الاسف ان المؤلف المذكور كان انتقائيا في عرضه للتقارير التي كتبت عن عبد الكريم قاسم، فنشر التقارير التي كان يعتقد بانها تسيء له، ولم ينشر مثلا التقارير التي كتبت عنه في حرب فلسطين والتي كان فيها اطراء كبير له).

٧٤٥- عبد القادر، المصدر السابق، ص٤٦ (هوامش الفصل الاول).

التاسع عشر:

(عصبي ولكنه يضبط نفسه، ضابط ركن جيد، مخلص بواجبه، وأمين في أعماله، كريم النفس، لطيف المعشر، نزيه، جريء ومندفع، له نظرة طيبة في الأمور الادارية والتنظيم، لطيفة نفسه ينخدع احيانا إلى حد التحيز، ليس من طبعه الاستقرار والانتظار في محل واحد).

أما آخر تقرير سري عنه فكان للواء الركن غازي الداغستاني قائد الفرقة الثالثة، بتاريخ ٣٠ / ٥ / ١٩٥٨، فقد وصفه بأنه:
(يتسرع احيانا في قراراته، اما خصاله الأخرى فهو ضابط شجاع يؤدي واجبه بأمانه..)^(٧٤٦).

زيارة عبد السلام عارف إلى دمشق:

بعد أربعة أيام من قيام الثورة، سافر وفد يمثلها برئاسة عبد السلام عارف إلى دمشق، للقاء الرئيس جمال عبد الناصر، ولبحث المسائل المشتركة مع الجمهورية العربية المتحدة. وضم الوفد صديق شنشل وزير الارشاد (الاعلام)، ومحمد حديد وزير المالية، وعبد الجبار الجومرد وزير الخارجية، والضباط عبد الستار عبد اللطيف ومحمد مجيد وحردان التكريتي. وقد استمرت زيارة الوفد حتى ٢٠ تموز، ثم عادوا إلى العراق. ليس للزيارة أهمية استثنائية جعلنا نفرد لها عنوانا خاصا بها، لولا انها كانت بداية خلاف عبد الكريم قاسم مع كل من عبد السلام عارف من جهة، والجمهورية العربية المتحدة من جهة اخرى.

ففي مأدبة العشاء التي اقيمت على شرف الوفد العراقي، سأل الرئيس جمال عبد الناصر عن فاضل الجمالي- وزير الخارجية في العهد الملكي- واذا بعبد السلام يقول: هل تريد أن ابعث لك برأسه؟ ان الأمر لا يكلف اكثر من عشرة فلوس ثمن الطلقة. ورغم ما بدا على ملامح عبد الناصر من دهشة وربما امتعاض، فان عبد السلام زاد

٧٤٦- خيون، المصدر السابق، ص ٣٧.

على ما قال: ليس لدينا كالمحروسة^(٧٤٧). فأجاب عبد الناصر ان الظروف تختلف^(٧٤٨). وبحسب رواية فائق السامرائي سفير العراق في القاهرة فان عبد الناصر أخذ انطبعا عن عبد السلام بأنه طفل^(٧٤٩).

نقلت هذه الرواية إلى عبد الكريم، ولكن بعد تحويلها، أو إضافة جزء آخر لها. ومما زاد الطين بلة، ان احدا من أعضاء الوفد العراقي لم يذكر اسم عبد الكريم قاسم، في الخطب التي القيت على الجماهير في دمشق، أو في الاجتماعات التي انعقدت مع عبد الناصر، وكأنه رجل مجهول ليس له يد في الثورة^(٧٥٠).

تقول الرواية الجديدة التي وصلت إليه: ان عبد السلام عرض اعلان الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة، في جلسة خاصة اختلى فيها مع عبد الناصر، فسأله عبد الناصر: ما هو موقف صاحبكم؟ أي عبد الكريم قاسم. فأجابه عبد السلام انه لا يكلف سوى عشرين فلسا، وأشار إلى جعبة عتاد المسدس الذي كان يحمله. فامتعض عبد الناصر من تلك الإجابة، ونصحه بأن يوجه الثوار جهودهم لدعم الثورة داخليا قبل الماضي في اتخاذ خطوة سريعة نحو الوحدة^(٧٥١). ويعلق إسماعيل العارف وزير المعارف في عهد قاسم، والقريب منه جدا، على هذه الرواية قائلا:

(ولا يمكن الجزم بصحة هذه المحاورة ولكن المعلومات التي وصلت إلى عبد الكريم قاسم اكدت له ذلك)^(٧٥٢).

٧٤٧- المحروسة هي اليخت الملكي لفاروق ملك مصر الذي اطاحت به الثورة. ويقصد عبد السلام بكلامه هذا، بان رجال الثورة في العراق، لم يفعلوا كما فعل رجال الثورة في مصر، حين ارسلوا فاروق بالمحروسة مبعدا إلى ايطاليا. انما قتلوا العائلة المالكة ونوري السعيد.. وكأن القتل مفخرة!

٧٤٨- حسين، ثورة الشواف في الموصل ١٩٥٩، ص ٨٣.

٧٤٩- العزاوي، المصدر السابق، ص ١٦٢.

٧٥٠- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق)، ص ٤٦ (شهادة خليل ابراهيم حسين).

٧٥١- العارف، المصدر السابق، ص ٢٨٣- ٢٨٤.

٧٥٢- المصدر السابق، ص ٣٧١.

والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف تسرب هذا الحديث الذي جرى في جلسة خاصة؟ ومن هو الشخص الذي نقله إلى عبد الكريم قاسم؟ على أي حال، يقال ان عفيف البزري وأمين النفوري - الشيوعيين السوريين المعروفين - هما اللذان ارسلنا إليه هذه الاخبار^(٧٥٣).

وبعد حوالي الشهر، وتحديدًا في اواخر آب ١٩٥٨، قدم الحزب الشيوعي العراقي إلى عبد الكريم قاسم، برقية مختلقة - مدعيًا ان احد اعوانه في السفارة المصرية قد سرقها من سجلاتها - تشير إلى اتفاق عبد السلام عارف مع سلطات الجمهورية العربية المتحدة، لإزاحته من منصبه^(٧٥٤).

كان التاريخ الموضوع على البرقية هو ١٨ تموز ١٩٥٨، أي اليوم السابق لزيارة عبد السلام إلى دمشق^(٧٥٥)، والتي هي موضوع حديثنا الان.

وكأغلب احداث ثورة ١٤ تموز، هناك روايات متعددة حول هذه البرقية. خاصة وانها كانت من اهم الأسلحة التي استخدمت في الصراع على السلطة، بعد ثورة ١٤ تموز. فالشيوعيون يتشبثون بها، ليثبتوا بأن عبد السلام عارف والجمهورية العربية المتحدة، هم الذين بدءوا ومبكرًا التآمر على عبد الكريم قاسم^(٧٥٦)، والقوميون يشيرون اليها، باعتبارها من الاعيب الشيوعيين لسلب الثورة وسرقتها^(٧٥٧).

يقول جاسم كاظم الغزاوي سكرتير عبد الكريم قاسم آنذاك:
(اطلعت، بعد ذلك، على البرقية وأخبرت بها الملحق العسكري في السفارة المصرية، العقيد عبد المجيد فريد، وعاتبته على مثل ذلك التدخل وحذرته من وجود اشخاص في السفارة يعملون لحساب الشيوعيين. وبعد مضي يوم أو يومين اتصل بي عبد

٧٥٣- انظر الغزاوي، المصدر السابق، ص ١٦٢.

٧٥٤- عبد الحميد، المصدر السابق، ص ١٣٢-١٣٣.

٧٥٥- ليث الزبيدي، المصدر السابق، ص ٣٥٢.

٧٥٦- انظر مثلاً الناصري، عبد الكريم قاسم في يومه الاخير (مصدر سابق)، ص ١٣٠ (هامش رقم ١٨٤).

٧٥٧- انظر مثلاً الغزاوي، المصدر السابق، ص ١٦٧.

المجيد فريد ونفى وجود مثل هذه البرقية نضيا قاطعا ومؤكدا^(٧٥٨).

اما الباحث خليل إبراهيم حسين - وهو احد الضباط الأحرار المعارضين لقاسم - فيؤكد وجود البرقية، ولكنه ينسب للقائم بالاعمال المصري آنذاك - والذي يفترض انه هو الذي ارسل البرقية- نفيه انه كتب جملة: (وقد يضطر عبد السلام في أي وقت إلى التخلص من عبد الكريم) وغيرها. ويضيف خليل إبراهيم حسين قائلاً:
(سرفت السفارة البريطانية هذه البرقية وسلمتها إلى احد الشيوعيين الذي سلمها إلى عبد الكريم قاسم)^(٧٥٩).

ويروي هاني الفكيكي، عن عامر عبد الله احد ابرز القيادات الشيوعية:
(ان زغلول عبد الرحمن مسؤول المخابرات في سفارة الجمهورية العربية المتحدة في بغداد آنذاك، سلم صورة عن البرقية إلى عزيز شريف الذي اوصلها بدوره إلى قاسم. وبعد سنوات خطفت اجهزة الامن المصرية، زغلول عبد الرحمن من احدى العواصم الأوروبية ونقلته إلى القاهرة حيث حوكم واعدم لأسباب لم يكشف عنها تماماً)^(٧٦٠).

وليس هناك ادنى شك بان المخابرات الاسرائيلية والغربية، سربت - وفي مناسبات عديدة- إلى هذا الحاكم العربي أو آذاك، اخبارا ادت إلى توتر علاقاته مع حاكم عربي آخر. فعلى سبيل المثال (سرب الموساد إلى (انور السادات) عن طريق جهة ثالثة، بان هناك مؤامرة لبييه، فقام السادات متأثراً بهذه الدسياسة بالعدوان على ليبيا عام ١٩٧٧)^(٧٦١).

وما كانت هذه الدسائس لتمر، لولا العقد النفسية الفظيعة، التي تختزنها نفوس بعض الحكام العرب، والتي جعلت من السهل على المخابرات المعادية، التلاعب بهم وتوجيههم بالاتجاه الذي تريده.

٧٥٨- المصدر السابق، ص١٦٧.

٧٥٩- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق)، ص٢٦٣ (شهادة خليل إبراهيم حسين).

٧٦٠- هاني الفكيكي، اوكار الهزيمة: تجربتي في حزب البعث العراقي، ص٩١.

٧٦١- المؤلف، المصدر السابق، ص٢٦٠.

ان من الصعب التصديق بقصة الرسالة، أو ما ورد فيها من تأمر. فعلاقة عبد الكريم وعبد السلام - في الأيام الأولى من الثورة - لم تزل جيدة^(٧٦٢)، هذا من جهة.

وعلاقة عبد الكريم قاسم بالجمهورية العربية المتحدة - من جهة أخرى - كانت في أوج قوتها. حتى ان عبد المجيد فريد الملحق العسكري المصري ببغداد، امضى اياما ينام بجوار غرفته التي كان يتقاسمها وعبد السلام، في وزارة الدفاع، وزُود بخط هاتفي حكومي خاص، ليسهل الاتصال به من قبل عبد الكريم نفسه^(٧٦٣).

ولعل عبد الكريم قاسم، في تلك الأيام، كان اقرب إلى قلب جمال عبد الناصر من عبد السلام. إذ لم يكن عبد الناصر مرتاحا - خلال زيارة الوفد العراقي لدمشق - لاسلوب الاخير المندفع^(٧٦٤).

وتجمع الروايات على ان عبد الناصر كان يتخذ الموقف القائل بان على الثورة - وهو ما اوضحه أيضا لعارف خلال لقائه به في دمشق - ان تثبت اقدامها قبل أي شيء آخر^(٧٦٥). يقول عبد المجيد فريد - وهو كما ذكرنا قبل قليل - الملحق العسكري المصري في بغداد عام ١٩٥٨:

(لم تكن هناك فكرة لاقامة الوحدة مع العراق ولم اتلق أي توجيه بهذا الخصوص وقد كنا نسمع الجماهير ترفع شعار الوحدة في الشوارع ولم نكن نعرف شيئا عنها أو لنا دخل فيها.. واعتقد ان الشيوعيين في العراق بالغوا في تجسيم خطورة الشعار لكي لا تتكرر عملية الغاء الحزب الشيوعي كما جرى في سوريا اذا تحققت الوحدة..)^(٧٦٦).

٧٦٢- وكدليل على ان علاقتهما لازالت قوية، انظر مثلا موقفهما المتماثل - في تلك الايام - من عبد الوهاب الامين (العزاوي، المصدر السابق، ص ١٦٢-١٦٣).

٧٦٣- مذكرات حازم جواد (الرجل الذي قاد البعث العراقي إلى السلطة عام ١٩٦٣)، محل وتاريخ الطبع مغفلان، ص ٩٧.

٧٦٤- المصدر السابق، ص ٩٩.

٧٦٥- بطاطو، المصدر السابق، ص ١٢٩.

٧٦٦- العارف، المصدر السابق، ص ٢٧٩.

ولم يكن عبد السلام عارف بدوره - وقد كان الحاكم الحقيقي للعراق في تلك الأيام - متحمساً للوحدة. وعندما عاد إلى بغداد من دمشق صرح قائلاً:

(ان العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق تستند إلى وحدة الهدف ووحدة الشعوب). ولم يذكر شيئاً حول الاندماج أو حول أي ارتباط آخر من طبيعة دستورية (٧٦٧). لكن عبد السلام وبعد ان بدأ الصراع على السلطة، مع عبد الكريم قاسم - خلال الأيام القليلة القادمة - رفع راية الوحدة، وأصبح رمزها الأول في العراق.

وفيما بعد، واقصد بعد الاطاحة بعبد الكريم قاسم، واستلام عبد السلام السلطة، ظهر عبد السلام على حقيقته، فهو لم يكن يؤمن بها يوماً من الأيام، وإنما كان شعار الوحدة - بالنسبة له - سلماً للسلطة. بل (دأب على مهاجمة الجمهورية العربية كلما زاره وفد فلاحى أو عمالي في القصر.. ومرة ذكر ان المجتمع المصري مجتمع فاسد يعج بالفنانات وبنات الهوى وأخرى ابدى استغرابه في تلهف القوميين امثال فلان وفلان على الوحدة مع مصر)^(٧٦٨).

وبالعودة إلى اواخر آب ١٩٥٨، (لقد أزعجت هذه البرقية عبد الكريم كثيراً وحزت في نفسه فاضمرها لعبد السلام. كان الاخرى به مصارحة عبد السلام والطلب منه ان يقدم تفسيراً لذلك أو نفيها)^(٧٦٩). لكنه لم يفعل.

تصاعد الخلاف بين قاسم وعارف:

بدأت العلاقة بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف عام ١٩٣٨، عندما كان الأول معلماً في الكلية العسكرية، والثاني طالباً فيها. وقد ارتبطا بعلاقة حميمة، يقول محيي

٧٦٧- بطاطو، المصدر السابق، ص ١٢٩.

٧٦٨- فرحان، حصاد ثورة (مصدر سابق)، ص ١٦٩.

٧٦٩- العزاوي، المصدر السابق، ص ١٦٧ (يتحدث العزاوي عن البرقية- رغم تشكيكه بها- وكأن عبد الكريم قد اطلع عليها في وقتها. وللأسف فان مذكرات العزاوي- على اهميتها القصوى- فيها خلط كثير بين الاحداث و الاشخاص وتحتاج إلى مراجعة وتصحيح).

الدين عبد الحميد عضو اللجنة العليا للضباط الأحرار:

(ان عبد الكريم كان يعتمد على عبد السلام عارف ويعتبره اكثر من صديق، ويعتبره كأخ)^(٧٧٠).

اما عبد السلام نفسه فكان يقول قبل الثورة: (انا عبد الكريم قاسم وعبد الكريم قاسم انا)^(٧٧١). وكان يشيد بكل مناسبة بعبد الكريم قاسم وجراته ودوره المنتظر^(٧٧٢).

لقد رفض رفعت الحاج سري وغيره من الضباط الأحرار كسب عبد السلام عارف إلى صفوفهم^(٧٧٣). لكن عبد الكريم قاسم وكما مرّ بنا سابقاً - وبعد حوالي أسبوعين من انضمامه للجنة العليا للضباط الأحرار - جاء به، إلى اجتماع للجنة، دون ان يأخذ موافقتها. الأمر الذي ادى إلى احتجاج بعض أعضاء اللجنة العليا على ذلك. فتدخل بعض الأعضاء وتمت تسوية الأمر، وأصبح عبد السلام - منذ ذلك الوقت - عضواً في اللجنة العليا^(٧٧٤).

يصف عبد الكريم فرحان عضو اللجنة العليا للضباط الأحرار، اللجنة العليا، بعد انضمامهما إليها قائلاً:

(كانت الجلسات والاجتماعات في أول الأمر هادئة رصينة لكنها تغيرت بعد انضمام عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف فاشتد الجدل وحدثت مشادات كلامية في

٧٧٠- المحاكمات، الجزء الخامس، ص ٢٢٧- ٢٤١ (نقلاً عن الزبيدي، المصدر السابق، ص٢٤٤ (الهامش)).

٧٧١- عبد الحميد، المصدر السابق، ص ٢٧٠ (رواية محمد مجيد).

٧٧٢- فرحان، المصدر السابق، ص٨٩.

٧٧٣- انظر العارف، المصدر السابق، ص١٣٣ (الهامش). وفرحان، المصدر السابق، ص ٦٠.

٧٧٤- عبد الحميد، المصدر السابق، ص ٢١٠- ٢١١ (رواية رجب عبد المجيد). والحقيقة ان رجب ينفرد وحده بالحديث عن حصول احتجاج، فمحسن الحبيب يقول: (لم يخبرنا قبل مجيئه بأنه يرشح عبد السلام.. وهكذا ساد الاجتماع جو من الوجوم، وبعد ان رأى عبد الكريم الانطباع غير الحسن الذي احدثه تصرفه هذا، اخذ يمدح عبد السلام ويزكيه.. الخ) (الحبيب، المصدر السابق، ص٥٥).

بعض الأحيان وكانت الأسئلة تطرح لغرض التحدي والإحراج والاستفزاز وظهرت بوادر تكتل وكان هناك اتفاق تام في وجهات النظر بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، وأرجح إنهما كانا يجتمعان ويتداولان قبل حضور الجلسة. لقد كان الاثنان يسعيان للسيطرة على التنظيم ولم يتورعا عن انتقاد اللجنة العليا في كل مناسبة ثم انضم إليهما وصفي طاهر^(٧٧٥).

وقد تحدثنا في القسم الثاني من الكتاب عن كيفية سيطرة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف على تنظيم الضباط الأحرار، وعزلهما اللجنة العليا، بحيث أنها بدت - في الفترة القصيرة السابقة للثورة - وكأنها مجمدة أو محلولة^(٧٧٦). باختصار شديد إنهما سرقا من اللجنة العليا تنظيمهما بما في ذلك مجموعة اللجنة البديلة (أو الوسطية) والتي كانت مرتبطة بها. لكن هذا القول يفقد الكثير من قيمته إذا عرفنا بأن اللجنة العليا ظلت حتى آخر لحظة مترددة وعاجزة عن القيام بالثورة.

ثمة جانب آخر، يدل على ما كان بين عبد الكريم وعبد السلام من انسجام تام، وعلى طريقتي تفكيرهما المتشابهة. فقد ارتبط كل منهما بعلاقة قوية بأحد رموز النظام الملكي. فعبد السلام ارتبط برئيس أركان الجيش رفيق عارف^(٧٧٧). وقد جعلته هذه العلاقة - في البداية - موضع شك عند بعض الضباط الأحرار^(٧٧٨).

٧٧٥- فرحان، المصدر السابق، ص ٧٣- ٧٤ وانظر أيضا الصفحات ٨٦- ٩١.
٧٧٦- يقول محسن الحبيب: (قال عبد السلام للجنة البديلة ان اللجنة العليا حلت نفسها واللجنة لم تحل نفسها). ويروي محمد مجيد: (ان عبد الكريم فرحان.. قلنا له لقد سمعنا ان اللجنة العليا حلت نفسها، فقال: هذا غير صحيح.. وبعد يومين عاد قائلًا: كلامكم صحيح فان اللجنة العليا قد انحلت). اما صبحي عبد الحميد فيقول: (قبيل الثورة بأشهر قليلة اتفقا (ويقصد قاسم وعارف) على الانفراد بالثورة والسلطة لذلك تمعدا اثارة النقاش الحاد في اجتماعات اللجنة العليا، ثم تخريب هذه الاجتماعات، ثم انسحب منها المرحوم عبد السلام واخذ يشيع بان اللجنة قد حلت نفسها). الذكرة التاريخيه (مصدر سابق) ص ٦٥ و ٢٠٩).

٧٧٧- فرحان، المصدر السابق، ص ٦٩.

٧٧٨- العارف، المصدر السابق، ص ١٣٣ (الهامش).

وارتبط عبد الكريم بنوري السعيد. يقول إسماعيل العارف وهو يتحدث عنه عام ١٩٥٤:

(وقد كان الشيء الوحيد الذي يؤخذ عليه هو تقدير واحترام نوري السعيد له الذي كان يزوره في المنصور حيث معسكره الدائم)^(٧٧٩).

فقد اعتاد ان يزوره في معسكره بطائرة عسكرية عمودية. وكان يلبي طلباته جميعها، والتي يتعلق أغلبها بحاجات المعسكر، فأصبح معسكره من أجمل المعسكرات تنظيماً^(٧٨٠). واثبتت الاحداث فيما بعد ان الاثنين استطاعا وبمكر شديد ان يوظفا علاقتهما بالرجلين لتغطية نشاطيهما^(٧٨١). وقبل ذلك فإنهما استفادا من تينك العلاقتين في تدعيم مركزيهما العسكريين في الجيش العراقي.

الخلاصة لقد كانت بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف علاقة حميمة وانسجام تام وطريقة تفكير متقاربة. وكان كل واحد منهما أقرب إلى الآخر من أي صديق آخر، وهذا لا ينفي وجود اختلاف بينهما في الكثير من الطباع. كان رفعت الحاج سري يقول: (ان عبد السلام لا يزيد ولا يقل عن عبد الكريم. وان كان عبد الكريم أفضل منه بأشياء كثيرة)^(٧٨٢).

واستطاعا ان يوظفا - قبل الثورة - هذه الاختلافات في طباعهما، وبخبت شديد، لخدمة مقاصدهما المشتركة. فعندما كان عبد السلام يطلق العنان للسانه - في اجتماعات اللجنة العليا - كان عبد الكريم يلوذ بصمته المعهود، حتى لا تنقطع علاقتهم نهائياً باللجنة العليا. ثم رأينا كيف ثار عبد الكريم - في قصة ترشيح عبد السلام التي مر ذكرها في القسم الثاني- على رجب عبد المجيد. ورأينا كيف اتفق عبد الكريم مع المهداوي لتخريب آخر اجتماع للجنة العليا قبل الثورة.

٧٧٩- المصدر السابق. ص ١٠١.

٧٨٠- المصدر السابق، ص ١٢٩ (الهامش).

٧٨١- المصدر السابق ص ١٢٧-١٢٩.

٧٨٢- العزاوي، المصدر السابق، ص ١٥٨.

أما الكلام بأن عبد السلام كان يعتقد ان عبد الكريم في جيبه، والحقيقة ان عبد السلام كان في جيب عبد الكريم^(٧٨٣). فهو جزء من تداعيات الصراع على السلطة الذي شهده العراق بعد ١٤ تموز.

فقد كتب عبد السلام في وصيته - يوم ١٣ تموز ١٩٥٨ - إلى والده الحاج محمد عارف يقول:

(فقد توكلت على الله مع إخواني وعلى رأسهم الصديق الوفي الزعيم الركن عبد الكريم قاسم لإنقاذ الوطن الغالي من الاستعمار واذنابه وهذا كل ما اتمكن عليه وانا متحمل النتائج بضمير مرتاح)^(٧٨٤).

ولا اعتقد ان هناك لحظة صدق في حياة أي إنسان كهذه اللحظة، التي كتب فيها عبد السلام وصيته. أي اللحظة التي يكون فيها الإنسان وجها لوجه أمام الموت. ونفذ الرجلان الثورة. كان عبد الكريم قاسم قائدها الأعلى، وكان عبد السلام عارف قائدها الميداني. فعارف كان مؤهلا - يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ - ان يقود هجوما على بغداد، ولكن لم يكن قادرا على قيادة ثورة. فقد كان من نوع الرجال القادرين على الفعل، ولكنهم بحاجة إلى من يقودهم. ويبدو انه سيحتاج لخمس سنوات مريرة ليصبح قادرا وناضجا- في تشرين الثاني ١٩٦٣ - على قيادة ثورة عسكرية ناجحة، اطاحت بشركائه البعثيين.

كان عبد السلام عارف الرجل المناسب كقائد ميداني للثورة. وبالطبع ان القائد الميداني هو الأكبر دورا في التنفيذ، والأكثر مواجهة للخطر. ولذلك فان تسميته بـ (فدائي الثورة)^(٧٨٥) ليس فيها إلا القليل من المبالغة.

٧٨٣- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق)، ص٢٤٢ (الكلام لمحمد مجيد في شهادته عن ثورة ١٤ تموز).

٧٨٤- طالب الحسن، اغتيال الحقيقة (مصدر سابق)، ص٣٩٣.

٧٨٥- ناجي علوش. الثورة والجماهير (مراحل النضال العربي ١٩٤٨ - ١٩٦١ ودور الحركة الثورية). بيروت ١٩٦٣. ص١٢٣.

وكان عبد الكريم قاسم الرجل المناسب ليضع خطة الثورة ويقودها، بالإضافة إلى ما يمنح وجوده على رأس اللواء التاسع عشر، عبد السلام والضباط الآخرين، من اطمئنان، بأن هناك من يحمي مؤخرتهم، ويحول دون تحرك فرقة غازي الداغستاني ضدهم. يقول محمد حسنين هيكل:

(وقيام عبد السلام بتنفيذ الثورة لا ينفي كون عبد الكريم قاسم هو القائد الحقيقي للثورة)^(٧٨٦).

ولو عاد المرء إلى أجواء عام ١٩٥٨، حيث حلف بغداد، وهاجس الكثير من الضباط - يومذاك - بأن بريطانيا وأمريكا لن تقف مكتوفتي الأيدي إزاء انقلاب يهدد سيطرتهم على نفط العراق، فإن بالإمكان القول بأن هناك ضابطين فقط - من بين الضباط الأحرار - كانا مستعدين لاقتحام بغداد، هما: عبد السلام عارف وعبد الوهاب الشواف. فاقتحام بغداد كان يحتاج إلى رجل أكثر من شجاع. كان يحتاج إلى رجل مجنون. ويبدو ان التاريخ يحتاج احيانا إلى المجانين ليصنعوا ما لا يجروء العقال على فعله، اما القول بان عبد الكريم قاسم جاء بثورة عظيمة، ولكن جاء بفنائها معها.. جاء بعيد السلام عارف^(٧٨٧). ففيه الكثير من عدم الانصاف، لان الاخير لم يكن عنصرا طارئاً عليها. لقد كان قائدها الميداني. بل ربما (لولا اقدام عبد السلام عارف على تنفيذ الثورة لما تجرأ احد من أعضاء اللجنة العليا على تنفيذها)^(٧٨٨).

وقد ركب الغرور عبد السلام بعد الثورة. يقول صبحي عبد الحميد: (ان النجاح السهل الذي حققه عبد السلام عارف صبيحة ١٤ تموز غرس الغرور والتعالي في نفسه). ويضيف قائلاً:

(لقد استغربت تصرفاته عندما قابلته صباح يوم ٢٩ تموز فقد كان مغرورا ومتعاليا إلى ابعد الحدود حتى كان يتعالى على عبد الكريم قاسم نفسه ويعامله معاملة

٧٨٦- محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، القاهرة ١٩٨٨، ص ٤٢١.

٧٨٧- الزبيدي، المصدر السابق، ص ٣٤٧.

٧٨٨- المصدر السابق، ص ٣٤٥.

التابع وليس معاملة الرئيس والقائد وهذا التصرف سبب كل المآسي التي تلت نجاح الثورة. ورغم ذلك كان الاثنان يتصرفان بتفاهم تام^(٧٨٩).

كان عبد السلام عارف في الأيام الأولى للثورة هو المسيطر على مقاليد الأمور والمتحكم في كل شيء، ولم يجرؤ الزعيم عبد الكريم قاسم على اتخاذ أي قرار، حتى الذي هو من اختصاصه كوزير دفاع إلا بموافقته، فتمادى في تحكمه وتغطرسه. وقابل ذلك عبد الكريم قاسم بصبر وهدوء^(٧٩٠).

يقول جاسم كاظم العزاوي الذي عين - في ٢٨ تموز ١٩٥٨ - سكرتيراً لوزير الدفاع: (كنا احياناً نفاجاً بقوائم ضباط يحاولون على التقاعد دون علمنا، واكثرهم ضباط جيدون يبدو ان ذنبهم هو انهم اقدم رتبة من عبد السلام أو انهم لم يخوضوا السياسة. كانوا ضباطاً مسلكيين يحترمون وظائفهم دون الالتفات إلى من يحكم البلد)^(٧٩١).

اما الضباط الأحرار وخاصة أعضاء اللجنة العليا، فقد عاملهم عبد السلام باستعلاء وخشونه. كان عبد السلام يخسر اخوانه واصدقائه نتيجة لعجرفته وحقده وخشونته وتعاليه^(٧٩٢).

فقد حارب الضباط الأحرار، مبعدا اياهم عن دائرة الضوء ومحاذرا منهم^(٧٩٣). ونقل اكثر ضباط اللواء العشرين الذين قامت الثورة على اكتافهم إلى خارج اللواء مسندا اليهم مناصب غير مهمة^(٧٩٤). وكان العقيد عادل جلال - الذي مر الحديث عن دوره في الثورة والذي نقله عبد السلام إلى منصب قائم مقام قضاء زاخو الواقع في اقصى

٧٨٩- عبد الحميد. المصدر السابق. ص١٢٩-١٣٠.

٧٩٠- فرحان. المصدر السابق. ص ١٣٠-١٣١.

٧٩١- العزاوي. المصدر السابق. ص١٦٦.

٧٩٢- المصدر السابق. ص١٥٧.

٧٩٣- المصدر السابق. ص١٥٨ وانظر ايضا الحبيب. المصدر السابق. ص١٠٥.

٧٩٤- اللواء الركن حازم حسن العلي. انتفاضة الموصل (ثورة الشواف ٨ آذار ١٩٥٩). بغداد ١٩٨٧. ص٢٧.

شمال العراق - يقول أمام زواره: (الله يقبل عبد السلام يأخذ ثلاثة مناصب وزارية وعادل جلال ينسب قائمقام زاخو)^(٧٩٥).

وكما تحدثنا عن ذلك سابقا، كانت بداية الخلاف بين عبد الكريم وعبد السلام، زيارة الأخير لدمشق، وما وصل إلى الأول من أخبار عنها^(٧٩٦). وصبت جريدة الجمهورية - التي كان عبد السلام راعيها - الزيت على نار غضب عبد الكريم بما كانت تنشره من مقالات وعناوين وصور، تمجد عبد السلام وتبرز دوره، بينما كانت تغفل دور عبد الكريم ومكانته^(٧٩٧).

ولابد من الإشارة إلى نقطة مهمة، وهي أن صفة الانزواء والخجل قد تغلبت على عبد الكريم قاسم في البداية وهو الأمر الذي استغله عبد السلام جيدا^(٧٩٨). لكن الخطب التي كان يلقيها الأخير بدون تحفظ أو بعد نظر في الأمور أدت إلى استفزاز كثير من الجهات في داخل العراق وخارجه، وعلى سبيل المثال تطرق إلى حركة مصدق مما أدى إلى استفزاز الحكومة الإيرانية في نفس اليوم الذي اعترفت فيه بالنظام الجديد في العراق^(٧٩٩).

ثم أخذ عبد الكريم يتغلب على خجله، فعقد مؤتمرات صحفية خلال الأسبوع الأول من آب ١٩٥٨، واخذ يظهر ويلقي الخطب على الجماهير، والتي أخذت تستقبله بحماس كبير^(٨٠٠). ومنذ ذلك الوقت ظهرت عنده رغبة جامحة إلى الخطابة في الجماهير. وقد

٧٩٥- المصدر السابق. ص ٢٨.

٧٩٦- العزاوي. المصدر السابق. ص ١٦٦-١٦٧ (يرى العزاوي أن وصول البرقية المشهورة التي سبق أن تحدثنا عنها إلى يد عبد الكريم، والتي يعتقد بأنها ملفقه هو الذي فجر الصراع بين الرجلين).

٧٩٧- الزبيدي. المصدر السابق. ص ٢٤٨.

٧٩٨- العارف. المصدر السابق. ص ٣٦٩-٣٧١.

٧٩٩- المحاكمات. الجزء الخامس. ص ٢٤٩ وكذلك ص ٢٦٩ (نقلا عن الزبيدي. المصدر السابق. ص ٣٥٢).

٨٠٠- العارف، المصدر السابق. ص ٣٧٠-٣٧١.

غيره بذلك عدوه عبد الناصر^(٨٠١).

واحتدم الخلاف بين الاثنين اكثر من مرة بصدد تعيين بعض أمري الالوية والوحدات. وكان أول صدام علني بينهما، في اجتماع مجلس الوزراء، حول ترشيح ممثل للعراق في منظمة الامم المتحدة، بعد ان اعلن الممثل السابق عبد المجيد عباس انه يمثل الملك حسين رئيس الاتحاد الهاشمي، ولايعترف بحكومة الثورة. فقد رشح عبد الكريم قاسم، العقيد الركن إسماعيل العارف الملحق العسكري العراقي في واشنطن. في حين رشح عبد السلام، صالح مهدي عماش معاون الملحق العسكري في واشنطن. واحتدم النقاش وتعالى الصراخ^(٨٠٢).

وهكذا بدأ الصراع بين الرجلين، وانتهى ما بينهما من صداقة وود. ففي البلدان التي تحكمها انقلابات عسكرية، فان الصراع بين الضباط ظاهرة طبيعية. وعموما في غياب الديمقراطية والتقاليد السياسية، فان القانون الذي يسود هو القانون الذي عبر عنه الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان حين قتل شريكه في الحكم عمرو بن سعيد الاشدق قائلاً: (ما اجتمع رجالان قط في بلدة على مثل ما نحن عليه الا اخرج أحدهما صاحبه).

ومع ذلك فان (من النادر حدوث خلاف معقد وواسع بين اثنين يعتبر احدهما مكملًا لشخصية الآخر، كما ان صداقتهم القديمة والحميمة كانت تثير اعجاب واستغراب الضباط الأحرار من أعضاء اللجنة العليا، وقد وصفهما اكثر من شخص بأنهما كانا اكثر من الاخوة)^(٨٠٣) كالذي حدث بين عبد الكريم وعبد السلام.

وقد لعب فيه المحيطون بهما دورا كبيرا. والبطانة في كل العهود لا تفكر الا بمصلحتها الخاصة وهي تسعى جاهدة لتوسيع شقة الخلاف ليخلو لها الجو وتطالب الغالب بثمان

٨٠١- عبد الخالق حسين. المصدر السابق. ص٦٧ (اطلق عبد الناصر في احدى خطبه تسمية (اننا) على قاسم الذي كان يستعمل في خطبه كلمة اننا بكثرة).

٨٠٢- العزاوي. المصدر السابق. ص١٧٢-١٧٣.

٨٠٣- الزبيدي. المصدر السابق. ص٢٤٩.

التأييد^(٨٠٤).

ان طبيعة كل من عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وشخصيتهما اضفت على خلافهما طابعا خاصا. فاذا كانا اكثر الضباط الاحرار قدرة على القيام بثورة، فانهما اقلهما كفاءة لقيادة بلد كالعراق.

فقد كانا - من حيث خصائصهما الذهنية والنفسية والسلوكية- اسوأ شخصين من الضباط الأحرار- ماخلا الشواف ووصفي طاهر- يدخلان العمل السياسي. ولو قدر لثنائي آخر قيادة ١٤ تموز، كناجي طالب ورجب عبد المجيد، أو محيي الدين عبد الحميد وعبد الكريم فرحان- وانا هنا اقصد طبائع الأشخاص لا توجهاتهم السياسية- لما كنا على الأرجح أمام مثل ذلك الصراع الذي نشأ بين عبد الكريم وعبد السلام.

أما تصوير الصراع بين الرجلين - قاسم وعارف - وكأنه صراع اتجاهين سياسيين متناقضين^(٨٠٥). فهذا ما يجانب الحقيقة، وسأتناول هذه النقطة بالتفصيل عند الحديث عن الثورة وقضية الوحدة.

لقد بدأ السباق بينهما - منذ اواسط آب ١٩٥٨- لكسب الضباط والانصار بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة^(٨٠٦). يقول صبحي عبد الحميد أحد ضباط وزارة الدفاع آنذاك:

(وفي الوقت الذي كان عبد الكريم يكسب حب الضباط وبعض طبقات الشعب. كان عبد السلام يرتكب الاخطاء واحدة تلو الأخرى. فخطبه غير المدروسة، ومعاملته الفظة للوفود التي زارته من العشائر العربية والكردية، وتعاليه على ضباط الجيش ذوي الرتب العاليه، واصراره على عدم تأليف مجلس قيادة الثورة، كلها

٨٠٤- فرحان. المصدر السابق. ص١٣١.

٨٠٥- عبد الحميد، المصدر السابق. ص٢٠٢ (الغريب ان يتبنى صبحي عبد الحميد هذا الرأي وهو الذي اتهم عبد السلام في كتاب استقالته- في ٣٠ حزيران ١٩٦٥ - بمحاربة الوحدة وتشجيع الطائفية.. الخ (راجع هويدي. كنت سفيرا في العراق ١٩٦٣- ١٩٦٥، ص٢٥٠)).

٨٠٦- عبد الحميد. المصدر السابق. ص١٣٨.

اسباب أبعدت عددا كبيرا من الضباط عنه، وجعلت كفة عبد الكريم قاسم هي
الراجحة^(٨٠٧).

ووقف القسم الأكبر من الضباط الأحرار، ومنهم رفعت الحاج سري وناجي طالب
وناظم الطبقجلي وطاهر يحيى، إلى جانب عبد الكريم قاسم، رافعين شعار وحدة الصف
والزعامة الواحدة، حتى وان تطلب ذلك التضحية بعبد السلام. إذ كانوا يعتقدون بان
عبد الكريم قاسم اكثر نضجا وهدوءا وكياسة، من عبد السلام المندفع المتهور. وهو
أيضاً رئيس اللجنة العليا للضباط الأحرار، وبالتالي فان زعامته هي التي تمثل الشرعية
الثورية^(٨٠٨).

ولسوء الحظ ان عبد الكريم قاسم لم يرد على تحية الضباط الأحرار بأحسن منها
أو بمثلها، بل استمر - حتى بعد عزله عبد السلام - في سياسة اقضاء الضباط الأحرار
وعزلهم. وهي السياسة التي انتهجها و صاحبه السابق عبد السلام، منذ اليوم الأول
لقيام الثورة.

فباستثناء ناجي طالب الذي عُين وزيرا للشؤون الاجتماعية، والذي تحدثنا سابقا عن
الظروف التي أدت إلى اختياره لهذا المنصب، لم يعين أي عضو من اللجنة العليا للضباط
الأحرار، في أي منصب سياسي^(٨٠٩).

بينما عينوا في مناصب ادارية رفيعة- وفي خطوة غريبة - ضباطاً لم يكونوا من

٨٠٧- المصدر السابق. ص١٣٦.

٨٠٨- العزاوي. المصدر السابق. ص١٦٩.

٨٠٩- يقول محسن حسين الحبيب: (وهذا رجب عبد المجيد وهو من اوائل الثوار وحمل الكثير
من العبء على كتفيه.. عين بمنصب مدني هو مدير عام وزارة الاعمار.. وهذا صبيح علي
غالب.. في منصب ملحق عسكري في انقرة، وكريم فرحان بقي في منصبه كأمر فوج.. على
الحدود العراقية الاردنية، وعبد الوهاب الشواف ارسل خارج بغداد بمنصب آمر لواء مشاة في
الموصل، واما انا فقد ارسلت.. إلى بعقوبة، وعبد الوهاب الامين عين بمنصب ملحق عسكري
في القاهرة وهكذا لم يبق من اعضاء اللجنة العليا في وزارة الدفاع.. مقر الحكومة، غير عبد
الكريم قاسم وعبد السلام عارف ومعهما وصفي طاهر) (الحبيب. المصدر السابق. ص١٠٥).

الضباط الأحرار. بل واقل ما يقال عن مواقف بعضهم - يوم الثورة - انها ملتبسة. فعلى سبيل المثال، ان العميد الركن عبد الوهاب شاكر قائد الفرقة الثانية، والذي اعلن ولائه - يوم الثورة - لحكومة الملك الشرعية^(٨١٠)، وأمر قسما من القوات التابعة له بالاستعداد للتحرك إلى بغداد^(٨١١)، عُين متصرفا (محافظا) للحلة ومن ثم لبغداد. وربما كان وراء هذا التعيين كونه ابن محلة عبد الكريم وصديقه^(٨١٢).

وقد عارض عبد السلام - في بداية الثورة - تشكيل مجلس لقيادة الثورة^(٨١٣). لانه هو الحاكم بأمره في العراق^(٨١٤). لكن ما ان شعر بقوة عبد الكريم، وتزايد نفوذه في الجيش، ونمو شعبيته في اوساط الجماهير، حتى بدأ يلح ويعمل بدأب على تشكيل (مجلس قيادة الثورة)، في محاولة منه للحيلولة دون انفلات الزمام من بين يديه^(٨١٥). من جانبه رفض عبد الكريم قاسم وقد سيطر على الجيش والدولة، أي مناقشة أو حديث بشأن مجلس قيادة الثورة^(٨١٦).

هناك اراء مختلفة حول جدوى تشكيل (مجلس قيادة الثورة)^(٨١٧). واطن انه لو تشكل يوم الثورة، لكان خيارا جيدا، قد يجنب العراق بعض الصراع على السلطة، وقد يضيف بعض العقلانية على سياسة الثورة. أما تشكيله بعد أسابيع من وقوع الثورة، فهو أمر لم يعد ممكنا، خاصة وان الدعوة لتشكيله - نفسها - اصبحت سلاحا من اسلحة الصراع

٨١٠- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٢٨٤ (شهادة اللواء الركن خليل سعيد).

٨١١- المصدر السابق. ص ٣٠٢ (شهادة صبيح علي غالب).

٨١٢- المصدر السابق. ص ٣٠٣ (السؤال الذي يطرح نفسه: هل يحق لعبد الكريم قاسم ان يُبعد الضباط الاحرار ويعين بدلا منهم في مناصب ادارية رفيعة ضباطا كانوا موالين للحكم الملكي؟).

٨١٣- فرحان. المصدر السابق. ص ١٤٣.

٨١٤- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٢٨٢ (شهادة صبيح علي غالب).

٨١٥- فرحان المصدر السابق. ص ١٤٤.

٨١٦- المصدر السابق. ص ١٤٣.

٨١٧- انظر- على سبيل المثال - د. محمد حسين الزبيدي، المصدر السابق. ص ٥٣٥، اذ يرى بأن لا جدوى من تشكيل المجلس.. لان اعضاء اللجنة العليا انفسهم كانوا غير منسجمين.

على السلطة. وقد أدى تداول أمر تشكيل مجلس قيادة الثورة بين الضباط - في الاسابيع التالية للثورة - إلى ازدياد عدد الضباط الذين يعتقدون بأن من حقهم أن يكونوا أعضاء في مجلس قيادة الثورة. فناظم الطبقجلي - وهو لم يكن من أعضاء اللجنة العليا ولا من قادة الثورة - كان يقول: (هل أقبل عضوا واحدا أقل مني قدما؟)^(٨١٨). أي أنه لا يقبل أن يؤلف مجلس قيادة الثورة من ضباط أقل منه في القدم العسكري، وبالتالي لا بد من تشكيل مجلس قيادة الثورة من ضباط كبار، في إيماءة منه إلى أنه أحد هؤلاء الضباط الكبار.

وطالب أحد الضباط الصغار، من الذين شاركوا بتنفيذ الثورة، وهو برتبة رائد، اما ان يكون عضوا في مجلس قيادة الثورة، أو رئيسا لجامعة بغداد^(٨١٩).

ومما يتصل بهذا، ان النقيب عبد الجواد الصائغ - مساعد قائد القوة التي وجهها عبد السلام لاحتلال قصر الرحاب - طالب بتعيينه مديرا لشرطة الموصل. ولما لم يُستجب لطلبه، حقد أشد الحقد، على كل من عبد السلام عارف وعبد الكريم قاسم، وانضم إلى عبد الوهاب الشواف في ثورته^(٨٢٠)، وقد لقي مصرعه بعد فشلها.

وبالعودة إلى الصراع بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، بدأ كل من الرجلين يخطط للاطاحة بالآخر. وقد وضع عبد السلام خطة للاطاحة بعبد الكريم، وحدد يوم ١٤ أيلول موعدا لها، فهو متفاءل - وبتأثير نجاحه يوم ١٤ تموز - بالرقم ١٤^(٨٢١)!!!

الطريف ان صبحي عبد الحميد (أحد ضباط اللجنة الوسيطة) كان ووفد عسكري في المطار - صباح ٩ أيلول - في طريقهم إلى مصر. وصادف ان العقيد الركن صبيح علي غالب كان في المطار أيضا، في طريقه إلى تركيا، لتسلم منصب الملحق العسكري في السفارة العراقية فيها.

٨١٨- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٢٢٤.

٨١٩- المصدر السابق. ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

٨٢٠- العلي. المصدر السابق. ص ٢٧ - ٢٨.

٨٢١- فرحان، المصدر السابق. ص ١٤٥.

جاء الضابط المسؤول في المطار وقال لصبيح ان العقيد عبد السلام عارف ينتظرك على التلفون. وعندما رفع صبيح التلفون قال له عبد السلام: (ارجو المذرة لعدم حضوري لتوديعك في المطار بسبب اشغالي الكثيرة. ولكن ارجو ان تخبر المسؤولين هناك ان رقم (٢) لا يمكنه الصبر اكثر من ذلك ولا يمكن بقاء رقم (١) ورقم (٢) معا). استغرب صبيح من كلام عبد السلام وقال له: ماذا تقصد؟ وماذا اخبر المسؤولين في تركيا؟

فأدرك عبد السلام خطأه وقال له: ظننتك صبحي عبد الحميد.. فأرجو أن تخبره بأن يكلمني فوراً^(٨٢٢). فذهب صبيح إلى صبحي وقال له وهو يضحك: (انك المطلوب ولست أنا).

قال عبد السلام - في التلفون - لصبحي: (يبدو أنك سيء الحظ في الثورات لأنك كنت صباح يوم ١٤ تموز في الاردن، واليوم تسافر إلى القاهرة وستفوتك فرصة المشاركة بتحيةة عبد الكريم قاسم لأنني اتفقت مساء أمس مع ضباط اللواء العشرين على تحيته، وانتخب يوم ١٤ أيلول موعداً للتنفيذ لأنني اتفقت بيوم ١٤، وعندما ستعود ستري ان الأمور قد تبدلت).

فرد عليه صبحي قائلاً: ان هذا الكلام خطير لا يقال في التلفون. فقال عبد السلام: لا تخف فليس هناك من يتنصت علينا لان جماعتنا تسيطر على اجهزة الرقابة^(٨٢٣).

في الحادي عشر من أيلول، اعفي عبد السلام عارف من منصب نائب القائد العام للقوات المسلحة، ونقل اللواء العشرين إلى خارج بغداد، وتحديدًا إلى مقره الدائم في جلولاء^(٨٢٤).

وقد سمع عبد السلام بقرار عزله من منصب نائب القائد العام - من الراديو- وهو يهم بركوب سيارته بعد انتهاء الدوام، متوجهاً إلى بيته. فرجع يسأل عبد الكريم عن

٨٢٢- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٢٨٢ (شهادة صبيح علي غالب).

٨٢٣- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٣٩

٨٢٤- د. عقيل الناصري. عبد الكريم قاسم في يومه الاخير، ص ١٢٣.

القرار، فبرره له بأن قادة الفرق متدمرون لان نائب القائد العام أقل منهم رتبة^(٨٢٥). فتظاهر عبد السلام بالاعتناع، لان قبضته قد وهنت كثيراً. وجدير بالذكر ان بياناً لمجلس الوزراء قد صدر أثر قرار العزل، يعلن ان هذا التدبير ليس إقالة، وانما ليستطيع عبد السلام عارف الانصراف إلى مهام وزارته^(٨٢٦).

كان اغلب الضباط الأحرار، وقادة الفرق، وكبار الضباط، يشعرون بالرضا وهم يرون عبد الكريم قاسم يمضي قدماً في عزل عبد السلام. وقد وصفهما رفعت الحاج سري بالديكين المتناقرين و اضاف: (اذا انزاح عبد السلام احسن لنا من ان ينزاح عبد الكريم لان عبد السلام شخص لا ائتمنه)^(٨٢٧).

وفي ٣٠ أيلول ١٩٥٨، اعفي عبد السلام من منصبي نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، وعين سفيراً في بون. كما اعفي الدكتور جابر عمر وزير المعارف من منصبه. وفؤاد الركابي (قائد حزب البعث في العراق) من منصب وزير الاعمار وعين وزيراً للدولة^(٨٢٨). وجدير بالذكر انه في الوقت نفسه اعلن قانون الاصلاح الزراعي - الذي يعتبر آنذاك إنجازاً عظيماً للثورة - فغطت اهميته على اهمية القرارات الالفة الذكر^(٨٢٩).

في اليوم التالي قدم عبد السلام استقالته من منصبه الجديد كسفير. ولما وصلت الاستقالة إلى عبد الكريم مزقها وقال: (سأجبره على قبول المنصب ومغادرة العراق). ثم استدعاه لمقابلته في وزارة الدفاع. وهناك أصر عليه بأن يسافر لاستلام منصبه كسفير للعراق في بون. وقال له: (ان بقاءك في العراق مثار للشغب، ودليل على ذلك انك في يوم الجمعة الماضية تعمدت الذهاب إلى جامع الفضل لاداء فريضة صلاة الجمعة حيث قلبت الصلاة إلى تظاهرة تهتف لك وتنادي بعودتك إلى الحكم واني متأكد انك ستكرر ذلك

٨٢٥- ليث الزبيدي. المصدر السابق. ص ٣٥٤-٣٥٥ (الهامش).

٨٢٦- انعام الجندي. إلى اين يسير الشيوعيون بالعراق. بيروت ١٩٥٩، ص ٧٦ (نقلا عن ليث الزبيدي. المصدر السابق. ص ٣٥٥).

٨٢٧- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٢٤١ (شهادة محمد مجيد).

٨٢٨- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٤١.

٨٢٩- انظر الزبيدي، المصدر السابق. ص ٣٥٥.

في جوامع اخرى في المستقبل).

فأصر عبد السلام على الرفض. ولما احتدم النقاش بينهما، سحب مسدسه^(٨٣٠). فشعر به فؤاد عارف متصرف لواء كربلاء الذي كان معهما فأمسك به. وساعده عبد الكريم في انتزاع المسدس منه. فادعى عبد السلام انه كان يريد الانتحار^(٨٣١). فقال له عبد الكريم: (اذا اردت الانتحار، لماذا لم تنتحر في بيتك أو في أي مكان آخر؟ هل تريد من الشعب أن يقول اني قتلتك؟)^(٨٣٢).

لقد اتهمه عبد الكريم بأنه يريد اغتياله. ويعلق صبحي عبد الحميد على ذلك بالقول: (اني اعتقد أن عبد السلام كان يريد التهديد بالانتحار ليستدر عطف عبد الكريم لبقية في بغداد)^(٨٣٣). وبالرغم من ان المرء لا يستطيع ان يجزم كيف كان عبد السلام يفكر في تلك اللحظة، وهو المعروف بعدم اتزانه وتسرع. الا ان وجهة نظر صبحي عبد الحميد - الأنفة الذكر - تبدو الاقرب للمنطق، خاصة اذا ما استحضرننا شخصيته، عند مثوله امام محكمة المهداوي. اذ كان مستخدنيا ومنهارا، وحاول استعطافهم بالدموع والهتاف بحياة عبد الكريم قاسم.

ما أن سمعوا صوت عبد الكريم، وهو يمسك يد عبد السلام، حتى دخل الضباط الذين كانوا خارج الغرفة. كان بينهم الزعيم الركن محيي الدين عبد الحميد قائد الفرقة الرابعة، ورئيس اللجنة العليا للضباط الاحرار قبل اختيار عبد الكريم قاسم رئيسا لها.

٨٣٠- لا قيمة لما ورد فيما بعد في مذكرات عبد السلام عارف، من تصوير للامر وكأنه محاولة لاغتيال عبد الكريم، فهو ادعاء متأخر بالبطولة. وعموما فان بطاطو يصف هذه المذكرات بالقول: (تبدو غير مرضية إلى حد بعيد. وهي قبل كل شيء، بخيلة بالوقائع كما انها تحتوي على غموض وتفتقر إلى الدقة بين الحين والآخر) (بطاطو. المصدر السابق. ص٧٦).

٨٣١- عبد الحميد. المصدر السابق. ص١٤١-١٤٢.

٨٣٢- العزاوي. المصدر السابق. ص١٧٩.

٨٣٣- عبد الحميد. المصدر السابق. ص١٤١-١٤٢ وانظر وجهة نظر مناقضة: الناصري. المصدر السابق. ص١٢٤-١٤٢ (وقد سماها بمحاولة عبد السلام الثانية معتبرا اياها محاولة انقلابية!).

فأخذ يلطم على رأسه اسفا على ما حل من فرقة بين الاثنين.
أما عبد الكريم فقد التفت إلى عبد السلام وقال له: (انني اعفو عنك على شرط ان تسافر إلى خارج البلد لمصلحة الوطن). ثم انتحى به جانبا ووعد به بأنه سيعود خلال بضعة اسابيع. فسافر عبد السلام في ١٢ تشرين الاول ١٩٥٨، مودعا من عبد الكريم وآخرين في المطار.

قضى عبد السلام سفرته في بلجيكا وهولندا، ولم يسافر إلى بون، ثم سافر إلى فينا ومنها أبرق إلى عبد الكريم، يخبره بنبأ عودته خلال الايام القليلة القادمة. فطلبت اليه وزارة الخارجية العراقية، بواسطة السفارة العراقية في فينا، أن يواصل السفر إلى بون، لكنه لم يستجب لذلك بل ركب الطائرة وعاد إلى بغداد.

وما أن دخل داره، حتى دعاه عبد الكريم للحضور إلى وزارة الدفاع. وهناك وبعد نقاش طويل بين الاثنين، عرض عليه عبد الكريم أي منصب يختاره خارج العراق، وأن يكون ارتباطه برئيس الوزراء. ولكنه أصر على البقاء في بغداد.

عندئذ اوعز عبد الكريم، إلى العقيد عبد الكريم الجده آمر الانضباط العسكري، أن يقتاده إلى سجن رقم واحد العسكري في معسكر الرشيد. واذيع من الاذاعة والتلفزيون نبأ توقيفه واحالته على المحكمة العسكرية العليا الخاصة، بتهمة محاولة اغتيال الزعيم عبد الكريم والتآمر على سلامة الدولة.

جرت المحاكمة بصورة سرية، واستمرت من ٢٧/١١/١٩٥٨ إلى ٥ شباط ١٩٥٩، وصدر عليه الحكم بالاعدام شنقا حتى الموت، بتهمة الشروع بقتل عبد الكريم قاسم، وترك تخفيف الحكم إلى الزعيم باعتباره القائد العام للقوات المسلحة^(٨٣٤).

لقد كان لمحاكمة عبد السلام هدفين، الأول: اظهار دور عبد السلام في الثورة كدور ثانوي، إذ (كانت خطة القيام بثورة ١٤ تموز من وضع قاسم دون سواه وان واجب المتهم في الخطة هو عزل مقر لواء العشرين ومن ثم قيادة اللواء المذكور بصفته اقدم ضابط والحضور إلى دار الإذاعة والبقاء فيها لقراءة بيانات كتبت له من قبل قاسم وكانت معه

سرية بأمره للمحافظة على دار الإذاعة عند قراءة البيانات في صبيحة ١٤ تموز^(٨٣٥).
لقد تحولت المحكمة - وهي تحاول إثبات ذلك - إلى مهزلة حقيقية. وجرت فيها أحداث انطوت على دروس اجتماعية غنية، فقد انقلب اغلب الشهود، وهم من الضباط الأحرار، على الرجل الذي كانوا- يوم الثورة- يتملقونه ويمجدونه، فصاروا الآن يتنقصونه ويهشمونه.

أما الهدف الثاني فهو اثبات أن موضوع الوحدة لم يبحث من قبل الضباط الأحرار قبل الثورة^(٨٣٦). والغريب أن ضباطا قوميين كطاهر يحيى ونعمان ماهر الكنعاني نفوا أن يكون موضوع الوحدة قد بحث^(٨٣٧)، بل أن طاهر يحيى- الذي صار بعد توليه رئاسة الوزارة فيما بعد من الذين يرفعون شعارات الوحدة وينادون بها- قال في شهادته أمام المحكمة: (ليس لنا علاقة بالوحدة أو الاتحاد، فنحن لنا بلد ولنا زعيم)^(٨٣٨).

أما ناجي طالب والتي كانت شهادته أمام المحكمة، أرصن الشهادات وأكثرها تطابقا مع الواقع، فقد أجاب حين سألته رئيس المحكمة عن موضوع الوحدة قائلاً:

(نعم بحث ولم نتوصل إلى قرار بالاتحاد أو الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة فوراً، ولكن موضوع الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة بحث وكان من المواضيع المقبولة لا سيما عندما تسوء أوضاعنا السياسية الدولية باعتبار أن هذا ربما يكون الطريقة التي تخلص الدولة من المخاطر)^(٨٣٩).

٨٣٥- المحاكمات. الجزء الخامس. ص ٤٧١- ٤٧٤ (نقلا عن الزبيدي. المصدر السابق. ص ٣٥٦).

٨٣٦- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٧٣.

٨٣٧- العزاوي. المصدر السابق. ص ١٩٣- ١٩٤.

٨٣٨- المصدر السابق. ص ١٩٣. علق العزاوي على شهادة يحيى بالقول: (أن هذه أقوال شخص أصبح من أشد دعاة الوحدة بعد تبدل الوضع ومجيء عبد السلام عارف إلى السلطة، فتأمل).
٨٣٩- اتفق أعضاء اللجنة العليا في المناقشات التي دارت بينهم - قبل الثورة - ألا تعلن الوحدة الفورية إلا في حالة واحدة وهي التدخل الاستعماري ضد الثورة في العراق (الذاكرة التاريخية (مصدر سابق) ص ٢٨١ (شهادة صبيح علي غالب) وكذلك الزبيدي. المرجع السابق. ص ١٤١).

وأضاف: (هو أيضا بحث كهدف نهائي ليس في ذلك شك. ان العراق بلد من البلدان العربية وهو اولا وأخيرا جزء من الأمة العربية ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نستبعده عن هذه الحقيقة التي هي راسخة في التاريخ ولا يمكن لاحد أن يتخلص منها)^(٨٤٠).

وقد ظهرت شخصية عبد السلام- خلال المحاكمة- على حقيقتها، شخصية هشة وتافهة وغير متزنة، فقد اظهر الكثير من الضعف والتذلل. بكى عدة مرات، وهتف باسم الزعيم عبد الكريم قاسم مرات ومرات. حتى عندما حكم عليه بالاعدام هتف بحياة عبد الكريم.

ولنقف الان قليلا ونقارن بين شجاعة الرجلين. فقد كان عبد السلام - يوم الثورة - اشجع من صاحبه، وأكثر إقداما. ولكن عند الوقوع في الأسر ومواجهة الموت على يد الأعداء، كان عبد الكريم - يوم ٩ شباط ١٩٦٣- أكثر صلابة واتزاناً من عبد السلام - يوم ٥ شباط ١٩٥٩- بما لا يقاس من المرات.

وأخذ عبد السلام - في السجن- بكتابة الرسائل، الواحدة تلو الأخرى، إلى عبد الكريم، متوسلا إليه لإطلاق سراحه. ويقال انه كان هناك من يحجب هذه الرسائل عنه^(٨٤١)، فلم تصله سوى رسالة واحدة يقول فيها:

(سيدي وقائدي وأخي الزعيم عبد الكريم قاسم.. إنني منك كهارون من موسى.. لقد طال انتظار عطفك علي ورأفتك بي).

وقد علق أمر الانضباط العسكري عبد الكريم الجدة على هذه الرسالة قائلاً:
(انظر إلى هذا المحتال. انه ما دام في السجن يبدي الاستعطاف ويسأل الرحمة ولكن حالما يصبح طليقا يبدأ بالتآمر)^(٨٤٢).

٨٤٠- العزاوي. المصدر السابق. ص١٩٢.

٨٤١- العارف. المصدر السابق. ص٢٧٤ وانظر بخلاف ذلك عبد الحميد. المصدر السابق. ص١٧٥.

٨٤٢- العارف. المصدر السابق. ص٢٧٤. يقول العزاوي بأن الجدة لم يترك وسيلة الا واستخدمها لايزاء عبد السلام في السجن (العزاوي. المصدر السابق. ص١٨٦).

وفي ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦١، اصدر عبد الكريم قاسم عفوا عن عبد السلام، حيث ابقاه رهن الاقامة الجبرية في بيته، وسمح له بالخروج لاداء صلاة الجمعة، كما سمح له باداء فريضة الحج. ويبدو ان وراء قرار العفو عن عبد السلام، شعوره باستقرار نظامه، خاصة بعد الانفصال الذي ابعده عنه خطر عبد الناصر. وجدير بالذكر ان عبد الكريم كان قد اصدر- في ١٤ تموز ١٩٦١- عفوا عاما عن جميع السجناء السياسيين، بحيث لم يبق هناك سجين سياسي سوى عبد السلام، الذي أطلق سراحه كما قلنا فيما بعد، في تشرين الثاني من نفس العام.

الثورة والوحدة العربية:

كان قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا - في ٢٢ شباط ١٩٥٨ - انجازا تتنظره الأمة العربية بفارغ الصبر. لكن هذا المشروع العظيم وللأسف ولد معاقا. فالنظام الدستوري الذي قامت عليه الجمهورية العربية كان غريبا ومشوها. فهي قامت على أساس وجود اقليمين وجيشين وعملتين واقتصادين، وفي ذات الوقت، هي وحدة اندماجية.

فقد كانت هناك حكومة مركزية في القاهرة، وفي الوقت نفسه، كانت هناك حكومة خاصة بالاقليم الشمالي (سوريا). ومع ذلك فان الاقليم الشمالي (سوريا) لم يكن يتمتع - في ذلك الوضع - بالحكم الذاتي. إذ كانت حكومته تعين من القاهرة، وتحديدًا من الرئيس عبد الناصر، ولم تكن صلاحياتها تتعدى صلاحية مدراء عامين. الأسوأ من هذا، ان أي ضابط مصري، كان يملك من النفوذ - في الاقليم الشمالي - ما لا تملكه حكومة الاقليم من نفوذ، برئيسها ووزرائها مجتمعين^(٨٤٢). ثم جاء أخيرا المشير عبد الحكيم عامر إلى الاقليم الشمالي، ليكون والضباط العاملين في مكتبه -

٨٤٢- انظر مثلا فرحان، حصاد ثورة (مصدر سابق). ص٩: (ففي حديث لفهد الشاعر- الضابط السوري المعروف- للمؤلف القى باللوم- في وقوع الانفصال- على ممارسات الضباط المصريين وذكر وقائع معينة حصلت معه شخصيا).

مصريين وسوريين - الحكومة الحقيقية، بينما تحول الآخرون إلى مجرد موظفين عنده أو عند ضباطه. ونحن نعرف عقلية المشير وبساطته وطريقة تعامله مع الأمور. كان يتصرف كعمدة أو شيخ قبيلة وليس كرجل دولة.

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل أن سوريا خلت من الرجال الكفاء المخلصين، حتى ينتدب إليها المشير ليحكمها؟

وفي النهاية قام بضعة ضباط سوريين - كان زعيمهم مديراً لمكتب المشير - بالإطاحة بالوحدة ببيان أذاعه من إذاعة دمشق - في ٢٨ أيلول ١٩٦١ - وقد ادعوا أنهم ليسوا ضد الوحدة، وإنما هم يهدفون إلى وقف التسلط المصري وما رافقه من فساد في سوريا. ان سوريا - حكومة وشعباً وجيشاً - هي التي فرضت الوحدة على عبد الناصر، والذي استجاب لهم بدوره، لأنه لم يرد أن يخذل ذلك الحب والحماس. لكن عبد الناصر اقام - وللأسف - وحدة على قياسه وطريقته ومزاجه، وليس على اساس الضرورات الجغرافية والتاريخية والاقتصادية، وكذلك اعتبارات المساواة والتكامل بين الشعبين، وما يناسب سوريا ومصر معا.

ولم يستطع السياسيون السوريون - في البداية، وفي ذلك الجو الحماسي - ان يجاهروا بنقد البناء الدستوري والسياسي لدولة الوحدة، حتى وهم يرون ما فيها من تشوه وأخطاء. ومن الضروري الإشارة هنا، إلى ان نقدنا لمشروع الجمهورية العربية المتحدة شيء، وما رددته المهداوي في محكمته البغيضة، وما رددته إذاعات إسرائيل والرياض وعمان، وكذلك ما يرويه بعض السياسيين السوريين، من أن عبد الناصر أراد أن يقيم امبراطورية فرعونية، أو انه أراد السيطرة على خيرات سوريا ونفط العراق.. الخ، شيء آخر مختلف. فعبد الناصر رجل مؤمن بالقومية العربية، وقد عرض استقرار مصر ومصالحها للخطر مرات ومرات، من اجل القضايا العربية. وكانت مصر في الخمسينات اغنى من سوريا أو العراق، وكانت امكانياتها الاقتصادية والعلمية افضل من أي قطر عربي آخر، ولم تستنزف بعد في حرب اليمن ولم تحتل اراضيها في حزيران ١٩٦٧، وكان عدد سكانها معقولاً، لا يتجاوز العشرين مليوناً.

واعتقد ان الوحدة لو قامت على اساس ديمقراطي فدرالي، لتجاوزت الكثير من الاشكالات. وليس هناك مانع سياسي من ذلك، فعبد الناصر كان يحظى بشعبية منقطعة

النظير، واية ديمقراطية، أو بالاحرى اية انتخابات حقيقية، كانت ستأتي في صالحه، ولن يجرؤ احد على منافسته فيها.

ومن المفيد التأكيد هنا على ما قلناه سابقا، بانه ما لم يكن هناك خلل ذاتي، فلا يستطيع التآمر الخارجي، أن يصل إلى اهدافه. صحيح أن هناك جهد منظم واموال كثيرة ومحاولات حثيثة، من قبل قوى دولية واقليمية لإسقاط الوحدة. لكن تلك المؤتمرات ما كانت لتصل لأهدافها، لولا التشوه الذاتي في مشروع الجمهورية العربية المتحدة نفسه. ولنعد الان قليلا إلى عام ١٩٥٦، حين صار جمال عبد الناصر- في العراق كما في البلاد العربية الأخرى- رمزا للجماهير لا يضاهيه رمز آخر. وكان كل الشعب العراقي بعربه واكراده وبكل طوائفه، ينظر إلى عبد الناصر بحب وتقدير منقطعي النظير. تقول الدكتورة سائحة أمين زكي- وهي من الموالين للعهد الملكي - في مذكراتها وهي تتحدث عن تلك الأيام):

أصبح جمال عبد الناصر النبي الجديد عند العرب^(٨٤٤).

وتضيف بما يعبر بدقة عن واقع تلك الأيام:

(الناس كلها في العالم العربي كانت تحت تأثير جمال عبد الناصر وترغب ان تدخل

في حماه ورعايته هو، ولا رأي الا له ولا كلمة الا لما يقوله)^(٨٤٥).

وسمعت من احد علماء الدين الكبار، انه كان يشرح - على جمهور غفير- احدى الآيات القرآنية، واستغرق قليلا في الحديث عن فرعون وتجبره وظلمه. ثم انتبه إلى الأمر، وخشي أن يفسر المستمعون كلامه بانه تعريض بجمال عبد الناصر - وهو مالم يكن يقصده ابدأ - ويثورون عليه. فقرر الانتقال إلى نقطة أخرى بسرعة. وهكذا مر الموضوع بسلام.

وبطبائع الأمور كان لسحر عبد الناصر وجاذبيته (الشخصية والسياسية)، تأثيرها الاقوى في صفوف ضباط الجيش العراقي، والذين الهب عندهم العدوان الثلاثي، وما بدا

٨٤٤- د. سائحة. المصدر السابق. ص٧١٣.

٨٤٥- المصدر السابق. ص٧١٥.

من تواطؤ وتآمر مع المعتدين، مشاعر النقمة والغضب على النظام الملكي.

وزاد الطين بلة قيام الاتحاد الهاشمي بين العراق و الأردن، والذي اعتبر ردا سخيفا على قيام الجمهورية العربية المتحدة، قابله العراقيون والأردنيون معا بازدراء وعدم اهتمام^(٨٤٦). وكان موضع سخيرية واستهزاء^(٨٤٧).

كانت عائلة عبد الكريم قاسم - أي والده وإخوانه، فالرجل مات ولم يتزوج- شأنها شأن اغلب العوائل العراقية، متحمسة جدا لعبد الناصر، وتتابع بشغف إذاعة صوت العرب^(٨٤٨). ولم يكن عبد الكريم أقل حماسا من عائلته لجمال عبد الناصر^(٨٤٩). وصرح بعد الثورة لمراسل مجلة المصور المصرية:

(رائدنا في كل خطوة ثورة مصر المشعل الأكبر للحرية والقومية العربية وجمال عبد الناصر نور وحرارة هذا المشعل)^(٨٥٠).

وسمح عبد الكريم - بعد الثورة - للمخابرات المصرية، أن تشحن وثائق حلف بغداد،

٨٤٦- د. سلمان. المصدر السابق. ص ٢٩٢ (ومما يذكر ان سلمان كان عضو مجلس الاتحاد - اعلى هيئة سياسية في الاتحاد الهاشمي- فاذا كان هذا رأي عضو مجلس الاتحاد فما بالك برأي الشعب؟).

٨٤٧- د. سانحة. المصدر السابق. ص ٧١٥.

٨٤٨- عبد القادر. المصدر السابق. ص ١٥٨ هامش رقم ٤٢ الفقرة الثانية. (حديث لشقيق عبد الكريم الاكبر حامد قاسم محمد رفعت الصحفي بمجلة المصور المصرية في آب ١٩٥٨).

٨٤٩- يقول محسن الرفيعي مدير الاستخبارات العسكرية في عهد قاسم: (ان ميول قاسم كانت قومية كما عرفته قبل الثورة) (عبد القادر. المصدر السابق. ص ٢٥٨) ويبدو ان الرفيعي يقصد بذلك حماسه آنذاك لعبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة وقد ذكرنا سابقا بان عبد الكريم قاسم فكر بالالتحاق ولوؤه بسوريا. وعشية حركة ١١ مايس ١٩٥٨ الفاشلة، اتفق القائمون عليها، ومنهم عبد الكريم قاسم الذي عين فيها رئيسا للاركان على ان يضم العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة (الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٢٨ و ٤٢). لكن قاسم شأنه شان عارف واليكر وغيرهما، ما ان اصبح هو قائد الثورة وزعيمها، حتى اصبح عدوا للجمهورية العربية المتحدة. وللضباط القوميين الذين انشقوا عليه رواياتهم الكثيرة في تفسير ذلك (انظر عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٩٠ - ١٩١).

٨٥٠- عبد القادر. المصدر السابق. ص ١٥٧- ١٥٨ هامش رقم ٤٢.

على طائرة خاصة إلى مصر. كما سمح لعبد الحميد السراج - أهم الشخصيات السورية المقربة لعبد الناصر وكان يشغل آنذاك منصب وزير داخلية الاقليم الشمالي - أن يحضر جلسات مجلس الوزراء. ووافق على اشراك محقق من الجمهورية العربية المتحدة في الهيئة التحقيقية الخاصة بمسألة رموز العهد الملكي^(٨٥١). وقد مر بنا ان الملحق العسكري المصري ببغداد كان ينام - في الأيام الأولى للثورة - في الغرفة المجاورة لغرفته التي كان يتشاركها وعبد السلام عارف^(٨٥٢).

وقبل أن يأخذنا الحديث بعيدا، لا بد من الإشارة إلى ان الجنود الذين شاركوا بالثورة، كان الهتاف باسم الرئيس جمال عبد الناصر احد هتافاتهم الرئيسية ان لم يكن هو هتافهم الرئيسي^(٨٥٣). وكان الحزب الشيوعي العراقي قد اصدر عشية ثورة ١٤ تموز، اوامر إلى كوادره - وهو يهيئهم لاحداث الثورة التي كانت قيادة الحزب على علم بها - بضرورة تجنب الشعارات التي تمجد هذا الزعيم أو ذاك، في إشارة واضحة، كان المقصود فيها جمال عبد الناصر. ويصف بطاطو توجيهات الحزب الشيوعي التي تضمنت الفقرة الأنفة الذكر وغيرها من الفقرات، بانها كانت تنذر بالنزاع المأساوي القومي - الشيوعي الذي كان له أن يأتي^(٨٥٤). ثم بدأ بعد أيام قليلة من الثورة، الصراع على السلطة بين الضباط، ذلك الصراع الذي اختلط فيه الحابل بالنابل، وتغيرت فيه مواقع، وانقلبت فيه مواقف. يقول عبد المجيد القيسي:

(لوان عبد الكريم مال إلى القوميين واحتوهم إلى صفه لما تردد عبد السلام عن الميل إلى الشيوعيين والاعتماد عليهم)^(٨٥٥).

٨٥١- المصدر السابق. ص ١٠٠.

٨٥٢- حازم جواد. المصدر السابق. ص ٩٧.

٨٥٣- انظر مثلا حسين، المصدر السابق. الجزء السابع. ص ٤٢ (شهادة سامي مجيد).

٨٥٤- بطاطو. المصدر السابق. ص ١١٣.

٨٥٥- القيسي. المصدر السابق. ص ٦٥٢. وفي شهادته عن ثورة ١٤ تموز **يقول** محمد مجيد: (ان عبد السلام اخذ يشك حتى بالضباط القوميين الموجودين في وزارة الدفاع) ويضيف قائلا: (ما كان يقبل أن يعينا في الوحدات الفعالة) (الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٢٤١).

وفعلا فان عبد السلام شخصا هو الذي كان وراء تعيين الضباط الأحرار (القوميين) في مناصب عسكرية أو مدنية ثانوية، بينما تبنى تعيين بعض الشيوعيين في مناصب مهمة. فهو الذي عزل نعمان ماهر الكنعاني من منصب مسؤول الرقابة على الصحف والمشراف على الإذاعة، وعين محله سليم الفخري الشيوعي المعروف، لان الأول - أي نعمان ماهر - وفي مقال معد للنشر، جعل عدد الذين استقبلوا عبد السلام عارف في مدينة السليمانية (٩) آلاف، بدلا من الرقم (٩٠٠٠٠) الذي كان مكتوبا من قبل، معللا ذلك بان الرقم الأول كعدد للمستقبلين هو الذي يتناسب مع عدد سكان المدينة^(٨٥٦).

والمثال ألانف الذكر هو واحد من أمثلة كثيرة يستطيع المرء ان يذكرها. فالضباط الأحرار - واغلبهم من القوميين - كان خلافهم - في الأصل - مع عبد السلام عارف. ولكن بعد خروجه من السلطة، أمسى خلافهم - وبسبب أخطاء عبد الكريم قاسم - مع عبد الكريم نفسه الذي استمر على سياسة عبد السلام، في ابعاد الضباط الأحرار عن السلطة. والحقيقة ان هذه السياسة هي بالاصل سياسة عبد الكريم أيضا.

اما القول بان عبد الكريم كان اقليميا معاديا للوحدة، وان عبد السلام كان قوميا مناضلا من اجل الوحدة، فهو غير صحيح في جزئه الثاني. فكلتا الرجلين كانا لا يؤمنان بالوحدة. وقد ظهر فيما بعد ان عبد السلام يفوق صاحبه كراهية لجمال عبد الناصر^(٨٥٧).

ولكن بسبب الصراع على السلطة بين الرجلين، اخذ عبد السلام يدعو إلى تأسيس مجلس قيادة الثورة بعد ان كان ضد تأسيسه. وأصبح أيضا حامل راية عبد الناصر (الوحدوية) ورمزها في العراق. وكمثال آخر على ما فعله الصراع على السلطة - آنذاك - من تغيير في المواقف والمواقع والشعارات والأهداف، فان العقيد اليساري عبد الوهاب الشواف، عُين - يوم الثورة - حاكما عسكريا عاما، لكن عبد السلام الغى الأمر فوراً وعينه أمرا للواء الخامس، وذلك انتقاما من الشواف لانه قرر - عندما قاد حركة ١١

٨٥٦- العزاوي. المصدر السابق، ص ١٧٠- ١٧١.

٨٥٧- خدوري. العراق الجمهوري (مصدر سابق). ص ٢٨ (الهامش).

مايس ١٩٥٨ لاسقاط النظام الملكي والتي فشلت قبل انطلاقتها - تعيين عبد السلام عارف أمرا للواء الخامس نفسه. وعارض عبد السلام لنفسه أيضا تعيين رفعت الحاج سري مديرا للاستخبارات العسكرية، فقد كان يعتقد بان رفعت كان شريك الشواف في اقتراح تعيينه - أي عبد السلام - أمرا للواء الخامس^(٨٥٨).

رفض الشواف الالتحاق بمنصب أمر اللواء الخامس، لكن بعض الضباط اقنعوه - متحججين بمخاطر الانزال الأمريكي والبريطاني في لبنان والأردن على الثورة - بالالتحاق بذلك المنصب ولو على نحو مؤقت. الا ان تعيينه - أو بالأحرى استمراره - في هذا المنصب الثانوي - حتى بعد إقالة عبد السلام وسجنه - دفعه إلى الوقوف ضد القوى اليسارية^(٨٥٩). بل ان الشواف تحالف في ثورته المعروفة مع قوى إقطاعية ومحافظة، رغم ان يساريته فاحت - ولو من بعيد - في بعض عبارات بيانه الأول^(٨٦٠).

اما عبد الكريم قاسم، فليس وحده الذي نسي الوحدة، أو بالأحرى وقف ضدها، عندما أصبح زعيما. فالذين ثاروا عليه وقتلوه باسم الوحدة، ردوا حين طرحت عليهم الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة بالقول: (بأنهم ما كانوا يريدون وحدة أو اتحادا حيث ان للعراق مشاكله الكبرى التي يريدون التفرغ لحلها)^(٨٦١).

واغلب الضباط الأحرار، لو كانوا محله، لفعلوا مثل ما فعل. وقد جاء بعده إلى الحكم عدد منهم، فلم يكونوا اقل منه حماسا لبقاء العراق بعيدا عن اية وحدة عربية حقيقية. لكن المشكلة التي الحقت الاذى بعبد الكريم قاسم نفسه، وبالعراق، وبالجمهورية العربية المتحدة أيضا، انه فشل في التعامل بذكاء - طيلة سنوات حكمه - مع الجمهورية العربية المتحدة. بل وحول (الجمهورية العربية المتحدة) إلى عقدة له. كان من الممكن ان يتفادى حدوث صراع مع الجمهورية العربية المتحدة. وكان من

٨٥٨- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص٤٣-٤٤ (شهادة خليل ابراهيم حسين).

٨٥٩- العارف. المصدر السابق. ص٣٦٨

٨٦٠- انظر نص البيان الاول في العلي. المصدر السابق. ص٦٩-٧٢.

٨٦١- هويدي. المصدر السابق. ص٥٥.

الممكن بعد حدوث الخلاف (أو حتى الصراع) معها، اصلاح علاقاته بها، خاصة وقد سنحت مناسبات كثيرة، وتدخلت وساطات عديدة، لكنه لم يستفد منها، واغلق الباب في وجهها، واستمر على موقفه هذا، حتى بعد وقوع الانفصال، وابتعاد خطر الجمهورية العربية المتحدة عنه. ولم يكن من الذكاء ابقاء الجرح معها مفتوحا.

ولا بد من الإشارة إلى عاملين اساسيين ساهما في تفجير الخلاف بينه وبين الجمهورية العربية المتحدة : الأول يتعلق بشخصيته. والثاني يتعلق بدور الحزب الشيوعي العراقي وبالدور البريطاني والأمريكي معا في تخريب علاقاته بجمال عبد الناصر. وسنعود للحديث عن الدورين تحت عنوانين منفصلين. ويجب التأكيد هنا بأنه لولا شخصيته المعقدة، لما كان للدورين من أثر.

فقد كان - كما يقول صديقه إسماعيل العارف - كثير الشك والتوجس، وقد ازداد هذا الشعور لديه عندما تسلم السلطة. واصيب بمرض حب الذات فصار يتصور نفسه بان له الحق بالانفراد بكل شيء^(٨٦٢).

فليس عبد السلام وحده الذي اصيب - بعد ١٤ تموز - بالغرور. فعبد الكريم ربما كان أكثر غرورا منه. لكن خجله وصمته - في الأيام الأولى للثورة - جعلاه أكثر اتزاناً وعقلانية من صاحبه. ثم ما ان تغلب على خجله، وانفتحت قريحته، حتى ظهر على حقيقته.

من جانب آخر، يبدو ان عبد الكريم - وقد ركبه الغرور - كان يعتقد بأنه أعظم من عبد الناصر، فبالإضافة الى أنه أعلى رتبة من ناصر، واكبر عمرا، واقدر على الخطابة بالعربية الفصحى، فإنه قاد ثورة أعظم من ثورة مصر^(٨٦٣)، وأنه تحدى الاستعمار في عصر داره بقيادته ثورة في احد بلدان حلف بغداد، وبالتالي فهو قد حقق مجدا يساوي

٨٦٢- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص٣٣٧.

٨٦٣- هناك رغبة شديدة عند من كتبوا عن ثورة ١٤ تموز، من محبي عبد الكريم قاسم، للمقارنة بين ثورة ١٤ تموز و٢٣ يوليو، واعتبار الاولى ثورة والثانية انقلاب (انظر مثلاً د. عبد الخالق حسين. المصدر السابق. ص١٤).

ما حققه عبد الناصر من مجد - في السويس عام ١٩٥٦ - ان لم يفوقه بمراحل^(٨٦٤). ولو تتبعنا خطابه وتصريحاته، نجد ان ذلك ليس غريبا على طريقة تفكيره وإعجابه بنفسه. وعرف رجال عهده نرجسيته وداء العظمة الذي اخذ يتلبسه، فاخذوا يبالغون في تمجيده حتى أصبح من المؤلف ان يقال: (ان الزعيم رجل عظيم جاد به الزمان على العراق والعالم العربي والعالم)^(٨٦٥)، ليكون قائدا من قادة الديمقراطية والحرية والسلام بما يتميز من عبقرية ونبوغ وذكاء وشجاعة وطيبة قلب.. الخ^(٨٦٦). فضلا عن عشرات الأسماء والالقاب التي اطلقت عليه^(٨٦٧).

وبالعودة إلى مسألة الوحدة، فانها ربما كانت تعني لعبد الكريم قاسم، تنازله عن قيادة الثورة، وهو الضباط الكبير، ليصبح مجرد موظف أو ضابط عند ضابط آخر (عبد الناصر). وهذه ليست نظرته وحده، بل ان الاحداث كشفت فيما بعد ان عبد السلام عارف كان يفكر بالطريقة نفسها^(٨٦٨).

ومن باب تفسير الأمور وليس تبريرها، فان اقامة الوحدة على اساس دستوري مشوه أو بالطريقة الحماسية التي قامت بها، متأسسة على شخصية عبد الناصر وما حظيت به

٨٦٤- انظر تفسير العارف للمهاترات بين القاهرة وبغداد اذ يقول: (ربما زاد من حدتها بروز شخصية عبد الكريم قاسم كقائد على الساحة العربية) (العارف. المصدر السابق. ص ٢٨٧) الامر الذي يؤكد استنتاجنا اعلاه.

٨٦٥- ان ادعاء دور تاريخي عظيم صفة تجمع كل الذين حكموا العراق بعد ١٤ تموز، ما خلا عبد الرحمن عارف. وهكذا فإن عبد السلام عارف هو (فاتح بغداد) و(بطل الثورات الثلاث)، و(بطل التحرير القومي).. الخ. مع التأكيد المستمر باننا لا يمكن أن نجتمعهم في سلة واحدة، فليس هناك اساس للمقارنة بين الضباط الذين حكموا العراق قبل عام ١٩٦٨، وبين عصابات صدام الاجرامية.

٨٦٦- خيون. المصدر السابق. ص ١٥٧ (النص جزء من قرار الحكم الصادر عن المحكمة العسكرية العليا الخاصة ضد عبد السلام عارف).

٨٦٧- انظر احمد فوزي. قصة عبد الكريم قاسم كاملة. القاهرة ١٩٦٣. ص ٧٤.

٨٦٨- انظر مثلا فرحان. حصاد ثورة (مصدر سابق). ص ١٦٩.

من شعبية لا نظير لها، من الطبيعي ان يدفع ضباطا كعبد الكريم قاسم، وفيما بعد عبد السلام عارف واحمد حسن البكر، للتفكير بالطريقة التي اشرنا لها للتو.

وعموما فإن سقوط دولة الوحدة كانت مسألة وقت، لان ضم عدة أقطار عربية في دولة واحدة، يحتاج إلى مؤسسات لاستيعاب ظروفها وتنظيم احوالها وتجسيد مطامحها. فدولة الرمز الواحد غير قابلة للعيش والاستمرار، ولذلك رأينا سقوطها بالانفصال- عام ١٩٦١- أولا، ثم بموت عبد الناصر ومجيء السادات - عام ١٩٧٠- ثانيا.

وهكذا فإن انضمام العراق - عام ١٩٥٨- لدولة الوحدة، لن يقويها أو يطيل من عمرها. بل انه سيزيد من مشاكلها وتشوهادها. خاصة ان في العراق شعبا كرديا يطمح إلى تقرير مصيره بنفسه. وهناك أيضا أحزاب العراق التي تختلف عن أحزاب مصر. ففي مصر كان للأحزاب دور في فساد الحكم ومعاناة البلد. اما في العراق فان الأحزاب ناضلت ضد الحكم الملكي وفساده. وهذه الملاحظة لا تنفي ان هذه الأحزاب أصبحت بعد الثورة جزءا من المشكلة.

هناك أيضا إيران الشاه والتي ما كانت لتقف مكتوفة الأيدي وهي ترى الخطر الناصري على ابوابها^(٨٦٩). فضلا عن الأردن والسعودية اللذين كان لهما الدور الأكبر في تدمير الوحدة السورية - المصرية وقد قيل عن الملك حسين وعلاقته بانقلاب الانفصال عام ١٩٦١ بأنه (مدير ذلك الانقلاب لطرد مصر من سوريا عقابا لها على تأييدها لانقلاب العراق (١٤ تموز ١٩٥٨))^(٨٧٠).

اما الشيعة وموقفهم من الوحدة آنذاك، فاجزم بأن حماسهم لها - في ذلك الزمن القومي وقبل ان يطرأ على الخارطة السياسية في العراق ما طرأ عليها بعد ثورة ١٤

٨٦٩- قال شاه ايران- عام ١٩٦٨- لوزير الصناعة العراقي خليل ابراهيم حسين: (انا لا اخشى الشيوعية العالمية انا اخشى الشيوعية الناصرية انا لا اريد جنودا مصريين على حدود بلادني) (حسين. المصدر السابق. الجزء الخامس. ص٣١٢ (الهامش)). وربما كان ذلك بسبب دعم عبد الناصر للخميني في نضاله لاسقاط الشاه وطرده النفوذ الصهيوني من ايران. ٨٧٠- محمد حسنين هيكل. كلام في السياسة. القاهرة ٢٠٠٠. ص ١٢٤.

تموز من تعقيد وتطيف (طائفية) - ما كان اقل من سنة العراق. ولو انضم العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة - يوم ١٤ تموز - لوجدنا الشيعة يصفقون لعبد الناصر بنفس الحرارة التي صفقوا بها لعبد الكريم قاسم. بل وربما أكثر من غيرهم. وعلى المرء الا يخلط بين ما حدث في الستينات من تطيف للاحزاب، وبين الصورة النقية للحركات السياسية الثورية، التي كانت عليها يوم انبثقت ثورة ١٤ تموز.

هناك صورة نمطية عند بعض الكتاب عن الشيعة، فضلا عما يردده بعض السياسيين الطائفيين من مقولات طائفية تتماهى مع هذه الصورة. فالشيعة - حسب هذه الصورة النمطية - سيكونون أقلية طائفية في كل وحدة عربية، لذلك فهم ضد أي مشروع لضم العراق إلى اية وحدة عربية.

هذه الصورة لم تكن صحيحة ابدأ في الخمسينات، فالشيعة كانوا يغلبون انتماءهم القومي على انتمائهم الطائفي^(٨٧١)، وكانوا أكثر من غيرهم من العراقيين تعلقا بزعامة عبد الناصر وقيادته، ويحتقرون شاه إيران ويعتبرونه عميلاً للاستعمار، وعدوا للإسلام. فردا على العدوان الثلاثي على مصر، ثارت النجف - العاصمة الدينية للشيعة - وهي تهتف (عاش جمال عبد الناصر)، وقدمت العديد من الشهداء والجرحى. ودعموا للنجف، اكتسحت الاضرابات والمظاهرات بغداد والموصل وكركوك والسليمانية واربيل^(٨٧٢).

ان الصورة السياسية في العراق كانت قبل الثورة مختلفة تماماً عما بعدها. لقد انقلبت فيما بعد كثيراً. فعلى سبيل المثال، وعن مدينة تكريت - والتي جاء منها عدد

٨٧١- ساورد هنا امثلة ثلاث على ذلك: فعندما اندلعت ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني، والتي لعب الشيعة فيها الدور الاساسي، كانت مطالب الشيعة هي اقامة دولة عربية بزعامة احد انجال الشريف حسين (زعيم الثورة العربية الكبرى). ولم يطالبوا بحاكم شيعي او عراقي. وساندوا ثورة مايس القومية - عام ١٩٤١ - رغم ان رئيس وزرائها كان قد ارتكب المجزرة تلو المجزرة ضد شيعة العراق. ووقفوا بقوة ضد حلف بغداد الذي جمعهم بشاه ايران الشيعي، بينما كانوا يهتفون بحياة عبد الناصر والقومية العربية.

٨٧٢- بطاطو. المصدر السابق. ص ٥٩-٦٢.

كبير من الضباط الذين انقلبوا على عبد الكريم قاسم - يتحدث صديق طفولة صدام، إبراهيم الزبيدي، فيقول عن اوضاعها عام ١٩٥٦:

(لم يكن البعث معروفا في تكريت كباقي التنظيمات الأخرى المعروفة آنذاك، وهي الحزب الشيوعي و الوطني الديمقراطي (الليبرالي) والاستقلال (القومي) وجمعية الأخوة الإسلامية (الأخوان المسلمون). وفي تلك الأيام كان الحزب الشيوعي هو الأكثر حضورا في تكريت، وكان له بعض الانصار والمؤيدين..)^(٨٧٣).

وعن عام ١٩٥٩ يقول:

(في صيف ١٩٥٩، كان المد الشيوعي في أوجه، والناس على دين ملوكها، أو ان الناس مع الواقف، كما يقول المثل العراقي. كان الشيوعيون التكراتة يملكون الشارع والشرطة والمحكمة ودائرة الماء والكهرباء. وكانوا حين ينظمون مظاهرة يحشدون لها اغلب اهالي تكريت)^(٨٧٤).

وجدير بالذكر ونحن نتحدث عن الشيعة والوحدة، فان حزب البعث لم يكن له وجود مؤثر في الموصل أو الرمادي وغيرها من المدن السنية^(٨٧٥). وكان عدد البعثيين في مدينة الناصرية - وحسب القائمة التي صادرتها الشرطة في ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٥ - ٦٩ عضوا، بينما كان عددهم في الموصل ١١، وفي الرمادي ٥، ولم يرد في القائمة ذكر لتكريت ابدا^(٨٧٦). وعندما سقط العهد الملكي، كان اغلب قيادة حزب البعث من الشيعة^(٨٧٧). بينما كانت غالبية قيادة الحزب الشيوعي من السنة^(٨٧٨).
الغريب ان تصبح - وبعد عشر سنوات من ذلك - اغلب قيادة حزب البعث من

٨٧٣- ابراهيم الزبيدي. دولة الاذاعة (سيرة ومشاهدات عراقية). لندن ٢٠٠٣. ص ٢٩.

٨٧٤- المصدر السابق. ص ٦٨.

٨٧٥- حسن العلوي. الشيعة والدولة القومية (مصدر سابق)، ص ٢٣٧.

٨٧٦- بطاطو. المصدر السابق. ص ٤٩.

٨٧٧- المصدر السابق. الكتاب الاول. ص ٩٤.

٨٧٨- انظر المصدر السابق. الكتاب الثالث. ص ٢٤ (الجدول رقم ٢-٢)

تكريت. وان يذبح مؤسس حزب البعث في العراق بالسكاكين^(٨٧٩). وان يصبح البعثيون الشيعة مهددين بتهمة خيانة العروبة^(٨٨٠)، بينما يصبح علي حسن مجيد (ضابط الصف الشيوعي) احد ابرز قادة البعث في العراق.

الدور البريطاني والأمريكي

في تخريب العلاقة مع ناصر:

بعث الخارجية البريطانية - في ١٩ تموز ١٩٥٨ - برقية إلى سفارتها في واشنطن، لابلغ الحكومة الأمريكية بوجهة نظر رئيس الوزراء البريطاني التالية:
(ان الاخبار التي تصلنا من بغداد تؤكد ان الحكومة الجديدة ولو انها تأسست بطرق ثورية، الا انها اعلنت عن نيات معقولة: المحافظة على تدفق النفط، المحافظة على اتفاقها مع الشركات، والمحافظة على علاقات جيدة مع دول العالم (طبعاً مع انحياز للاقطار العربية)، ومن المحتمل حتى المحافظة على عضويتها في حلف بغداد، وهذه الاقل خلال الفترة التي ما يزال ميثاق حلف بغداد، جار في الوقت الحاضر. وهذه اطلاقاً ليست اغراضاً ضارة. ونحن يجب ان نفرق بين النظام الجديد في العراق والجمهورية العربية المتحدة، على ان لا يعمل هذا بسرعة أكثر مما ينبغي، وفي خطتنا ان نعطيهم فرصة، أو نفكر كيف يغدو هذا متحققا)^(٨٨١).

ومن تسلسل الاحداث فيما بعد، يبدو من الواضح ان افكار رئيس الوزراء البريطاني هذه، هي التي اعتمدها الغرب في علاقته مع ثورة ١٤ تموز. ففي برقية بعثتها وزارة

٨٧٩- فؤاد الركابي الذي قتل ذبحاً بالسكين - عام ١٩٧١- في سجن بعقوبة على يد مكتب العلاقات العامة (المخابرات) بقيادة صدام حسين.

٨٨٠- في مقابلة لقناة الشرقية معه، تم بثها في جزئين (٥/١١ و ٥/٢٤/٢٠٠٧) قال عبد الجبار محسن، احد ابرز وجوه الحرب العراقية - الايرانية وكاتب بياناتها العسكرية، وسكرتير صدام الصحافي: (الطائفية هيمنت على حزب البعث في الثمانينات واصبح كل من ينتمي إلى الطائفة (أ) (ويقصد الطائفة الشيعية) متهما ليس حتى يثبت العكس، وانما حتى تثبت ادانته، اصبحت الطائفية مهيمنة على كل شيء).

٨٨١- نورس. المصدر السابق. ص ٧٧-٧٨.

الخارجية البريطانية - وقد ذكرناها في القسم الثاني من الكتاب ومن المفيد تكرارها الان - إلى سفارتها في السويد - في ٣٠ تموز ١٩٥٨ - لابلأغ مضمونها إلى وزارة الخارجية السويدية، جاء ما يلي:

(ان الأمور اذا ما سارت على ما يرام، فان النظام الحالي ربما يثبت كونه مشكلة اكبر لناصر من النظام السابق. ونحن ربما نكون قادرين على العمل معهم، ولكن اذا ما سقط نظامهم فسيخلفهم بالتأكيد متطرفون يعتمدون على ناصر وعلى الشيوعيين)^(٨٨٢).

ولسوء الحظ ان الغرب استطاع ان يحقق اهدافه، واستطاع ان يفرق بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، وان يجعل من حكم عبد الكريم قاسم مشكلة لجمال عبد الناصر أكثر من النظام الملكي نفسه. وعلى المرء الا يستعجل في اصدار الاحكام، فعبد الكريم لم يكن عميلاً، انما استغلوا حبه للسلطة، وهو الأمر الذي ينطبق على كل الذين حكموا العراق بعده، من عبد السلام عارف إلى صدام، والذين كانوا أكثر منه كرها لعبد الناصر، وبعدا عن الوحدة. وحتى تكتمل الصورة لا بد من التذكير بما تحدثنا عنه من تشوه نظام الوحدة وغرابته، بحيث بدت الوحدة وكأنها - حتى اذا لم يكن عبد الناصر يفكر بهذه الطريقة - الحاق للآخرين بزعامته.

كان الخطر الأول بالنسبة للغرب - في تموز ١٩٥٨ - هو عبد الناصر. ولذلك قرروا العمل على ابعاد ثورة العراق عنه. يقول رئيس الوزراء البريطاني في برقية سرية - في ١٨ تموز ١٩٥٨ - إلى سفارتهم في واشنطن لابلأغها لوزير الخارجية الأمريكي:

(انا حقا لا اعتبر هذا وضعاً حرجاً أو خطراً. نحن يجب الا نفقد عقولنا بشأنها، ولكن نحن يجب الا ندع الأتراك يمضون مسعورين)^(٨٨٣). ان من المبكر جدا ان نعمل خارج خطتنا فيما يتعلق بكيفية التعامل مع الحكومة العراقية الجديدة.

٨٨٢- المصدر السابق، ص ٨٤- ٨٥.

٨٨٣- يقصد بذلك الخطة التركية لغزو العراق. وقد قال في الفقرة الاولى من نفس البرقية مانصه: (ان الهجوم على العراق من قبل تركيا سوف يكون اسوأ من كونه حماقة، انه سيكون حماقة اجرامية).

الثورة المضادة ربما تكون السبيل الصحيح، ولكن ربما يكون هناك عمل جيد خارج ذلك، نحن سوف نعمل على نحو افضل بان نحاول إبعادهم عن ناصر ونجلبهم إلى جانبنا^(٨٨٤).

ولا ندري هل قامت بريطانيا مباشرة، من خلال سفيرها ببغداد^(٨٨٥)، أو من خلال عملاء لها، ببذر الشقاق بين قاسم وعبد الناصر، وإيصال الأمور إلى نقطة اللاعودة. مع التذكير باستمرار بان المؤامرة لا تمر الا عندما يكون هناك خلل ذاتي تنفذ من خلاله. وارى الخلل هنا في شخصية عبد الكريم المتشككة، وفي قدراته السياسية المتواضعة. فلم يكن من الذكاء ان يستهلك عبد الكريم قدراته في الصراع مع الجمهورية العربية المتحدة. واذا ما وقع الصراع، فالمفروض به ان يحاول - في اقرب فرصة - تسوية الأمور أو تهدئتها.

لم يسجل أي تأمر غربي على عبد الكريم قاسم حتى عام ١٩٦١^(٨٨٦). اذ لم يتآمر الغرب عليه الا بعد ان ضمن الا يستفيد عبد الناصر أو الحزب الشيوعي العراقي من سقوطه. فقد شهد عام ١٩٦١ سقوط الجمهورية العربية المتحدة من جهة، ومن جهة اخرى فان عبد الكريم - والذي بدأ ومنذ العام ١٩٥٩ بتقليم اظافر الحزب الشيوعي - قام في العامين ١٩٦٠ و ١٩٦١، بسلسلة من الحملات الحاسمة، التي اضعفت الحزب الشيوعي كثيرا، وجعلت وصوله إلى السلطة مستحيلا^(٨٨٧).

٨٨٤- المصدر السابق. ص٧٢-٧٣.

٨٨٥- يعتقد خليل ابراهيم حسين بان السفير البريطاني ببغداد مايكل رايت ثم خلفه تريفليان قد لعبا دورا اساسيا في ابعاد قاسم عن العربية المتحدة بل حتى انتوني نثك (الوزير البريطاني الذي استقال احتجاجا على العدوان الثلاثي على مصر وكان قريبا من عبد الناصر) استخدمته حكومته لتحذير قاسم من الوحدة مع عبد الناصر الذي سيعمل معه كما عمل مع محمد نجيب (راجع الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص٢١٦-٢٦٥).

٨٨٦- يقول اسماعيل العارف: (بدأت بريطانيا تعمل بجذ على خلق متاعب لعبد الكريم قاسم بعد اعلان المطالبة بالكويت) (العارف. المصدر السابق. ص٢٥١).

٨٨٧- بطاطو. المصدر السابق. ص٢٥٥ وما بعدها.

ورغم اننا لا نملك - حتى الان - معلومات تفصيلية، فإن بيل ليكلاند مسؤول المخابرات الأمريكية في العراق، قد لعب كما يبدو دورا خطيرا في التآمر على نظام عبد الكريم قاسم^(٨٨٨). وكان ذلك جزءاً من الحرب الباردة، التي كانت تدور رحاها آنذاك بين الاتحاد السوفيتي وامريكا، والتي طحنت الكثير من الشعوب والأنظمة والأشخاص^(٨٨٩).

محكمة المهداوي:

ان محكمة المهداوي، وممارسات الحزب الشيوعي العراقي، هما سبب كل المصائب التي تعرض لها عبد الكريم قاسم. ولولاهما لما وجد اعداؤه شيئاً يهتمونه به. وقد تشكلت المحكمة العسكرية العليا الخاصة بعد الثورة مباشرة، وكان الهدف الأساسي من تشكيلها هو محاكمة رجال العهد الملكي، خاصة في قضية التآمر على سوريا. وأطلق الشيوعيون عليها تسمية (محكمة الشعب). اما اعداؤها فسموها بمحكمة المهداوي. والاسم الأخير هو الاسم المناسب، لان رئيسها العقيد فاضل عباس المهداوي، لم يترك بصمته على المحكمة فحسب، بل ترك بصمته على العهد الجمهوري الأول برمته^(٨٩٠).

ولد المهداوي عام ١٩١٥، ودخل الكلية العسكرية عام ١٩٣٨، أي في السنة التي سبق

٨٨٨- انظر د. علي كريم سعد. عراق ٨ شباط. بيروت ١٩٩٩. ص ٢٧٦ وهاني الفكيكي. المصدر السابق. ص ١٨٣.

٨٨٩- لنجم محمود - وهو ابراهيم علاوي الذي كان قائد الحزب الشيوعي جناح القيادة المركزية - كتاب اسمه المقاضية: برلين - بغداد، الخلفية التاريخية لحرب لم تنته بعد (صدر في لندن عام ١٩٩١)، يؤكد فيه ان هناك مقايضة بين الاتحاد السوفيتي والغرب، كان موضوعها الاساسي برلين، وكان ثمنها دماء الشيوعيين العراقيين.

٨٩٠- الف الصحافي اللبناني باسيل دقاق كتابا سماه (عهد المهداوي). وللاسف ان نسخة من هذا الكتاب كانت ضمن آلاف الكتب والمخطوطات، التي تضمها مكتبة والدي، والتي صادرها نظام صدام الارهابي. وقد حاولت- وانا اكتب هذا الكتاب - ان اعثر على نسخة منه في المكتبات فلم اتمكن.

ان اشترت إلى ان الكلية العسكرية ضمت فيها أسماء مهمة، قدر لها ان تلعب دورا مهما في العهد الجمهوري، كعبد السلام عارف وإسماعيل العارف وعبد الكريم فرحان وطاهر يحيي واحمد حسن البكر وغيرهم. وكان معلمهم هو النقيب عبد الكريم قاسم.

وقد منح المهداوي بعد تخرجه رتبة ضابط احتياط، لان الشهادة التي دخل بها الكلية العسكرية، كان قد حصل عليها من لبنان، خلال العطلة الصيفية للسنة السابقة لدخوله الكلية، ولم يُعترف بها عند طلب معادلتها لدى وزارتي المعارف والدفاع^(٨٩١).

يقول إسماعيل العارف وزير المعارف في عهد قاسم:

(كان فاضل المهداوي متكلماً ادبياً، يقرض الشعر أحيانا ويحفظ الكثير منه، ودخل حركة الضباط الأحرار بتأثير عبد الكريم قاسم ابن خالته سنة ١٩٥٥. وعند قيام الثورة عين أمرا على اللواء الأول في مدينة المسيب. وكان فاضل المهداوي ظريفاً حاضر النكتة سريع البديهة محدثاً غزير المعلومات بالرغم من تحصيله العلمي المحدود. وقد وجد في المحكمة خير مجال يمارس فيه قابلياته الخطابية ويطلق فيه التعليقات الظرفية. وقد شجعه على الخروج عن اصول المحاكمات القانونية وضعه الخاص لقربائه من عبد الكريم قاسم).

ويضيف العارف قائلاً:

(لقد ألبت محكمة المهداوي قطاعاً كبيراً من الطبقات المثقفة ضد حكومة عبد الكريم قاسم بسبب الاجراءات التي اتبعتها في محاكماتها وتعليقات رئيسها المثيرة للجدل والتي لم يكن لها مبرر في محكمة يفترض في رئيسها الا يتكلم الا في حدود القانون.. واصبحت تعليقاته في كثير من الاحيان مثارا للنقد وتركت أثارا سيئة وعميقة في اذهان جزء كبير من الشعب العراقي)^(٨٩٢).

لقد كانت محكمة المهداوي وصمة عار في جبين عهد عبد الكريم قاسم. وكانت مهزلة ما بعدها مهزلة، فأحد الشهود في قضية مؤامرة الشواف، قال عن أحد الضباط: (كان يركب السيارة ويذيع من المايكروفون: (يعيش الشواف، ويعيش الاستعمار، ويعيش جميع

٨٩١- العارف. المصدر السابق. ص ٣٦١.

٨٩٢- المصدر السابق. ص ٣٦١.

الاستعمار^(٨٩٣)). اما المحامية التي انتدبتها المحكمة للدفاع عن المتهمين في نفس القضية، فيقول عنها احد المتهمين:

(بدأت المحامية راسمه زينل بدفاعها التاريخي عن سبعة عشر متهما والذي استغرق سبعة دقائق بالكمال والتمام، منه دقيقتان لمدح المهداوي ومثلها لتمجيد المدعي العام ووصفه بالبطل العظيم، ودقيقتان لسب الجمهورية العربية المتحدة ورئيسها، ودقيقة واحدة للدفاع عن المتهمين حيث قالت ان المواد القانونية لا تنطبق على افعال المتهمين وطلبت عطف المحكمة)^{(٨٩٤) (٨٩٥)}.

يقال ان الذي رشح المهداوي لرئاسة المحكمة هو عبد السلام عارف^(٨٩٦). لكن المهداوي كان في غاية القسوة معه حينما حاكمه. وعموما فقد كان قاسيا وبذيئا مع كل الذين حاكمهم. ولكن لم يعدم ان يقف امامه من يتحداه، وسيبقى التاريخ يذكر طويلا مقولة سعيد قزاز وزير الداخلية في العهد الملكي، والذي ما ان نطق المهداوي بحكم الاعدام عليه، حتى اخذ يشير إلى هيئتي المحكمة والادعاء العام بيده وهو يقول: (سأرتقي اعواد المشنقة وسأرى تحت اقدامي اناسا لا يستحقون الحياة).

وقد منع سعيد قزاز، زوجته، من الذهاب مع زوجات واولاد المعتقلين من رجال العهد الملكي، لمقابله عبد الكريم قاسم. لكن امه ذهبت معهن من دون علمه، ووعداها عبد الكريم خيرا. وعندما سمعت باعدام ابنها فقدت بصرها في الحال^(٨٩٧). واطن ان الذكاء كان يقضي بعدم اعدام القزاز، حتى لا تظل مقولته المذكورة قبل قليل شتيمة

٨٩٣- العلي. المصدر السابق. ص ١٣٣.

٨٩٤- يبدو ان المتهمين هنا كانوا محظوظين بهذه المحامية، فقد طلب المحامي الذي انتدبته محكمة الثورة للدفاع عني - في ١٣ تشرين الاول ١٩٨٣ - ازال اقصى العقوبات بي باعتباري متآمرا على الحزب والثورة.

٨٩٥- المصدر السابق. ص ١٢٥.

٨٩٦- العارف. المصدر السابق. ص ٣٦١ والذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٢٤٣ (شهادة عبد الجبار عبد الكريم احد الضباط الاحرار).

٨٩٧- بابان. المصدر السابق. ص ٢٧٧ (هامش رقم ١٥).

تلاحق قاتليه. ولا اريد بالحديث عن قزاز ان امجده أو ادافع عنه فقد كان وزير داخلية قاسٍ إلى حد الفظاعة، وقد اصدر مرات عديدة اوامر إلى الشرطة باطلاق النار على الطلبة وغيرهم من المتظاهرين. وكان يتصور - وكأغلب رجال العهد الملكي - انه قادر على سحق المعارضة.

يقول الدكتور خدوري:

(اجتمعت مع وزير الداخلية سعيد القزاز سنة ١٩٥٨، قبيل ثورة تموز (يوليو)، فبادرني بلهجة الراضي عن نفسه، انه تمت تصفية الحركة الشيوعية إلى غير رجعة، وانه لم يعد في البلاد أي شيوعي)^(٨٩٨).

وقد انتقم الشيوعيون منه شر انتقام، فيقال انهم تعمدوا ان يرخوا حبل المشنقة عندما صعد القزاز بخطى ثابتة اليها، وعندما سحبت اللوحة الخشبية من تحت اقدامه سقط على الأرض ولم تتم عملية الاعدام، فحملوه إلى المشنقة من جديد، وهو في شبه غيبوبة، ثم شنقوه^(٨٩٩).

وبالإضافة إلى القزاز، نفذ حكم الاعدام أيضا^(٩٠٠) ببهجت العطية مدير الأمن العام، وبعبد الجبار فهمي متصرف بغداد، وبعبد الجبار ايوب مدير سجن بغداد. وكان اعدامهم انتقاما مما فعلوه بالشيوعيين من اعدام وقتل وتعذيب.

اما نائل عيسى معاون مدير الأمن العام فقد توفي في السجن^(٩٠١). ولو قدر له ان يعيش لاعدم معهم أيضا. فضلا عن اضطهاده للقوميين وتكيله بهم بعد حركة مايس ١٩٤١، فقد كان المسؤول المباشر عن مطاردة الشيوعيين واضطهادهم، وهو الذي اعتقل فهد مؤسس الحزب الشيوعي ورفيقه - عام ١٩٤٧ - وهو الذي حقق معهم.

وما دمننا بصدد محاكمات رجال العهد الملكي، وهي القضية الأهم من بين القضايا

٨٩٨- خدوري. عرب معاصرون (مصدر سابق). ص ٧٥.

٨٩٩- العلي. المصدر السابق. ص ٢٠٢.

٩٠٠- المصدر السابق نفسه.

٩٠١- روى العارف بان نائل عيسى قد اعدم مع نفس المجموعة المذكورة اعلاه. والحقيقة انه مات في السجن (انظر العارف. المصدر السابق. ص ٣٦٠).

التي نظرت فيها المحكمة. اريد ان اقف قليلا عند شهادة مزاحم الباججي، احد رؤساء وزارات العهد الملكي واحد اسماء الفساد المعروفة في ذلك العهد، (فقد انتهزها فرصة لاطهار وطنياته وبطولاته، والتشهير بمنافسيه القدامى بكل تحامل وقسوة)^(٩٠٢). يقول السياسي المعروف فؤاد عارف بانه كان يتابع وعبد الكريم قاسم، شهادة مزاحم الباججي خلال محاكمة احمد مختار بابان. وكان الاخير - أي بابان - يرد على قسوة الباججي وعباراته غير اللائقة بأدب وتواضع قائلاً: (سامحك الله). فلم يتمالك عبد الكريم قاسم نفسه، وعلق بانفعال قائلاً:

(يا ابا فرهاد قارن بين قيم الرجلين فشتان مابينهما)^(٩٠٣).

اما ابنه الدكتور عدنان الباججي فيقول:

(اني اعتقد ان الادلاء بهاتين الشهادتين كان من اسوأ الاخطاء التي ارتكبها في حياته). ويضيف:

(اني وباللاسف لم اكن في بغداد وقتئذ.. فلو كنت في بغداد لمنعته من الادلاء بهاتين الشهادتين)^(٩٠٤).

اشعل المهداوي بحماقته حرباً دعائية بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، كلفت البلدين ثمناً باهظاً. يقول إسماعيل العارف:

(على اثر اكتشاف مؤامرة رشيد عالي الكيلاني بدأ رئيس محكمة الشعب العقيد فاضل عباس المهداوي يهاجم الجمهورية العربية المتحدة اثناء المحاكمات ويتعرض لشخص جمال عبد الناصر. وقامت على اثر ذلك اجهزة الاعلام في الجمهورية العربية المتحدة بالرد على هجمات رئيس المحكمة)^(٩٠٥).

٩٠٢- ولاء عبد الباقي محمد الرويشدي. المحكمة العسكرية العليا الخاصة والقضية السورية (رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الاداب. جامعة البصرة ١٩٩٧) (نقلا عن بابان. المصدر السابق. ص ٢٩١ هامش رقم ١٥).

٩٠٣- بابان. المصدر السابق. ص ٢٨٥.

٩٠٤- الباججي. المصدر السابق. ص ٥٢١.

٩٠٥- العارف. المصدر السابق. ص ٢٨٥.

لقد بدأت محاكمة المتهمين بمؤامرة الكيلاني ليلة التاسع من كانون الأول ١٩٥٩، واستمرت حتى السابع عشر منه، وسنعود للحديث عنها فيما بعد، ولكننا نريد هنا ان نتابع تصاعد الخلاف بين قاسم وعبد الناصر، أو بالأحرى تقجره علنا، والذي لعبت محكمة المهداوي دورا سيئاً فيه.

فقد حاول عبد الكريم قاسم تهدئة الازمة مع عبد الناصر في خطاب القاه بمناسبة عيد الجيش - يوم ٦ كانون الثاني ١٩٥٩ - وقد صاغ ما ورد فيه وزراء من حزبي الاستقلال والوطني الديمقراطي^(٩٠٦). وايدت القوى القومية ما جاء في خطاب قاسم ورحبت به^(٩٠٧). لكن القوى اليسارية شددت من ضغطها، لمنع التقارب بين البلدين (العراق والجمهورية العربية المتحدة). وهاجم المهداوي - في محكمة الشعب - الجمهورية العربية المتحدة من جديد، وكذلك هاجم القوى القومية في العراق^(٩٠٨). وهكذا اشتعل الصراع الدموي بين قاسم والجمهورية العربية المتحدة. فالاخيرة - كما يبدو - قد اتخذت قرارا - في النصف الثاني من كانون الثاني ١٩٥٩ - بدعم نشاط الضباط القوميين لاسقاط عبد الكريم^(٩٠٩).

اما قبل هذا التاريخ فليست هناك اية دلائل مؤكدة حول تأمر ناصري على عبد الكريم. وما كان الشيوعيون يرددونه عن مؤامرات ناصرية، كان جزءا من حملة شيوعية منظمة ضد عبد الناصر، فقد سخروا من كامل الجادرجي الذي ذهب إلى القاهرة - في ٤ أيلول ١٩٥٨ - ليفاض عبد الناصر بشأن الاتحاد بين العراق والعربية المتحدة. وشككوا بعبد الناصر الذي رد على الجادرجي بالقول:

(وحدوا بلكم أولاً ولا تدخلوا في حرب اهلية وانا لا يمكن ان ادعوكم إلى وحدة أو اتحاد ونحن لا يوجد في جدول اعمالنا أي كلام عن الوحدة أو الاتحاد)^(٩١٠).

٩٠٦- المصدر السابق. ص ١٧١.

٩٠٧- المصدر السابق. وانظر ايضا عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٧١.

٩٠٨- العارف. المصدر السابق. ص ٢٨٦.

٩٠٩- انظر العلي. المصدر السابق. ص ٥٢- ٥٦.

٩١٠- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٢٦٨ وايضا علوش. المصدر السابق. ص ١٢٥.

وقاموا بمظاهرات تهتف ضد الوحدة - في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥٨ - عند زيارة وزير التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة كمال الدين حسين^(٩١١).

لم يذكر عبد الكريم قاسم، عبد الناصر بسوء، ولم ينتقده أو يهاجمه بالاسم^(٩١٢). اما عبد الناصر فكان يهاجم عبد الكريم بالذات، ويتهمه بسيطرة الشيوعيين على حكمه، ومحاولة فصل سوريا عن العربية المتحدة، وجرحها إلى الاتحاد مع العراق. وقال في احد خطبه ان عبد الكريم قاسم كنوري السعيد عميل للاجنبي. وذكر في خطاب آخر ان الشيوعيين في العراق يريدون اقامة هلال خصيب شيوعي^(٩١٣). فقد تركت أثرها في نفسه، الطريقة التي تناوله بها المهداوي، وايضا الشيوعيون، وما انطوت عليه من تجريح شخصي وسباب بذيء. فاصبحت معركته مع نظام قاسم معركة شخصية^(٩١٤). وراح يتأمر عليه بكل ما أُوتي من قدرة.

ان الوثائق والروايات التي تريد ان تثبت لنا بان عبد الناصر تأمر - منذ الأيام الأولى للثورة - على عبد الكريم قاسم^(٩١٥)، هي من قبيل الروايات التي تملأ تاريخنا القديم والحديث، لتبرير وجهة نظر معينة.

ومن الضروري ان نقف عند احدي هذه الروايات، والتي اوردها عبد الوهاب الامين (احد اعضاء الهيئة العليا للضباط الاحرار والملحق العسكري العراقي - بعد الثورة - في القاهرة) وقدمها في تقرير رفعه إلى عبد الكريم قاسم. ولن اعلق على هذه الرواية، بل سأترك الامر للقارئ واستنتاجاته. يقول عبد الوهاب الامين:

(ان الرئيس عبد الناصر بعد عودته من موسكو، جمع مجلس قيادة الثورة وبحث

٩١١- الذاكرة التاريخية (مصدر سابق). ص ٢٦٨.

٩١٢- العارف. المصدر السابق. ص ٢٨٧.

٩١٣- المصدر السابق. ص ٢٨٧.

٩١٤- راجع مذكرات عبد اللطيف البغدادلي. الجزء الثاني. القاهرة ١٩٧٧. ص ٧٧ و ٩٥.

٩١٥- كتصة البرقية التي بعثتها سفارة ج.ع.م إلى القاهرة بتاريخ ١٨/٧/١٩٥٨ وقدمها الحزب الشيوعي لقاسم اواخر شهر آب والتي سبق ان تحدثنا عنها.

ثورة العراق في ١٦ تموز (أي بعد عودته من موسكو) وفي نتيجة بحثهم لثورة العراق، كان رأي عبد الناصر ان العراق قام بثورة لم تجارها ثورة مصر ٢٣ يوليو، ويعني ذلك ان قادة الثورة رجال أكفاء (ويقصد العراقيين) وبإمكاناتهم ونجاح ثورتهم بهذا الشكل الخاطف، فالاحتمال انه سيقوم العراق (لإمكاناته الكبيرة)، ويقود الأمة العربية وتصبح مصر في الخلف، واذا فيجب تدمير الثورة العراقية بأي ثمن)..
ويقول أمين:

(لقد حصلت على المعلومات من العميد فلان)..
ويضيف عن ذلك العميد المزعوم:

(كان معجبا بالثورة العراقية جدا.. حتى ذكر لي قائلاً نحن لم نقم بثورة، إنما أدينا التحية للملك فاروق^(٩١٦). والثورة الحقيقية هي ثورتكم)^(٩١٧).

ولنعد الان إلى محكمة المهداوي. فما يثير الاستغراب والتساؤل، ان عددا كبيرا من ابرز شعراء وكتاب العراق، وقفوا يصفقون لمحكمة المهداوي ويطالبونها بتشديد الاحكام والتنكيل بالمعارضين. الامر الذي لا اعتقد ان مثله قد حصل في أي بلد عربي^(٩١٨). فقد جرت العادة ان يكون الشعراء والادباء في طليعة المدافعين عن الحريات العامة وحقوق

٩١٦- قامت الثورة المصرية بعزل الملك فاروق وتعيين ابنه احمد - الطفل آنذاك - ملكا على مصر. واجبروا فاروق على مغادرة مصر يوم ٢٦ يوليو- تموز، أي بعد ثلاثة ايام من ثورتهم. وقد ادى التحية له عند مغادرته، اللواء محمد نجيب (رئيس مجلس القيادة والقائد العام للقوات المسلحة) ومعه عدد من ضباط مجلس القيادة (الذي اصبح اسمه بعد شهرين من الثورة مجلس قيادة الثورة).

٩١٧- خليل ابراهيم حسين. المصدر السابق. ص٢٣٥-٢٣٦. (وسنشير اليه بموسوعة ١٤ تموز. الجزء الاول).

٩١٨- لم يكتب في مصر أي شاعر او اديب او كاتب او (حتى صحفي)، كلمة واحدة، يدعو فيها عبد الناصر، إلى قتل معارضيه او القسوة معهم. بينما اجتمع السوق والادباء - عندنا في العراق - على تحريض عبد الكريم على تنفيذ المزيد من الاعدامات. اما في عهد البعث (عام ١٩٦٣) فقد مارس بعض ادباء البعث، اعمال التعذيب والقتل، بأيديهم.

الإنسان. وحتى عندما ينساقون إلى مجازاة الأنظمة الديكتاتورية أو مدحها، فإنهم لا يتحولون إلى دعاة للقتل والقسوة.

لقد نشر الجواهري (شاعر العرب الأكبر) - في جريدته الرأي العام في ٢ تشرين الثاني ١٩٥٨ - قصيدة عصماء اهداها إلى المهداوي. وقد ورد فيها:

لا تاخذنك رحمة في موقف	جد فجد الراحمين مزاح
ولقد تكون من القساوة رحمة	ومن النكال مبرة وصلاح
ولطالما حصد الندامة مسموح	وأتى بشر ثماره الاسماح ^(٩١٩)

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يحرض فيها الجواهري الحكام على العنف والقتل. فها هو يمدح نوري السعيد عام ١٩٣٠ قائلا:

فان لم يرق بالتلطيف شعب	فبالارهاب فليكن الرقي
فحصت ذخائر التاريخ طردا	فكان اجلهن المشرفي

وفي عام ١٩٣٦، قال محرضا حكمت سليمان رئيس الوزراء ضد المعارضة:

فضيق الحبل واشدد من خناقهم	فربما كان في ارخائيه ضرر
لا تبق دابر قوم وترتهم	فهم اذا وجدوها فرصة ثأروا
ولا تقل ترة تبقى حرازتها	فهم على أي حال كنت قد وتروا

هذا هو الجواهري شاعر عظيم وانسان متقلب. فقد مدح حتى الوصي عبد الإله. والطريف انه حور قليلا - عام ١٩٩٥ - تلك القصيدة الشهيرة التي نظمها في مدح عبد الإله، ثم القاها امام ملك الأردن حسين، والذي منحه بدوره مائة الف دولار.

لقد كرم عبد الكريم قاسم الجواهري أيما تكريم، فكانت ابنة الجواهري مثلا - والتي لم تكن قد تجاوزت العشر سنوات - تستطيع ان ترفع التلفون، متى تشاء وتطلب الزعيم^(٩٢٠). لكن الجواهري ظل ساخطا في سريرته، لان الزعيم لم يعينه وزيرا في

٩١٩ - العارف، المصدر السابق. ص ٣٦٢ - ٣٦٣.

٩٢٠ - محمد مهدي الجواهري. ذكرياتي. الجزء الثاني. دمشق ١٩٩١. ص ١٧٢.

حكومته^(٩٢١). وأخيرا وصلت إلى نهايتها تلك العلاقة الحميمة بين الرجلين، والتي بدأت في لندن عام ١٩٤٧، حيث ذهب عبد الكريم إليها، لمعالجة شق في شفته العليا، ورثه منذ الصغر. وهناك صادف الجواهري الذي كان يزور لندن وعدد من الصحفيين العراقيين، بدعوة من الحكومة البريطانية^(٩٢٢).

ف ذات يوم كتب الجواهري مقالا عنيفا في جريدته (الرأي العام)، هاجم فيه السلطة بشكل صريح. فاستدعاه عبد الكريم إلى وزارة الدفاع واخذ يعاتبه بشكل هادئ ويناقشه في المعلومات التي وردت في المقال^(٩٢٣). يقول الجواهري:

(وإذ بي وأنا أقول ما لا يصح ان يقال وبالحرف نفسه (يا سيادة الزعيم - ثورة وشرطة (نوري السعيد).. كلمة كبيرة حقا - بل ونابية ايضا)^(٩٢٤)).

فغضب عبد الكريم واخذ يصرخ بوجه الجواهري قائلا:

(انك عميل، وانك من أيتام العهد البائد، وسبق لك ان مدحت البلاط ونوري السعيد وانني تسترت عليك وأنعمت عليك كثيرا وحاولت ان اجعلك تسير في طريق العدل والانصاف وتعديل من سيرتك، ولكنك تأبى الا ان تعود إلى أصلك الواطيء!).

وهنا علا صوت الجواهري متحديا عبد الكريم إن استطاع ان يفعل شيئا فما كان منه الا ونهض مسرعا إلى غرفته وعاد يحمل ملفا فيه أوراق عديدة وبدأ يقلبها ويصرخ بوجه الجواهري:

(هل تريد ان افضحك الآن وأنشر هذه الوثائق التي تدينك كونك عميل العهد البائد وانك تسلمت المال من نوري السعيد؟... إلى آخره).

يقول العزاوي سكرتير عبد الكريم:

٩٢١- انظر مثلا المصدر السابق. ص ١٩٢ وص ١٩٤ وكذلك د. محمد حسين الاعرجي. الجواهري. دمشق ٢٠٠٢. ص ١٧٦.

٩٢٢- د. عقيل الناصري. عبد الكريم قاسم من ماهيات السيرة الذاتية (مصدر سابق). ص ٢٨٣-٢٨٤.

٩٢٣- العزاوي. المصدر السابق. ص ٢٠٢.

٩٢٤- الجواهري. المصدر السابق. ص ٢٦١.

(فجأة انهار الجواهري وأخذ يتكلم بصوت خافت يدل على تخوفه من قول عبد الكريم قاسم مقدما اعتذاره عن تهوره وارتفاع صوته على صوت الزعيم، فتراجع عبد الكريم قاسم عن موقفه ايضا وهدأ غضبه، وبعد لحظات انتهى كل شيء وقدم الشاي وعلت الضحكات كأن شيئا لم يكن)^(٩٢٥).

غادر الجواهري - بعد فترة من هذه الحادثة - العراق. وفيما بعد صب جام غضبه على عبد الكريم، فهو (لم يحتفظ بكره وحقد وغضب، على شخصية سياسية في تاريخ العراق مثل كرهه لعبد الكريم قاسم)^(٩٢٦). بينما مدح في مذكراته نوري السعيد ودافع عن علاقته ببريطانيا^(٩٢٧). ولم يعتذر الجواهري ابدا عن قصائده العصماء التي كانت تدعو للقتل والتنكيل.

الحزب الشيوعي العراقي والثورة:

كان عبد الكريم قاسم على صلة - قبل الثورة - بالحزب الشيوعي العراقي، عن طريق صديقه الشخصي رشيد مطلق، وأحيانا عن طريق الضابط الشيوعي الملازم حامد مقصود^(٩٢٨). وكذلك عن طريق كمال عمر نظمي ممثل الحزب الشيوعي في جبهة الاتحاد الوطني^(٩٢٩).

وقد اشغل عدد من الضباط الشيوعيين - بعد الثورة - مراكز هامة في القوات المسلحة، مثل قائد القوة الجوية جلال الاوقاتى، وقائد الفرقة الثانية داود الجنابي، ومدير الحركات العسكرية والمسؤول عن امن الثورة طه الشيخ احمد، وقادة وحدات مدرعة ووحدات مشاة مثل سلمان الحصان وخزعل الساعدي وهاشم عبد الجبار^(٩٣٠). وباستثناء الساعدي،

٩٢٥- العزاوي. المصدر السابق. ص ٢٠٣.

٩٢٦- حسن العلوي. الجواهري ديوان العصر. دمشق ١٩٨٦. ص ٢٠٥.

٩٢٧- الجواهري. المصدر السابق. الجزء الاول. دمشق ١٩٨٨. ص ٤٦٠.

٩٢٨- نوري. المصدر السابق. ص ٢٦٢.

٩٢٩- العارف. المصدر السابق. ص ٩٤.

٩٣٠- نوري. المصدر السابق. ص ٢٨٦.

فهؤلاء جميعهم من العرب السنة.

منذ اللحظات الأولى لانفجار الصراع على السلطة بين الضباط الاحرار، دخل الحزب الشيوعي طرفا في ذلك الصراع، ان لم يكن هو الذي ساهم في تأجيجه وتفجيرهِ. اذ كان الحزب الشيوعي يخشى من تحقيق الوحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة. اما شعار الاتحاد الفيدرالي الذي طرحه فقد ظهر فيما بعد انه لم يكن جادا في طرحه وانه لم يكن سوى شعار تكتيكي.

يقول صبحي عبد الحميد احد الضباط القوميين:

(كان الافضل للحزب الشيوعي العراقي ان يستمر برفع شعار الاتحاد الفيدرالي ويسند هذا الشعار بالحجج والبراهين المنطقية، يدعمها في صحفه والصحف التي تسانده. ولو انه فعل ذلك ووقف موقف المحايد في النزاع الذي قام بين ج.ع.م. وعبد الكريم قاسم، وسلك سلوكا وديا مع القوى القومية لاستطاع كسب احترام الكثير من الناس، ولجنب البلاد المآسي والنكبات التي تعرضت لها بعد ذلك)^(٩٢١).

ان هذا الرأي ولو انه يستبطن اعترافا متأخرا، بان الاتحاد الفيدرالي كان هو النظام الاسلم، الذي كان يجب ان تقوم عليه الجمهورية العربية المتحدة. لكنه يغض النظر عن الجانب الآخر للصورة، فعبد الناصر ومعه القوى القومية، ما كانوا مستعدين آنذاك حتى لمناقشة المشروع الفيدرالي^(٩٢٢). فضلا عما اشرنا اليه آنفا من عدم جدية الشيوعيين في طرحهم للشعار. فقد كانوا يخشون تجميد حزبهم أو حله اذا تحققت الوحدة^(٩٢٣).

وعموما فان الشيوعيين العراقيين - آنذاك - كانوا ينظرون إلى عبد الناصر - شأنهم شأن اغلب شيوعيين المشرق العربي - نظرة غير ودية، وذلك بسبب ضرباته للشيوعيين

٩٢١- عبد الحميد، المصدر السابق. ص١٦٢.

٩٢٢- طرح الشيوعيون السوريون - في ١٤ كانون الاول ١٩٥٨ - برنامجا لتحويل الجمهورية العربية المتحدة إلى اتحاد فيدرالي، فاعتبر عبد الناصر ذلك، رفضا للقومية العربية والوحدة العربية (راجع بطاطو. المصدر السابق. ص١٧٣ - ١٧٤).

٩٢٣- العارف. المصدر السابق. ص٢٨٥.

المصريين ثم السوريين.

ومن المفيد هنا ان نورد وجهة نظر شيوعية عن الوحدة، ولكنها هي الأخرى اغفلت الجانب الآخر للصورة.

يقول بهاء الدين نوري احد قادة الحزب الشيوعي العراقي بعد عام ١٩٥٨:
(ان عبد الناصر قد ارتكب خطأ تاريخيا عندما اقدم على معاداة نظام قاسم، وأيد البعثيين وعبد السلام عارف وراهن على مطالبتهم بالاندماج الفوري. وحتى لو تسنى له دمج العراق في الجمهورية العربية المتحدة لكانت النتيجة في نهاية المطاف نفس ما حدث في سوريا عام ١٩٦١)^(٩٣٤).

ويبدو هذا الرأي - من الناحية التاريخية - وجيها. فالبعثيون في العراق وعبد السلام عارف حاربوا جمال عبد الناصر أكثر مما حاربه الشيوعيون وعبد الكريم قاسم. ولكن هذا الرأي ينقصه اعترافا في غاية الأهمية، وهو ان الحزب الشيوعي ومحكمة المهداوي هما المسؤولان عن إيصال الأمور مع عبد الناصر إلى نقطة اللاعودة.

وأريد ان أشير هنا وبسرعة، إلى ملاحظة قد تبدو خارج السياق الآن، لكن اقتباسي للنص الأنف الذكر من مذكرات نوري ذكرني بها. اذ لم اقرأ اعتذارا لاي قائد شيوعي أو بعثي أو قومي، ولا لمسؤول من العهد الملكي، عن جرائم الماضي واخطائه. بل انبروا كلهم يدافعون عن الاعمال التي قاموا بها، هم أو القيادات التي كانوا جزءا منها. فهاني الفكيكي وطالب شبيب - على سبيل المثال - ورغم انقلابهما على ماضيهما البعثي، حاولا تبرير الكثير من الجرائم والخطايا التي وقعت عندما كانا عضوين في مجلس قيادة الثورة عام ١٩٦٣.

وبالعودة إلى الأسابيع الأولى من عمر الثورة، فان مكانة الحزب الشيوعي تعززت وتقوت، بحيث انه كان قادرا على السيطرة على بغداد لو اراد. وبلغت شعبيته حدا اضطر معه إلى الاعلان - في كانون الثاني يناير ١٩٥٩ - بانه لا يستطيع قبول اعضاء جدد،

٩٣٤-نوري. المصدر السابق. ص٢٦٦.

لأنه يفتقر إلى القدرة التنظيمية للتعامل معهم^(٩٣٥). وبعد فشل حركة الشواف - في ٩ آذار ١٩٥٩ - تصاعدت الموجة الجارفة للحزب الشيوعي، والذي فتح - هذه المرة - باب العضوية على مصراعيه بلا قيود ولا شروط^(٩٣٦). ويجب التأكيد هنا بأن بعض الذين انضموا إلى الحزب الآن، وربما النسبة الأكبر منهم، كانوا من الانتهازيين أو الوصوليين أو الخائفين من بطش الحزب^(٩٣٧).

وقد اعترفت جريدة الحزب الشيوعي نفسها - في عددها الصادر في ٢٤ أيار ١٩٥٩ - بأن ضابطا كبيرا كان يضع جريدة (اتحاد الشعب) على مكتبه ولا يقرؤها. انه يطرد الشكوك فقط. كما اعترفت بأن منطقة فيها خمسة شيوعيين فقط، كانت تهال للحزب، خوفا منه^(٩٣٨).

وقد لعبت دورا كبيرا في بث الرعب في البلد، المليشيا الشعبية التي تأسست - بعد الثورة مباشرة - تحت اسم (المقاومة الشعبية) وأصبح عدد أعضائها في منتصف آب ١٩٥٨ حوالي ١١,٠٠٠ متطوع، وفي مايو ١٩٥٩ حوالي ٢٥,٠٠٠ متطوع^(٩٣٩). واستطاع الحزب الشيوعي بقدرته التنظيمية وخبرته السياسية السيطرة عليها. لكن الحكومة فرضت ضوابط دقيقة على نشاطها وتسليحها، بحيث حالت دون ان تجعل منها قوة حقيقية^(٩٤٠). والواقع ان الحزب الشيوعي لم يحصد من المقاومة الشعبية، سوى الاضرار بسمعته، بسبب حماقات عناصرها واعتداءاتهم على حريات المواطنين وكراماتهم. والى الحزب الشيوعي (لجان صيانة الجمهورية) من عناصره وانصاره، لمراقبة ما

٩٣٥- انظر اوريل دان. العراق تحت حكم قاسم. السويد ١٩٨٩، ترجمة جرجيس فتح الله، ص ١٤٥.

٩٣٦- العارف. المصدر السابق. ص ١٨٥.

٩٣٧- بطاطو. المصدر السابق. الجزء الثالث. ص ٢٠٨ - ٢٠٩ (يضيف بطاطو قائلاً: يجب الاعتراف بأن الشيوعيين كانوا يتمتعون ايضا بتأييد جماهيري أصيل).

٩٣٨- المصدر السابق. ص ٢٠٩.

٩٣٩- المصدر السابق. ص ٢٠٣.

٩٤٠- انظر المصدر السابق. ص ١٥٩ و ١٦٥.

يسمى باعداء الثورة. وقد اضررت هي الأخرى بسمعته، ووسعت من دائرة اعدائه، دون ان تكون هناك فائدة تذكر من وجودها.

اما المحاكم التي الفها حسن الركاع في المسيب، وحميد بخش في البصرة وغيرهم^(٩٤١). فقد جعلت من الحزب الشيوعي هدفا لسخرية الآخرين وتندرهم.

وافلت زمام الامور داخل القوات المسلحة نفسها. واصبح من الصعب السيطرة على الوحدات - بعد ثورة ١٤ تموز - وخاصة خلال الفترة التي اعقبت فشل حركة الشواف في الموصل. اذ انتشرت الفوضى واختل الضبط العسكري واهمل التدريب، وانصرفت الوحدات العسكرية إلى اقامة المظاهرات واطلاق الهتافات والاهازيج. وقد لعبت (لجان صيانة الجمهورية) التي تألفت في معظم الوحدات، دورا قذرا في التجسس على الضباط وضباط الصف، والوشاية بهم إلى سلطات الأمن والاستخبارات، فبثت موجة من الرعب بين الضباط والقيادات. وكان الجنود يخضعون لتأثيرها، ويتأثرون بشعاراتها وإشاعاتها. وذهب - في تلك الفترة - أكثر من ضابط، ضحية تلك الفوضى. فقد قتل أمر كتيبة المدفعية في البصرة، المقدم جلال احمد، على ايدي جنوده. والذين ما ان سمعوا بخبر احواله على التقاعد، حتى هاجموا مقر الكتيبة، وأخرجوا أمرهم وقتلوه، ثم علقوه على مدخل الثكنة.

كما هاجم بعض الجنود أمرهم في الناصرية، وكادوا ان يقتلونه لولا ان تمكن البعض من انقاذه باعجوبة^(٩٤٢). وهاجم جنود الفوج الثالث للواء الخامس والعشرين (لواء الحرس الملكي) وهم يهتفون بموت الخونة وسقوط اعداء الجمهورية، مقر الفوج وحاصروا ضباطهم، وكانوا يعتزمون قتل وكيل أمر الفوج المقدم علي غالب (والذي تمت

٩٤١- انظر نوري. المصدر السابق. ص ٢٧٥.

٩٤٢- اعتقد انه (رشيد مصلح التكريتي) صاحب البيان الشهير - بعد ٨ شباط ١٩٦٢ - الذي دعا إلى ابادة الشيوعيين. الامر الذي يفسر إلى حد كبير ما حدث بعد ٨ شباط من مجازر وقسوة اذ انتقم ضباط الجيش - وانا احاول هنا تفسير الامور لا تبريرها - مما تعرضوا له على يد الحزب الشيوعي من اذلال وترويع.

احالته على التقاعد). وانضم إلى جنود الفوج، آلاف الجنود الذين توافدوا من الوحدات المجاورة، وهم يطلقون الهتافات الحماسية.

يقول أمر اللواء وقتذاك العقيد الركن إسماعيل العارف:

(عندما وصلت إلى مدخل الباب النظامي للفوج الثالث شاهدت آلافًا من الجنود يحملون العصي الغليظة والحبال وغيرها بأيديهم وهم في هرج ومرج يحيطون بمقر الفوج.. وقد أقفل الضباط الغرف على انفسهم طلباً للنجاة. وبعد السيطرة على الموقف ظهر أن رأس الفتنة كان أحد ضباط الاحتياط في الفوج الثالث وكان يدعي انه عضو في الحزب الشيوعي)^(٩٤٣).

إلى جانب هذه الاعمال الفوغائية، عانى الكثير من الضباط الذين تعرضوا للاعتقال، من الاهانة والاذلال، على يد الضباط الشيوعيين المشرفين على المعتقلات. وكان اغلب اولئك الضحايا من الضباط الاحرار المعروفين، بل ومن الذين لعبوا ادوارا خطيرة يوم ١٤ تموز. وبامكان المرء ان يورد الكثير من تلك الحوادث البشعة^(٩٤٤). وكانت (هيئة التحقيق الخاصة) المسؤولة عن القضايا التي تحال إلى محكمة الشعب (محكمة المهداوي)، هي الأكثر بشاعة في معاملة سجناء ذلك العهد.

يروي إسماعيل العارف، عن احدى جلسات هيئة التحقيق الخاصة تلك، والتي حضرها بنفسه، ولشهادته مصداقية استثنائية في هذا الشأن، فهو احد وزراء قاسم الذين ظلوا إلى جانبه حتى اللحظة الأخيرة.. يقول العارف:

(ولم يمض وقت قليل حتى نهض هاشم^(٩٤٥) من مكانه وراح يعتدي بالضرب على

٩٤٣- العارف. المصدر السابق. ص ١٨٣.

٩٤٤- انظر تقارير المعتذبين التي رفعوها إلى عبد الكريم قاسم، وخاصة تقرير الرئيس احمد ابو الجبن، احد الذين سيطروا على معسكر الرشيد يوم ١٤ تموز (خليل ابراهيم حسين. موسوعة ١٤ تموز. الجزء الخامس. ص ٤٢٣-٤٤٣).

٩٤٥- هاشم عبد الجبار كان يشغل في الوقت نفسه منصبى أمر اللواء العشرين ورئيس هيئة التحقيق، وهو عربي سني من بغداد، كان عضوا في الحزب الشيوعي (بطاطو. المصدر السابق. الجزء الثالث. ص ٢٠٤). التحق بعد انقلاب شباط ١٩٦٣ بالحركة الكردية ثم التجأ إلى اوربا الشرقية وتوفي في التسعينات.

أحد الضباط الواقفين امامه فبدا لي وكأنه يريد ان يعرض عضلاته امامي. ثم مد يده إلى كتف الضابط ومزق حمالة رتبه والقاها على الارض وداسها بقدمه. فانزعجت من تصرفه ونهضت من مكاني وسارعت إلى امساك يده ثم همست في أذنه قائلاً: (هاشم.. هذا ليس تحقيقاً.. انه وحشية فلا يحق لك معاملة هذا الضابط بهذا الشكل الفظ خصوصاً انه لم تثبت ادانته. فكف يدك عنه ولا تتماذ في اهانتته). فكف هاشم عن اعتدائه على الضابط ولكنه قال: (انه متأمر على الثورة وعلى الزعيم عبد الكريم قاسم وقد عثرنا على اسلحة في داره).

وبعد الاستفسار عن الاسلحة التي عثر عليها تبين انها بندقية صيد ومسدس وفأس. فقرر العارف ان يشكو ذلك إلى عبد الكريم، وجدير بالذكر ان الضابط الضحية واسمه (احمد عبد الكريم)، كان من دورة إسماعيل العارف وهاشم عبد الجبار، أي الدورة التي كان معلمها عبد الكريم قاسم نفسه^(٩٤٦).

وفي حادثة أخرى يرويها إسماعيل العارف نفسه، فان رئيس هيئة التحقيق هاشم عبد الجبار، رفض طلبه باطلاق سراح خليل ابراهيم حسين، وهو من اوائل الضباط الاحرار، ومن الذين رافقوا عبد الكريم قاسم في حياته العسكرية لفترات طويلة^(٩٤٧). ويقول العارف بان هاشم عبد الجبار المح له مهددا بان من يدافع عن المتآمرين فان يد هيئة التحقيق ستمتد اليه عند الضرورة.

ذهب إسماعيل العارف إلى عبد الكريم قاسم واخبره بالأمر واضاف قائلاً له: (ان مثل هذه التصرفات هي التي تقلب المخلصين من الضباط عليك فيقتضي ايقافها نهائياً والحد من صلاحيات الهيئة التي اشتهرت بالقسوة والتعذيب وادانة الابرياء واساءة استغلال سلطتها، اذ لم يبق بعد الان من ضرورة لوجودها بعد ان اخذت تسيء إلى الثورة).

٩٤٦- العارف. المصدر السابق. ص ١٨٠ (انظر إلى الهامش ايضا).

٩٤٧- ان خليل ابراهيم حسين- ورغم ما عاناه في عهد عبد الكريم- هو الذي سجل بطولات عبد الكريم قاسم في فلسطين وانصفه مرات كثيرة في موسوعته عن ١٤ تموز. اما اولئك الجلادون - امثال هاشم عبد الجبار- فلم يحصد عبد الكريم منهم سوى الدمار و العار.

إثر ذلك، طلب عبد الكريم حضور هاشم عبد الجبار، وحين حضر استقبله بعاصفة من التعنيف والغضب، وقال له: (انك اسأت إلى الثورة وسمعتها وتجاوزت استخدام صلاحياتك فمن الذي خولك توقيف الابرياء واهانتهم؟ وكيف تشكك في ضابط مخلص كالرئيس خليل وتصدر أمرا بتوقيفه بدون علمي؟).

حاول هاشم عبد الجبار الدفاع عن نفسه، لكن عبد الكريم اسكته بخشونه، وأمر بتحريك اللواء العشرين - الذي كان هاشم عبد الجبار في الوقت نفسه آمراً له - إلى جلولاء، وتجميد اعمال هيئة التحقيق الخاصة^(٩٤٨).

لقد جرى ذلك في مايس ١٩٥٩، أي بعد ان ارتكبت هيئة التحقيق الخاصة الكثير من المخازي، وبعد ان حولت الكثير من الضباط إلى اعداء لعبد الكريم قاسم، ومنهم خليل ابراهيم حسين الذي تم حل الهيئة بسببه. وربما كان السبب الحقيقي وراء حل الهيئة، هو مطالبة الحزب الشيوعي في المظاهرة الكبرى - في الاول من مايس أيار - بمناسبة عيد العمال العالمي، بالمشاركة في الحكم، وهو ما اغضب عبد الكريم قاسم من الشيوعيين، ودفعه إلى تقليص اظافرهم.

وكان الشيوعيون قد طالبوا في المسيرات الجماهيرية - في الاول من أيار - بالمشاركة في الحكم هاتفين: (عاش زعيمى عبد الكريمى، حزب الشيوعى بالحكم مطلب عظيمى)^(٩٤٩).

انتقدت قيادة الحزب الشيوعي السوفيتي - في مذكرة بعثتها إلى قيادة الحزب الشيوعي العراقي - المطالبة بالمشاركة في الحكم، واعتبرته تطرفا يساريا، ودعت إلى دعم سلطة قاسم ضد ما تتعرض له من دسائس ومؤامرات امبريالية^(٩٥٠).

وحسب رواية بهاء الدين نوري، احد قادة الحزب الشيوعي آنذاك، فان أغلبية قيادة الحزب الشيوعي العراقي وقتها، كانت ميالة - قبل مجيء المذكرة السوفيتية - إلى

٩٤٨- المصدر السابق. ص ١٨٧.

٩٤٩- عبد الخالق حسين. المصدر السابق. ص ١١٧.

٩٥٠- نوري. المصدر السابق. ص ٢٧٣.

استلام السلطة. وكانت تعتبر شعار المشاركة في الحكم خطوة نحو استلام السلطة. و يقول معلقا على المذكرة السوفيتية:

(اما مذكرة أو رسالة القيادة السوفيتية فانها لم تكن سوى تدخل اناس مغرورين كانوا يجهلون ظروف العراق الملموسة. وكان يجلسون وراء مكاتبهم في موسكو على بعد آلاف الكيلومترات من بغداد... ليملوا علينا سياسة خاطئة غير منسجمة مع واقع العراق، بدلا من ان يحاولوا تفهم وضع بلدنا منا نحن المناضلين من اهل البلد... وكنا من جانبنا اسرى التقاليد والتقديرات السائدة في نظام العلاقات داخل الحركة الشيوعية آنئذ. كنا دراويش للقيادة السوفيتية معتقدين بانها اكثر فهما لوضع بلدنا منا نحن الشيوعيين العراقيين. فامتثلنا للامر وتخلينا عن شعار المشاركة في الحكم وبالتالي تخلينا عن هدف الوصول إلى السلطة طيلة حكم عبد الكريم قاسم)^(٩٥١).

اما عبد الكريم فاخذ بسرعة ينظر إلى الشيوعيين كعنصر تهديد اكثر من كونهم مصدر تأييد، وراح يحاول حظر نشاطات الحزب الشيوعي العراقي^(٩٥٢). وبيروي إسماعيل العارف، بان عبد الكريم قد ابلغه - في اواسط مايس ١٩٥٩ - وكان العارف قائدا للواء ٢٥ وقتها:

(اقول لك بانني في وضع حرج بعد الانشقاق الذي احدثه عبد السلام واضطراري إلى الاعتماد على العناصر التي اندفعت في تأييد وجهة نظري ولكنها تجاوزت الحدود واسهمت في اشاعة الرعب في المجتمع.. اؤكد لك بانني لا اريد ان يستمر هذا الوضع وانوي محاربته وهدفي حماية مصلحة الشعب وحماية الثورة من الامواج العاتية). ثم اضاف عبد الكريم قائلا له: (ارجو ان تهيء لواءك لكي استند عليه في تعديل الامور ووضعها في نصابها)^(٩٥٣).

وعبثا حاول الحزب الشيوعي - بعد ذلك - ارضاء عبد الكريم قاسم. حتى ان

٩٥١- المصدر السابق. ص ٢٧٤.

٩٥٢- ماريون وبيتر سلوجت. العراق الحديث (مصدر سابق). ص ١١٦- ١١٧.

٩٥٣- العارف. المصدر السابق. ص ١٨٦- ١٨٧.

عزيز محمد عضو قيادة الحزب الشيوعي اقترح - ارضاء لقاسم - حل الحزب، الامر الذي رفضته اغلب قيادة الحزب الشيوعي^(٩٥٤). ومهما كان الامر، وبحسب رأي متأخر للدكتورين حسين الوردي وعزيز الحاج، وهما من القيادات الشيوعية المعروفة، فإن من حسن حظ الحزب الشيوعي عدم استلامه للسلطة. فلو استلم الحكم لاضطهد معارضيه وبالتالي عموم الشعب بنفس الأساليب التي طبقها حزب البعث لاحقا عندما استلم السلطة^(٩٥٥).

اما عامر عبد الله، القيادي الشيوعي المعروف، فقد كتب - عام ١٩٦٧ - يقول:
(ان الوضع الثوري الذي تكون في ربيع ١٩٥٩، كان يمكن استثماره لحمل قاسم على إنهاء فترة الانتقال وإقامة الحياة الديمقراطية والمؤسسات الدستورية... غير أن ما فعلناه في الواقع هو تبديد لطاقت ثورية هائلة في استعراضات للقوة لا مبرر لها، وفي منازلات وتحديات مع قاسم والقوى الوطنية الأخرى، وفي التركيز على أهداف ثانوية، كالمطالبة بالاشتراك في الوزارة.. الخ)^(٩٥٦).

ومن ناقل القول ان هذه الآراء جاءت بعد ان مضت الاحداث في طريقها المأساوي، أي انها حكمة قد فات اوانها.

فلم يسئ حزب سياسي لنفسه، بقدر ما اساء الحزب الشيوعي العراقي لنفسه. وبدا ان قيادته - في العام الاول للثورة - قد فقدت رشدها، وفقدت قدرتها على تقييم الوضع السياسي، وفقدت ايضا السيطرة على كوادرها. وربما شلت نشوة الانتصارات الآنية التي حصلوا عليها والمكانة التي بنوها بعد الثورة ملكة التمييز لدى قيادته فاندفعت من دون روية ولا حساب لاجتناء ثمرة تصوروا انها قد حان قطافها^(٩٥٧).

وكان مما يثير الاشمئزاز الشعار الشيوعي الرهيب (اعدم..). ففي احتفال بمناسبة

٩٥٤- نوري. المصدر السابق. ص ٢٨٦.

٩٥٥- عبد الخالق حسين، المصدر السابق. ص ١٣٢.

٩٥٦- نجم محمود. المقايضة: برلين- بغداد. لندن ١٩٩١. ص ٤٤٢.

٩٥٧- العارف. المصدر السابق. ص ١٩٣.

عيد العمال، القى عبد الكريم كلمة بالمناسبة، وقال للحاضرين: ماذا تريدون؟ فاجابوه بصوت واحد: نريد اعدام الخونة، فصرخ فيهم: اعدام الخونة شيء يعود لنا وليس لكم، اطلبوا شيئاً يفيدكم ويفيد البلد^(٩٥٨).

من جانب آخر، قدم الشيوعيون - عام ١٩٥٩ - خدمة لاعدائهم البعثيين لاتقدر بثمن، وذلك باطلاق شعارات وهتافات لم تكن في صالحهم أو صالح الثورة. بل وقاموا بدعاية مجانية واسعة ساهمت بتعريف العراقيين بحزب البعث الذي لم يسمع به - قبل الثورة - الا القليل منهم. اذ راح الحزب الشيوعي يطلق شعارات وهتافات هابطة ضد البعث، الامر الذي راح معه كثير من الناس يتساءلون عن هذا الحزب الذي لم يسمعوا به من قبل، وما هي اهدافه ومن هم قادته.. الخ.

ولم ينحصر عداء الشيوعيين بحزب البعث أو القوى القومية، بل امتد إلى الحزب الوطني الديمقراطي، بسبب المنافسة الحزبية الضيقة على كسب الجماهير والهيمنة على الشارع^(٩٥٩).

وقد جرت في مدينتي الصغيرة - الخضر^(٩٦٠) - حادثة من حوادث تلك الأيام المليئة بالفوضى والجهل والكراهية والمفارقات المثيرة للسخرية. فقد كانت المدينة تحتفل كعادتها السنوية باحدى المناسبات الدينية في جامعها الكبير. وكان حاضرا رؤوف الحاج عبيد^(٩٦١) عضو اللجنة المركزية للحزب الوطني الديمقراطي. فاعتبرت قيادة الحزب الشيوعي المحلية، حضور الأخير دليلاً كافياً على وجود مؤامرة، ولذلك بيتت امرا. اذ نهض احدهم - خلال الاحتفال - ليهتف بالصدقة السوفيتية - العراقية، ونهض آخر ليهتف بالسلام العالمي. فهاج الناس وماجوا واخرجوا الاثنين. وما هي الا برهة وانثالت

٩٥٨- العلي. المصدر السابق. ص ١٢٩ - ١٣٠.

٩٥٩- عبد الخالق حسين. المصدر السابق. ص ١٢٤.

٩٦٠- مدينة تتبع محافظة المثنى وتبعد ٣٠ كم عن مدينة السماوة.

٩٦١- من مدينة السماوة، من العائلة التجارية المعروفة (آل الحاج عبيد). توفي في منتصف الثمانينات.

الحجارة من كل مكان على رؤوس الناس في الجامع. وكانت معركة استمرت ساعات، تهدم فيها جزء كبير من الجدار الشمالي منه.

وتفاقمت الفوضى في المدينة، وبات الناس لا يأمنون على انفسهم، فمتى انفرد اولئك (ولنسمهم مجازاً بالشيوعيين) باحد من اهل الجامع، اشبعوه ضرباً واخذوا بالجراحات. كل ذلك جرى في مدينة (ليس فيها سوى مدرسة ابتدائية قديمة البناء، وتقتصر إلى ابسط المرافق العامة، كأى مدينة مهمة في جنوب العراق، فلا شوارع معبدة ولا شبكة كهرباء أو مياه، ولا جسر يربط بين ضفتي نهرها، ومقطوعة عن محيطها... ومع ذلك فان أزقة الخضر مليئة بصور (ستالين) ويهتف كل يوم متظاهروها بالصدقة السوفيتية)^(٩٦٢).

من الامور المثيرة للانتباه، أن يتعجل الحزب الشيوعي الصدام مع المؤسسة الدينية في العراق. وان يطلق مناصروه هتافات استفزازية ضدها، فلا زال الناس يتذكرون شعارهم: (ما كومهر بس هالشهر ونذب المومن بالنهر).

والغريب ان الشيوعيين استغربوا - فيما بعد - واستنكروا فتوى المرجع الديني الأعلى في النجف السيد الحكيم بأن الشيوعية كفر والحاد، متناسين انهم هم الذين بدءوا المعركة مع المرجعية.

لقد وجد اعداء الشيوعيين - وخاصة البعثيين - في المؤسسة الدينية (الشيوعية والسنية) قوة دعم أساسية، في مواجهة الشيوعيين. اذ لعبت فتاوى العلماء والمنابر الحسينية وخطب الجمعية الدور الاول في مكافحة الشيوعية، وهو الجو الذي وظفه البعثيون بمهارة لصالحهم، فتحولوا بسرعة من قوة سياسية صغيرة غير معروفة إلى تيار كبير ومنتشر.

كان عدد الشيوعيين - في مايس ١٩٥٩ - بين ٢٠،٠٠٠ و ٢٥،٠٠٠ عضو. وكانت المنظمات التابعة للحزب الشيوعي مثل اتحاد النساء واتحاد الشباب، ونقابات العمال، وجمعيات

٩٦٢- عبد الحسين الحسيني. السيد الحسيني الخطيب.. اوراق من دفاتر ايامه. الفكر الجديد. العدد التاسع. لندن آب ١٩٩٤. ص ٤٠٣.

الفلاحين، تسير من قوة إلى قوة. ولو ان من الصعب تقدير عمق التزام هذا العدد الهائل من الأعضاء والمؤيدين. ومع ذلك يجب الاعتراف بأن الشيوعيين توفر لديهم تأييد شعبي حقيقي (٩٦٣).

لكن احداث كركوك - والتي وقعت خلال الاحتفال بالذكرى الأولى للثورة - كانت نقطة فاصلة في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، من حيث شعبيته ونفوذه، اذ استغلها عبد الكريم قاسم بلا هوادة لانهاء نفوذ الحزب الشيوعي.

فقد القى عبد الكريم قاسم خطابا هاما- يوم ١٩ تموز أي بعد خمسة أيام من احداث كركوك - أثناء افتتاحه كنيسة مار يوسف، هاجم فيه الاعمال الوحشية التي وقعت في كركوك، ووصفها بأنها كانت اشد قسوة ووحشية من جرائم هولوكو عند اجتياحه لمدينة بغداد، وهدد مرتكبيها بأقسى العقوبات. وبالرغم من انه لم يسم الحزب الشيوعي صراحة، الا انه كان من الواضح انه يقصده في كل كلمة قالها عن المذبحة.

وفي الحال بدأت أجهزة الأمن بشن حملات اعتقال واسعة ضدهم، واخذت الصحف تنتقدهم بصراحة لم تكن تجرؤ عليها في الأشهر الماضية. ولم تقتصر الاعتقالات على الشيوعيين بل شملت حتى المتعلقين بشخص عبد الكريم قاسم من دون تمييز أو تفريق. وقد كان ذلك بسبب التوتر الذي كان يسود البلاد والتبرم الذي خلقتة تصرفات بعض أجهزة الحزب الشيوعي، اصف الى ذلك وجود عناصر معادية للزعيم داخل أجهزة الشرطة والأمن استغلت الظرف الجديد لصالحها (٩٦٤).

وعاد الزعيم عبد الكريم قاسم وعقد مؤتمرا صحفيا - يوم ٢٩ تموز - كرر فيه هجومه على الاعمال الوحشية التي تعرض لها المواطنين التركمان وغيرهم في كركوك. الامر الذي ادى إلى تصاعد الحملة ضد الشيوعيين. رغم ان عبد الكريم لم يسمهم في المؤتمر الصحفي بالاسم ايضا (٩٦٥).

٩٦٣- بطاطو. المصدر السابق. ص٢٠٩.

٩٦٤- العارف. المصدر السابق. ص١٩٣.

٩٦٥- المصدر السابق نفسه.

وعقب ذلك، عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي جلسة طارئة، واتخذت قرارات مهمة، نشرت خلاصتها في جريدة الحزب الرسمية (اتحاد الشعب) - في ٢ آب ١٩٥٩ - انتقدت فيها العنف، واعترفت ضمناً بمسؤولية الشيوعيين عما حدث في كركوك، وذلك املاً في تخفيف الحملة الموجهة ضد الحزب^(٩٦٦). وفي ٢٣ آب ١٩٥٩، نشرت الجريدة البيان بالتفصيل. وقد تضمن البيان نقداً ذاتياً صريحاً لتصرفات الحزب والأخطاء التي ارتكبتها كوادره. كما انتقد البيان الأسلوب والتوقيت اللذين اعتمدا في رفع شعار المشاركة في الحكم، وعدم التفاته إلى الظروف المحيطة بالبلد.

ومن الواضح ان البيان لم يأت بسبب الشعور بالذنب تجاه الجرائم التي حدثت في كركوك، وانما جاء لارضاء عبد الكريم قاسم وتبديد مخاوفه منهم. الامر الذي لم يحصل ابداً، فقد مضى عبد الكريم قدماً في حملته ضد الشيوعيين.

ترك البيان الشيوعي آثاراً سلبية على سمعة الحزب في المجتمع العراقي، وحط من قدره في اعين الناس، وبدأ معظم قادته بالاختفاء، وانحسر دوره السياسي، واخذ كثير من المتعاطفين معه يتصلون من العلاقة به. حتى ان الضباط الذين كانوا يؤلفون كتلة قوية بالقرب من عبد الكريم قاسم، وكانوا مؤيدين للحزب، امثال المهداوي ووصفي طاهر وماجد محمد أمين، اخذوا يتحاشون مواجهة عبد الكريم ولم يظهر لهم بعدها نشاطاً ملحوظاً^(٩٦٧).

حاول الشيوعيون - في هذه الحال - بث الروح في العمل الجبهوي. لكن كامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي رد قائلاً:

(صعب العمل مع الشيوعيين، فهم يركبون راسهم عندما يشعرون بالقوة، وتصبح التقدمية والوطنية وقفا عليهم. اما اذا كانت الامور في غير صالحهم فتراهم اول من ينادي بضرورة التعاون ويطالب بتكوين جبهة وطنية)^(٩٦٨).

٩٦٦- المصدر السابق. ص ١٩٤.

٩٦٧- المصدر السابق. ص ١٩٥.

٩٦٨- رفعت الجادرجي. المصدر السابق. ص ١٦٧.

ثمة ظاهرة لم يعرفها العراق قبل الشيوعيين، هي الاغتيالات السياسية^(٩٦٩)، التي استخدمها الحزب الشيوعي ضد خصومه السياسيين، وقد ارتد عليه هذا السلاح، فكان عدد الشيوعيين الذين تم اغتيالهم، وتحديدًا في عامي ١٩٥٩ و ١٩٦٠، اكبر من عدد ضحاياهم، أي أكثر من عدد الذين قتلوا على يد الشيوعيين في النصف الاول من عام ١٩٥٩. فبحلول كانون الاول ١٩٦١، كان قد اغتيل ٢٨٦ شخصا من اعضاء الحزب الشيوعي ومؤيديه. كما أُجبرت آلاف الاسر (المحسوبة على الحزب الشيوعي) على ترك منازلها، نتيجة للتهديدات وغيرها. اما في الموصل وحدها - وحسب رواية غير شيوعية - فقد اغتيل حتى عام ١٩٦٣ حوالي ٤٠٠ شخص ليس بينهم الا القليل من الشيوعيين الحقيقيين^(٩٧٠). بينما لم يزد عدد الضحايا الذين اغتيلوا على يد الحزب الشيوعي في الموصل - في ربيع ١٩٥٩ - عن بضع عشرات^(٩٧١).

ربما كان لدوائر المخابرات الغربية، وتحديدًا الأمريكية والبريطانية، دور - ولو من بعيد - في هذه الاغتيالات. فقد ارتبط عدد من قياديي البعث - والذين كان لهم دور رئيسي في هذه الاغتيالات - بعلاقة مشبوهة بوليم ليكلاند (المسمى بل) مسؤول المخابرات الأمريكية في العراق آنذاك.

كان على الحزب الشيوعي العراقي - منذ الأيام الأولى للثورة - ان يختار بدون تردد بين امرين: اما ان يستلم السلطة واما ان يلجأ إلى الوسائل الديمقراطية في التعامل مع أصدقائه وأعدائه على السواء. اما ما قام به في العام الاول للثورة من استفزازات واعتداءات، فهو باختصار شديد لم يؤد سوى إلى فتح أبواب جهنم على الشيوعيين وعلى العراق كله. وكانوا هم السبب في انقلاب الجيش على عبد الكريم قاسم. فاستفزازاتهم

٩٦٩- حدثت في العهد الملكي حوادث اغتيال سياسية في فترات متباعدة ولاسباب مختلفة، لايزيد عددها على اصابع اليد الواحدة. اما ما حدث بعد الثورة فهي عمليات اغتيال منظمة قام بها الشيوعيون ضد اعدائهم والذين ردوا عليهم بعد حين بأشد منها.

٩٧٠- بطاطو. المصدر السابق. ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

٩٧١- المصدر السابق. ص ٢٠٠.

و اعتداءاتهم، على الضباط وغير الضباط، استعدت الضباط عليه. فمن النادر ان تجد ضابطا كبيرا لم يتعرض هو أو احد أقربائه أو أصدقائه لتلك الاستفزازات أو الاعتداءات. لقد ظلت تلك الأفعال الشنيعة عاقلة في أذهان الكثير من العراقيين، رغم ان أعداءهم قد ارتكبوا - عام ١٩٦٣ - من الجرائم ما يفوق ذلك بكثير، فضلا عن جرائم صدام في الثمانينات والتسعينات.

مؤامرة رشيد عالي الكيلاني:

ان تسمية قضية الكيلاني بالمؤامرة، هو من باب التجاوز. فهذه المحاولة الانقلابية المزعومة، لم يقدم من المتهمين بها إلى محكمة المهداوي، سوى ثلاثة متهمين^(٩٧٢). كان في مقدمتهم، رشيد عالي الكيلاني، الذي اقترنت باسمه حركة أيار ١٩٤١. وقد سمح له عبد الكريم قاسم - في نهاية آب ١٩٥٨ - بالعودة إلى العراق^(٩٧٣)، رغم معارضة عبد السلام عارف لعودته. كما عارض عودته صديق شنشل وزير الارشاد الذي كان مديرا للدعاية في حركة أيار ١٩٤١، والدكتور جابر عمر وزير المعارف والذي كان رفيق الكيلاني اثناء إقامته في ألمانيا بعد فشل الحركة^(٩٧٤).

وقد حذر جميل المدفعي، وهو على فراش الموت، عبد الكريم قاسم، الذي زاره يرافقه ابن اخته رفعت الحاج سري، من الكيلاني، وقال له انه متآمر عريق فحذار منه. فنظر قاسم إلى رفعت فأطرق الأخير برأسه^(٩٧٥). وزادت خشية قاسم من الكيلاني، بعد ان بلغته تحذيرات اخرى من آخرين من بينهم طه الهاشمي وحكمت سليمان^(٩٧٦). ويبدو ان عدم اسناد أي منصب للكيلاني - بعد الثورة - قد أثار الاسى في نفسه^(٩٧٧).

٩٧٢- د. عقيل الناصري. عبد الكريم قاسم في يومه الاخير (مصدر سابق). ص ١٥٩.

٩٧٣- صبحي عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٦٤.

٩٧٤- الناصري. المصدر السابق. ص ١٧٥ (الهامش).

٩٧٥- القيسي. المصدر السابق. ص ٦٤٠.

٩٧٦- العزاوي. المصدر السابق. ص ٢٠٤.

٩٧٧- خدوري. العراق الجمهوري (مصدر سابق). ص ١٠١.

فأخذ يتحدث امام زائريه دون حيلة أو حذر، وكان المخبرون ينقلون كلامه مع ما يضيفونه عليه إلى عبد الكريم قاسم. والذي استدعاه مرة أو مرتين إلى وزارة الدفاع، ولفت نظره إلى ما يجري في داره من أحداث تُضر بالدولة. فرد الكيلاني معتذرا مبديا تقانيه من اجل الثورة وإخلاصه الشديد له^(٩٧٨).

وضعت مديرية الخطط العسكرية التي يترأسها الزعيم الركن طه الشيخ احمد (الشيوعي الميول)، بالتعاون مع التنظيم العسكري للحزب الشيوعي^(٩٧٩)، خطة للإيقاع برشيد عالي الكيلاني. وانتدبوا للمهمة كلا من الرئيس حسون الزهيري، والملازم محمد احمد العلي، والمحامي عبد الرسول الصراف، وجاكوب بلاكن، والملازم الاحتياط محمد حسن سميسم. فاجتمع هؤلاء والفوا جمعية وهمية واسموها (الاخاء العربي)^(٩٨٠)، لخداع المتأمرين واختراقهم^(٩٨١).

واستطاع احد هؤلاء الضباط تسجيل حديث لعبد الرحيم الراوي - احد المتهمين بالمؤامرة - مليء بالتبجح والادعاءات، كادعائه ان معظم ضباط الجيش الكبار معهم^(٩٨٢).

مثل المتهمون امام محكمة المهداوي - في ليلة ٩ كانون الاول ١٩٥٨ - واجريت لهم محاكمة سرية. وفي صباح اليوم التالي حكمت المحكمة على عبد الرحيم الراوي ومبدر الكيلاني بالاعدام شنقا حتى الموت.. بينما برأت رشيد عالي الكيلاني مع التوصية بنفيه خارج العراق لخمس سنوات^(٩٨٣).

٩٧٨- العزاوي. المصدر السابق. ص ٢٠٤.

٩٧٩- الناصري، المصدر السابق. ص ١٥٥.

٩٨٠- لجأ نظام البكر- صدام إلى نفس الاسلوب- عام ١٩٦٩- فشكل جبهة وهمية باسم (الوفاق الوطني) فأوقع ببعض العسكريين والمدنيين ثم اعدمهم مع معارضين آخرين (راجع المؤلف. على حافة الهاوية. ص ٥٤١)

٩٨١- العارف. المصدر السابق. ص ٣٧٥.

٩٨٢- صبحي عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٦٦.

٩٨٣- الناصري. المصدر السابق. ص ١٥٦.

يقول عبد الرحيم الراوي:

(بعد أن انتهت المحاكمة الأولى وصدر حكم الإعدام بحقي وبحق مبدر الكيلاني وبينما نحن نتهياً للخروج من الباب الخلفي لقاعة المحكمة وكان يسير امامنا رشيد عالي الكيلاني الذي حكم عليه بالبراءة واجهنا في الممر فاضل المهداوي، فصافحه رشيد عالي الكيلاني وقال له: لقد كنت عادلا في محكمتك. فرد عليه المهداوي بكلمات الاعتذار، ثم اردف الكيلاني قائلاً له: لقد اعطيتم نصف حقهم (ويقصد نحن الاثنين) ولو كنت مكانك مارحمتهم، ولو فعل ولدي فعلتهما لسلمتهم اليك لتحاكمهم، لان خائن الوطن لا يستحق الرحمة. لقد وقعت هذه العبارة وقع الصاعقة على رؤوسنا، فلم نصدق ما قاله الكيلاني بحقنا.. الا ان ابن اخيه مبدرا قسم بأغلظ الإيمان انه سيتكلم الحقيقة ويكشف نوايا عمه الكيلاني.. ثم البسونا في السجن بدلة المحكومين بالاعدام، الا انه بعد حين ارسلوا بطلبنا ونقلونا إلى وزارة الدفاع حيث مكتب عبد الكريم قاسم.. التفت نحونا وقال: تكلّموا الحقيقة ولا تخافوا من احد.. وكانت هذه فرصة مبدر الكيلاني ليقول ما عنده ضد عمه)^(٩٨٤).

ويقول جاسم كاظم العزاوي سكرتير عبد الكريم قاسم في مذكراته:
(ان مبدرا قد استبد به الانفعال فقال امامي: (عملها وتنصل منها، والله لا جرته معي إلى الإعدام)).

ويضيف العزاوي:

(وحسب المعلومات التي اطلعت عليها في حينها، كان التحرك والنشاط موجودين فعلا، وقد وزعت بعض الأموال التي قدرت بحوالي خمسة آلاف دينار، وان بعض الذين تسلموا تلك الأموال قد أعادها بحضوري ايضا امثال الشيخ عبد الكاظم مهدي من شيوخ آل قتلة)^(٩٨٥).

كانت افادتا الراوي والكيلاني الجديدتان، ضد رشيد عالي الكيلاني، تقوم على انه

٩٨٤- محمد حمدي الجعفري. محكمة المهداوي. بغداد ١٩٩٠. ص ١٠٧-١٠٨. وانظر ايضا رواية قريبة من ذلك خليل ابراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز. الجزء الخامس. ص ٩٢-٩٣.
٩٨٥- العزاوي. المصدر السابق، ص ٢٠٩.

ابدى تدمره من الحكومة، في مجالسه الخاصة، امام زواره من ابناء العشائر والعسكريين والمدنيين، وانه حرضهم على تدبير المؤامرة والاتصال بالجمهورية العربية المتحدة، لتجهيزهم بالسلاح، وهو الذي حض العشائر وضباط الجيش على الاشتراك بالمؤامرة. احيل رشيد عالي الكيلاني ثانية على المحكمة- في ١٤ كانون الاول ١٩٥٨- فحكمته بعد ثلاثة أيام بالاعدام شنقا حتى الموت. وقد وردت أسماء عدد من الضباط اثناء التحقيق، ومنهم طاهر يحيى مدير الشرطة العام، والعقيد عبد اللطيف الدراجي آمر الكلية العسكرية، والزعيم شاكر محمود شكري معاون رئيس اركان الجيش، والمقدم رفعت الحاج سري مدير الاستخبارات العسكرية، ومعظم قادة الفرق. وورد ايضا اسم العالم الديني المعروف محمد محمود الصواف. كما ورد في التحقيق بأن اتصال المتآمرين بسفارة الجمهورية العربية المتحدة كانت بواسطة القنصل فؤاد عبد المعطي، وبعد نقله كان عن طريق محمد كبول^(٩٨٦).

اما خطة المؤامرة - ونحن نتحدث هنا عما ورد اثناء التحقيق - فهي أن تقوم بعض عشائر الفرات الأوسط بالثورة، فتقطع خطوط الهاتف وتخرب خطوط السكك الحديدية وتسد الطرق العامة، بقصد احداث فوضى عامة. اما الاسلحة فتُهيئ من الجمهورية العربية المتحدة، وتخزن بجوار الحدود، وتسلم للثائرين عندما تبدأ الاضطرابات. وتقوم طائرات نقل من الجمهورية العربية المتحدة بإلقاء التجهيزات ومواد التموين داخل العراق حيثما تطلب ذلك.

وفي الوقت نفسه تتحرك مظاهرات تتصدرها النساء والأطفال، وتنادي بشعارات ضد الحكومة، وعندما تزداد سخونة الموقف، يتقدم فريق من الضباط المشتركين فيها بالطلب إلى عبد الكريم قاسم أن يستقيل، واذا رفض يقضى عليه هو والضباط المحيطين به في وزارة الدفاع.

وعندما تتجح الحركة، يؤلف الوزارة رشيد عالي الكيلاني، ويشكل مجلس لقيادة

٩٨٦- العارف. المصدر السابق. ص٣٧٦.

الثورة، وتُعلن الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة^(٩٨٧).

من الواضح من خطة المؤامرة وعدد المتهمين بها وسير المحاكمة، انها ملفقة تماما، وان كل مبرراتها الجرمية هي ثرثرة الأشخاص الثلاثة. والتي كانت كافية في نظر الشيوعيين لتشكيل مؤامرة مكتملة الأركان^(٩٨٨).

ففي تلك الأيام، كانت مجرد زيارة صديق لصديقه مؤشرا على وجود مؤامرة. ففي احدى مدن الجنوب النائية، ذهب مدير الناحية لزيارة احد فلاحى الناحية الأغنياء، وكانت تربطهما علاقة صداقة، فما كان من الشيوعيين في الناحية الا أن تجمعوا وجمعوا معهم الكثيرين، وهم يصرخون بأن هناك مؤامرة، ويلوحون بالعصي والحبال، ولم تهدأ الأحوال الا بشق الأنفس، وبعد ان اقسم مدير الناحية لقادتهم بأغلظ الإيمان (الثورية) بان ما قام به لا يعدو زيارة صديق مريض، وانه لن يكررها، وانه مخلص كل الإخلاص للزعيم وللحزب وللطبقة العاملة وللصداقة السوفيتية - العراقية.

ايا كان الامر، لقد ادى الكشف عن هذه المؤامرة، إلى تقوية نفوذ طه الشيخ احمد، والذي أصبح - من الناحية العملية - الرجل الذي يلي عبد الكريم قاسم نفوذا. بينما جُمِدت مديرية الاستخبارات العسكرية، واعتبر ضباطها غير موالين للثورة. واقيل طاهر يحيى من منصب مدير الشرطة العام، ونُقل العقيد عبد اللطيف الدراجي من منصب آمر الكلية العسكرية، وحل محله العميد الركن داود الجنابي، وعين العقيد عبد الباقي كاظم مديرا لشرطة بغداد، كما تم تغيير قادة كتائب الدبابات^(٩٨٩)، واعفي العميد الركن عبد العزيز العقيلي قائد الفرقة الأولى من منصبه وعين سفيرا في إيران^(٩٩٠). باختصار شديد، أصبح نفوذ الحزب الشيوعي اكثر قوة في الدولة والجيش والمجتمع.

٩٨٧- المصدر السابق. ص ٣٧٦ - ٣٧٧.

٩٨٨- اعترف عبد المجيد جليل مدير الامن العام امام رفعت الحاج سري بان المؤامرة من تدبير الشيوعيين ولا صحة لها (خليل ابراهيم حسين. المصدر السابق. ص ٩٨).

٩٨٩- صبحي عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٦٧.

٩٩٠- المصدر السابق. ص ١٧٨.

من الضروري الحديث هنا عن رشيد عالي الكيلاني، فإذا اختصرنا مصائب العراق في العهد الملكي بثلاثة أشخاص، فهو ثالث ثلاثة - إلى جانب عبد الإله ونوري السعيد - مسؤولون عن تلك المصائب. ففضلا عن قسوته ودمويته والتي لم يستطع ان يجاريه فيها احد من مسؤولي العهد الملكي، اسس في وزارته الأولى - عام ١٩٣٣ - اكثر اشكال النظام الاقطاعي بشاعة، فقد اصدر قانون واجبات الزراع، والذي يمنع انتقال الفلاح من مكان إلى آخر الا بموافقة المالك، وهو القانون الذي سمي بقانون الرق^(٩٩١). وعرف الكيلاني بفساده، حيث استولى على الكثير من الأراضي الأميرية، وصار من الملاك الكبار. اصف الى ذلك فضيحة استيلائه على أموال الأوقاف القادرية^(٩٩٢). ثم كانت جريمته الكبرى، حينما زج العراق في حرب خاسرة، وترك الجيش العراقي يقاتل وهرب إلى إيران، من دون ان يصدر امرا لقواته بالانسحاب من خطوط التماس أو الكف عن القتال.

قد يقول قائل ان من حق الرجل ان يحارب الاحتلال. صحيح لكن كما يقول اليكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي: (الجملة الثورية بدون قوة تحميها خيانة). إذ ليس من حق السياسي ان يزج بلاده في حرب خاسرة، لا توجد ادنى امكانية لكسبها، كما فعل الكيلاني، الامر الذي ترتب عليه احتلال العراق ثانية - عام ١٩٤١ - من قبل الجيش البريطاني. ومن ثم اصبح العراق من جديد تحت الاحتلال البريطاني المباشر، دون ان يكون لديه (أي لدى العراق) رجل مثل فيصل الأول، فبقي النفوذ البريطاني في البلاد، باقوى صورته حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. وهكذا ضيع الكيلاني على العراق جهود وانجازات عشرين عاما (١٩٢١ - ١٩٤١)، استطاع العراق ان يحقق خلالها الكثير على طريق الاستقلال. ثم هل ان الذي يريد ان يحارب الاحتلال يترك جيشه يقاتل ويهرب إلى إيران؟

الأهم من هذا، ان الكيلاني لم تكن مشكلته النفوذ البريطاني، كانت مشكلته ان يبقى رئيسا للوزراء، فقد كتب رسالة - في ١١/١/١٩٤١ - إلى الملك عبد العزيز بن سعود، قال

٩٩١ - القيسي. المصدر السابق. ص ٣٥١.

٩٩٢ - بطاطو. المصدر السابق. الجزء الاول. ص ٢٤٠.

فيها:

(وانني اطمئنكم بانني سائر مع الانكليز بروح صداقة صادقة، واني لمنتظر امر جلالتكم، وكيف تحبون وتفرضون على هذا الخادم المطيع)^(٩٩٣).
وما جرى في أيار ١٩٤١، فقد كان نتيجة أطماعه في الحكم، وقصر نظر عبد الإله وافتقاره لمقومات الزعامة. يقول احمد مختار بابان رئيس الديوان الملكي ثم رئيس الوزراء فيما بعد:

(انني اعتقد بان الأمير لو كان يتمتع بمرونة سياسية كبيرة، ولو كانت شخصيته قوية مثل شخصية الملك فيصل الأول لكان بالإمكان حل حادث ١٩٤١)^(٩٩٤).
ويروي السويدي ان الكيلاني زاره في داره - في ٣٠ نيسان ١٩٤١ - وكلفه ان يتوسط لدى السير كنهان كورنو أليس السفير البريطاني الجديد للاعتراف بحكومته، مقابل الاستعداد للسماح ببقاء القوات البريطانية أو مرورها في العراق. لكن السويدي اجابه بان اوان هذه الوساطة قد فات^(٩٩٥).
ويصف كامل الجادرجي الكيلاني قائلاً:

(لا يتورع عن ان يورط اقرب الناس إليه، وحتى بناته، في سبيل مآربه الشخصية)^(٩٩٦).
اما عبد الرزاق الشيعلي فيقول:
(كنا نحن الشباب مغرورين برشيد عالي الكيلاني والتفطنا حوله وسرنا في ركابه، حتى ظهر لنا بعد ذلك بوجهه الصحيح، إذ وجدناه رجلاً أنانيا طماعاً يستسيغ كل عمل في تحقيق مآربه الشخصية)^(٩٩٧).
ويروي الدكتور محمد حسن سلمان احد وزراء حكومة الكيلاني، واحد الذين هربوا

٩٩٣- القيسي. المصدر السابق. ص ٤٠٤ (وقد نقلها من مذكرات الكيلاني التي نشرت في جريدة القبس الكويتية ابتداء من ٢٤/٧/١٩٨٧).
٩٩٤- بابان. المصدر السابق. ص ٤٣.
٩٩٥- مير بصري. المصدر السابق. الجزء الاول. ص ١٨٦.
٩٩٦- رفعت الجادرجي. المصدر السابق. ص ١٥٠.
٩٩٧- مير بصري. المصدر السابق. ص ١٨٢.

معه إلى المانيا:

(في الخامس عشر من شهر آذار ١٩٤٢ أعلن الراديو نبأ تنفيذ حكم الاعدام بالاخوان الشهداء يونس السبعاوي، وفهمي سعيد، ومحمود سلمان... هرعت إلى كل من رشيد عالي الكيلاني والمفتي... وقد لاحظت علامات الحزن والتأثر على ملامح المفتي، فتبادلنا التعزية... ولم لاحظ - مع الأسف الشديد - أي تأثر أو كدر حقيقي على ملامح السيد رشيد عالي...^(٩٩٨)).

وتقول مديحة السلطان زوجة محمود سلمان أحد العقلاء الأربعة ان الكيلاني كان يكيل الشتائم والسباب للشهيد يونس السبعاوي. ولم يستطع اخفاء فرحه وسروره باعدام العقلاء الأربعة^(٩٩٩)، بل وقبل ذلك وحين خططت الحكومة الألمانية لاستنقاذ العقلاء الأربعة من إيران، للحيلولة دون تسليمهم للعراق^(١٠٠٠) ثم عندما التجأ الصباغ إلى تركيا، وحاولت جلبه إلى المانيا، رفض الكيلاني ذلك وهدد جديا بالخروج من المانيا، فسكت الالمان على مضض^(١٠٠١).

المفارقة ان الكيلاني - وكما هو شأنه في تصيد الفرص - حمل بيديه عند نزوله من الطائرة التي نقلته إلى بغداد - عام ١٩٥٨ - صورة العقيد صلاح الدين الصباغ، واخذ يلوح بها للجماهير التي خرجت لاستقباله، ثم خطب في تلك الجماهير قائلاً:
(كان الهدف الاسمى من الثورة (أي حركة ١٩٤١) كما ذكر الشهيد صلاح الدين الصباغ، واكرر هنا ما قاله هو واتفقنا عليه جميعا، كان الهدف وحدة البلاد العربية بعد تحرير العراق. وهذا مبدأ اعتنقناه لا عن عاطفة بل عن ايمان عميق)^(١٠٠٢).
ان الوحدة العربية التي رفع راياتها الكيلاني - عام ١٩٥٨ - متصورا بأنها طريقه إلى السلطة، قال عنها في المانيا وهو يبوح بمكنوناته للدكتور محمد حسن سلمان:

٩٩٨- محمد حسن سلمان. المصدر السابق. ص ١١٤.

٩٩٩- مذكرات مديحة السلطان. الاسيرة رقم ٩٣. بغداد ١٩٩٠. ص ٢١٩.

١٠٠٠- المصدر السابق. ص ٢٠٧.

١٠٠١- المصدر السابق. ص ٢٢٠.

١٠٠٢- سلمان. المصدر السابق. ص ٩٤.

(لا اخفاك انني اعتقد انها صعبة التحقيق، واغلب الشعوب العربية لا تريدها،
واني انصحك يا دكتور ان تكرر خدمتك وعملك لبلدك العراق.. فالاقربون اولي
بالمعروف)^(١٠٠٣).

وعندما اختلف مع المفتي محمد أمين الحسيني - في المانيا - على زعامة العرب، لم
يتردد في القول:

(على جميع العرب اتباعي، واذا كان (المفتي) لا يريد فليأخذ فلسطينه ويذهب
إلى...)^(١٠٠٤).

وكان الكيلاني يستحوذ على المساعدات التي تقدمها الحكومة الألمانية للعراقيين
المنفيين هناك^(١٠٠٥). والذين ذاقوا الامرين بسبب ذلك وبسبب وشاياته بهم عند
الحكومة الألمانية^(١٠٠٦). لكن العمل الأكثر بشاعة الذي ارتكبه الكيلاني، أثناء إقامته في
المانيا، هو دوره في تشكيل الفيلق العربي، للقتال مع الالمان، حيث مات عشرون الف منهم
في ثلوج القفقاس^(١٠٠٧).

ولنعد الآن إلى عام ١٩٦١، فقد أصدر عبد الكريم قاسم - في الذكرى الثالثة للثورة -
عفو عن جميع السجناء السياسيين، ومنهم الكيلاني. وذهب الكيلاني - بعد إطلاق
سراحه - إلى مصر، وزار عبد الناصر بعد تردد. استقبله الأخير لربع ساعة، ولم يسأله
عن المؤامرة ابدا^(١٠٠٨). ويبدو ان عبد الناصر كان مستاء من زج اسم الجمهورية العربية

١٠٠٣- المصدر السابق. ص١٤٤.

١٠٠٤- المصدر السابق. ص١٢٦ وانظر عن صراع الكيلاني مع المفتي في المانيا، ناجي شوكت،
سيرة وذكريات (مصدر سابق). ص٥٠٢-٥١٤.

١٠٠٥- سلمان. المصدر السابق. ص١٢٢-١٢٣ وانظر مديحة السلطان. المصدر السابق.
ص٢٠٧.

١٠٠٦- انظر مثلا مديحة السلطان. المصدر السابق. ص٢٢٢-٢٢٣.

١٠٠٧- القيسي. المصدر السابق. ص٥٥٧ ونقلها عن مذكرات الكيلاني. وانظر ايضا ناجي
شوكت، المصدر السابق. ص٥٠٣ حيث يشير لتشكيل ذلك الفيلق ودور الكيلاني والمفتي فيه.

١٠٠٨- القيسي. المصدر السابق. ص٦٨٩.

المتحدة في اعترافاتهم في المؤامرة المزعومة.

الغريب ان يتهم السهروردي - صهر الكيلاني وراويته - عبد الناصر واجهزته، فضلا عن الشيوعيين بالتآمر على الكيلاني^(١٠٠٩). وما ادري ما الذي يقصده بذلك؟ عاد الكيلاني من مصر - عام ١٩٦٤ - ولم يبق طويلا في بغداد، فقد ادرك ان وجوده فيها ثقل على عبد السلام عارف، وخشي ان يصيبه ما اصابه في عهد عبد الكريم قاسم، فذهب ليقيم في بيروت، حتى توفي في ٢٨ آب ١٩٦٥، ونقلت جثته إلى بغداد حيث دفن فيها^(١٠١٠).

حركة الشواف:

إن معظم أحداث حركة الشواف أو ما عرف بثورة الموصل وصلتنا مشوهة وملتبسة. فالقوميون من جهة، والشيوعيون من جهة أخرى، ضخموا أحداثها. أو بعبارة ادق صاغ كل منهما روايته للأحداث، بالطريقة التي تخدم وجهة نظره. فالضباط القوميون الذين كتبوا مذكراتهم فيما بعد، وبفعل عقدتهم من تصدر حزب البعث للعمل المعادي لعبد الكريم قاسم، ضخموا من الاتصالات التي جرت بين الضباط القوميين - قبل الحركة - إلى الحد الذي بدا فيه وكأن الضباط الأحرار قد اعدوا تنظيم صفوفهم للقيام بثورة جديدة^(١٠١١). وحاول الشيوعيون والقاسميون من جهتهم تضخيم (مؤامرة الشواف) لتبرير أخطاء وخطايا الشيوعيين وانصارهم في الموصل^(١٠١٢). اما محاضر جلسات محكمة المهداوي المتعلقة بحركة الشواف، فمن الصعوبة

١٠٠٩ - المصدر السابق، ص ٨٢.

١٠١٠ - مير بصري. المصدر السابق، ص ١٨٠.

١٠١١ - انظر مثلا عبد الكريم فرحان. حصاد ثورة (مصدر سابق) ص ١٧ - ٢١ وصبحي عبد الحميد. المرجع السابق. ص ١٧٧ - ١٩٢.

١٠١٢ - انظر مثلا العارف. المصدر السابق. ص ٣٧٩ وعبد الخالق حسين. المصدر السابق، ص ٨٤.

اعتبارها مصدراً دقيقاً لرواية الاحداث، لان المتهمين كانوا تحت الترهيب والترغيب، ولان المحكمة جرت في ظروف بالغة القسوة والتعقيد. حتى انها كانت في محاكمتها لرجال العهد الملكي أكثر مراعاة للعدالة منها وهي تحاكم رجال حركة الشواف^(١٠١٣)، والذين كان في مقدمتهم ضباط أحرار، بل ومؤسس حركة الضباط الأحرار نفسه. ويعلق على ذلك إسماعيل العارف والذي اشرنا أكثر من مرة بأنه كان من ابرز مساعدي عبد الكريم قاسم بالقول:

(كان مؤسفا ان يشاهد المرء تلك المحكمة تقاضي الضباط الذين كانوا في الماضي القريب العمود الفقري لثورة الرابع عشر من تموز وتصدر احكامها عليهم بالاعدام بينما تركت أعمدة النظام الملكي دون قصاص)^(١٠١٤).

لقد اخذ المشهد السياسي في العراق - في شباط ١٩٥٩ - يقترب بسرعة من لحظة الانفجار. فالشيوعيون احكموا قبضتهم على الشارع السياسي، واخذوا يوزعون استفزازاتهم واعتداءاتهم يمنية ويسرة.

وفي ٥ شباط ١٩٥٩، صدر الحكم باعدام عبد السلام عارف، وفي ٧ شباط قدم عدد من الوزراء القوميين والمعارضين استقالاتهم، وهم: ناجي طالب وزير الشؤون الاجتماعية، وصديق شنشل وزير الإرشاد، وفؤاد الركابي وزير الدولة، وعبد الجبار الجومرد وزير الخارجية، ومحمد صالح محمود وزير الصحة، وبابا علي وزير الاشغال والمواصلات. وتضامن معهم الشيخ محمد مهدي كبه عضو مجلس السيادة، والذي امتنع عن الدوام حتى النهاية، رغم رفض استقالته^(١٠١٥).

وعين عبد الكريم محل الوزراء المستقيلين وزراء اغلبهم من الحزب الوطني الديمقراطي (ذي التوجهات اليسارية المعتدلة) أو من المؤيدين له^(١٠١٦). وكان من بين

١٠١٣- العارف. المصدر السابق، ص ٣٦٠-٣٦١.

١٠١٤- المصدر السابق. ص ١٩٣.

١٠١٥- صبحي عبد الحميد. المصدر السابق، ص ١٧٨.

١٠١٦- انظر ليث الزبيدي. المصدر السابق، ص ٤٦٩.

الوزراء الجدد اللواء الطبيب محمد عبد الملك الشواف - شقيق عبد الوهاب الشواف قائد ثورة الموصل - وزيرا للصحة. وقد عين فيما بعد، وتحديدًا في ١٣ تموز ١٩٥٩، ابن عمه القاضي عبد اللطيف الشواف رئيس جمعية التمور العراقية وزيرا للتجارة. وكلاهما عرفا بارائهما السياسية المعتدلة، وظلا وزيرين حتى نهاية عهد عبد الكريم قاسم. وهذه نقطة جديرة بالاهتمام، فنظام صدام اصدر قرارات تقضي بفصل أقرباء المعارضين له، حتى اذا كانوا من المخلصين للنظام، أو كانوا ممن يؤدون واجباتهم الوظيفية على أحسن وجه.

كانت جريدة اتحاد الشعب، لسان حال الحزب الشيوعي، والتي أخذت تصدر علنا منذ ١٥ كانون الثاني ١٩٥٩، تكتب يوميا عن العناصر الحاقدة والموتورة - القديمة والجديدة - ومؤامراتها^(١٠١٧). ثم أخذت تركز - ومنذ أواخر شباط ١٩٥٩ - على الموصل، وتدعو لإحباط مؤامرات الاستعمار هناك، والذي تقوم بها شراذم القوى القومية في الموصل برعاية بعض الموظفين غير الأمناء على مصالح الجماهير هناك، والذين لم تمتد لهم يد الثورة بالاستئصال والتأديب. وان هذا يستلزم من حكومة الثورة وقائدها المقدام تشديد الحزم ضد الخونة و المتآمرين في كل انحاء العراق واعتقال الرؤوس الشريرة - وذلك كله حسب قول الجريدة^(١٠١٨).

ان الموصل مدينة معروفة بانها محافظة جدا (وهذا يعني ان الأفكار الالحادية من أي نوع (سواء شيوعية أو بعثية) كانت عاجزة عن ان تمت جذورها، والأيدلوجية السائدة هي صورة غامضة من الوحدة العربية السنية، والاستثناءات الرئيسية لذلك هي تلك الاحياء المعينه من المدينة والتي تسكنها أغلبية مسيحية أو كردية، تعاطفت تقليديا مع اليسار)^(١٠١٩).

ورغم ان الموصل هي ثاني مدينة في العراق - بعد بغداد - في عدد الضباط في الجيش

١٠١٧- سمير عبد الكريم. اضواء على الحركة الشيوعية في العراق. الجزء الثاني، ص ٨٥.

١٠١٨- المصدر السابق. ص ٦٢ و ٦٣.

١٠١٩- سلوجت. المصدر السابق، ص ١١٣ - ١١٤.

العراقي، فان عدد الضباط الموصلين في تنظيمات الضباط الأحرار كان قليلاً^(١٠٢٠). وربما يجد هذا الامر تفسيره في ثلاثة عوامل:

الأول: ان الموصل كانت هي العاصمة الاقتصادية للعراق، وقد كانت تعيش - نسبياً - في بحبوبة، أكثر من أية مدينة عراقية أخرى وبالتالي فان الضباط الموصلين اقل نقمة على النظام الملكي من زملائهم الآخرين.

الثاني: ان الكثير من رؤساء الوزارات والوزراء وكبار الضباط - في العهد الملكي - كانوا من الموصل.

فكان شباب الموصل المتعلمين، يجدون أبواب الوظائف مفتوحة امامهم، أكثر من أبناء أية مدينة أخرى. فمثلاً كان ربع أو ثلث ضباط الجيش العراقي من الموصل^(١٠٢١).

الثالث: وهو العامل الأشد أهمية في تفسير هذه الظاهرة، فالموصل مدينة عربية وسط محيط يعج بالاقليات وخاصة الأكراد والمسيحيين. الامر الذي خلق لدى الموصلين عصبية محلية عالية الدرجة، تقوم على الخوف الشديد من ان يطرأ أي تغيير على ديموغرافية المدينة وتماسكها ومكانتها. وبعبارة أوضح - ونحن نتحدث عن العهد الملكي - كان أهل الموصل أكثر العراقيين توجساً وحذراً من أي تغيير سياسي يحدث، لانه ببساطة قد يضعف مكانة مدينتهم، أو قد يعرضها لاهتزازات اجتماعية، لا يحتملها التعايش الهش مع المحيط، وهو الامر الذي حصل بعد ١٤ تموز ١٩٥٨. وهو ما يفسر أيضاً ما جرى من عنف عام ١٩٥٩.

لقد قرر الحزب الشيوعي، وفي استعراض اخرق للقوة، ان يعقد مؤتمراً لانصار السلام في الموصل. كان الهدف من ذلك ابراز قوتهم في مواجهة الاشاعات المتزايدة عن

١٠٢٠- فرحان. المصدر السابق، ص ٢٢ وانظر في تفسير هذه النقطة د. عقيل الناصري، المصدر السابق، ص ١٦٣ وانظر في مقابل ذلك رواية حازم العلي عن تنظيم الموصل المستقل عن تنظيم بغداد (حازم العلي. المصدر السابق، ص ١٣-١٧).

١٠٢١- العقيد الركن احمد الزيدي. البناء المعنوي للقوات المسلحة العراقية، بيروت ١٩٩٠. ص ١٥٩.

مؤامرة مضادة لقاسم والشيوعيين في حامية الموصل.

اتصل الشواف بعبد الكريم قاسم، وطلب منه إلغاء عقد هذا الاجتماع، لأن الوضع في مدينة الموصل متأزم، وهو لا يستطيع - باعتباره أمراً لموقع الموصل وقائداً للواء الخامس المعسكر فيها- ضمان عدم حصول اضطرابات. كما أن ناظم الطبقجلي قائد الفرقة الثانية - التي يتبعها اللواء الخامس - ورفعت الحاج سري مدير الاستخبارات وعبد المجيد جليل مدير الأمن العام نصحوا عبد الكريم قاسم بإلغاء الاجتماع، أو عقده في مدينة أخرى غير الموصل. ولكنه لم يسمع النصيحة^(١٠٢٢).

وهكذا اتخذ عبد الكريم قاسم القرار الأكثر حماقة في تاريخ حياته. ولا يستطيع المرء أن يفسر هذا الإصرار منه، بل وكيف ترك الحبل على الغارب للشيوعيين في العام الأول من حكمه، بحيث خلقوا له جيوشاً من الأعداء. كما لا يستطيع أن يفسر لماذا انقلب عليهم فيما بعد كل ذلك الانقلاب، وأصبح لا هم له إلا مطاردتهم ومحاصرتهم، ناسياً أو متناسياً أعداءه القوميين، الذين كانوا يحيكون له المؤامرات ليل نهار. بل واعد معظم الضباط البعثيين والقوميين إلى الخدمة في الجيش، فتآمروا عليه واسقطوا حكمه.

وقبل أن نمضي في تسلسل الأحداث، لا بد من الوقوف عند الشواف والطبقجلي، والذين صورتهم الدعاية الشيوعية- وخاصة الشواف- كرمزين للعمالة والخيانة والانحطاط. يقول عامر عبد الله أحد أهم قادة الحزب الشيوعي:

(عبد الوهاب الشواف مسأله أبسط كثيراً مما صُورت. فهو أيضاً من عائلة، أبوه كان صديقاً لوالدي، وهو ارتبط عبري بالحزب الشيوعي على أثر عودته من فلسطين. كذلك رشحناه نحن لوزارة الداخلية بعد إبعاد عبد السلام عارف عنها. وحين بلغناه ذلك لم يكتف فرحه وسروره. وفجأة جاءني رشيد مطلق ليخبرني أن قاسم قرر تعيين السفير في السعودية أحمد محمد يحيى^(١٠٢٣) لوزارة الداخلية، معتبراً هذا ضرباً من الجنون، بعد أن تم إبلاغ الشواف وهياً نفسه لتولي الحقيبة. وفعلاً

١٠٢٢- فرحان. المصدر السابق. ص ١٨٢.

١٠٢٣- كان من ضباط الجيش اللامعين، ومن أصدقاء عبد الكريم قاسم، ولم يكن من الضباط الأحرار (العارف، المصدر السابق، ص ٣١٥-٣١٦).

جن جنون عبد الوهاب، وهو شخص عاطفي سريع الانفعال وقليل الاتزان. عندها جاءني اخوه جميل قائلًا: (ارجوك ان تأتي وتحدث إليه، فهو سيسافر غداً إلى الموصل). وذهبت فعلاً إلى عنوانه القديم فلم استطع اللقاء به^(١٠٢٤).

ويقال ان الشواف في آخر زيارة له لبغداد - في مطلع آذار ١٩٥٩ قبيل شروعه في حركته - حاول الاجتماع بسكرتير الحزب الشيوعي العراقي سلام عادل، لكن الأخير لم يوافق على اللقاء به.

المفارقة حينما أراد الشواف القيام بمحاولته المعروفة، في ١١ مايس ١٩٥٨، للإطاحة بالنظام الملكي. جاء جمال الحيدري عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي - وذلك حسب رواية زوجة سلام عادل- إلى بيت سلام عادل، وابلغهم ان الثورة ستقوم هذه الليلة، وطلب من زوجة سلام عادل ان تبلغ وجوه الحزب بضرورة المبيت خارج بيوتهم. فسألته: هل أنت متأكد من حصول ذلك هذه الليلة؟ فرد إنشاء الله لان ربنا كثيرون فيها^(١٠٢٥).

وليتصور القارئ لو ان حركة ١١ مايس نجحت، ولو ان الشواف هو الذي اصبح (الزعيم الأوحـد)، لربما رفض أيضاً سلام عادل ان يستقبل عبد الكريم قاسم اذا ما انشق عن (الزعيم الأوحـد) عبد الوهاب الشواف.

اما الطبـقـلي، فكان أيضاً من أصدقاء الحزب الشيوعي، ويروي عامر عبد الله ان سكرتير الحزب الشيوعي سلام عادل وعضو المكتب السياسي للحزب جمال الحيدري، ناما- ليلة ١٤ تموز ١٩٥٨- في بيت الطبـقـلي في الصليخ، على سطح الدار^(١٠٢٦).

١٠٢٤- عامر عبد الله في مقابلة نشرتها مجلة ابواب، العدد ٢، ١٩٩٤، ص٢٠٤(نقلا عن الناصري، عبد الكريم قاسم في يومه الاخير (مصدر سابق). ص١٦٩- ١٧٠).

١٠٢٥- سيرة سلام عادل، الحلقة الثانية، المنشورة في جريدة الزمان (٢٠٠٠/٤/١٨). ويؤكد الرواية ثابت حيب العاني في مقالته المنشورة في الثقافة الجديدة، العدد ٢٦٦ (نقلا عن الناصري، المصدر السابق، ص١٧٠ (الهامش)).

١٠٢٦- عامر عبد الله، مجلة ابواب (مصدر سابق) (نقلا عن الناصري، المصدر السابق، ص١٧٣).

وتروي زوجة سلام عادل، عن لسان ثابت حبيب العاني عضو المكتب السياسي: (كان الطبقي شخضية مآوبة ومآرمة ولس كما يتصور البعض)^(١٠٢٧). ولا قيمة لهذه الشهادة - الاعتراف، لأنها جاءت متأخرة جدا. وما اآملها لوقلت عام ١٩٥٩، ولوقل أيضا: (لقد اآلفنا مع الرجل، ولكنه كان صديقنا، وكان رجلا مآرما).
ان أول من ادآل التسقيط والتآوين والافتراء إلى الثقافة السلساسية^(١٠٢٨) في العراق، أو بعبارة ادق أول من اسآآدمها بشكل منظم، ووضع لها أسسا وآليات، هو آآزب الشلوعى العراقى، والذى لم يوفر آآى أعضاء وأصدقائه الذين اآلفوا معه، ومنهم اآآها البعثيون، ولكنهم كانوا اقل آآقا فيها من الشلوعيين.
آم آاء الاسلاميون، ففاقوا الآممع فيها، لأنهم اضافوا إليها لغة التكفير والتسقيط الدينية، فكل من يآآلف معهم فهو كافر وفاسق فضلا عن كونه عميلا وآائنا. لذلك على المرء - وآاصة الباحث - الا يصدق بكل رواية أو مقولة، وعليه ان يتفآصها بدقة متناهية.

آهب الشواف إلى الموصل، بعد تعيينه امرا للواء الآماس المرابط فيها، وهو آانق كل الآنق على عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف. آم آاء استبعادهم من الترشيح لوزارة الداخلية - بعد اقالة عبد السلام منها - ليزيد الطين بلة. ومع انعقاد مؤآمر السلام فى الموصل، آزم الشواف امره، وقرر الاطاحة بعبد الكريم قاسم.
وقد آاء الشواف إلى بغداد، وقابل عبد الكريم، وآاول اقآاعه بالآاء عقد المؤآمر فى الموصل، نظراً لآطورة الموقف هناك، لكن دون جدوى، فآرج من مقابلته آاضبا يهدد ويشتم كعادته، لعدم استآابة عبد الكريم لرجائه، وقرر اذ آاك تنفيذ الآركة مهما كان الثمن^(١٠٢٩).

١٠٢٧- سيرة سلام عادل، الآلقة الثانية (مصدر سابق) (نقلا عن الناصرى، المصدر السابق، ص١٧٣).

١٠٢٨- الثقافة السلساسية: هى الاعآقادات والآراء والعواطف لدى الافراد آول شكل آآومتهم، والآاقع السلساسى فى بلادهم.

١٠٢٩- العارف، المصدر السابق، ص٢٨٠.

والمثير للسخرية ان عبد الكريم قاسم، وجوابا على مناشدة الشواف بالغاء مؤتمر السلام، قدم له صورة فوتوغرافية لنفسه وقعها بعد ان كتب عليها عبارة إلى اخي النبيل عبد الوهاب الشواف^(١٠٣٠). وهذه ليست المرة الوحيدة التي لا يناقش فيها عبد الكريم قاسم، مع زواره المهمين، القضايا الخطيرة التي قابلوها من اجلها، فيقدم لهم صورته أو يُسمعهم تسجيلات لخطبه أو يشرح لهم انجازاته... الخ. بينما تبقى المسائل الخطيرة دون معالجة أو حتى مناقشة، فتتأزم وتتفجر. وسنشير لهذه النقطة كلما مر موقف مماثل.

كانت جريدة اتحاد الشعب الناطقة باسم الحزب الشيوعي قد أعلنت - في ٢٣ شباط ١٩٥٩ - عن عقد مؤتمر لانصار السلام في الموصل^(١٠٣١). ومع هذا التاريخ، أو ردا على هذا القرار، يبدو ان عددا من الضباط الأحرار العاملين في المنطقة الشمالية، قد جمعوا صفوفهم على عجل، وقرروا التمرد على الحكومة، وانضم إليهم ضباط آخرون، من الموتورين من تهميشهم بعد الثورة، والغاضبين من هيمنة الشيوعيين على الجيش والبلاد، والذين كانت تراودهم فكرة الانقلاب أصلاً.

اما القول بأن الحزب الشيوعي قد بلغ قاسم - في ٢٣ شباط ١٩٥٩ - بوجود مؤامرة^(١٠٣٢)، وان مؤتمر انصار السلام نفسه انما عقد لاحباط المؤامرة^(١٠٣٣)، فهي معلومات نشرها الحزب الشيوعي بعد فشل حركة الشواف. وهي من قبيل وجهات النظر التي يوردها الخصوم لتبرير افعالهم، فمن غير المنطقي مواجهة انقلاب عسكري بمؤتمر جماهيري، مع وجود بدائل اضمن واسهل واسرع، كإحالة الضباط المتآمرين على التقاعد أو اعتقالهم، خاصة وان الشواف نفسه كان في اليوم السابق للمؤتمر في بغداد، وفي مكتب عبد الكريم قاسم ذاته.

١٠٣٠ - اوريل دان، المصدر السابق، ص ٢١٥ (الهامش).

١٠٣١ - بطاطو. المصدر السابق، الجزء الثالث. ص ١٩٠.

١٠٣٢ - المصدر السابق، ص ١٨٦ (استنادا إلى ما اورده جريدة اتحاد الشعب في ١١ آذار ١٩٥٩ أي بعد وقوع الاحداث).

١٠٣٣ - المصدر السابق، ص ١٩٠ - ١٩١.

اتصل الضباط المتآمرون بمؤسس حركة الضباط الأحرار رفعت الحاج سري مدير الاستخبارات العسكرية، وضباط آخرين في بغداد، والذين كانوا بدورهم أكثر حنقا على عبد الكريم قاسم. فأعلنوا تأييدهم بدون تحفظ للحركة^(١٠٣٤). واتصل الضباط كذلك بالجمهورية العربية المتحدة، فبادرت هذه المرة، وبعد ان فقدت الأمل في عبد الكريم قاسم نهائيا، إلى دعمهم بلا حدود^(١٠٣٥). ولا بد من التأكيد هنا بان ما نسب للجمهورية العربية المتحدة، من مؤامرات في السابق، هي من اختراع الشيوعيين، اما هذه المرة وبعد ان جدد الشيوعيون ومعهم محكمة المهداوي حملتهم - بعد ٦ كانون الثاني ١٩٥٩ - ضد عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة، لمنع التقارب بين العراق والقاهرة^(١٠٣٦)، وقد جرى ذلك برضى عبد الكريم أو سكوته، وبعد الهجوم على سفارة الجمهورية العربية المتحدة^(١٠٣٧)، فان الجمهورية العربية المتحدة دعمت المتآمرين بكل قواها^(١٠٣٨).

عقد مؤتمر (انصار السلام) في جومتوتر جدا، وحدثت بين المؤتمرين وسكان الموصل مناوشات واحتكاكات^(١٠٣٩). لكن المواجهات العنيفة لم تبدأ الا في اليوم التالي - بعد انتهاء المؤتمر وعودة الوفود إلى محافظاتهما - حين نشب القتال بين الشيوعيين والقوميين المحليين^(١٠٤٠).

ويبدو ان تلك الاحداث كانت مفتعلة^(١٠٤١) من البعثيين والقوميين والمحافظين^(١٠٤٢) (أي المتدينين وبقايا القوى القديمة وتحديدا هنا الاقطاعيين)، وذلك للتمهيد لحركة

١٠٣٤- انظر دان، المصدر السابق، ص ٢١٢-٢١٣.

١٠٣٥- بطاطو، المصدر السابق، ص ١٨٥.

١٠٣٦- انظر حسين، المصدر السابق، الجزء الخامس، ص ٣١٤ و ٣١٦-٣١٧.

١٠٣٧- العزاوي، المصدر السابق، ص ٢١٧.

١٠٣٨- العلي، المصدر السابق، ص ٥٢.

١٠٣٩- العارف. المصدر السابق، ص ٣٨٠.

١٠٤٠- سلوجت. المصدر السابق، ص ١١٥.

١٠٤١- العلي. المصدر السابق، ص ٦٤.

١٠٤٢- بطاطو، المصدر السابق، ص ١٩٣.

الشواف. ونتيجة لذلك صدرت الأوامر من مقر اللواء الخامس - الذي يقوده الشواف - بتطبيق خطة أمن المدينة، وأعلن منع التجول فيها، وسيطرت قوات اللواء الخامس عليها، واحتلت المناطق الحساسة فيها^(١٠٤٣). أي بكلمات معدودة لقد بدأ تنفيذ الحركة. تتضارب الروايات المتعلقة بالموعد المقرر لإعلان الحركة^(١٠٤٤). لكن الرواية الأقرب إلى المنطق تقول ان الرائد محمود عزيز - ضابط ركن اللواء الخامس - ألح بتعجيل التنفيذ، لأن رئيس أركان الجيش قد استدعاه إلى بغداد، وكان يخشى ان يعتقل، فاقنع الشواف بتنفيذ الحركة يوم ٨ آذار. فقامت الحركة دون تنسيق كامل مع بقية الضباط، بل تفاجأ الجميع بها. ولم يكن الطبقي قائد الفرقة الثانية موافقا على الموعد، وأصر على التأجيل لمدة أخرى^(١٠٤٥).

ارسل الشواف ضباطا إلى تل كوجك الواقعة على الحدود السورية- العراقية، لجلب الأسلحة المتفق عليها مع الجمهورية العربية المتحدة. والاهم من هذا لجلب محطة إذاعة متفق عليها معهم، فوجدوا ان الإذاعة المذكورة لم تصل بعد، بسبب عدم معرفتها - أي حكومة العربية المتحدة - بالموعد بالضبط. فاضطرت إلى نقلها- أي الإذاعة - من دمشق إلى تل كوجك بالطائرة، ومن ثم نقلت بالسيارة إلى الموصل، فوصلت حوالي الساعة الحادية عشرة مساء يوم ٧ آذار، أي عشية الثورة. وبدأ الشخص السوري المكلف بتشغيلها بنصبها، الا انه لم يتمكن من ذلك لعدم إلمامه التام بها. فاستعانوا بمهندس ميكانيكي يعمل في شركة النفط في عين زالة لتثبيتها. وبدأت تذيع على موجة قصيرة فقط وكانت ضعيفة جداً، ويصعب سماعها حتى في المناطق القريبة من الموصل^(١٠٤٦). اما المحطة التي سمعها الناس خارج الموصل، فهي محطة نصبتها حكومة الجمهورية

١٠٤٣- العلي، المصدر السابق، ص٦٤.

١٠٤٤- انظر مثلاً بطاطو، المصدر السابق، ص١٩٢ وقارنها برواية العلي، المصدر السابق، ص٦٠.

١٠٤٥- عبد الحميد، المصدر السابق، ص١٨٣ وانظر ايضاً فرحان، حصاد ثورة(مصدر سابق)، ص٢٥(الهامش).

١٠٤٦- العلي، المصدر السابق، ص٦٧.

العربية المتحدة- عندما اكتشفت ان المحطة التي ارسلت إلى الموصل ضعيفة وغير مسموعة خارج الموصل - في منطقة الغوطة القريبة من مدينة دمشق، واخذت تبث على انها محطة إرسال الموصل، وقامت بإذاعة البيان الذي أصدره الشواف وبعض التعليقات الأخرى ضد عبد الكريم قاسم^(١٠٤٧).

ووصلت مع الإذاعة الأسلحة التي ارسلتها الجمهورية العربية المتحدة إلى جماعة الشواف. وفي الساعة الواحدة من فجر الثامن من آذار، بدأ جماعة الشواف باعتقال عشرات الشيوعيين من مدنيين وعسكريين^(١٠٤٨). وفي الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم اعلن الشواف ثورته من الإذاعة. فقد اذاع الرائد المتقاعد محمود الدرة البيان الأول الموقع من (قائد الثورة العقيد عبد الوهاب الشواف).

تضمن البيان هجوما شديدا على عبد الكريم، فقد جاء فيه: (ان ثورة ١٤ تموز افسدها طاغية مجنون تبني مجموعة فوضوية تحمل افكارا لا يؤيدها الشعب). ودعا البيان (إلى تنحي عبد الكريم قاسم مع المجموعة التي تحيط به من الانتهازيين و الشيوعيين)^(١٠٤٩). لقد ترددت المعسكرات الموجودة في المنطقة الشمالية كافة في تأييد الثورة، وبقي اللواء الخامس في الموصل - الذي يقوده الشواف - وحده معلنا العصيان على بغداد^(١٠٥٠). كان رد فعل عبد الكريم قاسم سريعا، فحاول الاتصال بالشواف عدة مرات، الا ان الشواف لم يوافق على التحدث إليه. وحاول الاتصال بضباط مقر اللواء الواحد تلو الآخر الا انه لم يفلح في ذلك. وعندما اتصل بالنقيب الركن نافع داود، تظاهر الأخير بأنه لا يسمع ما يقوله الزعيم. اما النقيب زكريا طه أمر فضيل مخابرة الفوج فقد رد على طلب عبد الكريم منه بان يتعاون مع بقية الضباط للقضاء على الشواف قائلا: (استقيل انت من

١٠٤٧- المصدر السابق، ص ٧٩ (وقد نقلها عن مذكرات البغدادي).

١٠٤٨- المصدر السابق، ص ٦٧.

١٠٤٩- العارف، المصدر السابق، ص ٣٨١ وانظر نص البيان في (الزبيدي. المصدر السابق، ص ٣٦٦-٣٦٧ (الهامش)).

١٠٥٠- عبد الحميد، المصدر السابق، ص ١٨٥.

الحكم، انا زعيمى الشواف، انت مجنون) (١٠٥١).

وتمارض الطبجل - قائد الفرقة الثانية - الذي ذكر الشواف في بيانه الأول بانه قام بالحركة بالاتفاق معه، ودخل المستشفى، ومن هناك ارسل برقية يشجب فيها تمرد الشواف، ويعلن تأييده لعبد الكريم قاسم (١٠٥٢).

واصدر عبد الكريم قرارا احال بموجبه الشواف على التقاعد فورا، فجرده بذلك من السلطة التي كان يمارسها على لوائه، وعين بدلا منه الزعيم يونس محمد طاهر. واصر بياننا إلى جميع ضباط وجنود اللواء الخامس، والقوات العسكرية الموجودة في الموصل، بإلقاء القبض على الشواف. وصدر بيان من الحاكم العسكري العام يضع جائزة قدرها عشرة آلاف دينار لمن يلقي القبض على الشواف حيا أو ميتا. واصر العقيد طه البامرني قائد المقاومة الشعبية امرا إلى قوات المقاومة الشعبية في الموصل لسحق (الخونة والمتآمرين) (١٠٥٣).

ان طه البامرني هذا، هو قائد الحرس الملكي يوم ١٤ تموز، وقد انضم إلى رجال الثورة بعد ان تيقن ان لا سبيل إلى المقاومة. وفيما بعد عينه عبد الكريم قاسم قائدا للمقاومة الشعبية. واليوم وفي واحدة من المفارقات الكبرى التي حدثت في العراق بعد ١٤ تموز، وتحدث عادة في كل زمان ومكان، لاسيما في كل ثورة وعند كل منعطف تاريخي أو تغيير سياسي، ها هو قائد الحرس الملكي السابق، يحمي الثورة من احد رجالاتها، والذي كاد ان يكون - في ١١ مايس ١٩٥٨ - هو زعيمها ومفجرها (١٠٥٤).

١٠٥١ - العلي، المصدر السابق، ص ٧٥.

١٠٥٢ - انظر العزاوي. المصدر السابق، ص ٢٢٣. وقد ذكر صبحي عبد الحميد بان هذه البرقية قد رتبها بنفسه (عبد الحميد. المصدر السابق، ص ١٨٥) لكن رواية العزاوي تنفي ذلك.

١٠٥٣ - دان. المصدر السابق، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

١٠٥٤ - يستطيع المرء ان يضرب عشرات الامثلة المماثلة، التي حدثت بعد ٩ نيسان ٢٠٠٣، اذ اصبح رجال من النظام السابق وزراء وقادة ومحافظين ومسؤولين كبار في العهد الجديد. في مقابل ذلك استبعد او اضطهد الكثير من المعارضين السابقين المعروفين بنضالهم ضد النظام السابق.

على أي حال، ان حركة الشواف وُلدت ميتة، إذ (كان معظم جنود اللواء الخامس من الأكراد الذين لا يكتثرون للأسباب التي قام الشواف بالثورة من أجلها، وفي ظروف كانت شعبية عبد الكريم قاسم بين الجنود كبيرة جدا)^(١٠٥٥). فكان انقلاب ضباط دون المراتب والجنود والذين لعبوا دورا كبيرا في إخماده، وذلك بعدم اطاعتهم اوامر ضباطهم^(١٠٥٦).

فضلا عن الضباط الشيوعيين، الذين كان عددهم في اللواء الخامس ثمانية عشر ضابطا، كان بين ضباط الصف عدد كبير من المنتمين للحزب الشيوعي، لاسيما في الصنوف الفنية كالمخابرة والطبابة والهندسة والنقلات الآلية^(١٠٥٧). وكان احد ضباط الصف في المخابرة، يبعث عن طريق الأجهزة اللاسلكية إلى مقر وزارة الدفاع، بمعلومات مفصلة ودقيقة، عن تحركات الشواف. وادى اخباره بوجود الشواف في مقر لوائه - يوم ٩ آذار (مارس) - إلى إرسال الطائرات لقصفه في المقر، فجرح الشواف. ثم قتل على يد الجنود، عندما أراد تضميد جراحه، في المستوصف العسكري القريب من مقره^(١٠٥٨).

وتقول رواية أخرى ان الجنود تجمعوا على الشواف - في المستوصف - للفتك به، فسحب مسدسه وانتحر^(١٠٥٩).

الملاحظ في حاشي نوري السعيد وعبد الوهاب الشواف، ان محبيهما يركزون على انتحارهما، بينما يركز اعداؤهما على مقتلتهما. ربما لان الانتحار ينطوي على معنى بطولي، يفيد بان البطل لم يمكن اعداءه من نفسه، وانما هو الذي رسم نهايته بيده. اما بالنسبة للاعداء فان القتل يعني أنهم تمكنوا من عدوهم، وأنزلوا به القصاص الذي يستحق.

١٠٥٥- العارف. المصدر السابق. ص ٣٨١.

١٠٥٦- الناصري. عبد الكريم قاسم في يومه الاخير (مصدر سابق). ص ١٨١.

١٠٥٧- العارف. المصدر السابق. ص ٣٨١.

١٠٥٨- المصدر السابق. ص ٣٨٢.

١٠٥٩- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٨٦.

ما ان قتل الشواف، حتى انهارت الحركة، وراح الجنود يقبضون على ضباطهم أو يقتلونهم. وحتى الذين فروا باتجاه الحدود العراقية - السورية، اعترضهم عمال نفط عين زالة اثناء مرورهم بها وقتلوهم^(١٠٦٠). ولم يتمكن من عبور الحدود سوى محمود عزيز وضابط آخر جريح هو النقيب محمد سعيد شهاب والذي توفي في دمشق وشيع فيها تشييعا مهيبا شارك فيه الرئيس جمال عبد الناصر^(١٠٦١).

وكان الشواف قد طلب من آمر القاعدة الجوية في الموصل العقيد الطيار عبد الله ناجي ارسال أربع طائرات، لقصف الإذاعة في بغداد ومقر عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع. وتردد العقيد ناجي ولم ينفذ الامر الا في اليوم التالي و بعد ان ضغط عليه الشواف^(١٠٦٢). فأرسل طائرتين فقط، إحداهما بقيادة الملازم الطيار فاضل ناصر الذي قام بإلقاء صواريخه في بحيرة الثرثار، بدلا من قصف مقر عبد الكريم قاسم. ولكن الأخير أعدمه فيما بعد مع ناجي واثنين من الطيارين، اللذين منعهما ناجي من الطيران بطائرتيهما ولم يفعلا بالتالي أي شيء يستوجب إعدامهما.

اما الملازم الطيار صائب الصافي والمكلف بقصف مرسلات الإذاعة، فان صواريخه أصابت مرسلات الإذاعة الكردية وعطلتها، بدلا من مرسلات الإذاعة العربية^(١٠٦٣). ولما عاد الصافي من مهمته وهبط على المدرج، ورأى تجمع الجنود على الطائرة الأولى واعتقالهم قائدها فاضل ناصر، عاود الطيران متجها نحو سوريا، الا ان وقود الطائرة نفذ قبل وصوله الحدود، فاضطر إلى النزول قرب احد الخيام. ثم انتحر بطلقة من مسدسه بعد ان حاول أفراد من البدو القبض عليه^(١٠٦٤).

كان الرائد محمود عزيز وقبل هربه إلى سوريا، قد بلغ رفاقه في حركة الشواف بانه

١٠٦٠- العارف. المصدر السابق. ص ٣٨٢.

١٠٦١- العلي. المصدر السابق. ص ٩٩.

١٠٦٢- المصدر السابق. ص ٦٨- ٦٩ و ٨٢.

١٠٦٣- المصدر السابق. ص ٨٢.

١٠٦٤- المصدر السابق. ص ٨٧.

سيقاقل إلى آخر طلقة وآخر جندي، ثم ذهب إلى حيث سجن الشواف الشيوعيين، وقام بقتل كامل قزانجي القياي المعروف في حركة انصار السلام، والمقدم عبد الله الشاوي أمر فوج الهندسة، ولم يتمكن من قتل غيرهما، لان الجنود هجموا على السجن وحرروا المعتقلين فيه^(١٠٦٥).

سحلت الفوغاء جثة الشواف في الموصل^(١٠٦٦). وتدفقت حشود اليزيدين وقبائل البرزاني الكردية والفلاحين الآراميين على مدينة الموصل، لدعم سلطة الحكومة وللقضاء على ما تبقى من مقاومة في المدينة^(١٠٦٧).

لقد استبيحت مدينة الموصل لأسبوع كامل، قتل فيه عدد من الأهالي وسُحلت جثثهم، ثم علقت على أعمدة الكهرباء، ومن ضمنهم جثة الصبية (حفصاء العمري) التي قتل معها بعض أفراد عائلتها^(١٠٦٨).

يقول إسماعيل العارف والذي قلنا مرارا انه من المقربين لعبد الكريم قاسم وبالتالي فلشهادته قيمة استثنائية:

(واستمرت الفوضى في الموصل لمدة أسبوع بعد مقتل الشواف وكانت تحكم من قبل مجموعات برزت على سطح تلك الفوضى تحركها عوامل الحقد والانتقام فتشكلت محكمة ثورية ترأسها عبد الرحمن القصاب عضو اللجنة المحلية للحزب الشيوعي وقائدها الفعلي، وهو قصاب يملك حانوتا صغيرا ويتاجر ببيع الأغنام على نطاق ضيق. وأصدرت هذه المحكمة (القصابية) كما دعيت بعدئذ، احكاما بالاعدام على عدد من المتعاونين مع الشواف من اهل الموصل ونفذ بعض هذه الاحكام فعلا ومباشرة بعد صدور حكمها الكيفي.فساد الرعب سكان المدينة. وزاد في ذلك تشكيل زمر من الطلاب والمقاومة والأكراد الزاحفين، اخذت تجوب الشوارع وتفتش البيوت من دار إلى دار)^(١٠٦٩).

١٠٦٥- المصدر السابق. ص ٨٤.

١٠٦٦- فرحان، المصدر السابق. ص ٢٨.

١٠٦٧- بطاطو. المصدر السابق. ص ١٩٥ والعارف. المصدر السابق. ص ٣٨٢.

١٠٦٨- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٨٦-١٨٧.

١٠٦٩- العارف. المصدر السابق. ص ٣٨٢-٣٨٣.

وكان جمال الحيدري عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي، قد بعث رسالة ذيلها بتوقيع المكتب السياسي، إلى اللجنة المحلية في الموصل، تدعو إلى استثمار الموقف لتصفية الرؤوس المعادية. ومن غير المعروف ما اذا كان جمال الحيدري قد تصرف بمبادرة منه، أو بالاتفاق مع سكرتير الحزب الشيوعي سلام عادل^(١٠٧٠).

وهكذا قتلوا اشخاصا في بيوتهم، وأمام اسرهم، بتهمة حمل السلاح إلى جانب التمرد. اما من يعتقلونه ويأخذونه إلى مركز الشرطة فكان معرضا لأن يعدم باطلاق النار عليه اذا ما صاح صوت واحد: (متأمر). وبمجرد ان يصل إلى علم (الحشود) ان فلانا ثري، كانت الطبول تقرع امام داره التي كانت تفتش بعدئذ أو تهب. واختبأ ضباط الجيش، وحتى من لا يتعاطف منهم مع التمرد، خلف الأبواب نظرا لانتشار فكرة بين الجنود تقول بان كل الضباط (خونة). وانفلتت الأحقاد القومية والدينية والطائفية والتي تغطت بشعارات سياسية زائفة^(١٠٧١).

والأنكى من هذا وبعد ان هدأت الاضطرابات، وفي اليوم الرابع عشر من آذار، اقتاد الشيوعيون ١٧ شخصا، إلى منطقة دملماجه على بعد خمسة كيلومترات أو حوالي ذلك شرق الموصل، حيث اعدموهم هناك^(١٠٧٢).

والغريب، ان عبد الكريم قاسم دعا مهدي حميد قائد المقاومة الشعبية في الموصل وقادة شيوعيين الموصل، أي المجرمين الذين ارتكبوا كل تلك الفظائع، إلى بغداد، وأطرى اخلاصهم، وقدم لهم مسدسات هدية، وقدم منحة للحزب الشيوعي قيمتها ١٥٠٠ دينار، ورفع مهدي حميد إلى رتبة رئيس (نقيب) واسند إليه قيادة المقاومة الشعبية في كل المنطقة الشمالية^(١٠٧٣).

تعددت الروايات حول عدد الضحايا، وبالع ادعاء عبد الكريم والشيوعيين في هذه

١٠٧٠- بهاء الدين نوري. المصدر السابق. ص ٢٧٠-٢٧١.

١٠٧١- راجع بطاطو. المصدر السابق. ص ١٩٧-١٩٨.

١٠٧٢- المصدر السابق. ص ١٩٨-١٩٩.

١٠٧٣- المصدر السابق. ص ١٩٩.

الاعداد، فاوصلتها بعض المصادر إلى ٢٤٢٦ ضحية^(١٠٧٤)، بل وإلى ٥٠٠٠ في مصادر أخرى^(١٠٧٥). إلا ان الرواية الادق جاءت من الضابط والوزير القومي المعروف عبد الكريم فرحان، والذي تولى أعلى منصب عسكري في مدينة الموصل، بعد الاطاحة بعبد الكريم قاسم، حيث يفترض انه اطلع على ملفات احداث الموصل.

يقول فرحان واصفا احداث الموصل عام ١٩٥٩:

(بدأ الشيوعيون بالانتقام من اعدائهم القوميين من مدنيين وعسكريين فقتلوا تسعة وعشرين شخصا سحلوا جثثهم في شوارع المدينة كما اقاموا (محكمة شعبية) حكمت على سبعة عشر شخصا جرى اعدامهم في الدملماجة بالاضافة إلى اعتقال العشرات الذين جرى تسفيرهم مخفوريين إلى بغداد تباعا)^(١٠٧٦).

المفارقة ان عدد الضحايا الشيوعيين، في تلك الاحداث، هو اكبر ثلاثة اضعاف - على الاقل - من عدد ضحايا الجانب الآخر. يقول بطاطو عن عدد الضحايا من الاطراف كافة: (المتفق عليه الآن ان العدد كان في حدود المئات، وليس الالاف. ويعد الشيوعيون حوالي ١١٠ قتلى و ٣٠٠ جريح في الموصل نفسها، و ٣٠ قتيلًا و ٢٠ جريحًا بين اتباع الشواف، اما البقية فمن الجنود و(رجال الشعب). واستطاع القوميون ان يعدو ما لا يقل عن ٤٠ قتيلًا في صفوفهم و صفوف حلفائهم. وجعلوا عدد القتلى كلهم في حدود ٢٠٠)^(١٠٧٧).

دعمت الجمهورية العربية المتحدة، حركة الشواف، لكنها لم تستطع ان تف بتعهداتها بإرسال المغاوير أو تقديم الغطاء الجوي للمتمردين^(١٠٧٨). وكان الزعيم الطبقجلي -

١٠٧٤- الناصري. المصدر السابق. ص ١٨٤ (نقلها عن جريدة الحياة اللبنانية في عددها الصادر يوم ١٤ / ٣ / ١٩٥٩).

١٠٧٥- بطاطو. المصدر السابق. ص ٢٠٠.

١٠٧٦- فرحان. المصدر السابق. ص ٢٦.

١٠٧٧- بطاطو. المصدر السابق. ص ٢٠٠. في الشرق، حيث يميل الناس للمبالغة، على الباحث ان يدقق في الارقام جيدا، حتى وان جاءت بروايات متواترة، خاصة اذا تعلق الامر بصراع او باثبات وجهة نظر معينة او باستعراض انجازات او قدرات.

١٠٧٨- المصدر السابق. ص ١٩٤.

وبعد ان قرر عبد الكريم قاسم اقامة مهرجان انصار السلام في الموصل - قد ارسل
المقدم الركن عزيز احمد شهاب إلى سوريا^(١٠٧٩). واجتمع هناك بعبد الحميد السراج،
الذي ابدى استعدادة لتلبية كل طلبات قادة التمرد، ووعدهم بإرسال جهاز إذاعة وسرب
طائرات إلى الموصل^(١٠٨٠).

لقد وعدت الجمهورية العربية المتحدة بالكثير ولكن لم يصل منها سوى القليل^(١٠٨١).
ربما كان ذلك بسبب تعجل الشواف وقيامه بالحركة قبل استكمال الاستعدادات، أو
ان عبد الحميد السراج افطر في الوعود. ويقال ان السراج حين ابلى عبد الناصر، بان
الطبقجلي ارسل لهم مبعوثا لطلب الدعم، كان رد عبد الناصر بالموافقة على مدهم
بالسلاح وبمحطة إرسال (إذاعة)، ولكنه ابدى تعذر امدادهم بقوات عسكرية^(١٠٨٢).

وقد وقع اعلام الجمهورية العربية المتحدة، وفي حمأة الحماس، في أخطاء كثيرة،
استخدمها عبد الكريم قاسم ومحكمة المهداوي والشيوعيون، كأدلة ضد الكثير من
الضباط^(١٠٨٣).

الا ان الخطيئة الأكبر التي وقع فيها هذا الاعلام، كان الاستفزاز المنظم، والتحدي

١٠٧٩- فرحان. المصدر السابق، ص٢٤ (انظر هامش رقم ٢٤ ايضا).

١٠٨٠- عبد الحميد. المصدر السابق. ص١٧٩.

١٠٨١- الناصري. المصدر السابق. ص١٨٩.

١٠٨٢- مذكرات عبد اللطيف البغدادي. الجزء الثاني. القاهرة ١٩٧٧. ص٨٠.

١٠٨٣- انظر عبد الخالق حسين. المصدر السابق. ص٨٤-٨٥. لا بد من الاشارة إلى ان رواية
اكرم الحوراني- الذي استند عليها المصدر اعلاه- بان السراج (وزير داخلية سوريا ثم رئيس
وزرائها ابان الوحدة) قد صرح له بتعمده بفضح دور رفعت الحاج سري والطبقجلي، وبالتالي
التسبب في اعدامهما.. تحتاج إلى تمحيص وتدقيق، وإلى ان يؤيدها مصدر محايد، سيما وان
الايخطاء صدرت اساسا من الجهاز الاعلامي المركزي للجمهورية العربية المتحدة، الموجه إلى
الجماهير العربية في المشرق والمغرب، ونقصد به اذاعة صوت العرب، التي تبث من القاهرة،
والتي لاتخضع للسراج لا من قريب ولا من بعيد.. ومما يذكر ان الاذاعة الايرانية - بعد الثورة
- وقعت في اخطاء مماثلة، حتى ان هناك من اعتبرها مسؤولة عن اعدام الشهيد محمد باقر
الصدر.. يبدو ان الحماس الثوري يُنسي اصحابه الحذر والحيطة.

المستمر، لعبد الكريم، بأنه لا يستطيع اعدام ضباط ثورة الموصل، ونعته بالجبين ان لم ينفذ حكم الاعدام بهم.. الخ^(١٠٨٤).

ومن المؤكد الان، ان عدداً من الضباط المقربين له، مثل طه الشيخ احمد، وجلال الاوقاتى، وعادل جلال^(١٠٨٥)، وإسماعيل العارف^(١٠٨٦)، قد بذلوا كل ما في وسعهم، لمنع عبد الكريم قاسم، من اعدام الطبقة السري ورفعت الحاج سري حتى ان عادل جلال قبل يديه^(١٠٨٧).

ويروي إسماعيل العارف كيف سمع باعدام رفعت الحاج سري وهو في بيروت قائلاً:
(وبينما كنا نتناول طعام الإفطار لاحظت ان معظم الصحف اللبنانية كانت مكدلة بالسواد وقد تصدرت بعضها صورة المرحوم رفعت الحاج سري الذي كرس جل حياته لتحقيق اعز أمنية له في الحياة وهي تحرير العراق من التبعية الأجنبية وإقامة النظام الجمهوري. لقد كان وقع الكارثة عليّ رهيباً ولم استطع احتمال الالم الذي حل بي، فتركت الطعام واغلقت باب غرفتي عليّ طوال النهار والليل ولم أر الشارع أو أتناول لقمة من الخبز. وانتابتنى هواجس وأفكار متضاربة لما ينبغي ان يكون عليه قراري إزاء هذه الخطوة المفجعة. لقد كان اعدام رفعت الحاج سري ورفاقه خطأ بشعاً اندفع إليه عبد الكريم قاسم في لحظة عدم توازن وثورة غضب).

ويضيف قائلاً:

(لم تهتز صورة عبد الكريم قاسم المتسامحة في ذهني رغم الجانب الخصوصي في الموضوع.. وقد اثبت الرجل قدرته على التسامح غير مرة بعد هذه الازمة كما اثبت تعففه عن الدماء..)^(١٠٨٨).

-
- ١٠٨٤- انظر المصدر السابق. ص ٨٧ وفرحان. المصدر السابق. ص ٦٤ والعارف. المصدر السابق. ص ٢٢٣- ٢٢٤ و ٢٢٦ والناصرى. المصدر السابق. ص ١٨٧.
١٠٨٥- العزاوي. المصدر السابق. ص ٢٢٦- ٢٢٧.
١٠٨٦- العارف. المصدر السابق. ص ٢٢٣- ٢٢٦.
١٠٨٧- العزاوي. المصدر السابق. ص ٢٢٧.
١٠٨٨- العارف. المصدر السابق. ص ٢٢٥- ٢٢٦.

رغم انني لا اتفق مع الصورة التي رسمها له، اعداؤه، كسفاح متعطش للدماء، فالرجل ليس كذلك ابدا، فاني اتحفظ أيضا على الصورة التي يرسمها له محبوه، كمتسامح ورؤوف ومسالم إلى ابعد الحدود^(١٠٨٩).

وسيكون من غير المقبول، انه في كل مرة نتحدث فيها، عن افعال ارتكبها نوري السعيد أو عبد الكريم قاسم، ان يأتي من يذكرنا بجرائم صدام. فمن المخجل ان يقرن رجال محترمون- أيا كان رأينا بهم- بصدام الذي جاء إلى السياسة من أوكار الجريمة و السقوط الأخلاقي.

اين تسامح عبد الكريم قاسم من تسامح عبد الرحمن عارف، الذي لم يوقع طيلة حكمه على اعدام أي شخص؟ وحتى عندما قام عارف عبد الرزاق بانقلابه الفاشل - في ٣٠ حزيران ١٩٦٦- والذي قصف فيه القصر الجمهوري والإذاعة بالطائرات، وكاد عبد الرحمن عارف نفسه ان يُقتل تحت القصف، وهو في طريقة إلى الإذاعة، ليوجه بيانا منها. فان المعتقلين - أي جماعة عارف عبد الرزاق - لم يتعرضوا للتعذيب أو الضرب، بل اطلق سراحهم بعد أربعة أشهر من ذلك، ماخلا قائد الانقلاب عارف عبد الرزاق، الذي اطلق سراحه بعد سنة من اعتقاله. واعتقد ان عبد الرحمن عارف لو كان لديه بعض الدهاء والحزم والخيال السياسي لكان افضل من حكم العراق منذ قرون عديدة. اما عفوه عن (البعثيين) الذين حاولوا اغتياله - في ٧ تشرين الأول ١٩٥٩- فليس فيه الا القليل من المغزى. وليته اعدمهم، وترك رفعت الحاج سري وجماعته. فاعدام بضعة شباب سيكون وقعه أقل تأثيرا في الجيش والمجتمع. بل وسيبرره بانهم اطلقوا الرصاص عليه واستهدفوا حياته.

كما ان دروس التاريخ القريب قد علمتنا ان اعدام صلاح الدين الصباغ وجماعته، كان اشد وقعا وأكثر تفاعلا، من كل جرائم النظام الملكي الأخرى. لقد ارتكب عبد الكريم قاسم - بعد فشل حركة الشواف - خطيئتين. الأولى، تركه

١٠٨٩- انظر مثلا عبد الخالق حسين. المصدر السابق. ص ٨٩- ٩١، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٥٨- ١٥٩ وطالب الحسن. اغتيال الحقيقة (مصدر سابق)، ص ٦٦ وما بعدها.

مدينة الموصل تحت رحمة القتلة والغوغاء لمدة أسبوع. والثانية، اعدام الضباط المشتركين في حركة الشواف.

ولا يعني هذا ان أولئك الضباط كانوا أبرياء، أو انهم كانوا افضل من عبد الكريم قاسم. لكن مصلحة البلاد، وما يقتضيه الحد من تداعيات انقسام الصف الوطني، وتخفيف الاستقطابات الحادة، وطبيعة الظروف التي سبقت الحركة، ولملة جراحات البلد، خاصة وان معظم الضباط كانوا من الموصل، التي لازالت متسربة باحزان تلك الأيام من آزار.

كل هذه الأسباب كانت تستوجب عدم تنفيذ حكم الاعدام بالمتهمين، والذين صرح معظمهم بحبهم واحترامهم لعبد الكريم قاسم خلال سير المحاكمات^(١٠٩٠). والاهم من هذا، ان من العار ان يُعدم مؤسس حركة الضباط الأحرار وثلة منهم. ويسجل لجمال عبد الناصر - في هذا الشأن - انه لم ينفذ حكم الاعدام بأي عضو من أعضاء مجلس قيادة الثورة أو حركة الضباط الأحرار المصرية وحتى العضو الوحيد الذي حكم عليه بالاعدام غيايبا - عبد المنعم عبد الرؤوف - اصدر عليه الحكم بعد أن تركه يهرب من السجن اثناء المحاكمة.

لقد فعل عبد الكريم قاسم بالضبط ما فعله الأمير عبد الإله من قبل. فالأخير وقع على اعدامه حين وقع على اعدام العقداء الأربعة. وعبد الكريم وقع على اعدامه حين وقع على اعدام رفعت والطبقجلي. وفيما بعد وبعد ان دارت الأيام دورتها، طلب - يوم ٩ شباط ١٩٦٣ - من طاهر يحيى، ان يسمحوا له بمغادرة العراق، فقبل له بشرط ان تأتينا بالطبقجلي ورفعت.

اما القول بأن الزعيم توسل إلى أولئك الضباط، ان يعترفوا بدور الجمهورية العربية المتحدة، ولكنهم اصروا على موقفهم^(١٠٩١). فانه ينطوي على الكثير من التعسف، وكأن المطلوب من الضحايا ان ينتحروا معنويا ليتم اطلاق سراحهم. ان التسامح والعفو له

١٠٩٠ - العارف. المصدر السابق. ص ٢٢٣.

١٠٩١ - عبد الخالق حسين، المصدر السابق، ص ٨٨ و ٩١ و ١٢٧.

معنى واحد وهو ان تصفح عن جرائم الآخرين دون ثمن تطلبه منهم. ثم هل ان عبد الكريم طلب من الذين قاموا باغتياله فيما بعد، ان يعترفوا، أو ان يعتذروا قبل ان يعفو عنهم؟

واعتقد ان عبد الكريم قاسم لو عفا عن أولئك الضباط، لبدا عظيمًا امامهم، ولبدوا صغارًا امامه. ولبدت وجهة نظره في الوحدة - خاصة بعد الانفصال - وكأنها الادق، ولظهر الآخرون مجرد مغامرين أو طلاب سلطة.

الغريب في الامر انه اعدم رفعت الحاج سري وناظم الطبقجلي، بعد ستة أشهر من حركة الشواف، في الوقت الذي يفترض فيه ان النفوس قد هدأت، والانفعالات قد خفت، وبعد شهرين من خطابه الشهير في كنيسة مار يوسف ببغداد - في ١٩ تموز ١٩٥٩ - والذي استنكر فيه بشدة جرائم كركوك^(١٠٩٢).

وعلى ذكر هذا الخطاب، فان عبد الكريم قاسم، وبعد ان ضرب التيارين اللذين يسيطران، وبنسب متفاوتة، على الشارع السياسي في العراق، اصبح من الان فصاعدا وحيدا مجردا من دعم اية قوة سياسية منظمة على الأرض.

وعند الحديث عن حركة الشواف، لا تكتمل الصورة الا بالحديث عن الحملة التي شنّها عبد الكريم قاسم ومعه الشيوعيون ضد الضباط القوميين. مع التأكيد على ان اطلاق كلمة شيوعي أو قومي في حالات كثيرة - في تلك الأيام - كان يتعلق بالموقف من حكم عبد الكريم، أكثر مما يتعلق بقناعات ايدلوجية أو انتماءات سياسية.

لقد تم اعتقال الكثير من الضباط القوميين. ثم تلا ذلك اصدار ثلاث قوائم بإحالة الكثيرين منهم على التقاعد، والذين بلغ عددهم حوالي ثلاثمائة وخمسين ضابطاً^(١٠٩٣). واغلبهم من الضباط الأحرار وخاصة ما عرف باللجنة الوسطية^(١٠٩٤).

وتعرض الضباط القوميين، والسجناء الآخرين، إلى تعذيب وحشي على يد الضباط

١٠٩٢ - انظر حول هذه النقطة فرحان. المصدر السابق. ص ٤٥ - ٤٦.

١٠٩٣ - المصدر السابق. ص ٢٦.

١٠٩٤ - انظر مثلاً عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٨٧.

الشيوعيين، والذين كانوا في غاية الفظاظة والقسوة مع المعتقلين. إذ منعوهم - مثلاً - من الخروج إلى الحمامات ليلاً، مما اضطر أحد الضباط المعتقلين إلى التبرز في داخل الغرفة، مستخدماً أحد قدور الطعام الفارغة، والتي سبق أن حمل به أهله الطعام إليه^(١٠٩٥).

وعند نقل السجناء من سجن إلى آخر، امتنع من وضع القيد في معصمه، عبد الغني الراوي، الذي ارتبط اسمه بوحدة من أشهر المحاولات للثورة على النظام الملكي، فانهال عليه أحد الضباط السجانيين ضرباً مع سيل من الشتائم. فأذعن الرجل وأمره إلى الله^(١٠٩٦).

ولما طلب عبد الكريم فرحان - أحد أعضاء اللجنة العليا للضباط الأحرار- طبيباً ليعالج ضابطاً آخر كانوا قد كسروا قدمه خلال التعذيب، وكان يتأوه من شدة الآلام، أخرجوه - أي أخرجوا عبد الكريم فرحان - وانهالوا عليه ضرباً ورفساً، حتى سقط على الأرض^(١٠٩٧).

إن هذا العنف والإذلال الذي عاني منه الضباط القوميون، يفسر - كما قلنا - إلى حد بعيد ما جرى بعد ٨ شباط من عنف وقسوة. وقبل هذا يفسر انقلاب معظم ضباط الجيش العراقي، على عبد الكريم قاسم، من الآن فصاعداً.

ولن يستطيع - بعد الآن - أن يكسب الضباط المعتقلين، رغم محاولاته المتعددة في هذا الشأن، إذ أطلق سراحهم على دفعات، والتقاهم في مقره بوزارة الدفاع وحدثهم عن انجازاته ومشاريعه^(١٠٩٨)، وقال لهم إنه لم يكن يعلم شيئاً عن حفلات التعذيب والممارسات اللاإنسانية، التي كانت تجري في المعتقلات، وأنه سيعاقب مرتكبي هذه الأفعال^(١٠٩٩).

١٠٩٥- فرحان، المصدر السابق. ص ٣٠.

١٠٩٦- المصدر السابق. ص ٣٢.

١٠٩٧- المصدر نفسه.

١٠٩٨- فرحان. المصدر السابق. ص ٣٦-٣٨.

١٠٩٩- عبد الحميد، المصدر السابق. ١٩٠.

والواقع انه كان يملك فرصة حقيقة، لاستدراك الامر، لولا اقدمه على اعدام رفعت وجماعته. ويشير عبد الكريم فرحان إلى ذلك قائلاً:

(كان الموقف السياسي في ذلك الوقت ملائماً لعبد الكريم قاسم، وكان بإمكان ان يستغله في تقوية مركزه بين القوى القومية^(١١٠٠). التي شعرت بأنه يريد العودة إلى خط الثورة الصحيح، وكانت على استعداد لاسناده، الا انه كان ضيق الافق، قليل التبصر..).

ويضيف:

(تصور عبد الكريم قاسم انه استطاع القضاء على الحركة القومية بعد حركة الشواف، ها هو الآن يقلم اظافر الشيوعيين، فهو زعيم العراق بغير منازع، وهو الأوحد، فاعتبر بنفسه، واخذ يرتكب الحماقات واحدة بعد الأخرى، تشجعه بطاقة فاسدة^(١١٠١)، وطبقة انتهازية التفت حوله.. حرصته على تقديم وجبة جديدة من الضباط إلى محكمة التهريج (محكمة المهداوي) في شهر آب ١٩٥٩. فحكم المهداوي عليهم بالاعدام)^(١١٠٢).

وفيما بعد، جرى يوماً حديث بين عبد الكريم قاسم و إسماعيل العارف، ذكر فيه الأخير عرضاً قصة زيارته ورفعت الحاج سري لعبد الكريم في صيف سنة ١٩٥٤. فنار عبد الكريم منتقدا رفعت وجماعته ليبرر قرار اعدامهم، فترك العارف الغرفة غاضباً، ولكنه عاد بعد لحظات، فوجده وقد سالت دموعه^(١١٠٣). يقول الباحثي:

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

١١٠٠- ان على المرء الا يأخذ هذه التسميات بحرفيتها، فالمقصود بالقوى القومية هنا الضباط غير الشيوعيين.

١١٠١- ان وصف المحيطين بعبد الكريم قاسم بالطبقة الفاسدة، هو من باب الشتيمة، والا فانه لم يسجل عليهم أي فساد مالي او اداري.

١١٠٢- عبد الحميد. المصدر السابق. ص ١٩٠-١٩١.

١١٠٣- العارف، المصدر السابق. ص ٣٥٤-٣٥٥.

أحداث كركوك:

بالرغم من ان الحزب الشيوعي تغلغل في السنوات الأخيرة من أربعينات القرن العشرين في كل المدن والطوائف، فإنه لم يتمكن من التغلغل داخل التركمان. يقول قائد الحزب الشيوعي العراقي - عام ١٩٤٩ - بهاء الدين نوري:

(ظلت الجماهير التركمانية ارضا حراما ومغلقا امام نشاطنا الحزبي)^(١١٠٤).

ويروي نوري نفسه، انه كان متخفيا في كركوك، واكتشف رجال الأمن أمره بالصدفة، فطاردوه وهم يصرخون: الزمه شيوعي! الزمه صهيوني! فهب العشرات من رواد المقاهي الشعبية التركمان، ليعاونوا الشرطة، ويقبضوا عليه^(١١٠٥). الامر الذي لم يكن يحدث - في تلك الأيام - في اية مدينة اخرى، حيث جرت العادة أن يقوم الناس بإخفاء الهارب من السلطة، بدلا من تسليمه لها.

وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، أصبح للأكراد عدد من المناصب الحساسة في كركوك. وهو ما اشعر التركمان بخسارة مكانتهم المتميزة في المدينة^(١١٠٦). الامر الذي يحصل للمرة الأولى، فتصاعدت الحساسيات القومية بينهم وبين الأكراد في المدينة.

ووقع غداة الاحتفال بالذكرى الأولى للثورة - عام ١٩٥٩ - صدام دموي بين الشيوعيين واغلبهم من الأكراد، وبين التركمان. وادى الصدام - الذي كان من غير الواضح تماما من الذي بدأه - إلى سقوط ما يتراوح بين ٢١ و٧٩ قتيلا، معظمهم من التركمان^(١١٠٧).

يلقى الكاتبان سلوجت على ما جرى في كركوك بالقول:

(كثير من القتال الذي دار في كركوك، والذي ربما كان أكثر من معارك الموصل، كان متصلا بطريقة ثانوية بالسياسات الحزبية، ولكن كان أعمق جذرا وارسخ عداوة بين السكان التركمان الأصليين في المدينة، والأكراد الوافدين حديثا، وكان للحزب

١١٠٤ - نوري. المصدر السابق. ص ١٠٥.

١١٠٥ - المصدر السابق. ص ٩٩.

١١٠٦ - سلوجت. المصدر السابق. ص ١١٩.

١١٠٧ - خدوري. العراق الجمهوري (مصدر سابق). ص ١٢٤-١٢٥، وبطاوط. المصدر السابق. ص ٢٢٩.

الشيوعي تأييد ملموس بين الأكراد، بينما التركمان الذين هم أحسن حالا بصورة عامة، وأكثر تحفظا من الناحية السياسية، كانوا متحدين بحكم التضامن العرقي أكثر من حكم الزمالة الحزبية^(١١٠٨).

وانتهز عبد الكريم قاسم الأحداث، فقد اتاحت له الفرصة التي كان يحتاجها ليبعد نفسه عن الشيوعيين، وينهي ارتباطه بهم. وانحى تلفزيون بغداد باللائمة على الشيوعيين مباشرة، باثاً صوراً مريعة للضحايا ترمي إلى فضح الشيوعيين^(١١٠٩).

وخطب عبد الكريم في كنيسة مار يوسف في ١٩ تموز فقال:
(أما ما حدث أخيراً في كركوك فأني أشجبه شجبا تاما، وباستطاعتنا أيها الاخوان ان نسحق كل من يتصدى لابناء شعبنا باعمال فوضوية نتيجة للحزازات والاحقاد والتعصب الأعمى)^(١١١٠).

وفي حديث له مع وفد نقابي قال:
(ان حوادث كركوك لطخة سوداء في تاريخنا ولطخة سوداء في تاريخ ثورتنا... لقد ذهب ضحية هذه الحوادث ٧٩ قتيلا يضاف إليهم ٤٦ شخصا دفن بعضهم وهم احياء وقد امكن انقاذ ٣ اشخاص منهم فقط)^(١١١١).

وطالب - متذرعاً باحداث كركوك - بتجميد الاحزاب، فجمد الحزب الوطني الديمقراطي نشاطه، ورفض الشيوعيون ذلك، فكانوا هدفا لضربات السلطة^(١١١٢). وبدأت موجة من الاعتقالات في صفوف الحزب الشيوعي. ووضعت قيود جديدة على أنشطة المقاومة الشعبية والاتحاد العام للجمعيات الفلاحية الخاضع لسيطرة الشيوعيين.

١١٠٨- سلوجت، المصدر السابق، ص ١١٩.

١١٠٩- المصدر السابق ص ١١٩.

١١١٠- ليث الزبيدي. المصدر السابق. ص ٤٠٩ (الهامش) (نقلها عن كتاب خطب الزعيم. الجزء الثاني. بغداد ١٩٥٩. ص ٤٢-٤٧).

١١١١- المصدر السابق، ص ٤٠٩ (الهامش) (نقلها عن صحيفة الحزب الشيوعي اتحاد الشعب، العدد ١٦٣ في ٥ آب ١٩٥٩).

١١١٢- عبد الخالق حسين، المصدر السابق. ص ١٢٩.

الا ان الخسائر الأشد التي لحقت بالحزب الشيوعي، كانت من نصيب نفوذه داخل القوات المسلحة، حيث جرى طيلة الفترة الباقية من حكم قاسم، فصل أو اعتقال الضباط المشتبه في كونهم شيوعيين، أو مؤيدين للشيوعيين. أو تعيينهم ضباطا للتجنيد في المناطق البعيدة، حيث لا يكون هناك جنود أو أسلحة تحت أيديهم^(١١١٣).

من جانبه، وكما اشرنا إلى ذلك سابقا، نشر الحزب الشيوعي تقريرا، ينتقد فيه نفسه بعمق، ويحلل أخطاءه التي ارتكبها طوال السنة الماضية. ووصف التقرير بأنه يثير الإعجاب بطرق كثيرة، نظرا لصراحته، الا ان توقيته لم يكن مناسباً، ويبدو انه سبب اضطراباً شديداً في عقول الكثير من أعضاء الحزب ومؤيديه^(١١١٤).

هناك إشارات ظهرت فيما بعد، إلى دور محتمل لحزب البعث، في التحريض على الصدام بين الشيوعيين والأهالي، وتحديدًا لعلي رضا، الشخص الذي لعب دورا كبيرا في أعمال القتل والتعذيب، عام ١٩٦٣، وبعد انقلاب ١٩٦٨^(١١١٥). وقد قال عبد الكريم قاسم عن ذلك فيما بعد:

(اتعلمون من كان وراء حوادث كركوك؟ لقد ثبت لدينا وجود خمس جماعات. خمسة اوكار كانت تعمل في كركوك مرسلّة من حزب البعث)^(١١١٦).

أيّاً كان الامر، فقد مضى عبد الكريم قاسم في الطريق الذي رسمه لنفسه. وحتى بعد محاولة اغتياله - في ٧ تشرين الأول ١٩٥٩ - فانه لم يغير طريقه. (فقد جعله التأييد الضخم الذي لا يزال قادرا على تجميعه بصفته تجسيدا لثورة يوليو - تموز يقلل من تقدير القابلية الحقيقية للعدوان على مركزه، وربما كان كذلك يبالغ في تقدير قدرته على العمل كحاكم بين القوى السياسية المعارضة، وفي سبيل تلك الغاية استمر يسلك

١١١٣- سلوجت، المصدر السابق، ص ١١٩- ١٢٠.

١١١٤- المصدر السابق نفسه.

١١١٥- المؤلف، المصدر السابق، ص ٧١.

١١١٦- محاضر جلسات المحكمة العسكرية العليا الخاصة. الجزء العشرون. اول صفحة بعد الغلاف (وهي صفحة غير مرقمه).

سياسة مصالحة نحو القوميين، وإعادة الكثير منهم إلى القوات المسلحة والخدمة المدنية، بينما يقوم تلقائياً بتمزيق الحزب الشيوعي إلى أدنى حجم، ولسوء الحظ فقد جاء ذلك متأخراً جداً بالنسبة له ليكسب تعاطف القوميين، فقد سُفك الكثير من الدماء، وذهب الاستقطاب السياسي بعيداً، مما نتج عنه أن محاولات التصالح مع القوى المعتدلة عن طريق تشديد النكير على الشيوعيين خدمت فقط في اضعاف مصدر تأييده المأمون الوحيد^(١١١٧).

كان انهيار النفوذ الشيوعي سريعاً جداً، سواء على مستوى الشارع، أو داخل أجهزة الدولة، بعد خريف ١٩٥٩، رغم أنه استغرق بعض الوقت لكي يصبح واضحاً^(١١١٨).

محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم:

ربما سمع أغلب العراقيين، داخل بغداد وخارجها، لأول مرة باسم البعث، من مظاهرات الشيوعيين المعادية للبعث، ومن محكمة المهداوي.

فقد قدم الشيوعيون - كما اشرنا سابقاً - خدمة لا تقدر بثمن للبعثيين في صراعهم معهم، وذلك عن طريق شعارات وهتافات، لم تكن في صالح الشيوعيين ولا في صالح الثورة، بل أنتجت دعاية واسعة وبالمجان لتعريف الشعب العراقي بحزب البعث، الذي لم يسمع به قبل الثورة إلا نزر قليل^(١١١٩).

وبسبب هذه الدعاية، واتهام الشيوعيين لكل من يختلف معهم أو لا يؤيدهم بأنه بعثي، وجد المتضررون من نظام عبد الكريم قاسم، ومن الشيوعيين، في حزب البعث العنوان العريض الذي يجمعهم، دون أن يعني شعار الوحدة العربية - شعار البعث الأول - لاغلبهم سوى لافتة يحاربون بها نظام عبد الكريم قاسم. لذلك لم يكن غريباً فيما بعد، أن يحتفل أغلب اللاجئيين السياسيين، من البعثيين العراقيين في القاهرة، بانفصال سوريا عن

١١١٧- سلوجت. المصدر السابق. ص ١٢٢.

١١١٨- المصدر السابق. ص ١٢٠.

١١١٩- عبد الخالق حسين. المصدر السابق. ص ١٢٤.

الجمهورية العربية المتحدة، شأنهم شأن الشيوعيين في العراق، بل وقام البعض منهم بتوزيع الحلويات والشربات ابتهاجا وشماتة^(١١٢٠).

وكمثال ذي دلالة خطيرة، ويفسر الكثير من الظواهر السياسية في العراق، ان الشخص الذي قدر للبعث فيما بعد ان يرتبط باسمه لأكثر من ثلاثة عقود، جاء إلى حزب البعث في الظروف التي اشرنا اليها للتو. واقصد به صدام.

ينتمي صدام اجتماعيا لطبقة البروليتاريا الرثة^(١١٢١) اذا صح استخدام هذا المصطلح في بلد زراعي متخلف. وفي الحقيقة فإن عائلته الريفية المدفوعة في الفقر امتهنت - شأنها شأن عوائل ريفية كثيرة - السرقة من القرى الاخرى.

ولما دخل حزب البعث إلى مدينة تكريت، عن طريق عطا محيي الدين، الشاب البغدادي الذي جاء إلى تكريت - عام ١٩٥٦ - مرافقا لشقيقته المدرسة في متوسطة البنات^(١١٢٢). واصبح خامس حلقة أصدقاء تضم صدام وإبراهيم الزبيدي. فإنه كسب الأخير إلى حزب البعث، ولم يكسب صدام، الذي ظل حتى عام ١٩٥٩ - حين اتهم بجريمة قتل - لا يعرف ما هو البعث، ولا يريد ان يدخل في أي حديث في السياسة^(١١٢٣). والطريف انه ذات مرة، عبر كل واحد من حلقة الأصدقاء هذه عن أمنيته، فاحدهم تمنى ان يكون شاعرا وآخر ضابطا. اما صدام فكانت أمنيته ان يمتلك سيارة جيب وبندقية

١١٢٠- الحبوبي. اشخاص كما عرفتهم (مصدر سابق). ص ٦٠-٦١.

١١٢١- يصف ماركس هذه الطبقة بالقول: (ان هذه الفئة التي تقدم للصوص والمجرمين من كل نوع تتألف من عناصر تعيش من فئات مائدة المجتمع، من اناس ليست لديهم مهنة معينة). ويستخدم الكاتب ابراهيم محمود تسمية (العائمين على السطح) او (السفليين) مقابل حثالة البروليتاريا او البروليتاريا الرثة التي يعترض على استخدامها في العالم الثالث (مجلة النهج العدد ٣٢ / ١٩٩٠ ص ٩٠ وما بعدها) مع الاشارة إلى ان ماركس يعتبرهم من نقابات المجتمع القديم ما قبل الرأسمالي، في عالم آخذ بالتصنيع (ذبيان. قاموس المصطلحات (مصدر سابق) ص ٩٠).

١١٢٢- ابراهيم الزبيدي، المصدر السابق. ص ٢٩.

١١٢٣- المصدر السابق. ص ٦٥.

صيد وناظورا، وحينما سأله أصدقاؤه عن السر وراء هذه الأمنية، رد عليهم بأنه بذلك يصبح وجيها بالمجتمع^(١١٢٤).

وبسبب خلاف شخصي بين خير الله طلفاح - خال صدام - وبين احد اقربائه، وهو سعدون الناصري، ارسل طلفاح ابن اخته ليقنتله، فقام صدام - يوم ١٤ تشرين الأول ١٩٥٨^(١١٢٥) - بطعنه بالخنجر طعنة قاتلة^(١١٢٦).

ونطق سعدون باسم قاتله قبل ان يلفظ أنفاسه الأخيرة^(١١٢٧). الا ان المحكمة برأت صدام، الذي هتف عند سماعه البراءة: (ظهر الحق وزهق الباطل)^(١١٢٨).

عندما كان صدام في السجن - حيث كان يوضع وقتها سجناء الجرائم الجنائية والسجناء السياسيون، في سجن واحد قبل المحاكمة - جمعه السجن مع سجناء بعثيين، كان منهم صديقه السابق عطا محيي الدين، والذي كسبه لحزب البعث هذه المرة^(١١٢٩). لان العنف السياسي احتاج للقتلة والمجرمين، ليقاثل بهم حزب البعث الشيوعيين، الذين جمّعوا أيضا امثالهم^(١١٣٠).

ويعلق إبراهيم الزبيدي، صديقه، والشاهد الوحيد الذي رأه في تكريت قبيل تنفيذ جريمته^(١١٣١)، على ضم صدام لحزب البعث قائلًا: (جعلت (الجريمة) حزب البعث يستدل على مقاتل ينفع في مواجهة اعداء الحزب، فسعى إلى ضمه إليه)^(١١٣٢).

١١٢٤- المصدر السابق. ص ٢٨.

١١٢٥- المصدر السابق. ص ٦٦.

١١٢٦- طالب الحسن. حكومة القرية. بيروت ٢٠٠٢. ص ٤٤٣.

١١٢٧- ابراهيم الزبيدي. المصدر السابق. ص ٦٤.

١١٢٨- المصدر السابق. ص ٦٥ و ٦٣- ٦٧ وانظر ايضا تفاصيل اخرى عن الجريمة في محاضر

جلسات المحكمة العسكرية العليا الخاصة، الجزء الخامس، ص ٤٠٧- ٤١٠.

١١٢٩- هاني الفكيكي. المصدر السابق. ص ١٤٢.

١١٣٠- المؤلف، المصدر السابق. ص ١٠٤ و ١٠٩.

١١٣١- ابراهيم الزبيدي. المصدر السابق. ص ٦٤.

١١٣٢- المصدر السابق. ص ٦٦.

بعد بضعة أشهر، من انضمامه لحزب البعث، قرر البعث اغتيال عبد الكريم قاسم، فكان صدام احد الذين اختارهم الحزب، ليقوم بهذه المهمة.

وضع حزب البعث نقاط مراقبة، لتتبع حركات عبد الكريم، على الطريق المؤدية إلى وزارة الدفاع، لتحديد الوقت الذي يترك به الوزارة، والطريق الذي يسلكه. ونقل المعلومات إلى المجموعة المكلفة بالتنفيذ في الوقت المناسب. وكانت المجموعة تختفي في عيادة طبيب أسنان في رأس القرية بشارع الرشيد^(١١٣٣).

كانت خطة التنفيذ كما يأتي: عندما يستلم فريق التنفيذ إشارة سير سيارة عبد الكريم قاسم في شارع الرشيد، ينزلون بأسلحتهم إلى الشارع. ويقوم (سليم عيسى الزئبق) بتحريك سيارته لاعتراض سيارة عبد الكريم. وفي الوقت نفسه يهاجمه فريق التنفيذ بالرشاشات ثم بالقنابل اليدوية. وكان الفريق قد تدرب على ذلك عدة مرات لمدة شهرين^(١١٣٤). وزيادة في ضمان نجاح العملية، كُلف اثنان من المنفذين، باطلاق الرصاص على رأسه، للتأكد من موته بصورة نهائية^(١١٣٥).

في الساعة السادسة والنصف مساء - من يوم الأربعاء ٧ تشرين الأول ١٩٥٩ - بدأ تنفيذ العملية. ولكنها لم تتم وفق الخطة الموضوعة.

فسليم عيسى الزئبق المكلف باعتراض سيارة عبد الكريم بسيارته، اقفل باب سيارته، ونسي المفاتيح في داخلها، وبالتالي فهو لم يعترض بسيارته سيارة قاسم كما كان مقررا^(١١٣٦). ووجه المهاجمون أسلحتهم بعضهم نحو البعض الآخر دون ان يشعروا- حسب رواية قائد العملية^(١١٣٧). فقتلوا زميلهم عبد الوهاب الغريري، وجرحوا اثنين من زملائهم هما صدام وسمير النجم. ولم يُطلق النار على رأس الزعيم من قبل اثنين من

١١٣٣- العارف. المصدر السابق. ص ٢٨٧.

١١٣٤- خالد علي الصالح. على طريق النوايا الطيبة، تجربتي في حزب البعث. لندن ٢٠٠٠. ص ١٢٠.

١١٣٥- فؤاد الركابي. الحل الاوحد. القاهرة ١٩٦٣. ص ٨٣.

١١٣٦- خالد علي الصالح. المصدر السابق. ص ١٢٤.

١١٣٧- المصدر السابق. ص ١٢٥.

المنفذين - كما كان مقررا. ولم تلق اية قنبلة يدوية داخل سيارته، والقنبلة الوحيدة التي رُميت على السيارة، سقطت في الشارع ولم تنفجر^(١١٣٨).

اما عبد الكريم قاسم، فقد سقط سائقة قتيلًا، وجرح مرافقه الرئيس قاسم الجنابي، وسقط هو جريحًا في حوض السيارة الخلفي. ومرت سيارة أجرة مصادفة فتوقف سائقها ونقله مع الجرحى إلى مستشفى السلام^(١١٣٩). ويقال ان عبد الكريم قاسم هو الذي طلب نقله إلى مستشفى السلام، وليس إلى مستشفى الرشيد العسكري، خوفا من تأمر العسكريين^(١١٤٠).

استطلق خالد علي الصالح احد المشرفين على العملية - عند عودته للوكر الحزبي - مجموعة التنفيذ، فقال له صدام : لقد مات قاسم فأنا قد صويت إليه رشاشتي بشكل مباشر، حيث اقتربت من السيارة، وأدخلت الرشاشة إلى السيارة وصوبتها نحو جسده. ولم يكن صدام قد سمع بعد بان عبد الكريم قاسم سيوجه كلمة إلى الشعب، فواجهه خالد علي صالح بذلك قائلا له: أين ذهب الرصاص الذي أطلقتته، ان عبد الكريم لم يصب بجرح، وسوف تستمع لصوته بعد قليل من الإذاعة، واذا كنت وصلت إلى السيارة، فلماذا لم ترم احدى القنابل التي عدت بها معك، داخل السيارة، كما كان مقررا. فسكت ولم يجب بشيء^(١١٤١).

كانت عملية اغتيال هزيلة، فقد كمن ستة شباب مسلحين برشاشات وقنابل يدوية، يعاونهم آخرون، لاغتيال رجل واحد، ليست لدية قوة حماية، ولم يكن يحيط نفسه بأية

١١٣٨- المصدر السابق نفسه. وروى عقيل الناصري بان عبد الكريم قاسم هو الذي رمى الغريبي وقتله عندما كان يحاول رمي قنبلة داخل السيارة ولكن الناصري لم يذكر مصدر روايته هذه ولذلك فليس امام الباحث سوى تركها جانبا (انظر الناصري. المصدر السابق. ص١٩٩).

١١٣٩- العارف. المصدر السابق. ص٣٨٧-٣٨٨.

١١٤٠- الناصري. المصدر السابق. ص١٩٩ ولا بد من الاشارة إلى ان روايات الناصري تحتاج إلى تدقيق لانها استنتاجات او توقعات وليست معلومات تستند إلى مصدر معين.

١١٤١- خالد علي الصالح. المصدر السابق. ص٣١٢.

إجراءات أمنية. وبدلاً من أن يقتلوه، وبسبب ذعرهم وارتباكهم، وجهوا أسلحتهم بعضهم نحو البعض الآخر، كما قال أحد قادة العملية.

المفارقة، إذ يعفو عبد الكريم قاسم عنهم، ويطلق سراحهم بعد أقل من عامين، فإن (صدام قاد رجال المحاولة إلى الموت واحداً بعد الآخر)^(١١٤٢) بعد عشر سنوات من ذلك. وكان على رأس هؤلاء الذين قادهم صدام إلى الموت، فؤاد الركابي، قائد حزب البعث في العراق (١٩٥١ - ١٩٦٠)، بل مؤسسه الحقيقي في العراق، وقائد عملية الاغتيال ومخططها. فقد ذبحوه بالسكاكين في معتقل بعقوبة عام ١٩٧١^(١١٤٣).

ولنذهب الآن إلى عبد الكريم قاسم الراقد في المستشفى، فقد أصيب بعدة إصابات في كتفه الأيسر ويده اليسرى. وورق في المستشفى حتى أوائل كانون الثاني ١٩٦٠. وبقيت في عضده رصاصة استخرجت منه في عملية جراحية، جرت في وزارة الدفاع، بعد خروجه من المستشفى بفترة ليست قليلة^(١١٤٤).

كان عندما نقل إلى المستشفى، رابط الجأش صلباً، لم تؤثر في تماسكه رهبة الموقف. وكانت الجماهير التي ترفع شعارات التأييد له، تموج في الشوارع صاخبة^(١١٤٥). وأدى إفلاته من الاغتيال، إلى استعادة هالته كزعيم أوحده. وذهب هو نفسه إلى الاعتقاد بأن العناية الإلهية شلت يد القتلة. ويبدو أن المظاهرات الجماهيرية التلقائية التي رددت اسمه شجعت إحساسه بأنه أصبح مختاراً^(١١٤٦). باختصار شديد لقد ازداد غرورا.

من جانب آخر، لم تهتد السلطة إلى مدبري محاولة الاغتيال، رغم مصرع عبد الوهاب الغريزي - أحد أعضاء زمرة الاغتيال - وبقاء جثته في المكان. وأخيراً وبعد لأي وحيرة وتخطيط دام بضعة أيام، عرفوا بأن حزب البعث وراء المحاولة^(١١٤٧).

١١٤٢ - حسن العلوي. العراق دولة المنظمة السرية. ص ٧٩.

١١٤٣ - الحبوبى. المصدر السابق. ص ٦٦.

١١٤٤ - العارف. المصدر السابق. ص ٣٨٨.

١١٤٥ - المصدر السابق، ص ٣٨٧ - ٣٨٨.

١١٤٦ - سلوجت. المصدر السابق. ص ١٢٢.

١١٤٧ - فرحان. المصدر السابق. ص ٤٩.

كان عبد الكريم قد قرر من قبل ان تتوقف محاكمات المهداوي. لكن قضية اغتياله، غيرت الحال، فأعادت الروح اليها^(١١٤٨). فكانت آخر قضية تنظر فيها هذه المحكمة. وقبل ساعات من تنفيذ حكم الاعدام بالمتهمين باغتياله - في ٣١ آذار ١٩٦٠ - وجه عبد الكريم قاسم، خطابا مطولا إلى الشعب، اعلن في نهايته تأجيل تنفيذ حكم الاعدام حتى إشعار آخر^(١١٤٩). ثم عفا عنهم وعن غيرهم من السجناء السياسيين، في الذكرى الثالثة للثورة - ١٤ تموز ١٩٦١ - في خطوة عظيمة، ستظل نقطة مضيئة في تاريخه. وجدير بالذكر ان اياد سعيد ثابت، عضو قيادة البعث، وأحد قادة العملية، ابدى امام المحكمة شجاعة قل نظيرها. الامر الذي خدم حزب البعث كثيرا، واكسبه تعاطف وتقدير الناس للذين لا يوالون نظام قاسم. المفارقة ان اياد سعيد ثابت هذا، والذي حكم عليه بالاعدام، ترك - بعد ان عفا عنهم عبد الكريم - وأطلق سراحهم - حزب البعث، وظل معارضا له طيلة حياته.

تغيير العلم الوطني وشعار الدولة:

اعتبر عبد الكريم قاسم ثورة ١٤ تموز نهاية التاريخ. وبالتالي فان كل شيء يجب ان يرتبط بها، أو يعبر عنها. ونسي ان الأوطان ابقى من الثورات والحكام، وان اية ثورة مهما كانت عظيمة لا تلبث ان تصبح حدثا في التاريخ، تأتي وراءه احداث واحداث. بل وفي كثير من الحالات، التي يعيش فيها الحكام على أمجاد ثوراتهم، دون ان يطوروا اداءهم، ودون ان يقدموا جديدا لشعوبهم، فان شعوبهم تكفر بثوراتهم وثور عليهم. ان تغيير العلم الوطني كلما حدث انقلاب أو تغيرت الأوضاع في البلاد، هو عادة سيئة، تحوله إلى علم نظام وليس علما وطنيا. وتُفقد الرموز الوطنية قيمتها في الذاكرة الشعبية. فقد ابقت تركيا الكمالية - على سبيل المثال - ورغم تخلصها من كل الماضي العثماني على الراية التركية. لذلك فان عبد الكريم قاسم ارتكب حماقة كبيرة بتغييره

١١٤٨ - العارف. المصدر السابق. ص ٣٦١.

١١٤٩ - الناصري. المصدر السابق. ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

علم العراق، الذي كان مرفوعاً في العهد الملكي. كما ارتكب الذين خلفوه بالحكم، حماقة نفسها، بتغييرهم العلم الذي اعتمد في العهد الجمهوري^(١١٥٠).

لقد كان شعار الدولة - في العهد الملكي - ملكياً بامتياز. لذلك فإن تغييره بشعار آخر - في العهد الجمهوري - بدا أمراً طبيعياً.

أما العلم فقد كانت نجمته ترمزان للعرب والأكراد. وألوانه الأربعة تمثلان الألوان العربية الأربعة، والتي استمدت من قصيدة صفي الدين الحلي (٦٧٧-٧٥٢هـ) والتي يقول فيها:

بيض صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضعنا

ولأن صفي الدين الحلي، عراقي الأصل والمولد والنشأة، فإن هذه الألوان هي ألوان لكل الشعب العراقي، بكل قومياته وطوائفه. واعتقد لو أن عبد الكريم قاسم لم يرتكب هذه حماقة السخيفة، لترسخ المعنى الذي اشترت إليه للتو، ولأصبحت ألوان العلم الملكي المستمدة من قصيدة الحلي المشهورة، رموزاً لكل العراقيين.

أما وقد ارتكب هذه حماقة، فما هو العراق اليوم، وبعد نصف قرن من تغيير علمه الأصلي، لا زال مشغولاً بقضية العلم، ولم ينتهِ من اختيار علمه الوطني.

كان عبد الكريم مفتوناً بالعلم العراقي الجديد، وكان يشرح لزواره ألوانه وما ترمز إليه^(١١٥١). فبالإضافة إلى ألوان العلم الملكي الأربعة، اشتمل العلم الجديد على اللون الأصفر، الذي كان شعاراً لصلاح الدين الأيوبي. ويتخذ الأكراد اليوم - وربما منذ إضافته للعلم الجمهوري - رمزا لهم.

وقد فسر قانون علم الجمهورية العراقية رقم ١٠٢ لسنة ١٩٥٨، الألوان الأربعة، على النحو التالي: (اللون الأسود لكل من راية الرسول العربي الأعظم وراية العرب في صدر الإسلام وراية العرب في العراق. اللون الأخضر لراية العلويين. اللون الأبيض لراية العرب

١١٥٠- جعفر الحسيني. راية العراق.. والجدل حول علم الدولة. مجلة سامراء. العدد الاول.

حزيران ٢٠٠٤. ص ٩-١٠.

١١٥١- فرحان، المصدر السابق. ص ٥١.

في الشام. اللون الأحمر العاتك لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ولراية العرب في الأندلس^(١١٥٢).
ان هذا النص هو واحد من شواهد عديدة، تكذب ببساطة تهمة الشعبوية التي الصقها
البعض بعبد الكريم قاسم.

القضية الكردية:

عند الاعداد للدستور المؤقت - الذي أعلن على الشعب في ٢٧ تموز ١٩٥٨ - جرى
التأكيد على ان يتضمن الدستور نقطتين هما: النص على ان العراق جزء من الأمة
العربية، وعلى ان العرب والأكراد شركاء في هذا الوطن^(١١٥٣).

وهكذا نصت المادة الثالثة منه على (ان العرب والأكراد شركاء في هذا الوطن، وأن
حقوقهم القومية معترف بها في هذا الدستور ضمن الوحدة الوطنية). فساوت الثورة بين
الشعبين العربي والكردى واعتبرتهما بمنزلة واحدة. ويعتبر هذا النص الدستوري، أول
نص يحزره الأكراد، في بلد يعيشون فيه كأقلية، خلال تاريخهم القديم والحديث^(١١٥٤).

واصدر عبد الكريم قاسم قراراً بتأسيس مديرية المعارف الكردية، التي انيطت بها
مهمة الإشراف على التدريس باللغة الكردية في كردستان العراق. وفتّح فرع للغة الكردية
في جامعة بغداد. وأدخل تدريس اللغة الكردية في جميع دور المعلمين والمعلمات. وطُبعت
الكثير من الكتب باللغة الكردية^(١١٥٥). وصدرت العديد من الصحف والمجلات باللغة
الكردية. واعتبر يوم ٢١ آذار (عيد النوروز الكردي) عيداً رسمياً لكل العراقيين^(١١٥٦).

١١٥٢- المؤلف. راية العراق (مصدر سابق).

١١٥٣- ليث الزبيدي. المصدر السابق. ص ٢٢٦.

١١٥٤- العارف. المصدر السابق. ص ٣٩٤.

١١٥٥- قدّر احد الكتاب عددها بمئات الالوف، وطبعاً انا اتحفظ على هذا الرقم، وأذكر بما
قلته في هامش سابق عن المبالغة في الارقام. فلا اعتقد ان كل ما طبع من كتب في عهد عبد
الكريم، بجميع اللغات بما فيها اللغة العربية، قد بلغ الرقم المذكور.
١١٥٦- كان اسمه الرسمي في عهد عبد الكريم قاسم عيد الشجرة.

وأجيزت العديد من النقابات والجمعيات الكردية بما فيها الحزب الديمقراطي الكردستاني^(١١٥٧).

وفي ٥ تشرين الأول ١٩٥٨، عاد إلى العراق، الملا مصطفى البرزاني ومعه شقيقه احمد البرزاني وأولادهم وعوائلهم واتباعهم من البرزانيين المهاجرين إلى الاتحاد السوفيتي. وقد (استقبل في المطار استقبالا فاق كل تصور)^(١١٥٨). وخصص عبد الكريم قاسم له الدار التي كان يقيم فيها نوري السعيد في الصالحية، ليسكن فيها وعائلته. ووضعت سيارة الأمير عبد الإله بتصرفه ليستخدمها في تنقلاته. وصرف له راتبا شهريا قدره خمسمائة دينار (وهو أكثر من راتب رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم). ولاحمد البرزاني راتبا قدره مائة وخمسون دينارا^(١١٥٩).

وفي ١٦ نيسان ١٩٥٩، عاد إلى العراق ٧٥٥ مهاجرا برزانيا، واستقبلوا استقبالا رسميا وجماهيريا حاشدا^(١١٦٠). وخصصت لهم رواتب تتراوح بين ٣٠ دينارا و ١٥٠ دينارا^(١١٦١). واستجاب قاسم أيضا لطلب الملا بتسليح اتباعه^(١١٦٢).

لكن العلاقات بين عبد الكريم والملا مصطفى البرزاني، وابتداء من أواخر ١٩٦٠، اتسمت بالبرود ثم الشك والريبة، وانتهت كما سنرى بالعداوة والاقتتال.

يقول إسماعيل العارف:

(ان الحزب (الديمقراطي الكردستاني) تجاوز في نشاطه الحدود التي تضمنها منهاجه واخذ ييث التفرقة بين المواطنين ويؤلب المواطنين الأكراد ضد السلطة.

١١٥٧- راجع العارف، المصدر السابق، ص ٣٩٤-٣٩٥ وعبد الخالق حسين، المصدر السابق، ص ١٠٢-١٠٣.

١١٥٨- خليل ابراهيم حسين، ثورة الشواف (مصدر سابق)، ص ١٩١.

١١٥٩- العارف، المصدر السابق، ص ٣٩٦.

١١٦٠- انظر عبد الخالق حسين، المصدر السابق، ص ١٠١-١٠٢.

١١٦١- ليث الزبيدي، المصدر السابق، ص ٢٨٨ نقلها عن ادمون غريب، الحركة القومية الكردية، بيروت ١٩٧٣، ص ٢٨-٢٩.

١١٦٢- خليل ابراهيم حسين، المصدر السابق، ص ١٩٤.

وبدأت تظهر نشاطاته المعادية عندما حث الأكراد على الامتناع عن دفع الضرائب الحكومية وخلق المتاعب للسلطات الإدارية في المناطق الكردية. فبدأ عبد الكريم قاسم بتشكك في نيات قيادة الحزب الديمقراطي الكردي وارتاب باتصالات الملا مصطفى البرزاني فساءت العلاقة بين الرجلين وانقطعت الاتصالات المباشرة فلم يعد في إمكان الملا مصطفى زيارة الزعيم عبد الكريم بالسهولة التي كانت عليها في السنة الأولى من عمر الثورة^(١١٦٣).

ففي أوائل آذار (مارس) ١٩٦١، قال الملا مصطفى البرزاني لإسماعيل العارف: (حاولت ان اتصل بالزعيم عبد الكريم مرات عديدة فلم افلح لكي اشرح له الموقف المتأزم في المنطقة الكردية. ان الموقف هناك اصبح خطيرا وفي اعتقادي ان مؤامرة كبيرة تدبر ضد ثورة ١٤ تموز. ولما كانت الثورة والزعيم قد احسنا لي وإلى الأكراد فأرى من واجبي ان اوضح ابعادها ونتائجها). واضاف البرزاني:

(قبل أسبوع قامت جماعة من الزيباريين (خصوم البرزانيين) المسلحين بمهاجمة أكثر من خمس عشرة قرية بارزانية يعاونهم في ذلك الهجوم ضباط صف من شرطة الموصل يرتدون ملابس كردية. فنهبوا القرى وشرّدوا أهلها واستولوا على مواشيها وممتلكاتها ثم انسحبوا)^(١١٦٤).

واستطاع العارف ان يرتب لقاء بين قاسم والبرزاني، لكن الأخير شكّا للعارف بانه كلما حاول ان يحدث قاسم عما جرى بين البرزانيين والزيباريين وعن دور لشرطة الموصل في الحادث، كان قاسم يغير الحديث، ثم اخذه بعد ان قاربت الساعة منتصف الليل بسيارته في جولة في ضواحي بغداد الفقيرة حتى الساعة السابعة صباحا^(١١٦٥). الامر الذي كان يفعله قاسم - كما قلنا سابقا - مع الكثير من السياسيين العراقيين الذين كانوا

١١٦٣- العارف، المصدر السابق، ص ٣٩٦.

١١٦٤- المصدر السابق، ص ٣٩٦-٣٩٧. وانظر ايضا فؤاد عارف، مذكرات فؤاد عارف (مصدر سابق)، ص ٢٠٠ وما بعدها. حيث يعتقد الأخير بان قاسم كان يعمل من اجل تفتيت الاكراد.

١١٦٥- العارف، المصدر السابق، ص ٣٩٧.

يزورنه، فهو بدلا من ان يناقش معهم أوضاع البلد، كان يأخذهم في جولاته الليلية التي تدوم حتى الصباح^(١١٦٦).

وفي اجتماع آخر بينهما، جرى ترتيبه بوساطة وزير المعارف إسماعيل العارف أيضا، وكان الاجتماع الأخير بين الرجلين، بدا عبد الكريم قاسم متوتر الأعصاب وقال في عصبية للملا مصطفى: (إن أصابع الاستعمار بدأت تلعب في رؤوس البعض ولكننا سوف نحصل على حقوقنا النفطية). ولما انصرف البرزاني، قال قاسم لإسماعيل العارف: (إن البارزاني يريد ان يبرر ما يضمّر القيام به ضد الثورة، ونحن على علم بالجذور التي تغذي المتاعب بين شعبنا الكردي وبيننا)^(١١٦٧).

وفي اواسط آذار (مارس) ١٩٦١، هرب الملا مصطفى البرزاني إلى المنطقة الشمالية فعلق عبد الكريم قاسم على ذلك قائلا: (ان المستعمرين وشركات النفط لديها طبخة للضغط علينا بسبب إصرارنا على انتزاع حقوقنا النفطية منهم)^(١١٦٨).

شن البرزانيون، بتوجيه من الملا مصطفى البرزاني، هجوما على القبائل الزبيارية وحلفاءها، فاكسحوا ديارهم واحرقوا قراهم، وهرب الكثير منهم إلى المناطق الكردية المجاورة للحدود العراقية في تركيا^(١١٦٩).

وبدأ الشيوخ والأغوات الذين فروا إلى إيران بعد ثورة ١٤ تموز، بالعودة إلى مناطقهم، بتشجيع من إيران والولايات المتحدة وبريطانيا. واخذوا ينظمون العصابات المسلحة ويهاجمون مراكز الشرطة المعزولة والمراكز الحكومية ويهددون طرق المواصلات العامة. وتحالف الملا مصطفى البرزاني مع هؤلاء الشيوخ والأغوات، وبدأت تظهر علائم انفجار عصيان مسلح. وأخذت العصابات المسلحة تهدد الطريق العام الذي يربط كركوك بالسليمانية. وتعذر الاتصال بين المدينتين معظم الأيام.

١١٦٦- انظر مثلا رفعت الجادرجي، المصدر السابق، ص ١٧٩.

١١٦٧- العارف. المصدر السابق، ص ٣٩٧.

١١٦٨- (١٤٧) المصدر السابق. ٣٩٧.

١١٦٩- المصدر السابق، ص ٣٩٨-٣٩٩.

عند ذلك، قرر عبد الكريم قاسم تحريك لواء مختلط من الفرقة الثانية، في ١٢ أيلول ١٩٦١، لفتح الطريق بين كركوك والسليمانية. وقد اقترح عليه بعض وزرائه ان يسبق التحرك العسكري مسعى سلمي^(١١٧٠)، لكنه أصر على تحريك الجيش قائلاً: (ان هذا عصيان ضد الحكومة والشعب، ولا اريد ان يحدث اصطدام مسلح، بل سيقوم اللواء بمسيرة سلمية)^(١١٧١).

وفي صبيحة ١٢ أيلول، تحركت القطعات العسكرية من كركوك إلى السليمانية، دون ان تتخذ احتياطات جدية للقتال. وعندما وصلت إلى مضيق بازيان، جوبهت بنار حامية، ووقعت خسائر بين الجنود لم يكن هناك ما يبررها. لكن القوة العسكرية استطاعت ان تفتح الطريق بين كركوك والسليمانية^(١١٧٢).

يقول إسماعيل العارف:

(وعلى اثر هذا الاصطدام انتشر عصيان مسلح اخذ يتزايد كل يوم بتحالف الشيوخ والأغوات الذين بدأوا ينضمون إليه فاجتمع الأغا الشيخ مع المثقف اليساري ضد الحكومة وانساق المخلصون من الأكراد وراء مخطط استعماري واسع دبر في الخفاء).

استمر القتال في شمال العراق، بالرغم من العفو الذي أصدره قاسم مرتين ومدده مرتين. وكان ذلك القتال احد الأسباب التي اضعفت حكومة قاسم، لما أشاعه من تدمير بين الضباط والجنود، بسبب الصعوبات الجمة التي كانوا يواجهونها، وهم يخوضون حرب عصابات باهظة الثمن^(١١٧٣).

لقد حاول عبد الكريم قاسم ان يقيم دولة عراقية للعرب والأكراد، حتى انه جعل نصف كل من العلم والشعار الوطنيين رموزاً كردية. وكان لا يكف عن الحديث عن

١١٧٠- انظر مذكرات فؤاد عارف (مصدر سابق)، ص ٢٠١ وما بعدها.

١١٧١- العارف، المصدر السابق، ص ٣٩٩.

١١٧٢- المصدر السابق، ص ٣٩٩-٤٠٠.

١١٧٣- المصدر السابق، ص ٤٠٢.

القوميات المتأخية في (الجمهورية العراقية الخالدة). لكنه خسر القوى القومية العربية، ولم يكسب القوى القومية الكردية. لقد خسرهما معا. فالذاكرة القومية الكردية تعتبر حكم قاسم رمزا لمحاولات الصهر القومي. اما الذاكرة القومية العربية فتعتبره وبغير حق شعوبيا معاديا للقومية العربية^(١١٧٤).

وقد اعادت القيادات الكردية - في الفترة الأخيرة - الاعتبار لعبد الكريم قاسم. فقد قال جلال الطالباني:

(الحقيقة اننا نتحمل مسؤولية ما وقع بيننا وبين عبد الكريم قاسم)^(١١٧٥).

ولمسعود البرزاني رأي مماثل، فقد قال:

(كان خطأ كبيرا السماح للسلبيات بالتغلب على الايجابيات في العلاقة مع عبد الكريم قاسم، مما ساعد على تمرير مؤامرة حلف السننو و عملائه في الداخل والشوفينيين واحداث الفجوة الهائلة بين الحزب الديمقراطي الكردستاني و عبد الكريم قاسم فمهما يُقْل عن هذا الرجل فانه كان قائدا فذا له فضل كبير يجب الا ننساه نحن الكرد ابدا. لاشك انه كان منحازا إلى طبقة الفقراء والكادحين وكان يكن كل الحب والتقدير للشعب الكردي وكان وطنيا يحب العراق والعراقيين وكان التعامل معه ممكنا لو احسن التقدير)^(١١٧٦).

والحقيقة ان ما قاله الزعيمان الكرديان لا ينفي مسؤوليته. فقد (كانت الحرب الكردية مثالا آخر على عجز قاسم الواضح عن الاستمرار في علاقة طيبة مع هؤلاء الذين يجب ان يكونوا - أو كانوا - مستعدين اصلا و يقينا لأن يكونوا حلفاءه الطبيعيين)^(١١٧٧).

١١٧٤- المؤلف، المصدر السابق، ص ١٥٣.

١١٧٥- مجلة الوسط، العدد ٣٥٧، في ١١/٣٠ / ١٩٩٨، نقلا عن صلاح الخрсان، التيارات السياسية في كردستان العراق، بيروت ٢٠٠١، ص ٩٧.

١١٧٦- صحيفة خبات، العدد ٧٩١، في ١٩/٧/ ١٩٩٦ (نقلا عن الخрсان، المصدر السابق، ص ٩٧ وانظر ايضا عبد الخالق حسين، المصدر السابق، ص ١١١).

١١٧٧- سلوجت، المصدر السابق، ص ١٣١- ١٣٢.

العلاقات مع إيران وتركيا:

كانت العلاقات العراقية - الإيرانية، طيلة عهد عبد الكريم قاسم، متوترة جدا، بل وكاد جيشا البلدين ان يشتبكا أكثر من مرة.

وكانت أسباب التوتر في جانبها العراقي، تتمثل فيما كان يصدر من عبد السلام عارف ثم محكمة المهداوي، من تعليقات ضد حكم الشاه. اضافة الى الحملات الإذاعية التي كان يشنها القسم الكردي في إذاعة بغداد، محرضا فيها الأكراد الإيرانيين على الثورة.

ومما يلفت النظر ان عبد السلام، عندما كان وزيرا للداخلية، اصدر قرارا، وبحجة وجود مهندسين ومخربين، حصر بموجبه زيارة الإيرانيين للعتبات المقدسة، بزيارة سامراء فقط^(١١٧٨). وهذا القرار يعكس بوضوح طريقة تفكيره الطائفية السخيفة، فإذا كان هناك مهندسين بين الزوار، لماذا لا يمنعون من زيارة سامراء أيضا، شأنها شأن مدن العتبات المقدسة الأخرى؟

اما من الجانب الإيراني، وبعد ان توترت العلاقات بين البلدين، اخذت إيران تثير المرة تلو المرة مشاكل الحدود القديمة، ومسألة السيادة على شط العرب.

المفارقة ان عبد الكريم قاسم (الشعوبي) تصدى لمطامع الشاه بحزم وبسالة، بينما رأينا صدام (بطل التحرير القومي) يقدم تنازلاته السخية للشاه حتى (صدم الدبلوماسيون والسياسيون المحنكون بحجم التنازلات التي اضطر صدام إلى تقديمها، ولا سيما بالتنازل الأهم الذي يريده الشاه أكثر من أي شيء.. أي إعادة ترسيم الحدود في شط العرب عند خط الوسط في المياه العميقة)^(١١٧٩).

ففي عهد عبد الكريم قاسم، وعندما دخلت باخرة (بانت اويل ٢١) التابعة لشركة بان اميركان، العاملة بخدمة مؤسسة النفط الإيرانية، في شط العرب، باتجاه خسرو

١١٧٨ - العارف، المصدر السابق، ص ٢٥٥.

١١٧٩ - جوناثان راندل، أمة في شقاق (دروب كردستان كما سلكتها)، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٩٧، ص ٢١٨.

آباد، وغادرته بحراسة زوارق إيرانية مسلحة، دون الالتفات إلى أوامر سلطات السواحل العراقية، كما جرت العادة، عمدت قوة خفر السواحل العراقية، إلى إطلاق النار عليها وهددتها بالغرق ما لم تنصع للتعليمات العراقية، وهكذا اضطرت الباخرة إلى رفع العلم العراقي كما جرت العادة^(١١٨٠).

وفي ١٠ تشرين الأول ١٩٥٩، هاجم وزير خارجية إيران، الحكومة العراقية، بخطاب القاه في مجلس الشيوخ الإيراني، وقال ان بلاده لا تعترف الا بخط التالوك كحدود بين البلدين في شط العرب. فرد العراق مهددا باستعمال القوة اذا اعتدي على حقوقه المكتسبة.

وفي ٢٠ كانون الأول ١٩٥٩، اتهم شاه إيران العراق بخرق معاهدة ١٩٣٧، وهدد باتخاذ إجراءات رادعه، ولوح برفع النزاع إلى محكمة العدل الدولية. فذهب عبد الكريم قاسم إلى اللواء التاسع عشر (اللواء الذي كان بقيادته عندما قامت الثورة) وخطب في الضباط والجنود، وهدد بان رد الجيش العراقي سيكون قاسيا على إيران. فأخذت الدعاية الإيرانية، بعد أيام قليلة، تتراجع، ثم أبدت حكومة الشاه رغبتها في حل النزاع سلميا.

وهكذا احتفظ العراق بحقوقه السيادية على شط العرب، والتي فرط فيها فيما بعد صدام باتفاقية ٦ آذار ١٩٧٥ مع شاه إيران. ويقول إسماعيل العارف: (كان عبد الكريم قاسم جادا في تهديداته إذ كان في النية القيام بغارة أرضية وجوية على ميناء المحمرة وعبادان اذا استمرت إيران بمطالباتها غير المشروعة بتعديل الحدود وامتناعها عن تنفيذ معاهدة ١٩٣٧)^(١١٨١).

الحقيقة ان الشاه رد على استخفاف عبد الكريم به، وتهديداته له، الصاع صاعين، بدعمه للحركة الكردية، التي راحت تهز نظامه هذا حتى أسقطته. فلولا المساعدات التي

١١٨٠- العارف، المصدر السابق، ص ٢٥٦.

١١٨١- المصدر السابق، ص ٢٥٧.

كان يقدمها الشاه للحركة الكردية في العراق ما كان لها ان تستمر^(١١٨٢).

ان إدارة عبد الكريم قاسم للعلاقات العراقية مع إيران، كانت تمتاز بالخفة والطيش، والبعد عن الحكمة، وعن فهم متطلبات الأمن القومي للعراق. فهو كان عليه اولا ان لا يسمح باستفزاز الشاه^(١١٨٣)، من خلال ما كان يثرثر به المهداوي، أو كانت تبثه الإذاعة، وخاصة القسم الكردي. وكان عليه أيضا ان يحرص على رأب أي صدع في العلاقات العراقية - الإيرانية، وان يطمئن مخاوف الشاه من ان تشكل الثورة في العراق خطرا على أمنه الداخلي. اما أطماع الشاه في الأراضي والمياه العراقية، فقد أثبتت التجربة، بان الشاه ما كان يلوح بها، الا حين تسوء علاقته بالحكومة العراقية، وكيفما كان الحال، فان الحكمة الممزوجة بالحزم، كفيلة بوقفه عند حده.

من جانب آخر، وفيما يتعلق بعلاقات العراق مع تركيا، كانت إدارته لها، أكثر سوءا من إدارته للعلاقات العراقية - الإيرانية.

فقد بذلت تركيا جهدا لمنع تهريب السلاح إلى البرزاني عبر أراضيها. ورحلت سكان القرى الأكراد المجاورين للحدود العراقية إلى مناطقها الداخلية. وشددت المراقبة على الحدود بين البلدين. لكن عبد الكريم قاسم، والذي اعتاد ان يتخذ قراراته الخطيرة بناء على هواجسه وظنونه وانطباعاته، حتى وان خالفها المعلومات والمعطيات الأكيدة، كان سيء الظن بالحكومة التركية، وكان يعتقد انها على صلة بالحركة الكردية.

وزاد الطين بلة، ان القوات العراقية كانت تطارد المقاتلين الأكراد العراقيين، إلى داخل الأراضي التركية. وكثيرا ما كانت تقوم الطائرات العراقية بقصف القرى التركية، عن طريق الخطأ، متوهمة بانها قرى تابعة للمقاتلين الأكراد في الأراضي العراقية، وقد أسقطت القوات التركية، طائرة عراقية، في ١٦ آب ١٩٦٢، الامر الذي أدى إلى تأزم العلاقات بين البلدين. وهكذا استمر الوضع متوترا بين البلدين حتى شباط ١٩٦٣.

١١٨٢ - المصدر السابق، ص ٢٥٨.

١١٨٣ - راجع خليل ابراهيم حسين، المصدر السابق، ص ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٥ - ٣١٩.

أزمة الكويت:

يقول اللواء حميد الحصونة قائد الفرقة الأولى^(١١٨٤):

(كنت مدعوا بدار نجيب الربيعي (رئيس مجلس السيادة) على عشاء وكان البيت يغص بالمدعويين من مدنيين وعسكريين وكنت قريبا من عبد الكريم قاسم والربيعي، وقبل الساعة الثامنة مساء، طلب قاسم من مرافقه (جاسم العزاوي) ان يأتيه براديو (الترانسستور) الصغير الذي اعتاد ان يحمله أينما يذهب ثم قال استمعوا إلى بيان سيداع في الثامنة مساء.. وأصغينا السمع، واذا به بيان صادر من عبد الكريم قاسم (رئيس الوزراء ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة) يقول فيه ان الكويت جزء من العراق كما هو معروف تاريخيا ولا يمكن ان يعلن استقلالها كدولة مستقلة بعد انسحاب القوات البريطانية منها.. وان الكويت هي قضاء عراقي يتبع إداريا إلى لواء (محافظة البصرة).. وان أمير الكويت قائم مقام لهذا القضاء يتلقى أوامره من محافظ البصرة. فوجيء الجميع بما سمعوا بما فيهم انا وطلبت من عبد الكريم قاسم ان يسمح لي إزاء هذا الموقف بالانصراف والالتحاق بمقر فرقتي العسكرية خاصة وان قطعاتها موزعة على ستة ألوية (محافظات) بما فيها محافظة البصرة.. فأشار لي قاسم بيده ان اجلس ولا داعي لان تذهب فامتثلت للأمر..)^(١١٨٥).

ويروي إسماعيل العارف الذي كان حاضرا، بان عبد الكريم سأله عند عودتهم من دعوة العشاء، عن رأيه في البيان. فأجابه العارف:
(كان ينبغي ان يسبق البيان أمران أولهما إجراء مباحثات مع أمراء الكويت

١١٨٤- حملت الجماهير الشعبية الموالية لقاسم، اللواء الحصونة، مسؤولية عدم تنفيذ اوامر قاسم، باسترجاع الكويت! والغريب ان يردد كاتب معروف هذه الرواية ولكن بطريقة الخاصة، فحسن العلوي يروي بان اللواء الحصونة (تلقى امرا عسكريا من عبد الكريم قاسم باحتلال الكويت، لكنه لم ينفذ الامر بناء على فتوى صدرت له من السيد محسن الحكيم)! (اسوار الطين، بيروت ١٩٩٥، ص ٩٧).

١١٨٥- الحبوبى، المصدر السابق، ص ١٧٠.

واكتشاف ما وراء إعلان استقلال الكويت. وثانيهما إنذار الجيش وإعداده لمجابهة عسكرية مع البريطانيين اذا اقتضى تنفيذه بالقوة).

فأجابه عبد الكريم قائلاً:

(انني اردت أولاً ان اثبت حق العراق تاريخيا اذا أراد الانكليز بأساليبهم الملتوية إحباط غايتنا في جمع الاخوان الذين فرقهم الاستعمار في بيت الأسرة الواحدة. وسوف نحقق ذلك بالطرق السلمية. أما اذا تعذر التوصل إلى الحل السلمي فلدي خطط بديلة. وإعلاننا هذا أول خطوة في سبيل الوحدة)^(١١٨٦).

ومع انه لم يحرك قطعة عسكرية، ولم يتخذ اية خطوة لتنفيذ ما اعلن، فان السفير البريطاني ارسل ملحقه العسكري، بعد ان فشل هو في مواجهة قاسم أو وزير خارجيته، لتبليغ الحكومة إنذارا بريطانيا بان على العراق ان لا ينسى احداث سنة ١٩٤١، وان الانكليز جادون فيما يقولون. وانها هي الحرب^(١١٨٧).

ان أزمة الكويت، تبين بوضوح الطريقة التي كان يتخذ فيها عبد الكريم قاسم، قرارا خطيرا بمستوى ضم الكويت. فلا وزراؤه يعرفون شيئا عن القرار، ولا قادته العسكريون. ولم تدرس القرار لجنة من سياسيين أو عسكريين أو قانونيين. والمير ان يتكرر هذا الامر، بعد ثلاثين عاما، على يد صدام، والذي كان أكثر حماقة من عبد الكريم قاسم نفسه، فقرر بطيش ورعونة اجتياح الكويت، دون ان يستشير أحدا من اهل الرأي والاختصاص، ما خلا ربما الحلقة الضيقة التي حوله، والتي تتكون من بائع ثلج وسائق سيارة وضابط صف وجندي^(١١٨٨).

حظيت مطالبة عبد الكريم قاسم بالكويت، بشعبية كبيرة، بل وإلى فترة قريبة كان الكثيرون يشيرون إلى ذلك، عند الحديث عن وطنيته وعراقيته الأصيلة.

١١٨٦- العارف، المصدر السابق، ص ٣٠٨.

١١٨٧- خليل ابراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، الجزء الخامس، ص ٢٥٢ وراجع ايضا ص ٢٥٤ (الحاشية).

١١٨٨- وهم على التوالي عزت الدوري وعلي حسن مجيد وطله الجزراوي وحسين كامل.

وقد أيد القرار حتى بعض القوميين والبعثيين، المعارضين له. ويقال ان فائق السامرائي (احد قادة حزب الاستقلال وسفير العراق السابق في القاهرة) كان متحمسا جدا لقرار عبد الكريم قاسم بضم الكويت، مما اثار عليه غضب عبد الناصر وبعض الشخصيات العراقية المقيمة في القاهرة آنذاك مثل عبد الرحمن البزاز. الامر الذي دفع السامرائي إلى ان يقرر إعادة كل الرواتب التي استلمها كلاجئ سياسي في القاهرة ومغادرتها. لكن الامر تمت تسويته وظل السامرائي في القاهرة^(١١٨٩).

انتظر عبد الناصر مدة أسبوع مبادأة العراق بمفاتحته للتعاون لحل مشكلة الكويت، ولكن عبد الكريم قاسم رفض أي اقتراح لمفاتحة عبد الناصر حول الموضوع. وكان الاخير قد حاول قبل أيام من ذلك، ان يحسن علاقته بالعراق، والتقى بوزير خارجية العراق، وابدى له توقه لتطبيع العلاقات وإعادة السفراء. فقد كان هم عبد الناصر آنذاك منصبا على اقامة القيادة العربية المشتركة، وتهيئة ما يلزم من مال وجيوش لمنع تحويل مجرى الأردن من قبل إسرائيل^(١١٩٠).

ولو كان عبد الكريم قاسم حكيما لاستغل هذه الفرصة، من باب غلق احدى الجبهات المفتوحة عليه، أو من باب تشتيت معسكر الأعداء. وقبل هذا وبعد هذا فليس ثمة عدوات دائمة ولا صداقات دائمة، انما هناك مصالح دائمة، والأمر هنا يتعلق بمصالح وطن ومصالح امة، اضف الى ذلك مصالح عبد الكريم نفسه.

وإزاء تجاهل عبد الكريم له، ألقي عبد الناصر بثقله وراء استقلال الكويت وادخالها الجامعة العربية^(١١٩١). وهكذا وبخلاف موقفه المساند لمطالبة المغرب بموريتانيا (والتي استقلت عام ١٩٦٠)، فان عبد الناصر ساند استقلال الكويت بقوة، وأيد دخولها في الجامعة العربية، والذي تم - في ٢٠ تموز ١٩٦١ - بإجماع الدول العربية، ما خلا العراق،

١١٨٩- القيسي، المصدر السابق، ص ٦٢١.

١١٩٠- خليل ابراهيم حسين، المصدر السابق، ص ٢٦٢- ٢٦٦ (الاستاذ هاشم جواد وزير خارجية العراق الاسبق يتحدث عن مشكلة الكويت).

١١٩١- المصدر السابق، ص ٢٦٦.

الذي ترك ممثله الجلسة، احتجاجاً على ذلك، ثم أوقف العراق تعاونه مع الجامعة العربية. ويعتبر قبول الكويت بهذه الطريقة، انتهاكاً صريحاً لميثاق الجامعة، الذي يستلزم إجماع جميع دول الجامعة بما فيهم العراق.

قررت الجامعة العربية إرسال قوات مشتركة من أربع دول عربية (السودان، الأردن، السعودية، الجمهورية العربية المتحدة) والتي بلغ عديدها الفان وثلاثمائة جندي، لتحل محل القوات البريطانية، التي انزلتها بريطانيا على عجل في الكويت، اثر مطالبة عبد الكريم قاسم بها ٠ وكانت السعودية قد ارسلت قوات منها، بطلب من الكويت، لتقوم إلى جانب القوات البريطانية بالدفاع عنها^(١١٩٢).

ومما يسجل لعبد الكريم قاسم، انه بعد اندلاع ثورة اليمن - في ٢٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٢ - كونت كل من السعودية والأردن جبهة ضد الجمهورية العربية المتحدة، ودعمها العسكري لثورة اليمن. وقد حاولتا ضم العراق اليهما، غير ان عبد الكريم قاسم رفض ذلك، رغم وعدهما له بالتدخل لمساعدته في حل أزمة الكويت لصالحه^(١١٩٣).

لم تُقبل الكويت في الأمم المتحدة، لان الاتحاد السوفيتي، وتماشياً مع رغبة العراق، استعمل حق النقض (الفيتو) ضد قبولها. لكن دول العالم اخذت تعترف بالكويت دولة مستقلة. فاقترح وزير خارجية العراق هاشم جواد، على مجلس الوزراء، بالاتفاق مع عبد الكريم قاسم، بان يسحب العراق سفراءه من جميع الدول التي اعترفت بالكويت. فوافق مجلس الوزراء على ذلك بعد مناقشة شكلية بسيطة، الامر الذي نجم عنه عزل العراق دبلوماسياً في المجتمع الدولي، وتعكير علاقاته مع دول عربية و أجنبية كان بحاجة إلى صداقاتها^(١١٩٤).

وبينما الازمة على أشدها، جرت اتصالات سرية - في نيسان ١٩٦٢ - بين الكويت والعراق، لايجاد حل مرض للطرفين. ويبدو ان النقاشات دارت حول اقامة اتحاد فيدرالي

١١٩٢ - العارف، المصدر السابق، ص ٣٠٩.

١١٩٣ - المصدر السابق، ص ٢٧٠.

١١٩٤ - المصدر السابق، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

بينهما^(١١٩٥).

وقد توقفت خلال تلك الاتصالات، الحملة العراقية على الكويت وحكامها. لكن عبد الكريم قاسم وبمناسبة يوم الجيش - في ٦ كانون الثاني ١٩٦٣ - هاجم أمير الكويت واتهمه بالعمالة.

يقول إسماعيل العارف:

(استغربت لهذا التحول المفاجئ المحرج بينما كان الوفدان العراقي والكويتي يجتمعان في أثينا لوضع اللمسات الأخيرة على اتفاق الاتحاد بين القطريين... ولما سألته عن سبب مهاجمته أمير الكويت ونحن على وشك توقيع الاتفاق، أجب مبتسما: (لا بد ان اريهم بعض الشدة)).

انقطعت المفاوضات اثر ذلك، لكن العراق بعد أسبوع من ذلك ، اعاد الاتصال بالكويتيين، واتفق الجانبان على عودة المحادثات. الا ان وقوع انقلاب ٨ شباط، ومقتل عبد الكريم قاسم، قلب كل شيء. وربما كان حكام الكويت على صلة بالمتأمرين^(١١٩٦)، أو كانوا اصلا غير جادين في المفاوضات السرية التي كانوا يجرونها مع الجانب العراقي. وهناك معلومات مؤكدة عن تقديمهم معونات مالية كبيرة للمقاتلين الأكراد^(١١٩٧).

ويرى إسماعيل العارف بان هناك إشارات كانت تنبئ باستعداد بريطانيا على التفاهم مع عبد الكريم قاسم حول الكويت، والالتقاء معه في منتصف الطريق، اذا ضمن مصالحهم الحيوية. وان العارف نقل ذلك إليه، فكان رده الرفض قائلًا: اننا سنحصل على حقوقنا بدون الانكليز. ويعلق العارف على ذلك قائلًا: (لكن امنيته لم تتحقق)^(١١٩٨).

١١٩٥- للاطلاع على تفاصيل وافية عن تلك المحادثات والاتصالات راجع المصدر السابق، ص ٣١٠-٣١٣ وكذلك خليل ابراهيم حسين، المصدر السابق، ص ٢٦٧-٢٨٦.

١١٩٦- العارف، المصدر السابق، ص ٣١٢-٣١٣.

١١٩٧- المصدر السابق، ص ٤٠١.

١١٩٨ () المصدر السابق، ص ٣١٤ (لا اتفق مع العارف في وجهة نظره هذه، فالبريطانيون لا يقبلون باقتسام الكويت لا مع عبد الكريم قاسم ولا مع أي حاكم عراقي آخر).

إنجازات عبد الكريم قاسم:

حقق عبد الكريم قاسم، خلال الأربع سنوات ونصف السنة التي حكم فيها العراق، وبموارد مالية متواضعة، اضعاف ما حققه النظام الملكي، الذي حكم العراق حوالي ٢٧ سنة. صحيح ان بعض ما أنجز في عهده كان من جملة مشاريع الاعمار التي خُطط لها أو بُوشر بها في العهد الملكي، لكن الانجازات الأهم كانت من صنعه هو.

لقد امتدت انجازاته إلى كل مجال وإلى كل مكان، الامر الذي لا تستطيع عين أن تخطأه. لذلك (رغم النكسات التي عاقت التقدم في مجال الحريات المدنية والسياسية استمر قاسم معروفًا لدى قطاعات واسعة من السكان بأنه رجل مبدأ حفظ مصالحهم ومصالح الأمة في قلبه) فقد (بدا قاسم مهتما حقيقة بإصلاح حال الفقراء)^(١١٩٩).

ان تقرير هذه الحقيقة لا يمنع من القول بان انجازاته شابها الكثير من النقص بسبب الارتجال وغياب الرؤية الإستراتيجية، وربما أيضا بسبب سعيه لكسب الشعبية، من خلال المشاريع السكنية والخدمية، فجاء ذلك على حساب مشاريع التنمية الاقتصادية. والمثير للسخرية انه بغروره الذي بلغ حد السفه، تصور وهو يرى انجازه إسقاط النظام الملكي بالسهولة التي سقط فيها، انه قد قفز بالعراق إلى مصاف الدول المتقدمة فصرح قائلاً: (ان العراق سيصدر العلماء إلى العالم في المستقبل القريب)^(١٢٠٠).

ومع الفارق بين تربية الرجلين ووطنيتهما واستعدادهما لسفك الدماء والمغامرة، فإن اطلاق التصريحات العنترية، وادعاء القوة، والروح الاستعراضية، صفة تجمع بين عبد الكريم قاسم وصادق حسين، فضلا عن صفات اخرى تجمع بينهما كادعاء الإلهام، وجنون العظمة، والغرور، وحب التمجيد، وعدم القراءة، والخطب الطويلة الفارغة.. وما شابه.

من جانب آخر، فان اعتماد عراق عبد الكريم قاسم على الاتحاد السوفيتي، في بناء الاقتصاد العراقي، كان فاشلا في مجالات عديدة. فمصنع تعليب اللحوم والفواكه في

١١٩٩- سلوجت، المصدر السابق، ص١٢٥ و١٢٦.

١٢٠٠- خليل ابراهيم حسين، المصدر السابق، ص١٥٧.

كربلاء - على سبيل المثال - الذي استورد من الاتحاد السوفيتي، كانت بعض أجزائه من القدم، بحيث انها مصنوعة عام ١٩٣٦، وكان العصور يعبأ يدويا بالمغرافات (١٢٠١).

وفي بلد كان يتسابق فيه المتحمسون والانتهازيون، على شراء صور ستالين، والتي كانت ترفع حتى في المدن الصغيرة والقرى النائية، كان الشيوعيون يتهمون كل من ينتقد العلاقات العراقية - السوفيتية بالعمالة للغرب والخيانة، حتى من اقتصر نقده على الجوانب السلبية لاتفاقية التعاون الاقتصادي والفني بين البلدين. أي تماما كما كان يفعل النظام الملكي، والذي كان يتهم كل من ينتقد علاقاته ببريطانيا و حلف بغداد، بالشيوعية والعمالة للسوفيت.

والآن لنقف قليلا عند انجازات من انجازات عبد الكريم قاسم، استكمل بهما العراق استقلاله وسيادته. الأول، انسحابه من حلف بغداد، في ٢٤ آذار ١٩٥٩. وقد قررت الحكومة العراقية اعتبار ذلك اليوم عطلة سنوية وسمته بعيد الحرية. وعلى اثر انسحاب العراق منه، سُمي الحلف بحلف المعاهدة المركزية أو حلف الستتو. وفي الحقيقة، ان هذا الحلف ومنذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، لم تعد له اية قيمة حقيقية، وظل من الناحية الرسمية قائما بعدها، حتى قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، والتي اطلقت عليه طليقة الرحمة، فمات نهائيا.

اما الانجاز الآخر، فهو انسحاب العراق من الكتلة الاسترلينية. فقد انضم العراق إلى الكتلة المالية الاسترلينية، بموجب اتفاقية خاصة عقدت مع الحكومة البريطانية - سنة ١٩٥٢ - عندما زادت عوائد النفط العراقية، بعد التعديل الذي حصل على اتفاقيات النفط مع الشركات الأجنبية. الامر الذي جعل العراق، البلد النامي المحدود الموارد، خاضعا للسياسات المالية البريطانية ومتطلباتها وظروفها.

فكانت قيمة العملة العراقية ترتفع أو تنخفض، وفقا لوضع الجنيه الاسترليني، دون

١٢٠١ - المصدر السابق، ص ١٤٢ (الحاشية) وانظر ايضا ص ١٤٨ و ١٥٢ (الحاشيتان) وكذلك الملاحظات التي اوردها (خليل إبراهيم حسين) على الاتفاقية العراقية السوفيتية وهي ملاحظات مهمة جدا (ص ١٧٣ - ١٧٤).

ان يكون للعملة العراقية نافذة في الامر أو جمل، فضلا عن خضوع تجارة العراق الدولية، بصورة غير مباشرة، إلى قواعد التعامل التجاري البريطاني. زد على ذلك المدلولات السياسية لتبعية العراق المالية للكتلة الاسترلينية، والتي تشكل خرقا فاضحا لسيادة العراق كدولة مستقلة^(١٢٠٢).

لقد كان قانون الإصلاح الزراعي، القانون الأهم في تاريخ العراق، من الناحية الاجتماعية. فقد حرر الفلاحين الذين كانوا يشكلون ٨٥٪ من سكان العراق، من عبودية الاقطاعيين والملاكين الكبار^(١٢٠٣).

لكن هذا القانون، الذي فتت الملكيات الكبيرة إلى ملكيات صغيرة، كان فاشلا من الناحية الاقتصادية، فقد أدى إلى تراجع الإنتاج الزراعي بقوة، وإلى بدء هجرة واسعة من الريف إلى المدينة. ويبدو ان هذا كان مرتبطا بطبيعة الاقتصاد العراقي الريعي المشوهة^(١٢٠٤)، وبالفروق الهائلة بين حياة الريف البائسة، وحياة المدينة الأفضل نسبيا. وايا كان الامر، فلم يكن هناك بد من صدور قانون الإصلاح الزراعي، لإنهاء ظلم الاقطاعيين ومعاناة الفلاحين.

وقد اعلن عبد الكريم قاسم قانون الإصلاح الزراعي - في ٣٠ آب ١٩٥٨ - بنفسه. كما الغي نظام دعاوى العشائر، الذي منح الشيوخ سلطات واسعة يمارسونها على أفراد عشائريهم، واستثناهم من نطاق قانون العقوبات البغدادي. كذلك اوقف العمل بقانون التسوية، الذي أُستغل سابقا لتوسيع الملكيات الزراعية الكبيرة المملوكة من قبل المتنفذين سياسيا واجتماعيا، كشيوخ العشائر والملاكين الكبار من الساسة^(١٢٠٥). وهو القانون الذي سنه رشيد عالي الكيلاني، وقد تحدثنا عنه سابقا في أكثر من مناسبة.

١٢٠٢- العارف، المصدر السابق، ص ٢١٨-٢١٩.

١٢٠٣- المصدر السابق، ص ٢١٧.

١٢٠٤- الاقتصاد الريعي: هو الاقتصاد الذي يعتمد على إنتاج سلعة واحدة كالنفط كما هو في حالة العراق.

١٢٠٥- المصدر السابق، ص ٢١٥.

وكان التعليم - وهو مفتاح اية نهضة في العالم - المجال الأوضح لانجازات عبد الكريم قاسم، خلال الأربع سنوات ونصف السنة، التي حكم فيها العراق. فعند قيام الثورة، كان عدد المدارس الابتدائية في العراق ٢٢٤٥ مدرسة، أصبح عددها ٤١٥٣ مدرسة عام ١٩٦٢. وعدد معلميها قبل الثورة ١٢٧٩٣ فأصبح ٢٨٣٤٤ معلما. وكان عدد طلابها ٤٣٧٥٠٢ طالبا عام ١٩٥٨، فأصبح العدد ٨٧٦١١٨ طالبا. أما المدارس المتوسطة والثانوية فكانت سنة ١٩٥٨ لا تزيد على ٢٤٤ مدرسة فغدت ٤٠٦ مدرسة. وزاد عدد مدرسيها من ٢٤٦٩ إلى ٤٠٧٨ مدرسا، وعدد طلابها من ٧٠٠٩٢ إلى ١٥٥١٤٣ طالبا^(١٢٠٦). وبلغت نسبة الذين دخلوا إلى المدارس الابتدائية من الذكور - سنة ١٩٦٢ - وهم في سن التعليم ٩٢٪، وهي أعلى نسبة بلغها التعليم الابتدائي بين الذكور في تاريخ العراق في أي يوم من الأيام^(١٢٠٧). ونفذ عبد الكريم قاسم مشاريعا سكنية، شملت معظم أرجاء العراق. فقد بنى دورا حديثة وزعها على العمال و ذوي الدخل المحدود. ولا بد ان نقف عند المشروع الأهم في هذا المجال، والذي التصق باسمه، وزاد من شعبيته، وهو بناء مدينة الثورة. فقد أصر عبد الكريم قاسم على أجهزة الإسكان، بان يتم إنشاء مدينتي (الثورة) و(الشعلة)، لتفتتحا خلال الاحتفالات بمرور سنة على قيام الثورة. ورغم صعوبة ذلك، فقد أنجز بناء المدينتين^(١٢٠٨).

وهكذا وخلال السنة الأولى، ازيلت الصرائف المحيطة بالعاصمة وانشأت محلها مدينة زاهية، مجهزة بالماء الصافي والكهرباء، وسميت بمدينة الثورة. وأخرى مثلها تقع شمال بغداد، سميت بمدينة الشعلة. واسكن فيهما معظم سكان الصرائف. لقد توسعت بغداد خلال سنتين إلى عشرة أضعاف ما كانت عليه قبل الثورة، وأصبحت الضواحي التي كانت مثيرة للقرف والاشمئزاز عنوانا للفخر ومحط أعجاب الزوار الأجانب^(١٢٠٩).

١٢٠٦- المصدر السابق، ص ٣٤٢.

١٢٠٧- المصدر السابق، ٢١٦.

١٢٠٨- المصدر السابق، ص ٢١٥.

١٢٠٩- المصدر السابق، ص ٢١٥-٢١٦.

ومما يثير الأسى ان إسماعيل العارف يروي بانه ذهب مع عبد الكريم قاسم ليلا، لإلقاء نظرة أخيرة، على أحوال سكان الصرائف قبل ان يُنقلوا إلى القرية الحديثة المجاورة لمنطقتهم، ويتذوقوا لأول مرة في حياتهم طعم السكن اللائق بالإنسان. وكانا فرحين بما سيتحقق لهؤلاء الناس من حياة جديدة مشرقة. ولكن ما ان ترجلا من السيارة، وتجمع سكان الأكواخ حول عبد الكريم يقبلونه ويقبلون سيارته، حتى انبرى له شيخ منهم طالبا ان يأمر الجهات التي ستهدم أكواخهم، أن يتركونهم فيها، لانها ديارهم التي تعودوا العيش فيها، ولا يحبذون الانتقال منها. فقال له عبد الكريم: (لقد هيأنا لكم دورا لائقة فيها الماء الصافي والكهرباء.. اليس افضل لكم ان تعيشوا فيها بكرامة؟ اخرجوا غدا وقفوا على السدة الترابية مجردين من اثاثكم وسوف ابعث اليكم بمن يرتب احوالكم). ثم ركب عبد الكريم والعارف السيارة وهما متألمان، لان التعاسة المزرية التي عاشها هؤلاء البؤساء غطت اعينهم بغشاوة كثيفة، أفقدتهم القدرة على التمييز وقتلت فيهم التطلع إلى حياة افضل.

وفي اليوم التالي، صدر الامر إلى هندسة الجيش، بتسوية الأكواخ بما فيها من أثاث قذر، وان يردم فيها المستنقع الذي أقيمت على جانبيه.

في الجانب الصحي، بذل الدكتور محمد الشواف (شقيق العقيد عبد الوهاب الشواف) وزير الصحة، جهودا مضنية، لتوسيع الخدمات الصحية، حتى انه كان يثير في بعض الاحيان غضب زملائه الوزراء عليه، بسبب إلحاحه ومتابعته التي لا تكل، لانجاز المستوصفات والمستشفيات والمراكز الصحية في القرى والأرياف النائية. كان عدد الأطباء لا يزيد عن سبعمائة وخمسين طبيا، معظمهم في بغداد والمدن الرئيسية، فتم فتح كلية طب جديدة في الموصل، وتقرر ان يخدم الطبيب المتخرج حديثا فترة في الأماكن النائية^(١٢١٠).

وبذلت جهود جبارة لمضاعفة الطاقة الكهربائية، فأنشئت مصلحة الكهرباء الوطنية المستقلة، من اجل مد أسلاك التوتر العالي إلى مختلف انحاء العراق. وقد أعطيت الأسبقية

للقرى الحدودية، وخاصة المجاورة لإيران، حيث جهزت بالنور والماء الصافي^(١٢١١). واهتمت الدولة بتقديم الخدمات الاجتماعية إلى المعوقين، وبنت مراكز لايواء الاحداث والأيتام، ودورا للعجزة المسنين، ومدارس إصلاحية، ومعاهد للمعوقين. كما أنشأت الحمامات الشعبية في المناطق الفقيرة التي تفتقر دورها إلى حمامات خاصة للغسيل. وتم بناء مركز للنساء الجانحات، للقضاء على البغاء، فكان يستقبل من تقرر المحاكم ارسالهن إليه، وقد سمي المركز بمدينة الرشاد^(١٢١٢).

وفي مجال الزراعة، أنشئت خمس مراكز حكومية للبنجر و القطن والحبوب والرز والاعشاب الطبية. كما أنشئت أربعة مراكز لتأجير مكائن الحراثة الزراعية، موزعة على خمس مناطق في العراق. كما شرعت الحكومة في دراسة اقامة سدود وخزانات عديدة على دجلة والفرات، مع دراسة مفصلة لإنشاء شبكة لبزل اراضي جنوب العراق الزراعية. وذلك بمساعدة الاتحاد السوفيتي^(١٢١٣).

لقد كانت انجازات عبد الكريم قاسم في مجال الري والزراعة، التي اشرنا اليها آنفا، متواضعة جدا. ويشعر المرء بالاسف الشديد لعدم تنفيذ مشاريع السدود والخزانات، التي تمت دراستها، وخاصة سد حديثة، بالاستفادة من الاتحاد السوفيتي، الذي يعد من ابرع الدول المتقدمة في مجال بناء السدود. وكذلك لعدم تنفيذ شبكة بزل اراضي الجنوب. الامر الذي تسبب بعد سنوات قليلة في خراب الزراعة في العراق. ولا يتحمل عبد الكريم قاسم وحده المسؤولية الكبرى عن خراب الزراعة في العراق، بل يتحملها الذين جاؤوا بعده أيضا، و الذين رفضوا اقامة سد حديثه، رغم تحذيرات الاتحاد السوفيتي لهم من المخاطر العديدة التي سيتعرض لها الري في حوض الفرات، اذا تأخروا في إنشاء هذا السد^(١٢١٤).

١٢١١- المصدر السابق، ص ٢٣٠.

١٢١٢- المصدر السابق، ص ٢١٧.

١٢١٣- المصدر السابق، ص ٢٣٠.

١٢١٤- خليل ابراهيم حسين، المصدر السابق، ص ١٦٠- ١٦١ (الحاشية) والعارف، المصدر السابق، ص ٢٣٠.

وانشئت العديد من المصانع ومشاريع النقل والمواصلات، بمساعدة الاتحاد السوفيتي. والذي تقرر ان يقوم أيضا» بمسح العراق جيولوجيا ومعدنيا. لكن المساعدة السوفيتية، في المجال الصناعي، كانت وكما اشرنا آنفا فاشلة تماما. فالمصانع التي تم الاتفاق معهم على انشائها، اما تأخرت أو صرف النظر عنها فيما بعد^(١٢١٥).

لقد تجاوز المفاوض العراقي كل الأسس الاقتصادية المتعارف عليها في التعاقد على اقامة المصانع، ولم يلتفت للجدوى الاقتصادية، ولم يدرس ملفات التصنيع لدى مجلس الاعمار المنحل، ولم يناقش العروض السابقة التي قُدمت لمجلس الاعمار، ويفاضل بينها وبين ما قدمه الاتحاد السوفيتي. فضلاً عن التخلف التكنولوجي لبعض المصانع التي اشتروها من الأخير، الامر الذي دفع كاتباً مرموقاً ووزيراً للصناعة كالاستاذ خليل إبراهيم حسين ان يقول: (رغم اخطاء مجلس الاعمار السابقة فانه لم يقع بالاطياء القاتلة التي وقعت في الاتفاقية الاقتصادية المعقودة مع السوفيت في ١٦ آذار ١٩٥٩)^(١٢١٦).

ولكن بالقياس إلى العهد الملكي، فان ثمة نهضة صناعية قد حدثت في عهد عبد الكريم قاسم. يقول حنا بطاطو: (ومما له مغزى ان اصحاب المصانع لم يعرفوا ازدهارا كالذي عرفوه في عهد عبد الكريم قاسم (١٩٥٨ - ١٩٦٣) الذي كانت سياساته الاقتصادية والمالية موصى بها - إلى درجة غير قليلة - من الوطنيين الديمقراطيين، وبدقة اكبر، من محمد حديد الذي كان له في تلك السنوات نفوذه في الحكومة حتى عندما كان خارجها)^(١٢١٧).

اما في المجال النفطي، فقد بدأت المفاوضات بين الحكومة العراقية وشركات النفط، حول الاتفاقيات السابقة، بناء على طلب العراق، في آب ١٩٥٨. وبعد مفاوضات مضمينة تمكن الجانب العراقي من تحقيق بعض المكاسب الأولية، فاسترجعت المياه الإقليمية الواقعة شمال الخليج العربي والقريبة من شط العرب، والتي كان التنقيب فيها عن

١٢١٥- مير بصري، المصدر السابق، الجزء الاول، ص ٢٩٨.

١٢١٦- خليل ابراهيم حسين، المصدر السابق، ص ١٥٦.

١٢١٧- بطاطو، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص ٣٤٦.

النفط حكراً على شركات النفط التي تحتكر النفط العراقي. واخذ العراق يتسلم حصته العينية من النفط الخام داخل العراق بسعر مخفض، وفرض على الشركات تجهيز مصفى الدورة والمصافي التي ستنشأ في المستقبل بالنفط الخام لتصدير المشتقات النفطية، وأكرهت الشركات (أي شركات النفط التي كانت تحتكر نفط العراق) على تجهيز الغاز الطبيعي للمشاريع الصناعية الحكومية العراقية مجاناً، بعد ان كانت تحرقه دون تعويض. وخفضت فائدة القرض الذي حصلت عليه الحكومة السابقة من شركات النفط، من ٥,٥% إلى ٢%، وفرضت على الشركات سياسة تعريق الشركات كلما تيسر اختصاصي عراقي لاشغال مركز فني أو اداري يخلو من الأجانب، كما طلب من الشركات ان تضاعف عدد البعثات النفطية لتدريب العراقيين في المؤسسات والمعاهد الخارجية، وتولت وزارة المعارف العراقية ترشيح المؤهلين، لمنع الشركات من اختيار الأشخاص الذين يوافقون أهواءها. وطلب من الشركات ان تضاعف الإنتاج، بإنشاء الميناء العميق في مرفأ الفاو، لمضاعفة التصدير عن طريق الخليج العربي.

توقفت المفاوضات بين شركات النفط والحكومة العراقية، بعد محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم، في خريف ١٩٥٩. واستؤنفت في آب ١٩٦٠، الا انها تعثرت، فقرر عبد الكريم قيادتها بنفسه^(١٢١٨).

وفي احدى جلسات المفاوضات التي ترأسها، قال عبد الكريم لممثلي الشركات، وهم من الانكليز والاميركان والفرنسيين والهولنديين:

- ما هو رأيكم ان توافقوا على ضم (احدى امارات الخليج) للعراق ونهني المفاوضات ونقبل بالشروط السابقة؟

فغضب رئيس الوفد الأمريكي واخذ يزبد ويرعد قائلاً:

- لم نفهم من مفاوضاتكم شيئاً كل يوم مطلب جديد.

فرد عليه عبد الكريم قائلاً:

- انا سأقصف كل آبار نفط الكويت والعراق والسعودية وإيران اذا لم تستجيبوا لمطالبينا.

١٢١٨- العارف، المصدر السابق، ص ٤٠٤-٤٠٦.

فخرج وفد الشركات، وانقطعت المفاوضات^(١٢١٩).

أثر تأزم الأوضاع بين الحكومة والبارزاني في الشمال، على الموقف التفاوضي للحكومة مع شركات النفط. وما طلت الأخيرة بأنه لا يمكن الاطمئنان على سلامة تنفيذ ما يتفق عليه والأوضاع في شمال العراق غير مستقرة، وآبار النفط في كركوك مهددة بخطر التخريب. فما كان من عبد الكريم قاسم إلا وعقد مؤتمرا صحفيا، بعد أيام من اندلاع الحركة الكردية، أعلن فيه القضاء على التمرد، واتهم الشركات النفطية والولايات المتحدة وبريطانيا بأنهم كانوا وراء حركة التمرد^(١٢٢٠).

لم ينفع ما قاله في الضغط على الشركات، ولم تغير موقفها، فصدر - في ١١ كانون الأول ١٩٦١ - القانون رقم ٨٠، الذي انتزع من شركات النفط ٩٩,٥٪ من الأراضي العراقية، والتي كانت ضمن امتياز شركات النفط، منذ عام ١٩٢٥، ولم تستثمر. وحصر حقوق الامتياز للشركات في الأراضي التي فيها حقول نفط مستثمره. والزم الشركات بأن تقدم للحكومة مجانا، خلال ثلاثة أشهر، كل مالديها من مواد ومعلومات حول النفط، في الأراضي غير المستثمرة والتي استعادها القانون رقم ٨٠^(١٢٢١).

وفي يوم ٦ شباط ١٩٦٢، صادق مجلس الوزراء، على قانون شركة النفط الوطنية، لتقوم باستخراج النفط من الأراضي التي استعادها القانون رقم ٨٠. ثم وقع عليه عبد الكريم قاسم قبل اعدامه بساعات^(١٢٢٢). فقد كان مصرا على توقيعه، تحت قصف طائرات ودبابات الانقلابيين، لأنه كان يعتقد بأن هدف الانقلاب هو اسقاط القانون رقم ٨٠.

يقول إسماعيل العارف:

١٢١٩ - خليل ابراهيم حسين، المصدر السابق، ص ١٩٧ (ومصدر معلوماته هما الدكتور طلعت الشيباني وزير النفط وكالة (١٩٥٩ - ١٩٦٠) وهاشم جواد وزير الخارجية (١٩٥٩ - ١٩٦٢) وكلاهما عضوان في الوفد المفاوض).

١٢٢٠ - المصدر السابق، ص ١٩٨.

١٢٢١ - المصدر السابق، ص ١٩٩ - ٢٠١.

١٢٢٢ - العارف، المصدر السابق، ص ٤٠٦.

(ان عبد الكريم قاسم همس في اذني بعد توقيعنا على القانون عندما خرجنا سوية نتجول ليلا في مناطق العمال قائلا وهو يبتسم انه اقدم على تأمين امتيازات الشركات النفطية وهو يعلم بانه سيكلفه حياته)^(١٢٢٣).

ويقول الأستاذ خليل إبراهيم حسين، ومن الضروري التكرار هنا بانه من الضباط الأحرار الذين انشقوا على عبد الكريم قاسم، وقد تولى منصب وزير الصناعة عام ١٩٦٧:

(لقد كان اصدار هذا القانون ثورة ضد استغلال الشركات الأجنبية لحقوق العراق والأمة العربية ودول المنطقة الأخرى غير العربية وانقلاباً مهماً في صناعة النفط العالمية باعتباره أول عمل ثوري ناجح بعد تأمين (قناة السويس).. ينطوي على استرداد حق من حقوق الأقطار المنتجة بواسطة تشريع منفرد ويضع الخطوة الأولى في طريق إخضاع امتيازات النفط إلى سيادة القانون الدولي)^(١٢٢٤).

واعتقد ان عبد الكريم وقد ادخل يده في عش الدبابير، كان عليه ان يجتني العسل كله، ولا اتفق مع إسماعيل العارف في قوله:

(كان في نية حكومة عبد الكريم قاسم تأمين النفط كلياً وطرد الشركات الأجنبية التي احتكرت ثروة العراق النفطية. الا ان الحكومات السابقة لم تحاول تهئية المتطلبات اللازمة لهذه المرحلة الأخيرة. فكان التأمين بعد الثورة مباشرة يشكل مجازفة خطيرة. إذ قد يؤدي ذلك من بين أمور أخرى إلى توقف ضخ النفط)^(١٢٢٥).

فالاتحاد السوفيتي كان سيوفر كل ما يحتاجه العراق من خبراء وفنيين، للاستمرار في استخراج نفطه. بل وسيقوم بشراء كل ما يصدره العراق من نفط، اذا ما فرض الغرب مقاطعة على النفط العراقي بعد تأمينه، كما فعل مع النفط الإيراني المؤمم في زمن مصدق. ثم ان ظروف العالم في مطلع الستينات، أصبحت مختلفة تماماً، عما

١٢٢٣- المصدر السابق، ص ٤٠٧.

١٢٢٤- خليل إبراهيم حسين، المصدر السابق، ص ٢٠١.

١٢٢٥- العارف، المصدر السابق، ص ٤٠٤.

كان عليه الحال في مطلع الخمسينات. ويقول هاشم جواد وزير خارجية قاسم واحد أعضاء الوفد العراقي المفاوض: ان الممثلين الفرنسيين في المفاوضات كانوا يسألونني لماذا لا تؤمّمون حصة الشركات صاحبة الامتياز في نفطكم؟ وفرنسا على استعداد لدعمكم وعقد اتفاق جديد معكم لاستثمار البترول في العراق؟ وبذلك ستحصلون على حقوقكم المغتصبة^(١٢٢٦).

ولا بد ان نشير إلى الجهود التي بذلتها حكومة عبد الكريم قاسم، لإنشاء منظمة الأقطار المصدرة للنفط (اوبك)، والتي تأسست في بغداد في ١١ أيلول ١٩٦٠، وكان أول نصر لها على شركات النفط فرضها زيادة ١٠٪ على أسعار النفط عام ١٩٦٤. واصبحت ابتداء من عام ١٩٧٣، القوة العالمية الأولى، التي تتحكم بأوضاع السوق النفطية في العالم^(١٢٢٧).

كان وزراء عبد الكريم قاسم، واغلب مساعديه المقربين، يتسمون بالكفاءة والنزاهة، لكن المشكلة كانت في عبد الكريم قاسم نفسه. فهو لم يكن مؤهلاً لقيادتهم. على أي حال، لم يستطع اعداؤهم، الذين تولوا الحكم بعدهم، ان يلصقوا بهم اية تهمة مالية أو أخلاقية. وهذا ما يفسر تحقيق حكومة قاسم، لانجازات كثيرة، بموارد قليلة^(١٢٢٨).

وقد شحت الموارد بعد اندلاع الثورة الكردية، والتي اخذت تكلف الميزانية مبالغ باهظة. وزاد الأمور سوءاً، قيام شركات النفط بإبطاء سرعة الإنتاج، انتقاماً من القانون رقم ٨٠^(١٢٢٩)، الامر الذي يؤكد بان تأميم النفط كان هو الأنجع. وقد انعكس كل ذلك على التنمية والحالة الاقتصادية في البلد، والتي أصيبت بالتعثر والاختناق. ومن المفيد أن نشير إلى ما يعده الكثيرون انجازاً من انجازات قاسم، وهو قانون

١٢٢٦- خليل ابراهيم حسين، المصدر السابق، ص ١٩٩.

١٢٢٧- المصدر السابق، ص ١٩٦- ١٩٧ (الهامش).

١٢٢٨- كانت عائدات النفط في عهد قاسم حوالي المليار دولار واصبحت في عهد صدام وتحديدًا عام ١٩٧٨ حوالي ٣٠ مليار دولار.

١٢٢٩- سلوجت، المصدر السابق، ص ١٢٨.

الأحوال الشخصية، والذي ساوى فيه بين الرجل والمرأة، في الإرث والشهادة امام المحاكم^(١٢٣٠)، خلافا لنصوص قرآنية واضحة. مما أضرّ بمكانته لدى فئات عديدة من المجتمع العراقي، دون ان ينفع المرأة العراقية في شيء. فتطبيق هكذا قانون كان امرا متعذرا، في بلد إسلامي محافظ، يشكل فيه الاميون أكثر من ٨٠٪ من سكانه. فكان هذا القانون واحدا من حماقاته الكبرى، اذ أدى إلى خسارته، وفي فترة صراع سياسي حادة، لبعض من شعبيته، وإلى إضافة قوى أساسية في المجتمع العراقي، إلى قائمة أعدائه، كالمرجعية الدينية الشيعية، والأحزاب الإسلامية، وخطباء المنبر الحسيني، وأئمة الجمعة، والذين لعبوا دورا كبيرا في التأييد عليه وتهيئة الأجواء لإسقاطه.

وما دمنّا قد ذكرنا المرجعية الدينية الشيعية في النجف، فلنتحدث قليلا عن علاقتها بعبد الكريم قاسم، فلم يحظ حاكم عراقي بدعمها كما حظي هو. فقد بعث له المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم بعد عشرة أيام من قيام الثورة، وعلى غير عادته، برسالة نصح وتأييد، وقد ورد فيها:

(لقد سرنى ما يبلغني عنكم من خطوات سديدة جبارة في هذه الآونة القصيرة الامر الذي يستوجب لكم الإكبار والإعظام، لذلك أبارك لكم فيما أولاكم الله به وأدعو لكم بحسن التوفيق لخدمة الدين والإسلام، والمحافظة على الصالح العام)^(١٢٣١).

لكن صدور قانون الأحوال الشخصية، وترك الشيوعيين يعيشون فسادا في البلاد، أدى

١٢٣٠- عبد الخالق حسين، المصدر السابق، ص ٥٦.

١٢٣١- عدنان ابراهيم السراج، الامام محسن الحكيم، بيروت ١٩٩٣، ص ٣١٧. وراجع ايضا خليل ابراهيم حسين، ثورة الشواف (مصدر سابق) ص ٨٨-٨٩. ويروي حسين بان قاسم استبشر برسائل العلماء وخاصة رسالة الحكيم والتي اخذ يستفسر عن معنى كل جملة فيها. وكانت الرسائل قد ارسلت بناء على طلب حكومة الثورة لاثبات تأييد الشعب لها امام امريكا التي تحجج سفيرها بعدم تأييد قسم من الشعب العراقي للثورة لتبرير عدم اعتراف الولايات المتحدة بالثورة وبالتالي فان اعترافها بالثورة يتوقف على تأكيدها من تأييد الشعب العراقي لها.

إلى توتر العلاقة بين الطرفين. ولم يقف الامر عند هذا الحد، بل وعندما نشرت احدى الصحف الموالية للحزب الشيوعي، رسماً كاريكاتيرياً مهيناً للمرجع الديني الحكيم، وكان الرسم على شكل حمار كتب عليه الحمار الحكيم، انبرى عبد الكريم ومن دونما ضرورة ليدافع عن الجريدة قائلاً: (انها جريدتي).

وهكذا كان عبد الكريم قاسم - كأبي أحمق - يزج نفسه في أمور تضره، ويبدد أوراقه، كطفل يرمي برسومه الجميلة، في اتون نار مشتعلة. فكان يوم ٨ شباط وحيداً في مواجهة قدره المأساوي.

الشعوبية وعبد الكريم قاسم:

ان أي عربي يسمع بكلمة (الشعوبية)^(١٢٣٢)، ينصرف ذهنه على الفور إلى العصر العباسي، حيث ظهرت هذه التسمية لأول مرة، وانتشرت، ثم اختفت. ولكن (الطائفية السياسية)^(١٢٣٣) في العراق، اخترعت للشعوبية وظائف جديدة، وكانت سلاحها الامضى في الحرب على عبد الكريم قاسم، لذلك فان الامر يحتاج إلى بعض التفصيل. وأول من استعمل الشعوبية بمدلولها الجديد، هو الاحتلال البريطاني للعراق. (فالذي يبدو ان البريطانيين قد اكتشفوا مصطلحاً قديماً، يمكن توظيفه لاغراض سياسية، في مواجهة المتمردين على الاحتلال، ومعارضين سياستها)^(١٢٣٤). وقد دأبت مهندسة السياسة الاستعمارية البريطانية في العراق، المس بيل، السكرتيرة الشرقية للحاكم البريطاني العام في العراق، على تسمية الشيعة بالاغراب، للايماء إلى انهم من اصول فارسية، وبالتالي لالصاق تهمة الشعوبية بهم. فهي تقول:

١٢٣٢- اظن ان واحداً من افضل البحوث العلمية عن الشعوبية، ان لم يكن افضلها على الاطلاق، هو للعلامة مرتضى العسكري، في كتابه خمسون ومائة صحابي مختلف. ١٢٣٣- راجع المؤلف، على حافه الهاوية، ص ١٩٩ وما بعدها. ١٢٣٤- حسن العلوي، التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي في العراق، لندن ١٩٨٨، ص ١٤٥.

(أما أنا، شخصياً، فابتهج وافرح أن أرى هؤلاء الشيعة الاغراب يقعون في مأزق حرج، فإنهم من أصعب الناس مراساً وعناداً في البلاد)^(١٢٣٥).

وعموماً (كانت السياسة البريطانية في العراق، منذ البدء.. تقوم على إقصاء جميع الشيعة عن المناصب الرفيعة المسؤولة)^(١٢٣٦).

وكان أول من أفصح عن المدلول الحقيقي لكلمة الشعوبية، في استعمالها الحديث، باعتبارها الاسم السري للشيعة، عند الطائفية السياسية التي حكمت العراق منذ ١٩٢٠، هو عبد الرزاق الحسان، في كتابه (العروبة في الميزان) الذي صدر عام ١٩٣٧. يقول الحسان:

(إن الشيعة شعوبيون بالاجماع، فرس بالاجماع، وهم من بقايا الساسانيين في العراق، ولا حق لهم في سلطة، أو في تمثيل في السلطة)^(١٢٣٧). وهكذا يُتهم الشيعة بالشعوبية، كي يظلوا قابعين راضين بالمواطنة الثانية. فإذا تحركوا، قيل لهم انكم شعوبيون^(١٢٣٨). والجدير بالذكر أن الحسان هذا مجهول الاصل، وقد تبنته الطبقة الطائفية التي حكمت العراق بعد عام ١٩٢٠. والتي كان معظم رجالها من اصول عثمانية^(١٢٣٩). وكان ياسين الهاشمي من ابرز رجال هذه الطبقة، الذين احتضنوه وتبنوا مقولاته^(١٢٤٠). وعن ياسين، يقول توفيق السويدي، رئيس وزراء العراق في العهد الملكي: (وقد اختلف الذين يعرفون عائلته في أصلها، فمن قائل أنه ينتسب إلى عشيرة

١٢٣٥- الدكتور عبد الله النفسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث (مصدر سابق)، ص ١٩٩.

١٢٣٦- المصدر السابق نفسه.

١٢٣٧- العلوي، المصدر السابق، ص ١٤٤.

١٢٣٨- المصدر السابق نفسه.

١٢٣٩- القيسي، المصدر السابق، ص ٣٢٢.

١٢٤٠- العلوي، المصدر السابق، ص ١٢ وراجع أيضاً مذكرات طه الهاشمي، الجزء الثاني، ص ٢٤٤.

(الكروية) والمعروف ان الكروية ليست من أصل عربي لأنها أتت من أجداد كان قد جلبهم السلطان مراد الرابع معه من الأناضول، فأقامهم في الطريق البري الذي كان يربط العراق بالأناضول.. وقد أصبح ياسين حلمي بعد ثورة الحجاز ودخول القوات العربية دمشق في سنة ١٩١٨ ياسين الهاشمي^(١٢٤١).

لم يعد العراقيون يسمعون بالشعوبية، بعد انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٧، الا نادرا. لكنها عادت للظهور بقوة، بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وصار معارضو عبد الكريم قاسم، يصمونهم ونظامه بالشعوبية.

ويجب القول ان الشعوبية الجديدة، وككل اسم لا ينطبق على مسماه، ظلت مفهوما ملتبسا، خاصة وان كل الذين يتبنون استخدامها، يفتقرون إلى الجرأة التي يملكها الحصان، فيعمدون إلى اللف والدوران، ليغطوا على هدفهم الحقيقي من هذه الشتيمة^(١٢٤٢).

فعلى سبيل المثال، فان وزير خارجية عبد السلام عارف، صبحي عبد الحميد، وهو بالمناسبة من اصول غير عربية، يقول: (اما اليوم فقد ظهر بين العرب من شارك الآخرين بتبني المبدأ الشعبي بمحاربة الدعوة للوحدة العربية تحت ستار التقدمية والشيوعية أو التطرف الديني)^(١٢٤٣).

والسؤال الذي يطرح نفسه على صبحي عبد الحميد، وغير صبحي عبد الحميد: اذا كان الفيصل هو الوحدة، لماذا لا يصمون عبد السلام عارف، وأحمد حسن البكر، وصادم.. وغيرهم بالشعوبية؟ وبإمكان المرء ان يتحدث عن شخصيات قومية كثيرة معادية للوحدة، ولكنني سأكتفي هنا بأمثلة قليلة، عن شخصيات من هذا القبيل شاركت تحت شعار الوحدة العربية، بانقلاب ٨ شباط ضد عبد الكريم قاسم^(١٢٤٤):

١٢٤١- السويدي، وجوه عراقية عبر التاريخ(مصدر سابق)، ص٧١ وانظر ايضا بطاطو، المصدر السابق، الجزء الاول، ص٢١٢-٢١٨ و٢٤٦ وما بعدها.

١٢٤٢- انظر العلوي، المصدر السابق، ص١٤٤.

١٢٤٣- صبحي عبد الحميد، المصدر السابق، ص١٣٤ (الهامش).

١٢٤٤- كما ذكرنا سابقا، ما ان استلم الحكم الذين قتلوا عبد الكريم قاسم باسم الوحدة، حتى اعلنوا: (بانهم ما كانوا يريدون وحدة او اتحادا) (هويدي، المصدر السابق، ص٥٥).

١- كان اللواء محمود شيت خطاب وزير البلديات بعد انقلاب ٨ شباط (يلح في ضمه للوفد العراقي الذاهب إلى مفاوضات الوحدة في القاهرة، بحجة براعته في المناورة وقدرته على خداع عبد الناصر)^(١٢٤٥).

٢- أصدر مسارع الراوي وزير الإرشاد (الاعلام) - في ٢٤/٣/١٩٦٢- تعليماته للصحف بعدم الإشارة إلى أية أخبار تتعلق بموضوع الوحدة^(١٢٤٦).

٣- كان عبد السلام عارف يبدي سرّاً ملاحظات مهينه ضد جمال عبد الناصر وذهب في ذلك إلى درجة راح معها يظهر كرهاً له يزيد على كرهه لقاسم^(١٢٤٧). كما دأب على مهاجمة الجمهورية العربية المتحدة كلما زاره وفد فلاحى أو عمالي في القصر.. ومرة ذكر ان المجتمع المصري مجتمع فاسد يعج بالفنانين وبنات الهوى. وأبدى في مرة أخرى استغرابه من تلهف القوميين أمثال فلان وفلان على الوحدة مع مصر^(١٢٤٨).

٤- كان عبد الغني الراوي يشدد على المصالح الإقليمية للعراق^(١٢٤٩). وقد تحالف وتعاون الراوي فيما بعد مع شاه إيران، ثم التجأ عام ١٩٦٩ إلى إيران، وبقي هناك حتى اندلاع الثورة الإيرانية، فهرب إلى السعودية.

٥- وكان كل من اللواء عبد العزيز العقيلي واللواء رشيد مصلح يشددان على دور عراقي مستقل في السياسات العربية^(١٢٥٠). ويهدفان من ذلك الابتعاد عن مصر وخط عبد الناصر، فهما معروفان بمعارضتهما للوحدة العربية، وبعدم ميلهما لجمال عبد الناصر.

ان اتهام عبد الكريم قاسم بالشعوبية، يبدو أنه جاء بسبب أمه الشيعية، وبسبب ما

١٢٤٥- فرحان، حصاد ثورة (مصدر سابق) ص ٨٠١ (الهامش).

١٢٤٦- هويدي، المصدر السابق، ص ٥٧-٥٨.

١٢٤٧- خدوري، العراق الجمهوري (مصدر سابق)، ص ٢٨ (الهامش).

١٢٤٨- فرحان، المصدر السابق، ص ١٦٩.

١٢٤٩- خدوري، المصدر السابق، ص ٣٥٧.

١٢٥٠- المصدر السابق نفسه.

امتاز به من تسامح ديني (والذي ربما استمدّه من منبت نصف شيوعي ونصف سني) مما نتج عنه ان الشيعة، والمسيحيين، واليهود، والصابئة، وكل أفراد الأقليات المختلفة داخل البلاد، كانت تشعر بالراحة في ظل حكمه^(١٢٥١).

ومن الصعوبة، ان يجزم المرء بان عبد الكريم قاسم كان سنياً أم شيعياً^(١٢٥٢). لكن ما هو جدير بالملاحظة ان اغلب الضباط المحيطين به كانوا من السنة (عبد الكريم الجدة، جلال الاوقاتى، طه الشيخ احمد، وصفي طاهر، احمد صالح العبدى، ماجد محمد أمين.. وغيرهم).

ولم يخرج عبد الكريم قاسم في تشكيل وزارته، عن تقاليد الطائفية السياسية^(١٢٥٣)، التي حكمت العراق منذ عام ١٩٢٠، والتي تقتضي بان يشكل الوزراء الشيعة، ربع أو خمس الوزراء فقط. اما تأييد الشيعة الفقراء له فيمكن ان يفسر عن طريق اهتمامه برفاهيتهم^(١٢٥٤).

ان عبد الكريم قاسم ربما كان أكثر حماساً للعروبة، من كل الذين ثاروا عليه باسمها. ولكنه شأنه شأن عبد السلام عارف وطاهر يحيى واحمد حسن البكر وصادق.. وغيرهم، لم يكن متحمساً للوحدة. والفرق بينه وبينهم، انهم كانوا ينادون بالوحدة علناً، ويحاربونها سراً، اما هو فقد كان صادقاً مع الجماهير، ولم يطرح - كما فعلوا - شعارات وحدوية لم يكن يؤمن بها.

والسؤال الذي يظل يطرح نفسه بإلحاح: لماذا يوصم عبد الكريم قاسم وحده من بين أولئك بالشعبوية؟ خاصة وان الأمثلة التالية، تبين بوضوح انه أبعد الناس عنها:

١- كما مر بنا فانه جعل من ألوان علم الجمهورية العراقية رموزاً عربية وعلى النحو التالي: (اللون الأسود لكل من راية الرسول العربي الأعظم وراية العرب في صدر الإسلام

١٢٥١- سلوجت، المصدر السابق، ص ١٢٦.

١٢٥٢- حسن العلوي، عبد الكريم قاسم رؤية بعد العشرين، ص ٩٨.

١٢٥٣- هاني الفكيكي، اوكار الهزيمة (مصدر سابق)، ص ١١٨.

١٢٥٤- سلوجت، المصدر السابق، ص ٣٩١، هامش رقم ٥٧ (هامش الفصل الثاني).

وراية العرب في العراق. اللون الأخضر لراية العلويين. اللون الأبيض لراية العرب في الشام. اللون الأحمر العاتك لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وراية العرب في الأندلس).

٢- ان الخليج الفارسي هو الاسم الأقدم للخليج العربي. وكانت الدولة العثمانية تسميه بخليج البصرة، ولازلت الحكومة التركية تستخدم - حتى اليوم - هذه التسمية، في وثائقها الرسمية. وقد ورثت حكومة العراق الملكية، هذه التسمية، من الدولة العثمانية، ولو انها كانت تستخدمها على استحياء، حتى لا تثير غضب الحكومة الإيرانية.

اما أول من استعمل تسمية الخليج العربي بشكل رسمي، فهو عبد الكريم قاسم، فقد اصدر مجلس الوزراء العراقي برئاسته - في ١١/١١/١٩٦١ - قرارا رسميا بتسمية الخليج بالخليج العربي.

كما رفض عراق عبد الكريم قاسم، على لسان وزير خارجيته إدعاءات شاه إيران آنذاك، بأن البحرين تابعة لإيران، مؤكدا على عروبتها وانها جزء من الأمة العربية^(١٢٥٥).

٣- نصّ الدستور الذي أعلنه عبد الكريم قاسم، بعد الثورة، في مادته الثانية، ولأول مرة في تاريخ العراق، بأن (العراق جزء من الأمة العربية). والحقيقة ان هذا النص ليس له معنى علمي لانه يصف واقعا اجتماعيا^(١٢٥٦)، ولكنه يعبر عن هويته ورجال الثورة الآخرين العربية.

٤- بتاريخ ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠، عُقد المؤتمر الأول للتربية والتعليم في العراق، برعاية عبد الكريم قاسم، وقد اقر المؤتمر بأن أهداف التعليم ثلاثة، من بينها الالتزام بمبدأ أن العراق جزء من الأمة العربية^(١٢٥٧).

٥- بعد سقوط نظام صدام، صرح الممثل الرسمي للجالية الفلسطينية بالعراق، بأن هذه الجالية لم تحظ برعاية وامتيازات من حكومة عراقية، كما حظيت بذلك من حكومة عبد الكريم قاسم. وفعلا فقد منحهم مخصصات مالية وبنى لهم دورا وعاملهم

١٢٥٥- العارف، المصدر السابق، ص ٣٠٢.

١٢٥٦- ليث الزبيدي، المصدر السابق، ص ٢٢٨-٢٢٩.

١٢٥٧- العارف، المصدر السابق، ص ٢٣٥.

معاملة العراقيين. كما أسس جيش التحرير الفلسطيني كنواة لقوة فلسطينية تسعى لتحرير فلسطين. وتبرع لإقامة دار لرعاية الأمومة والطفولة الفلسطينية في بيروت. ودعم الهيئة العربية العليا لفلسطين برئاسة الحاج أمين الحسيني، بالأموال والمساعدات المختلفة^(١٢٥٨).

ودعم عبد الكريم قاسم، الثورة الجزائرية، بما نسبته ٢٪ من الميزانية العراقية^(١٢٥٩). وهذا أكبر دعم مالي عربي تحصل عليه الثورة. فالسعودية لم ترد مساعداتها لها عن ٣٠ ألف ريال، والجمهورية العربية المتحدة لم تدفع حصتها لدعم الثورة الجزائرية لسنتين. كما قطع العراق علاقاته بكل أشكالها مع فرنسا، ومنع طائراتها من المرور في سمائه. وكان العراق أول بلد يعترف بالحكومة الجزائرية المؤقتة فور تشكيلها.

المؤسف أن بن بلا الرئيس الجزائري، انحاز إلى جانب عبد الناصر، وهاجم عبد الكريم قاسم بعد مقتله^(١٢٦٠). وكان الأجدر به أن يعتز بعبد الناصر وأن يحترم في الوقت نفسه ما قدمه عبد الكريم قاسم لثورة الجزائر.

٦- دأب عبد الكريم قاسم في كل خطبه وبياناته، وحيثما يكون مناسبا ذكره في الأسباب الموجبة، التي توضع عادة لتفسير أو تبرير صدور قانون ما، على تأكيد الاعتزاز بالهوية العربية، والانتماء للأمة العربية. وكان حريصا على أن يخطب في الجماهير بالعربية الفصحى^(١٢٦١)، والتي كان متمكنا منها نحوًا وصرفًا، ومطلعًا على آدابها، فاحب من القدماء شعر المعري، ومن المحدثين، شعر الرصافي. فضلا عن إتقانه اللغة الانجليزية^(١٢٦٢).

١٢٥٨- المصدر السابق، ص ٢٧٩- ٢٨٠.

١٢٥٩- عبد الخالق حسين، المصدر السابق، ص ٥٤.

١٢٦٠- العارف، المصدر السابق، ص ٢٩٩- ٣٠١.

١٢٦١- أن صدام (بطل التحرير القومي) كان يخطب بالعامية وعندما يخطب بالفصحى من ورقة مكتوبة امامه كان يثير الضحك لكثرة أخطائه.

١٢٦٢- العلوي، المصدر السابق، ص ١٠٠.

يروى العارف عن اهتمام قاسم باللغة العربية قائلاً:

(في اوسط شهر مايس ١٩٥٩ زرتة في مقره بوزارة الدفاع وكان يجلس وحيدا يقرأ بعض الأوراق فجلست منتظرا ان ينهي عمله فابتسم وقال معلقا على ما يقرأ: الجماعة يجب ان يدخلوا دورة لتعلم قواعد اللغة العربية وآدابها))^(١٢٦٣).

الخلاصة، اذا كان المقصود بالشعوبية هو بغض العروبة، فعبد الكريم قاسم ابعد ما يكون عن ذلك. اما اذا كان المقصود بها هو عدم اقامة الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، فالاولى ان تطلق الشعوبية على أولئك الذين أطلقوها عليه، لانهم ذبحوا الالاف باسم الوحدة، ثم حاربوها وحاربوا جمال عبد الناصر.

وهناك من يغمز من أصل عبد الكريم قاسم، باعتباره من اصول غير عربية^(١٢٦٤) - وهو امر غير ثابت حتى عند اعدائه أنفسهم - رابطا بين ذلك وبين شعوبية عبد الكريم قاسم المزعومة. واذا كان الامر كذلك، لماذا يُتهم عبد الكريم وحده بالشعوبية؟ فأهم قادة الانقلاب عليه، هم من أصول غير عربية، ومع ذلك لا نجد أحدا يتهمهم بالشعوبية، رغم موقفهم المعادي للوحدة وجمال عبد الناصر. وإليك أسماء بعضهم مع ذكر مناصبهم بعد الانقلاب:

- ١- علي صالح السعدي/ أمين سر القيادة القطرية لحزب البعث/ نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية/ من عائلة كردية.
- ٢- العقيد الركن عبد الكريم مصطفى نصرت/ قائد الحرس القومي ثم قائد الفرقة المدرعة الرابعة/ من عائلة تركية.
- ٣- العقيد الركن خالد مكي الهاشمي/ عضو مجلس قيادة الثورة ومعاون رئيس أركان الجيش/ من اصول تركية (وهو من أقرباء ياسين الهاشمي).
- ٤- المقدم الركن عبد الستار عبد اللطيف/ عضو مجلس قيادة الثورة ووزير

١٢٦٣- العارف، المصدر السابق، ص١٨٦.

١٢٦٤- احمد فوزي، عبد الكريم قاسم في ساعاته الاخيرة، ص٤٩ (رأي نعمان ماهر الكنعاني) ويشاركة ايضا في هذا الرأي عبد الكريم فرحان وربما آخرون.

الموصلات/ من اصول تركية.

٥- العقيد الطيار منذر الوندائي/ قائد الحرس القومي/ من عائلة تركمانية.

وهناك العشرات، غير هؤلاء، من الذين حكموا البلاد بعد عبد الكريم قاسم، وهم من أصول غير عربية، وكانوا يرفعون راية القومية العربية، بل ان بعضهم كانوا قادة التيار القومي العربي في العراق، كخير الدين حسيب وعارف عبد الرزاق وصبحي عبد الحميد.. وغيرهم.

وقبل هذا وبعد هذا، لماذا لم يتهم نوري السعيد بالشعوبية؟ وهو من أصول غير عربية، وكان من أعدى أعداء عبد الناصر، وساند

العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ على مصر. ولماذا

لم يُتهم غيره من الحاكمين في العهد الملكي،

واغلبهم من أصول غير عربية، بالشعوبية؟

بينما يُتهم عبد الكريم قاسم بها، وهو اكثر

عروبة من كل أولئك الذين ادعوا بها(❖).

(❖) ان تقييم الآخرين على اساس اصولهم القومية (أو الدينية أو الطائفية) أمر مخزٍ، ولكنني أتناول هنا ما يتكلم به البعض.

شخصية عبد الكريم قاسم:

ليس هناك شخص اختلف فيه العراقيون - في العصر الحديث - كما اختلفوا في عبد الكريم قاسم. فمحبوه جعلوه في مصاف القديسين، وأضفوا عليه من الصفات والميزات، ونسبوا له من الأقوال والأفعال، ما يجعله أعظم زعيم في التاريخ. بل ومضى الخيال ببعض محبيه ابعد من ذلك، فتصوروه مسيحا آخر، فهو لم يقتل، وانما لازال حيا، وسيظهر قريباً. اما مبغضوه، فهم لم يكتفوا بتصويره شيطانا و سفاحا، بل وصفوه بالجنون، وشككوا في أصله.. الخ.

كذلك ليس هناك زعيم عربي، تعرض للتشويه، كما تعرض عبد الكريم قاسم فقد اجتمع على التشهير به الناصريون، والبعثيون، والإسلاميون، والرجعيون، وأعداء الشيوعية، وبعض الشيوعيين، والإعلام الخليجي والأردني، والإيراني والتركي، والغربي. وعندما سقط نظامه، كان الرأي العام العربي يعتبره أسوأ ديكتاتور وأبشع سفاح، وخطر عميل حارب القومية العربية.

في حين بكى بعده هذا الرأي العام العربي، بدموع ساخنة، على حكام كانوا عملاء لدى الموساد الإسرائيلي. وسأذكر بسرعة نموذجين منهما. يقول هيكل:

(ان الملك حسين ذهب - يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٧٣ - إلى مقابلة مع رئيسة وزراء إسرائيل (قبل أيام من ٦ أكتوبر ١٩٧٣) وحذر جولدا مائير من ان مصر وسوريا تدبران لشن معركة مفاجئة ضد القوات الإسرائيلية في سيناء والجولان)^(١٢٦٥).

اما النموذج الآخر، فهو الحسن الثاني ملك المغرب، الذي أعطى (للموساد ولغيرها من أجهزة الأمن الإسرائيلي الاذن بان تتسمع على مناقشات ومداولات مؤتمرات عربية وإسلامية على مستوى القمة)^(١٢٦٦).

ولابد من التشديد هنا، بانني لا اريد ان ابرر اية جريمة ارتكبتها عبد الكريم قاسم، أو ان اخفف منها، ولكن ما اريد ان أقوله بالضبط هو انه ليس بالسوء الذي صور به الإعلام العربي.

هناك شهادة تستحق التسجيل لاحد الذين عرفوه عن كثب، قبل وبعد ١٤ تموز، وأظن ان فيها قدرا معقولا من الحيادة والموضوعية وهي للواء عبد الحميد الحصونة الذي يقول: (ان قاسم قبل ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ غير قاسم بعدها وان كانت فيه صفات ثابتة لازمتها في المرحلتين، فهو كريم (بمعنى الكلمة) يصرف على أصدقائه ويعاون أهله ودائما مفلس. وهو جريء وجسور إلى حد الجنون وشجاعته في فلسطين معروفة.. كما كان منظما في عمله. وكان قبل الثورة لا يتورع في اقتناص المتعة بكل أنواعها، ولكن بعد تموز امتنع تماما وتغير تماما)^(١٢٦٧).. ومن صفات قاسم

١٢٦٥- محمد حسنين هيكل، كلام في السياسة (مصدر سابق)، ص ١٢٢.

١٢٦٦- المصدر السابق، ص ٣٣٢.

١٢٦٧- وهذا يعني ان الرجل يحترم نفسه ويحترم منصبه، فقد كانت له عشيقة قبل الثورة، فقطع علاقته بها بعد الثورة مباشرة. وهذه الصفة لم تكن مقتصرة على عبد الكريم قاسم، بل شاركه فيها عبد السلام عارف وعبد الرحمن عارف واحمد حسن البكر، حتى حكم العراق الاوباش أي صدام وابناؤه، والذين اخذوا يخطفون البنات الجميلات من الكليات والشوارع ويغتصبونهن.

الصمت فقد كان قليل الكلام وكان اقرانه في الكلية العسكرية يسمونه (أبو الهول) لصمته وتجهم وجهه. وكان كتوماً إلى حد أن مد يده وقال لي (ان هذه لا تدري بهذه).. وكان يصغي إلى الأقوال دون أن يناقشها أو يظهر وجهة نظره فيها وكان يميل إلى المسامحة والتسامح ولا يلجأ إلى معاقبة الجنود المخالفين. كما عرف عن قاسم (الخبث)^(١٢٦٨). فقد استطاع أن يوثق علاقته بنوري السعيد لابتعاد الشبهة عنه حتى أن السعيد كان يسميه (كرومي). كل هذا قبل تموز، أما بعد تموز وبعد أن صار الزعيم الأوحـد وتضخمت شخصيته وانتفخ من كثرة ما اسبغ عليه من ألقاب وأوصاف ما أنزل الله بها من سلطان فقد ظهرت عليه صفات جديدة وأخلاقيات جديدة فاكسب صفة (الطعالي) و(الكذب) وصفة (عدم الثقة) و(شهوة الحكم) والتفرقة حتى يسود.. ولازمته صفة عدم حبه (للقرأة) قبل وبعد تموز، فهو لا يقرأ حتى الجريدة، ولم أره يوماً يقرأ كتاباً.. وصفة الصمت التي كانت تلازمه قبل تموز تحولت إلى ثرثرة وكثرة كلام.. ويفرح ويبدو سعيداً عندما يسمع من الإذاعة تسجيلاً لخطاباته أو برنامج (من أقوال الزعيم) لقد تملكته شهوة الحكم). ويضيف إلى ذلك قائلاً: (كان نزيهاً عفيفاً نظيف الكف يعتز بكرامته)^(١٢٦٩).

ووصفه أحد الصحفيين الأمريكيين قائلاً:

(انه زعيم غريب في البلاد العربية. فهو لا يملك شخصية قوية تفرض نفسها فرضاً، وهو خطيب غير لامع، صوته رفيع، ووقوفه على المنبر قلق. لكنه رجل حالم، مترفع في سلوكه، ويحاول أن يحصل على ثقة جميع الناس)^(١٢٧٠).

ووصفه همفري تريفلان السفير البريطاني في بغداد (١٩٥٨ - ١٩٦١)، والذي كان على معرفة جيدة به، في كتابه (الشرق الأوسط في غمار الثورة):

(ان هذا الرجل غير الجذاب، الذي يعوزه السحر والالهام، المتدثر بخيالاته، المؤمن بصلاحه، وبأن الله دائماً في جانبه، المخبول قليلاً بعيونه المجنونة المحملقة، قد

١٢٦٨- اظنه يقصد المراوغة.

١٢٦٩- أحمد الحبوبي، اشخاص كما عرفتهم (مصدر سابق)، ص١٧٢- ١٧٤.

١٢٧٠- مير بصري، اعلام السياسة في العراق الحديث، الجزء الاول (مصدر سابق)، ص٢٩٥- ٢٦٩.

نجح في الاحتفاظ بمنصبه، والتمسك بأهداب الحياة، خلال أربع سنوات ونصف، وذلك بدعائه وعزمه الراسخ على المحافظة على السلطة^(١٢٧١).

أما الكاتب العراقي مير بصري، والذي كان رئيساً في عهد قاسم للطائفة اليهودية في العراق، فيقول:

(كان عبد الكريم قاسم مزيجا من الجندي والراهب، فهو رجل عزم وكتمان لا تنفذ العيون إلى قرارة نفسه.. وهو إلى ذلك إنسان عاطفي سريع التأثر، كثير الرأفة والحنان، نزيه مخلص، لا تغرّه المادة ولا يستهويه الترف والثروة. لكنه كان ثرثاراً كثير الكلام، مزهوا بنفسه هائماً بالمجد نازعاً إليه، مغتبطاً بالزعامة والسلطة. واننا لنعجب لرجل يجمع في ذاته أحلام دون كيشوت الذي لا يتورع عن محاربة طواحين الهواء، وواقعية سانشوا بانزا الذي يعرف ما يريد ويحاول أن يناله بشتى الطرق)^(١٢٧٢).

ويقول مير بصري أيضاً:

(إذا جاز تشبيه عبد الكريم قاسم بزعيم من زعماء الثورات العالمية، فإنه يصح تشبيهه بأوليفر كرومويل، الذي اعدم شارلس الأول ملك انكلترا سنة ١٦٤٩، وأصبح بعد ذلك حامياً للجمهورية. ولئن استمد كرومويل عزيمته وقوته النفسية من إيمانه الراسخ وتدينه الشديد، فلقد نبغ تصميم عبد الكريم قاسم وخلقه القيم، من تجرده ونشأته الشعبية ونزعته الإنسانية. كان كلاهما يستهدف الخير والإصلاح، لكنهما لم يستطعا وقف الشر الذي انبعث من أعمالهما، ولا ترسيخ النظام الصالح الذي حاولا المجيء به. ولعل الزعيم العراقي كان يؤمن كقرينه الانكليزي، بأن الله اختاره للقضاء على النظام الطالح، الذي يزرع الشعب تحت وطأته، وإطلاق حرية المواطنين واسعاد حياتهم، لكن الزعيمين كلاهما زعزعا بلادهما، واطلقا قوى العبث والدمار من عقائهما، وهياً مرحلة تاريخيه لمستقبل بعيد عن التقدم والإصلاح)^(١٢٧٣).

١٢٧١- المصدر السابق، ص ٣٠٨.

١٢٧٢- المصدر السابق، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

١٢٧٣- المصدر السابق، ص ٣٠٥.

يروى الشيخ محمد رضا الشيببي، بان عبد الكريم قاسم استطلع رأيه في القوانين التي أصدرها، لاسيما قانون الإصلاح الزراعي. ولما رأى الشيببي ان اراءه لم يؤخذ بها، أثر الانزواء في داره، وعدم الاتصال بعبد الكريم. ولكنه (أي الشيببي) لم يربدا من زيارته، ليشكره على مواساته باخيه الشيخ محمد باقر الشيببي. فذهب إليه مساء، بحسب الموعد المقرر له، وأستقبل استقبالا طيبا، واخذ عبد الكريم قاسم يلح عليه بالجلوس، كلما قام مستأذنا بالانصراف. واطبق الظلام فقال عبد الكريم: أنا ذاهب إلى مدينة الثورة، ففضل معي أيها الشيخ لترى أبناء هذا الشعب في مراتبهم. وحاول الشيببي عبثا الاعتذار بشيخوخته وتعبه، فاصطحبه عبد الكريم معه إلى مدينة الثورة، التي كان يعدها أعظم هدية قدمها للعمال والفلاحين.

يقول الشيببي:

(لم نكد نصل إلى تلك الاحياء، حتى ترجل الزعيم من سيارته وترجلت معه، فتقاطر الناس والتفوا حولنا رجالا ونساء، شيوخوا واطفالا، وبرقت باصرتا الزعيم بريقا غريبا، واخذ يحدث القوم ويسألهم عن احوالهم ومشاكلهم ويأمر مرافقيه بتدوين ظلاماتهم، ومد يد المساعدة إلى من يحتاجها منهم. وكان يفعل ذلك في اكثر الليالي، ويمضي بين اولئك الناس السذج، ساعات طويلة هائتا مسرورا، قبل ان يعود إلى مقره البسيط في وزارة الدفاع. فلا عجب ان عامة الشعب لم تصدق خبر موته، وظلوا يظنونونه حيا ويترقبون عودته أعواما طويلة)^(١٢٧٤).

ان عبد الكريم قاسم، بدلا من ان يجلس ليحاور زعماء كبار، مثل محمد رضا الشيببي وكامل الجادرجي^(١٢٧٥)، والملا مصطفى البرزاني وغيرهم، حوارا جديا مفيدا، فانه كان يأخذهم في جولاته الليلية المتعبة، والتي بإمكانه ان يقوم بها لوحده في ليال أخر. وكانت لديه ايضا عادة سيئة أخرى مع زواره، حيث يستبقيهم لساعتين أو ثلاثة، ليسمعوا تسجيلات من خطبه الطويلة المملة، كما فعل مرة مع الدكتورين مصطفى جواد

١٢٧٤- المصدر السابق، ص ٣٠١-٣٠٢.

١٢٧٥- انظر رفعت الجادرجي، المصدر السابق، ص ١٧٩ و خليل ابراهيم حسين، المصدر السابق، الجزء الخامس، ص ٤٦٠-٥٦٦.

وأحمد سوسة والاستاذ محمود فهمي درويش^(١٢٧٦). بل وأمر مرة وزير الزراعة العقيد عادل جلال قائلًا: (يجب ان تقرأ خطاباتي، لأنها مفيدة لك ومنها تعرف سياستنا. اذهب إلى السكرتير واسمع الخطاب على الشريط المسجل)^(١٢٧٧). وكان يقصد خطابه امام نقابة المعلمين سنة ١٩٦٠.

ولا يطيق عبد الكريم قاسم ان يذكر احد إلى جانبه. كان يريد ان ينفرد بالحكم وبالشهرة وبحب الجماهير. يروي إسماعيل العارف وزير المعارف ووزير الارشاد (الاعلام) وكالة قائلًا:

(ذات يوم بعد انتهاء مجلس الوزراء في وقت متأخر من الليل طلب مني عبد الكريم قاسم ان ابقى معه.. وعندما خلت القاعة من الوزراء لاحظت عليه توترا عصبيا غير اعتيادي منعه من ان يخرج الكلمات من فمه بسهولة، ثم قال بتشنج متحاشيا النظر إلى عيني: (انني لا اريد ان تتكرر في العراق مأساة الحرب الأهلية في الكونغو انك تحاول ان تحذف خطاباتي من الإذاعة والتلفزيون وتركز على ابراز خطبك وجولاتك التفتيشية واحاديثك مع المعلمين في وسائل الاعلام. ان خطاباتي ينتظر سماعها الشعب العربي في سوريا ومصر وبقية البلاد العربية. وبدأت تلقي خطبك دون ان تستعمل ورقة مكتوبة، وتعقد الاجتماعات المتكررة للمسؤولين ومدراء المدارس، وتقول انك انت الذي عينت جاسم العزاوي مشرفا على الإذاعة والتلفزيون الم اكن انا الذي عينته. يبدو انك تنوي ان تحرف ولاء الشعب لي وتبرز شخصيتك بديلا عن زعامتي)).

رد إسماعيل العارف عليه:

(ارجو أن تعلم ان ما اقدمه من عمل كوزير في هذه الحكومة يرجع فضله إلى رئيس الوزراء. واذا صح ان اعجب الناس بعلمي فالمفخرة تعود اليك. اما موضوع خطاباتك فانني لم اصرح بنيتي في حذفها أو منع اذاعتها ولكن لا بد لي ان اقول لك بصراحة ان تكرار اذاعتها اخذ يعطي مردودا عكسيا ولهذا ارى بعد اذاعة خطبك مرة واحدة ان يتناولها كتاب اختصاصيون في الامور التي وردت فيها اما

١٢٧٦- حسين، المصدر السابق، ص٢٠٨.

١٢٧٧- العارف، المصدر السابق، ص٢٥٢.

كلماتي واحاديثي مع المعلمين فلا يعدو ان يكون جزءا من واجبات وزير المعارف الذي يرأس اشخاصا مهمتهم صناعة الكلام. فيبدو ان بعض الانتهازيين قد نقلوا اليك اخبارا مشوهة اثارتك. مستهدفين عزلك عن المخلصين للثورة. ومادامت الامور قد بلغت بك إلى هذه المرحلة، ففضل خذ هذه الخلعة وانا مستقيل من هذه اللحظة ولما كنت لا ارجب ان تلعب عوامل تافهة كهذه دورا في تعكير صفو علاقتي وصداقتي لك، فسوف اترك العراق إلى لبنان لكي تستريح ويبتهج الذين يتوخون الاضرار بك).

ثم كتب العارف على الفور استقالته، وهم بالخروج، ولكن عبد الكريم طلب منه التريث واخذ يسترضيه. لكن العارف ظل مصرا على موقفه. وبعد ثلاثة أيام زاره عبد الكريم في بيته وقال له معاتبا:

(هكذا تغضب بسرعة عندما اتحدث معك للتفيس عن الضغط الذي اعانيه وتريد ان تتركني خلال هذه الأزمة التي نمر بها؟).

فرد العارف عليه قائلا:

(ايها الاخ: انك تخلق الازمات وبعدها تحاول التفتيش عن حل لها).

فقام عبد الكريم وقبله واسترضاه^(١٢٧٨).

ان عبد الكريم قاسم، ربما كان قائدا عسكريا متميزا، لكنه ليس برجل دولة. فصفاته الشخصية تصلح لاي شيء الا لرجل دولة. فهو مستبد برأيه^(١٢٧٩)، إلى درجة أصبح معها ديكتاتورا، ومزهو بنفسه إلى حد الغرور، وعصبي المزاج إلى حد الحماسة. وقبل هذا

١٢٧٨- المصدر السابق، ص ٣٥٣-٣٥٤.

١٢٧٩- ان وصف قاسم بالاستبداد او الاوتوقراطية - من ناحية اصطلاحية - ادق من وصفه بالفردية. فالفردية، مذهب يدعو إلى الحد إلى اقصى مدى ممكن، من سلطات الدولة. ولا يعترف المذهب الفردي للدولة بحق التدخل في العلاقات بين الافراد، او هو يدعو إلى اقتصار التدخل على الحدود الدنيا. و تهدف الفردية السياسية إلى تنمية وتطوير الحقوق الفردية التي تشكل الشرط الاساسي لممارسة المسؤوليات (راجع ذبيان وآخرون، معجم المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (مصدر سابق)، ص ٣٥١. وانظر مادة الاوتوقراطية في المصدر نفسه، ص ٧٦).

وبعد هذا، فهو يفتقر للخيال السياسي، أو بعبارة أخرى للموهبة السياسية. وقد نجح حكام كثر، ممن يمتلكون الموهبة السياسية، رغم أميتهم، في بناء دول قوية مستقرة. وبرز مثالين لذلك الملك عبد العزيز بن سعود والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

وفشل مثقفون كبار، ممن لا يمتلكون موهبة الزعامة، في لعبة الحكم، رغم الفرص المثالية التي سنحت لهم. وأفضل مثال لذلك هو الدكتور عبد الرحمن البزاز، رئيس وزراء العراق (١٩٦٥-١٩٦٦)، والذي أصبح قاب قوسين، أو أدنى، من منصب رئيس الجمهورية، بعد وفاة الرئيس عبد السلام عارف، في حادث الطائرة المشهور. لكنه أثر السلامة، وسحب ترشيحه للرئاسة، رغم فوزه بالتصويت الأول، على المرشح الآخر اللواء عبد الرحمن عارف. والحقيقة أن البزاز لم يكن أمامه حل آخر، بعد تدخل الجيش والعشائر التي كانت تهيمن على السلطة في العراق آنذاك، لصالح المرشح الآخر. ولكن لو كان هناك رجل داهية، غير البزاز، لقلب الطاولة على أعدائه.

لم يكن عبد الكريم قاسم خبيراً بالسياسة، ولم يسمح لعقول الساسة أن تؤدي دورها، وحكم الدولة كما لو كان يدير لواءً عسكرياً^(١٢٨٠).

ويصفه الجواهري قائلاً: (كان مؤمناً ويصوم عن فتاعة ويترفع عن مظاهر البذخ إضافة إلى أنه كان أحد القلائل الذين يستعملون الخطط الذكية لتصفية معارضيه.. وباستطاعتي أن اسميه الرجل المزدوج أو المتناقض فهو السامح أحياناً.. القاسي أخرى، الصدوق مرة، الغادر في غيرها، العنيد تارة المسالم والمتسامح تارة أخرى)^(١٢٨١).

ويبدو هذا التناقض في أخطر صوره، في علاقته بالحزب الشيوعي، إذ أطلق له العنان في البداية، وسمح له بالسيطرة على الدولة والمجتمع، بل ودافع عن جرائمه. الأمر الذي

١٢٨٠- فؤاد عارف، المصدر السابق، ص ٢١٦.

١٢٨١- محمد مهدي الجواهري، ذكرياتي، الجزء الثاني، ص ١٧٥ (عند ما يقرأ المرء مذكرات الجواهري يكتشف أنه بقدر ما هو شاعر عظيم، وربما هو أعظم شعراء القرن العشرين، فهو ناثر ضعيف. وأقول ناثر لأنه كتب مذكراته عن طريق القائنها على آخرين قاموا بكتابتها وربما تدخلوا في صياغتها بعض الشيء).

اساء كثيرا لصورته ولشعبيته. ثم انقلب عليهم، شر انقلاب، فأودعهم السجون، واضطر الكثيرين منهم إلى الهرب من العراق، إلى الدول الاشتراكية. واخرج الضباط الشيوعيين من الجيش وأحل محلهم الضباط البعثيين والقوميين، والذين ثاروا عليه في الثامن من شباط عام ١٩٦٣، انتقاما لما تعرضوا له من تعذيب واذلال، على يد الشيوعيين، يوم اطلق ايديهم ليفعلوا ما يشاءون.

لقد اخفق عبد الكريم قاسم، في تحقيق الانجاز الأهم، الذي لو قُدر له ان يتحقق، لمسح كل أخطائه وخطاياه، الا وهو بناء دولة قوية مستقرة. وهو الهدف الذي تشده السياسة في كل زمان ومكان. صحيح انه تولى قيادة البلد في (مرحلة من اشد مراحل تاريخ العراق غليانا وعريضة وهيجانا وانفجارا)^(١٢٨٢). وصحيح ان قدره جاء به إلى الحكم في الزمن الذي سحر فيه عبد الناصر، الجماهير العربية في العراق وغير العراق، وبالتالي كان وجها لوجه امام ما سماه كاتب موالي له حتى وان لم نتفق معه في توصيفه: (الدور المدمر الذي لعبه جمال عبد الناصر في ضرب الثورة العراقية)^(١٢٨٣). لكن قدر الزعيم الموهوب ان يحول التحدي إلى فرصة، وان يقلب المائدة على اعدائه، ويعبر ببلاده الازمات بأقل الخسائر.

وقد واجه زعماء عرب عديدون، لا يملكون شعبية عبد الكريم قاسم، ولا سمعته الجيدة، كبورقيبة والملك حسين والملك ادريس السنوسي، تيار عبد الناصر الجارف. في حين تعايش آخرون مع ذلك التيار، كالملك سعود بن عبد العزيز والحسن الثاني وحكام السودان. اما هو فلم يستطع ان يتعايش مع ذلك التيار، ولا ان يواجهه.

وهكذا وقف عبد الكريم قاسم يوم ٨ شباط ١٩٦٣ وحيدا.. ليس معه جيش أو حزب أو طائفة أو عشيرة.. والانكى من هذا انه رفض تسليح جماهير الفقراء التي زحفت إلى وزارة الدفاع لتحمي عنه.

ويبرر كاتب متحمس له سقوط حكمه قائلا:

١٢٨٢- عبد الخالق حسين، المصدر السابق، ص ١٩٠.

١٢٨٣- المصدر السابق، ص ١٥٢.

(كان قاسم رجلا مسلما إلى أبعد الحدود... وقد وضعت الأحداث في موقع المسؤولية الكبرى في اشد مراحل التاريخ عنفا وغلينا) (١٢٨٤).

انه كلام رومانسي جميل، يمكن ان يقال عن شاعر القى بنفسه في السياسة، أو عن رجل دين، أو فيلسوف. وليس عن قائد عسكري جاء إلى الحكم بثورة دامية، وعموما فانه - وكما قلنا سابقا - لا يحق لرجل الدولة ان يضيع بلاده ويتركها في مهب الريح. شأنه في ذلك شأن القائد العسكري في ساحة المعركة، لا يجوز له ان يتردد، والا اعتبر جيانا أو خائنا.

ولا اقصد بذلك، ان يكون رجل الدولة دمويا. فرجل الدولة يجب ان يكون - كما قال الخليفة عمر بن الخطاب - قويا من غير عنف ولينا من غير ضعف. اما ما اقصده فان الناس الذين يحملون عبد الكريم قاسم المسؤولية عن كل ما جرى في العراق من انقلابات ومجازر، ليسوا مخطئين تماما، فهو قد اطاح بدولة النظام الملكي، ولم يُنشئ محلها دولة حديثة، فظل الباب مفتوحا على مصراعيه لكل من هب ودب، ليقود انقلابا ويرتكب مجازرا.

الخاتمة

كان كل شيء في العراق، يوم الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨، قابلاً للإصلاح.. فالتمرّد الكردي لم يبدأ بعد.. والسخط الشيعي على الحكومة، لم يصل إلى نقطه اللاعودة، كما حدث عام ١٩٩١.. والشعب بمجموعه لم يفقد ثقته نهائياً بالحكومة، ولم تتخرب قيمه، كما غدا عليه الامر عام ٢٠٠٣.. والدماء لم تسل بعد، كما سالت في الثمانينات والتسعينات، على يد نظام صدام، حيث مات مئات الالاف، إما قتلاً، أو دفناً في مقابر جماعية، وهم احياء.

وكان الاصلاح ممكناً حتى بعد الانقلابات المختلفة، التي وقعت خلال الستينات، وان أمسى اصعب واعقد، مع كل انقلاب جديد.. لكن وابتداء من عام ١٩٩١، فان الأمور وصلت إلى نقطة اللاعودة.. فالدولة العراقية، التي تأسست عام ١٩٢١، سقطت في ذلك العام.. ولم يبق منها سوى عصابات مجرمة تحكم البلد، وظل جيش أو بقايا جيش مهزوم، وشعب منقسم على نفسه، ولا يدري ما هو مصيره.

لقد تأسست الدولة العراقية، عام ١٩٢٠، وكما يقول الملك فيصل الأول، مؤسس تلك الدولة، كمملكة عربية سنية^(١٢٨٥). واستمرت تلك الدولة وفق معادلة غريبة عجيبة، فالقائمون عليها استخدموا الأكراد لزيادة حصة السنة في مواجهة النسبة الشيعية، واستخدموا الشيعة لزيادة حصة العرب في مواجهة النسبة الكردية^(١٢٨٦).

١٢٨٥- البزاز، العراق من الاحتلال إلى الاستقلال (مصدر سابق)، ص ٢٣١.

١٢٨٦- العلوي، التأثيرات التركية.. (مصدر سابق)، ص ١٣.

وفي عام ١٩٦١، سقطت هذه المعادلة، بانفصال الأكراد عن الورقة السنية، أي ان نظرية (التقاسم المذهبي المتعادل تقريبا) ^(١٢٨٧)، والتي قامت عليها الصيغة الطائفية، أو تذرعت بها، لم يعد لها موضوع أو اساس ^(١٢٨٨).

ولم يعد استمرار الصيغة الطائفية التي صاغها الاحتلال البريطاني عام ١٩٢١، بعد ذلك ممكنا، حيث يحكم البلاد، خمس أو ربع السكان، بينما يُعامل الآخرون كمواطنين من الدرجة الثانية. وهكذا سقطت الدولة العراقية في أول امتحان حقيقي لها ^(١٢٨٩)، في هزيمة الكويت عام ١٩٩١.

لقد فشل ثوار ١٤ تموز، وتحديدًا عبد الكريم قاسم، في تصحيح الأوضاع لانهم جاؤوا من مؤسسة عثمانية.. وبعقلية عثمانية.. وبأساليب عثمانية. فلم يفلحوا الا بالإطاحة برأس الهرم، وظل كل شيء كما هو، على سوئه وفساده وتخلفه. وكل تلك الانجازات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي قاموا بها ظلت انجازات فوقية، إزاء الانجاز الأكبر والابقى والأضمن، والذي لم ينجز، وهو بناء الدولة الحديثة.

باختصار شديد، لقد حطموا الدولة القديمة التي كانت قائمة، وفشلوا في بناء دولة حديثة. يقول بطاطو:

(ان الثورة، بنسبها بنية السلطة القديمة والتركيبية الطبقيّة القديمة، أخلت بالتوازن الدقيق القائم بين المجتمعات العرقية والطائفية المختلفة في العراق، وأساسا بين العرب والأكراد وبين الشيعة والسنة والناجم عن عدم التساوي في التطور الاجتماعي لهذه المجتمعات أساسا. وكانت إحدى النتائج غير السارة لذلك هي ثورة الأكراد) ^(١٢٩٠).

١٢٨٧- وفيق السامرائي، حطام البوابة الشرقية، الكويت ١٩٩٧، ص٩.

١٢٨٨- المؤلف، المصدر السابق، ص٢٢٥.

١٢٨٩- لم تسقط الدولة العراقية، في الامتحان الاقوى السابق، أي في الحرب العراقية - الايرانية، لان القوى الكبرى في العالم، وقفت بكل قوتها معها، وحالت دون هزيمتها. وعلى أي حال فكل ما جرى بعد الحرب العراقية - الايرانية هو من نتائجها.

١٢٩٠- بطاطو، العراق، الكتاب الثالث (مصدر سابق)، ص١١٧.

المشكلة، ان العراق كان بحاجة لثورة كثورة ١٤ تموز، لكن رجال الثورة، لم يكونوا رجال دولة، والعراق لم يكن محظوظا بهم. وأولهم طبعا، عبد الكريم قاسم، الذي وان كان اشرف وأنزه من الذين سبقوه والذين ورثوه، أو على الاقل أقل سوءا منهم، فهو من أضعاف الفرصة الذهبية بإقامة دولة عراقية حديثة. وأمست الثورة - وقد أخفقت - عبئا على العراق، وحدثا مشوها في تاريخه. دون ان يعني هذا للحظة، ان نترحم على نوري السعيد وزمرته، فهم اساس البلاء. اما لو خير المرء بين النظام الملكي، وبين ما جرى فيما بعد، أي في العقود الخمسة التالية لسقوطه، فربما اختار ان يبقى النظام الملكي. لكن للتاريخ قوانينه التي لا تتأثر بالأمنيات.

مصادر الكتاب

- ١- ابراهيم الزبيدي. دولة الإذاعة (سيرة ومشاهدات عراقية). لندن ٢٠٠٣.
- ٢- ابراهيم محمود. حركية حثالة البروليتاريا في العالم الثالث. مجلة النهج. العدد ٢٢ / ١٩٩٠.
- ٣- احمد الحبوبى. اشخاص كما عرفتهم. لندن ٢٠٠٢.
- ٤- احمد الزبيدي. البناء المعنوي للقوات المسلحة العراقية. بيروت ١٩٩٠.
- ٥- احمد فوزي. قصة عبد الكريم قاسم كاملة. القاهرة ١٩٦٣.
- ٦- احمد فوزي. عبد الكريم قاسم في ساعاته الأخيرة. بغداد ١٩٩٠.
- ٧- احمد فوزي. المثير من احداث العراق السياسية. بغداد ١٩٨٨.
- ٨- احمد فوزي. ١٢ رئيس وزراء في العهد الملكي. بغداد ١٩٨٤.
- ٩- احمد مختار بابان. مذكرات احمد مختار بابان. بيروت ١٩٩٠.
- ١٠- إسماعيل العارف. أسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية في العراق. لندن ١٩٨٦.
- ١١- أمين هويدي. كنت سفيرا في العراق ١٩٦٣-١٩٦٥. القاهرة ١٩٨٣.
- ١٢- اوريل دان. العراق تحت حكم قاسم. ترجمة جرجيس فتح الله. السويد ١٩٨٩.
- ١٣- باترك سيل. ابو نضال بندقية للايجار. مراجعة وتقديم احمد رائف. القاهرة ١٩٩٢.
- ١٤- باقر ياسين. تاريخ العنف الدموي في العراق. بيروت ١٩٩٩.
- ١٥- بهاء الدين نوري. مذكرات بهاء الدين نوري سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي. لندن ٢٠٠١.
- ١٦- بديعة بنت الملك علي (الأميرة). مذكرات وريثة العروش، بقلم فائق الشيخ علي. لندن ٢٠٠٣.
- ١٧- توفيق السويدي. وجوه عراقية عبر التاريخ. لندن ١٩٨٧.
- ١٨- توفيق السويدي. مذكراتي في نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية. بيروت ١٩٦٩.
- ١٩- جاسم كاظم العزاوي. مذكرات العميد الركن جاسم كاظم العزاوي. بغداد ١٩٩٠.
- ٢٠- جعفر الحسيني. على حافة الهاوية، العراق ١٩٦٨-٢٠٠٢. لندن ٢٠٠٣.
- ٢١- جعفر الحسيني. راية العراق، والجدل حول علم الدولة. مجلة سامراء. العدد الاول. لندن حزيران ٢٠٠٤.

- ٢٢- جبرالد دي غوري. ثلاثة ملوك في بغداد. ترجمة سليم طه التكريتي. بغداد ١٩٩٠.
- ٢٣- جوناثان راندل. امة في شقاق (دروب كردستان كما سلكتها). بيروت ١٩٩٧.
- ٢٤- حازم جواد. مذكرات حازم جواد (الرجل الذي قاد البعث العراقي إلى السلطة عام ١٩٦٣). محل وتاريخ الطبع مغفلان.
- ٢٥- حازم حسن العلي. انتفاضة الموصل (ثورة الشواف ٨ آذار ١٩٥٨). بغداد ١٩٨٧.
- ٢٦- خالد علي الصالح. على طريق النوايا الطيبة، تجربتي في حزب البعث. لندن ٢٠٠٠.
- ٢٧- حسن العلوي. عبد الكريم قاسم رؤية بعد العشرين. طبعة إيران ١٤٢٦.
- ٢٨- حسن العلوي. الجواهري ديوان العصر. دمشق ١٩٨٦.
- ٢٩- حسن العلوي. التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي في العراق. لندن ١٩٨٨.
- ٣٠- حسن العلوي. الشيعة والدولة القومية في العراق. لندن ١٩٩٠.
- ٣١- حسن العلوي. العراق دولة المنظمة السرية. الناشر الشركة السعودية للابحاث والنشر.
- ٣٢- حسن العلوي. اسوار الطين. بيروت ١٩٩٥.
- ٣٣- الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية. مهنتي كملك. ترجمة غازي غزيل. الناشر مؤسسة مصري للتوزيع.
- ٣٤- حنا بطاطو. العراق. الكتاب الاول. ترجمة عفيف الرزاز. بيروت ١٩٩٠.
- ٣٥- حنا بطاطو. العراق. الكتاب الثاني. ترجمة عفيف الرزاز. بيروت ١٩٩٠.
- ٣٦- حنا بطاطو. العراق. الكتاب الثالث. ترجمة عفيف الرزاز. بيروت ١٩٩٢.
- ٣٧- خليل ابراهيم حسين. ثورة الشواف في الموصل ١٩٥٩. بغداد ١٩٨٧.
- ٣٨- خليل ابراهيم حسين. موسوعة ١٤ تموز (٥) سقوط عبد الكريم قاسم. بغداد ١٩٨٩.
- ٣٩- خليل ابراهيم حسين. اللغز المحير عبد الكريم قاسم. الجزء السادس. بغداد ١٩٨٩.
- ٤٠- خليل ابراهيم حسين. موسوعة ١٤ تموز (٧) اللغز المحير عبد الكريم قاسم. بغداد ١٩٩٠.
- ٤١- خليل سعيد. تاريخ حرب الجيش العراقي في فلسطين. الجزء الثاني. بغداد ١٩٨٦.
- ٤٢- خليل كنه. العراق أمسه وغده. بيروت ١٩٦٦.
- ٤٣- الذاكرة التاريخية لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. نشر وزارة الثقافة والاعلام. بغداد ١٩٨٧.
- ٤٤- رفائيل بطي. ذاكرة عراقية. الجزء الثاني. دمشق ٢٠٠٠.
- ٤٥- رفعت الجادرجي. صورة أب. بيروت ١٩٥٨.
- ٤٦- د. سانحة أمين زكي. ذكريات طبية عراقية. لندن ٢٠٠٥.

- ٤٧- سامي ذيبان (وآخرون). قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. لندن ١٩٩٠.
- ٤٨- سعاد خيرى. فهد والنهج الماركسي اللينيني في قضايا الثورة. بغداد ١٩٧٤.
- ٤٩- سليم الحسني. رؤساء العراق ١٩٢٠-١٩٥٨. لندن ١٩٩٢.
- ٥٠- سمير خليل. جمهورية الخوف. القاهرة ١٩٩١.
- ٥١- سمير عبد الكريم. اضواء على الحركة الشيوعية. الجزء الثاني.
- ٥٢- سندرسن باشا. مذكرات سندرسن باشا. ترجمة سليم طه التكريتي. بغداد ١٩٥٨.
- ٥٣- شامل عبد القادر. عبد الكريم قاسم البداية والنهاية. عمان ٢٠٠٢.
- ٥٤- الشرق الاوسط (جريدة). جعفر الحسيني سبق لوزير الى استنتاجات راهنة. العدد ٩٤١١، في ٣ سبتمبر ٢٠٠٤.
- ٥٥- صبحي عبد الحميد. اسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق. بيروت ١٩٩٤.
- ٥٦- صلاح الخرسان. التيارات السياسية في كردستان العراق. بيروت ٢٠٠١.
- ٥٧- صلاح الدين الصباغ. فرسان العروبة في العراق. الناشر الشباب العربي.
- ٥٨- طارق الناصري. عبد الاله الوصي على عرش العراق (١٩٣٩-١٩٥٨) حياة ودوره السياسي. بغداد ١٩٩٠.
- ٥٩- طالب الحسن. حكومة القرية. بيروت ٢٠٠٢.
- ٦٠- طالب الحسن. اغتيال الحقيقة (عبد السلام عارف واشكالية الكتابة في تاريخه السياسي). بغداد ٢٠٠٤.
- ٦١- طالب مشتاق. اوراق ايامي. الطبعة الثانية. بغداد ١٩٨٩.
- ٦٢- د. عبد الامير هادي العكام. تاريخ حزب الاستقلال العراقي ١٩٤٦-١٩٥٨. بغداد ١٩٨٠.
- ٦٣- عبد الحسين الحسيني. السيد الحسيني الخطيب.. اوراق من دفاتر ايامه. مجلة الفكر الجديد. العدد التاسع. لندن آب ١٩٩٤.
- ٦٤- عبد الرزاق احمد النصيري. نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢. بغداد ١٩٨٠.
- ٦٥- عبد الرزاق الحسني. تاريخ الوزارات العراقية. عشرة اجزاء. الطبعة السابعة. بغداد ١٩٨٨.
- ٦٦- د. عبد الرزاق الهلالي. قال لي هؤلاء. بغداد ١٩٩٠.

- ٦٧- عبد الزهراء الحسيني الخطيب. مذكرات اعلام العراق باقلامهم: مذكرات السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب. الموسم. العدد ٧٩-٨٠، السنة ٢٠٠٩، ٢١، ص ٦٥٥-٧١٠.
- ٦٨- د. عبد الخالق حسين. ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ العراقية وعبد الكريم قاسم. دمشق ٢٠٠٣.
- ٦٩- عبد الرحمن البزاز. العراق من الاحتلال إلى الاستقلال. لندن ١٩٩٧.
- ٧٠- عبد العزيز القصاب. من ذكرياتي. بيروت ١٩٦٢.
- ٧١- د. عبد الله فهد النفيسي. دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث. بيروت ١٩٧٣.
- ٧٢- عبد الكريم فرحان. ثورة ١٤ تموز في العراق. باريس ١٩٨٦.
- ٧٣- عبد الكريم فرحان. حصاد ثورة (مذكرات). لندن ١٩٩٤.
- ٧٤- عبد الكريم الازري. تأريخ في ذكريات العراق ١٩٣٠-١٩٥٨. الجزء الاول. بيروت ١٩٨٢.
- ٧٥- عبد اللطيف البغدادي. مذكرات عبد اللطيف البغدادي. الجزء الثاني. القاهرة ١٩٧٧.
- ٧٦- عبد المجيد حسيب القيسي. التاريخ يكتب غدا. لندن ١٩٩٣.
- ٧٧- د. عدنان الباججي. مزاحم الباججي سيرة سياسية. لندن ١٩٨٩.
- ٧٨- عدنان السراج. الامام محسن الحكيم. بيروت ١٩٩٣.
- ٧٩- د. عزيز الحاج. ذاكرة النخيل. بيروت ١٩٩٣.
- ٨٠- عطا عبد الوهاب. الامير عبد الله صورة قلمية. بيروت ٢٠٠١.
- ٨١- د. عقيل الناصري. عبد الكريم قاسم، من ماهيات السيرة الذاتية. دمشق ٢٠٠٦.
- ٨٢- د. عقيل الناصري. عبد الكريم قاسم في يومه الاخير، بيروت ٢٠٠٣.
- ٨٣- د. علاء موسى كاظم نورس. ثورة ١٤ تموز في تقارير الدبلوماسيين البريطانيين والصحافة الاجنبية. بغداد ١٩٩٠.
- ٨٤- علي خيون. دبابات رمضان. بغداد ١٩٨٨.
- ٨٥- د. علي كريم سعيد. عراق ٨ شباط. بيروت ١٩٩٩.
- ٨٦- د. علي الوردي. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث. الجزء الثاني. الطبعة الثانية. لندن ١٩٩٢.
- ٨٧- علي محمود الشيخ علي. مذكرات علي محمود الشيخ علي. بغداد ١٩٨٥.
- ٨٨- د. فاضل حسين. سقوط النظام الملكي في العراق. القاهرة ١٩٧٤.
- ٨٩- فؤاد الركابي. الحل الاوحد. القاهرة ١٩٦٣.
- ٩٠- فؤاد عارف. مذكرات فؤاد عارف. بيروت ٢٠٠٦.

- ٩١- كامل الجادرجي. من اوراق كامل الجادرجي. بيروت ١٩٧١.
- ٩٢- د. لطفي جعفر فرج. الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي ١٩٣٣-١٩٣٩. بغداد ١٩٨٧.
- ٩٣- لونكريك. العراق الحديث. ترجمة سليم طه التكريتي. بغداد ١٩٨٨.
- ٩٤- ليث الزبيدي. ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق. بغداد ١٩٨١.
- ٩٥- مالك سيف. للتاريخ لسان. بغداد ١٩٨٣.
- ٩٦- ماريون وبيتر سلوجت. العراق الحديث من الثورة إلى الديكتاتورية. القاهرة ١٩٩٢.
- ٩٧- مجيد خدوري. عرب معاصرون- ادوار القادة في السياسة. بيروت ١٩٧٣.
- ٩٨- مجيد خدوري. العراق الجمهوري. بيروت ١٩٧٤.
- ٩٩- مجيد خدوري. العراق الاشتراكي. بيروت ١٩٨٥.
- ١٠٠- لمحسن حسين الحبيب. حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق. بيروت ١٩٨١.
- ١٠١- د. محمد حسن سلمان. صفحات من حياة د. محمد حسن سلمان. بيروت ١٩٨٥.
- ١٠٢- محمد حسنين هيكل. سنوات الغليان. القاهرة ١٩٨٨.
- ١٠٣- محمد حسنين هيكل. كلام في السياسة. القاهرة ٢٠٠٠.
- ١٠٤- د. محمد الدليمي. كامل الجادرجي ودوره في السياسة العراقية. بيروت ١٩٩٩.
- ١٠٥- د. محمد حسين الاعرجي. الجواهري. دمشق ٢٠٠٢.
- ١٠٦- د. محمد حسين الزبيدي. ثورة ١٤ تموز في العراق. بغداد ١٩٨٣.
- ١٠٧- محمد حمدي الجعفري. محكمة المهداوي. بغداد ١٩٩٠.
- ١٠٨- محمد حمدي الجعفري. نهاية قصر الرحاب. بغداد ١٩٨٩.
- ١٠٩- محمد مهدي الجواهري. ذكرياتي. الجزء الاول. دمشق ١٩٨٨.
- ١١٠- محمد مهدي الجواهري. ذكرياتي. الجزء الثاني. دمشق ١٩٩١.
- ١١١- مديحة السلमान. مذكرات مديحة السلमान- الاسيرة رقم ٩٣. بغداد ١٩٩٠.
- ١١٢- موسى الشايندر. ذكريات بغدادية. بيروت ١٩٩٣.
- ١١٣- مير بصري. اعلام السياسة في العراق الحديث. لندن ٢٠٠٥.
- ١١٤- مير بصري. اعلام السياسة في العراق الحديث. الجزء الاول.
- ١١٥- مير بصري. اعلام السياسة في العراق الحديث. الجزء الثاني.
- ١١٦- مير بصري. اعلام اليهود في العراق الحديث. القدس ١٩٩٣.

- ١١٧- ناجي شوكت. سيرة وذكريات ثمانين عاما ١٨٩٤ - ١٩٧٤. بيروت ١٩٧٥.
- ١١٨- ناجي علوش. الثورة والجماهير. بيروت ١٩٦٣.
- ١١٩- نجم محمود. المقايضة: برلين- بغداد. لندن ١٩٩١.
- ١٢٠- هاني الفكيكي. اوكار الهزيمة. لندن ١٩٩٣.
- ١٢١- وافي السامرائي. حطام البوابة الشرقية. الكويت ١٩٩٧.

صدر للمؤلف:

- ١- على حافة الهاوية (العراق ١٩٦٨-٢٠٠٢) طبع مرتان- لندن وبغداد.
- ٢- ثورة في العراق (العراق ١٩٥٨-١٩٦٣) الطبعة الثالثة.

تحت الطبع:

- ١- بين انقلابين (العراق ١٩٦٣-١٩٦٨) معد للطبع
- ٢- السقوط في الهاوية (العراق ٢٠٠٣-٢٠٠٧) معد للطبع.
- ٣- الحركة السياسية في العراق (١٩٥٨ - ١٩٦٨) معد للطبع.

الفهرست

٧	الاهداء.....
٩	المقدمة.....
١٣	القسم الاول: أسباب سقوط العهد الملكي.....
٢٦	١- الفقر.....
٢٩	٢- الفساد.....
٣٥	٣- القسوة على المواطنين.....
٤٤	٤- النفوذ البريطاني.....
٥٠	٥- التأمر على القضايا العربية.....
٥٢	٦- الاستبداد.....
٥٥	٧- الاجهاز المستمر على المجتمع المدني.....
٥٧	٨- الطائفية.....
٦٤	٩- التخلف.....
٦٥	١٠- عدم ارساء تقاليد سياسية.....
٦٨	١١- رجعية الحكم الملكي.....
٧١	١٢- الاهمال المتعمد للجيش.....
٨٣	القسم الثاني: ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.....
٩٠	البدايات.....
٨٦	اجتماع الكاظمية.....
٩٤	البداية الحقيقية.....
١٠٠	اللجنة البديلة.....
١٠٣	الخلافات داخل اللجنة العليا.....
١٠٧	التحضيرات للثورة.....

١١٤.....	مسيرة اللواء إلى بغداد
١٢١.....	دور اللجنة البديلة والضباط الاحرار
١٢٥.....	الهجوم على قصر الرحاب
١٤١.....	الهجوم على بيت نوري السعيد
١٤٩.....	حول تصفية العائلة المالكة
١٥٨.....	دور عبد الناصر
١٦١.....	الموقف الغربي من الثورة
١٦٦.....	التسيق مع المعارضة الوطنية
١٦٩.....	دولة الضباط
١٧٧.....	تقييم ثورة ١٤ تموز
١٨١.....	القسم الثالث: عهد عبد الكريم قاسم
١٩٢.....	زيارة عبد السلام عارف إلى دمشق
١٩٧.....	تصاعد الخلاف بين قاسم وعارف
٢١٦.....	الثورة والوحدة العربية
٢٢٨.....	الدور البريطاني والامريكي في تخريب العلاقة مع ناصر
٢٣١.....	محكمة المهداوي
٢٤١.....	الحزب الشيوعي العراقي والثورة
٢٥٦.....	مؤامرة رشيد عالي الكيلاني
٢٦٥.....	حركة الشواف
٢٨٩.....	احداث كركوك
٢٩٣.....	محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم
٢٩٨.....	تغيير العلم الوطني وشعار الدولة
٣٠٠.....	القضية الكردية
٣٠٦.....	العلاقات مع ايران وتركيا
٣٠٩.....	ازمة الكويت

٢١٤.....	انجازات عبد الكريم قاسم.....
٢٢٦.....	الشعبوية وعبد الكريم قاسم.....
٢٣٤.....	شخصية عبد الكريم قاسم.....
٢٤٤.....	الخاتمة.....
٢٤٧.....	فهرس المصادر.....

إصدارات دار الروسم

للصحافة والنشر والتوزيع

منشورات عام ٢٠١٣

من العنف الى التراحم.....	فيرن نيوفيلد ريديكوب.....	ترجمة سهيل نجم ومصطفى ناصر
سرطان - نثر اسود.....	علي وجيه.....	
خسوف الضمير.....	رعد زامل.....	
رسالة من بيدق ميت.....	عبير سليمان.....	
قصائد تمشط احزانها.....	سعد الحجى.....	
بريد الأب.....	فرج ياسين.....	
اذا دخلت بيتنا فستقبل قدميك العتبة.....	هاتف جناي.....	
أغنية شخصية.....	سلام دواي.....	
تأويل المتشابه في عينيها.....	ميثم الحلو.....	

منشورات عام ٢٠١٤

الرواية العراقية... صورة الوجد العراقي.....	حسين السكاف.....	
طاقة الحب.....	حسين السكاف.....	
ضفاف أمستل.....	صالح حسن فارس.....	
عن الحب والغربة.....	خديجة السعدي.....	
اقتفاء المعنى.....	واثق غازي.....	
صناعة السرد.....	د. سلمان كاصد.....	
القارئ في السرد.....	عبد الغفار العطوي.....	
جنة ابي العلاء.....	عبد الكريم كاصد.....	
اشكاليات الخطاب النقدي المعاصر.....	د. علي حسين يوسف.....	
حينما تتوهج الكلمة.....	د. علي حسين يوسف.....	
قميص قدّته الحرب.....	علي ابراهيم صافي.....	
أعمال شعرية.....	قيس ياسين.....	
حينما تجلّت بين يديه.....	رحيم زاير الغانم.....	

منشورات عام ٢٠١٥

لهب قبل الغياب.....	رياض الفرطوسي.....	
كاهنات معبد اور.....	رسمية محيبس.....	
حرية المضاعفة.....	محمد قاسم الياسري.....	

إلى الهور أيها الارب	محمد قاسم الياسري
خط أزرق - خط أحمر	علاء شاكر
المثقف التكفيري	علي حسن هذيلي
هو الذي أضع الحكاية	علي حسن هذيلي
تمثلات ليليث	أمجد نجم الزيدي
أصابع عطشى وحليب ازرق	محمد الخفاجي
دروس في التحليق	ناديا حيدر
الفساد في العراق	موسى فرج
سنوات الفساد	موسى فرج
حامل الخرز الملون	زعيم نصار وميثم الحربي
الحياة في غلظتها	زعيم نصار
الممثل والسينوغرافيا	جواد الحسب
الفضاء الروائي في رباعية الخسوف	د. خالد مرعي المسعودي
مدارات الكون السردي	ماجد الغرباوي
أوبرا الأتان	سامي المطيري
سلاماً ايها الحزب	شعراء عراقيون
الظل والحرور	ابراهيم عبد الرزاق اليوسف
ورود سائلة	زهراء حسن خضير
التضاد في البحث البلاغي عند العرب	د. اركان العبادي
خيوط ليس للانتحار	اسكندر حبش
امكانياتهم على تخيل الغرق	نصيف الناصري
نحات الريح	هاني نديم
عكاز تحت ضوء القمر	سلام دواي
الرمز في الخطاب الادبي	حسن كريم عاتي
ذكريات من غد الموتى	عبد الرزاق حسين
ثمّة كابوس في الشرفات	فاضل سوداني
و ٠٠٠	عدنان الصائغ
عتبة النقص	سعاد الخطيب
سطور الغيم	ماجدة البارودي
رقصة على استحياء	ايهم محمود العباد
رُقم اينانا لكلكاش	رشا السيد احمد
جاري الكندي	كريم الزيدي
لوتريامون	غاستون باشلار - ترجمة حسين عجة
على حافة الهاوية	جعفر الحسيني

حينما تمضي حراً.....	عبد الزهرة زكي
سيرتها الأولى.....	عادل مثنى خلف
حصن البكاء.....	وسام تايه
خطاً في رأسي.....	زين العزيز
اليوسفيون.....	حسن كريم عاتي

منشورات عام ٢٠١٦

الإمام والسجون.....	خضر جميل الوحيلي
علب كبريت.....	سمرقند الجابري
الحياة على دفعات.....	زهرة مروة
فاصلة.....	باسكال صوما
الألواح.....	علاء المسعودي
أساليب التكرار في شعر محمود درويش.....	علاء المسعودي
الدلالات الفكرية والرمزية للفن الاسلامي في التصميم المعاصر.....	معتز عناد غزوان
التحول.....	عبد الرزاق عبد الوهاب حسين
وشايات.....	غيد الاسدي
ما قالت السيدة المراهقة.....	سعد السميرمد
وافدة الفجر.....	جابر السوداني
الشعر بعد الحداثة.....	أثير عادل شواي
متعثراً بالاناء النذري.....	حسين محمد عجيل
تحت سماء الجنوب.....	عمار الوائلي
في ذاكرتي نهر.....	كاظم جابر
قضية عفاف.....	ستار التميمي
حروف اسمك.....	أمير ناصر
كيف لي؟.....	منار القيسي
الأشجار لا تغادر أعشاشها.....	سعد ياسين يوسف
حروف في منتصف الضوء.....	مختارات شعرية عربية
الإيزيديون التاريخ والإبادات.....	خلدون سالم الياس
من سجن النص إلى فضاءات التأويل.....	فاضل ثامر
من أوراق رجل.....	منار القيسي
أكثر من عكازة للقلب الوحيد.....	فهمي الصالح
سعادات الأمكنة المضاعة.....	باسم الشريف
اللؤلؤة والمسبار.....	رياض عبد الواحد
السرد التشكيلي في «المملكة السوداء» لمحمد خضير.....	شاكر حمد

صلوات الفيروز.....	عبد الكريم رجب الياسري
كل جسدي مشاع.....	عبد الكريم العامري
مهدي محمد علي.....	عبد الكريم كاصد
ضحى المرجة.....	سالم محسن
أتوارى عن المنزل والغابة.....	منذر خضير
قصص.....	حيدر الكعبي
على قيد الحب.....	حبيب السامر
لا يأتي أحد بعد مجيء النهاية.....	آوات حسن أمين
حوية ملح.....	ناصر الموزاني
رأس كالنرد.....	مهدي القرشي
طقوس في أخاديد المنفى.....	ليلى الخفاجي
الببغاء مهرج الغابة.....	باسم سليمان
سيرورة الشعر.....	أ. د. نجم عبد علي رئيس
تسامي الأشكال.....	د. ضياء الثامري
حارس المزرعة.....	نبيل جميل
شذرات اللؤلؤ.....	ناصر الموزاني
نصوص مهجرة.....	طالب زعيان
أسئلة يومية في قاعات الرفض.....	عبد الأمير العبادي
ممرات العبور.....	خديجة السعدي
على حافة الجنون.....	شيماء المقدادي
جيم جديد.....	جابر خليفة جابر
التحولات النصية في أسطورة اليهودي التائه.....	د. سهير أبو جلود
العايش يرفع أيده.....	مي أبو جلود

◀ الكتاب قد كشف عن بعض الوقائع التي لم يتوفق كتاب آخر على جمعها أو ذكرها على هذا النحو الشمولي ...

▶ الكتاب سيتحول الى مرجع يحتفظ به كل عراقي يريد التعاطي بالسياسة او متابعة الاحداث التي حصلت في العراق ...

▶ الكتاب سيضع الكاتب جعفر الحسيني في مقام الباحثين المنهجيين الذين يحسب لهم حساب في دقة الخبر والرأي ...

باهر ياسين



ثورة في العراق

AL-BAYAN
الرؤى

شارع المتنبي - مجمع المباني التجارية
هاتف: 07714247592

